



جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله -

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ



صورة الجزائر من سنة 1705 م إلى سنة 1814 م

من خلال المصادر التونسية.

**The Image of Algeria from 1705 AD to 1814 AD according to Tunisian Resources**

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د. تخصص

تاريخ المغرب العربي الحديث في القرنين 15-19م

إشراف الأستاذ الدكتور

أرزقي شويتام

إعداد الطالبة

فاطمة الزهراء صولي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ رابح كنتور	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	رئيساً
أ.د/ أرزقي شويتام	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	مشرفاً ومقرراً
أ.د/ ليلي خيراني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	عضواً مناقشاً
أ.د/ رقية شارف	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة الأغواط	عضواً مناقشاً
د/ ياسين بودريعة	أستاذ محاضر	جامعة البويرة	عضواً مناقشاً
د/ إسمي مهيبيل	أستاذة محاضرة	جامعة الجزائر 02	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية 1444-1445هـ/2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## الاهداء

- الحمد لله و كفى و الصلاة و السلام على حبيبه المصطفى.
- إلى الوالدة الكريمة حفظها الله.
- إلى روح والدي عليه رحمة الله.
- إلى روح أستاذتي الفاضلة عائشة غطاس شهيدة العلم.
- إلى زوجي و أولادي من تحملوا تقصيري طول فترة البحث،  
و كامل العائلة و جميع الاصدقاء.
- إلى كل باحث مثابر و مصابر و مجاهد، يعمل في هدوء و سكينة  
من أجل رفعة العلم و الوطن.

## شكر و تقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور "أرزقي شويتام" الذي درّسني في الليسانس ثمّ مرحلة ما بعد التدرّج، و قبل الإشراف عليا و صوّب عملي و نقّحهُ و صحّحهُ، و صبر عليا و صابرَ رغم الظروف القاهرة التي مرّ بها ، فله مني كلّ التقدير و الاحترام و أدامه الله صحيحاً عزيزاً كريماً كما عهدناه دائماً.

و الشكر موصول إلى من ساعدني في إنجاز هذا البحث و على رأسهم الأستاذ كمال مايدي؛ على المادة العلمية التي زودني بها و تشجيعاته و توجيهاته القيّمة، دون أن أنسى عمال المكتبة الوطنية و الأرشيف الوطني بتونس، و عمال المكتبة الوطنية بالجزائر خاصة جناح المخطوطات على التسهيلات و المساعدات التي قدموها لي.

كما أخصّ بالشكر كل الأساتذة الذين ساهموا في تكويني أثناء مرحلة ما بعد التدرّج، و إلى لجنة المناقشة التي صبرت على قراءة عملي هذا و تقويمه.

و أخيراً أشكر كلّ من ساعد في إخراج هذا البحث في حلّته الأخيرة، و كامل الأصدقاء و الزملاء الأعزاء.

الباحثة: فاطمة الزهراء صولي.

## قائمة المختصرات الواردة في الدراسة

### العربية:

الرمز	المعنى
أ.و.ت:	الأرشيف الوطني التونسي.
ب.ت.ن:	بدون تاريخ نشر.
ب.م.ن:	بدون مكان نشر.
ت:	توفي.
ج:	جزء.
د.ك.و:	دار الكتب الوطنية.
ص:	صفحة.
صص:	صفحات عديدة متلاحقة.
ط:	طبعة.
ع:	عدد.
مج:	مجلد.
ك.ت:	الكراسات التونسية.
م:	ميلادي.
ه:	هجري.
م.ب.ت:	مجلة البحوث التاريخية.
م.ح.م:	مجلة الحوار المتوسطي.
م.ع.ج:	مجلة عصور الجديدة.
م.د:	مجلة دراسات.
م.ت.مغ:	المجلة التاريخية المغربية.
مخ:	مخطوط.
غ.م:	غير منشورة.

مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية	م.ح.د.ف :
المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية	م.ت.ع.د.ع :
مجلة روافد للبحوث و الدراسات	م.ر.ب.د :
مجلة الحكمة للدراسات التاريخية	م.ح.د.ت :
مجلة الحكمة	م.ح :
مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	م.ج.أ.ع.ع.إ :
مجلة البحوث و الدراسات الإسلامية	م.ب.د.إ :
المجلة التاريخية المغربية	م.ت.م :
مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية،	م.ت.آن.ع.م :
مجلة الدراسات التاريخية	م.د.ت :
مجلة عصور الجديدة	م.ع.ج :
المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية	م.ج.د.ت.ق :
حوليات الجامعة التونسية	ح.ج.ت :
مجلة العلوم الإسلامية والحضارة	م.ع.إ.ح :
منشورات المجلة التاريخية المغربية	م.م.ت.م :
مجلة الثقافة	م.ث :
المجلة الزيتونية	م.ز :
الحياة الثقافية	ح.ث :
مجلة دراسات إنسانية	م.د.إ :
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية	أ.د.إ.إ :
مجلة الحوار المتوسطي	م.ح.م :
مجلة الآداب والحضارة الإسلامية	م.آ.ح.إ :
مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية	م.ع.إ.إ :

الأجنبية:

<b>P :</b>	Page
<b>PP:</b>	Page continues
<b>T :</b>	Tome
<b>N° :</b>	Numéro
<b>S.D :</b>	Sans date
<b>R.A :</b>	Revue Africaine
<b>R.T :</b>	Revue Tunisienne
<b>C.T :</b>	Chaire Tunisienne

# مقدمة

يُعدُّ الحديث عن القضايا البيئية لدول المغرب الإسلامي (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب و المغرب الأقصى) خلال الفترة الحديثة؛ من أهمِّ الدِّراسات التاريخية التي لا يزال حَقْلُ البَحْث فيها يَكرراً و مُشوقاً و مهماً لفهم ذلك التفاعل الحضاري الذي كان قائماً بين هذه الدُّول الإسلامية المتجاورة و التي تربطها قَواسمٌ مُشتركة ضاربة في عمق التاريخ، روابط دينية و لغوية و تاريخية و جغرافية و مصيرية مشتركة كانت و لازالت تُشكِّلُ أرضيةً صلبةً و مَوروثٌ حضاريٌّ كفيْل بأن يجعل من هذه المنطقة حصناً منيعاً و دار إسلام و جهادٍ ضدَّ أي إعتداءٍ أوربي متى كانت قَويَّةً و مُتماسكةً و مُتفاهمةً، و مَنفذاً سهلاً أمام نفس الاحتلال متى كانت ضَعيفةً و مُفككةً و متحاربة.

و ما يهمننا في هذه الدِّراسة هو تَسليط الضوء على ذلك التفاعل الحضاري الذي كان قائماً بين إيالتي الجزائر و تونس حيث تشابها كثيراً في الظُروف الدَّاخلية و الخارجية التي مرَّ بها عموماً؛ فَكِلَاهُمَا واجه الإعتداءات الحارِجية التي استهدفت المنطقة لِفتراتٍ طويلةٍ و المَتمثلة في الاحتلال الإسباني المبكر لِسَواحِلِهِمَا مُنذ القرن (10هـ/مطلع 16م) ثُمَّ دَخَلَا في جِماية الخِلافة الإسلامية العثمانية؛ التي تكفَّلت بِطرْدِ العدو و جِماية هذه الثُّغور الإسلامية من الاحتلال الإسباني خلال نفس الفَترَة، لينتهي الأمرُ بالاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، و بالنسبة لتونس سنة 1881م.

وعلى مدار هذه الحِقبة الزمَنية؛ كان هناك تفاعلٌ إجتماعيٌّ كبيرٌ جداً خاصةً على مستوى المناطق التُّحومية، و تبادلٌ تجاريٌّ و علاقاتٌ اقتصاديةٌ و هجراتٌ سُكانيةٌ و رحلاتٌ علميةٌ و تفاعلٌ ثقافيٌّ بين عُلماء و طلبة البَلَدَيْن، كُلُّ ذلك كان في ظلِّ علاقاتٍ سياسيةٍ سَلَميةٍ و مستقرةٍ حيناً و متقلبةٍ و متحاربةٍ أحياناً أخرى، كلُّ هذه العلاقات التي كانت قائمةً بين الجزائر و تونس خلال القرن (12هـ/18م- و 13هـ/مطلع 19م)، تمَّ تسجيلها على شكل صُور مُتنوعة و بِدون قَصد على صفحات تلك المصادر التاريخية التُّونسية التي كانت تُورِّخُ لِتاريخ تونس رأساً و يومياتها في جميع المجالات؛ من طرف شخصياتٍ تونسيةٍ عاصرت الأحداث و عاشتها و دَوَّنتها، بل كان بَعْضُها طرفاً مُهماً فيها؛ كَونها قَريبة جداً من دوائر صُنع القرار السِّياسي.

و قد كان لأخبار الجزائر و صورتها نَصيبٌ وافٍ بين ثنايا هاته الكتابات بسبب تَدخُل حُكامها في شُؤون تونس من حين لآخر و ما يترتب عن ذلك التَدخُل من تَوَثُّرٍ للعلاقات السِّياسية التي تصلُ حدَّ الصِّراع حيناً، و تَسْتَقِرُّ و تهدأ أحياناً أخرى عِلماً أنَّ صُورة الجزائر التي تضمَّنتها تلك المصادر لم تقتصر على العلاقات السِّياسية فقط، بل تَعَدَّت ذلك إلى بقية الجوانب الأخرى

الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و هذا ما شجعنا على إختيار موضوع بَحْثًا هذا و المتمثل في:  
"صورة الجزائر من سنة 1705 إلى 1814م (1161-1228هـ) من خلال المصادر التونسية"

و يَندرُجُ هذا الموضوع ضِمن تاريخ الجزائر الحضاري خلال العَهْد العثماني، خاصةً في القرن الثَّامن عشر الميلادي و مطلع القرن التاسع عشر (12-13هـ)، تاريخ ساهمت فيه العديدُ من الأطراف الدَّاخِلِيَّة و أُمَّهَّا حكام الجزائر و جيشها الانكشاري ، و الخارجية المتمثلة في حكام تونس و جيشها هي الأخرى و كذا الدَّوْلَة العثمانية بما أنَّ كِلا الإيالتين كانتا تابعتين لها؛ و كذا طرابلس الغرب و المغرب الأقصى كَوْنُهُما قَرِيبين من الجزائر؛ و كان لهُما دَخْلٌ في الكثير من الأحيان في تحديد طبيعة العلاقات بين الجزائر و تونس ، هذا ناهيك عن التَّفَاعُل الاجتماعي و الاقتصادي و الثَّقافي بين الإيالتين ، كُلُّ هاتِه الجوانب و الرِّوافد تَمَّ التَّطَرُّق لها أثناء إِسْتِعْرَاضِنا لِصُورَة الجزائر من خلال المصادر التُّونسيَّة ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ القَفْزُ على هذه المَحَطات التَّاريخية كما لا يُمكن إِسْتِعْرَاضِ الصُّورَة مجردةً من الأَحداث الَّتِي رَسَمَت مَعالم تِلْكَ الصُّورَة بكل أوجهها الإيجابية و السُّلبيَّة.

#### أسباب إختيار الموضوع و أهدافه:

و لقد وقع إختيارنا لموضوعنا هذا زماناً و مكاناً لِعدَّة أسبابٍ أُمَّهَّا:

1- أنَّ تَخْصُّص دِرَاسَتِنا في طور الدكتوراه "أ،م،دي" كان "تاريخ المغرب العربي الحديث بين القرنين 15 و 19م" فهي بذلك تَندرُجُ ضِمن التَّخْصُّصِ مكاناً و زماناً.

2- أنَّ تاريخ الحكم الحسيني بتونس و الَّذي يبدأ سنة 1705م كان له علاقةٌ كبيرةٌ جداً بتاريخ الجزائر و حُكَّامِها و جَيْشِها خلال هذه الفَترَة ؛ و أوقفنا فِترَة الدَّرَاسَة عند سنة 1814م لِأنها الفَترَة الَّتِي ينتهي فيها حُكم حمودة باشا الحسيني و الَّذي كان لِشَخْصِيَّتِه و سِيَّاسَتِه دوراً فعَّالاً و مُهماً في رَسْم مَعالم تِلْكَ العَلاقة بين الإيالتين.

3- كما أنَّ المصادر التَّاريخية محلِّ بَحْثِنا خلال هذه الفَترَة مُتَوَفِّرةٌ و غَزيَّةٌ و تُمكنُ البَاحِث من أخذِ صُورَة مُتكامِلَة إلى حدِّ كبيرٍ عن التَّفَاعُل السِّيَاسِي خاصَّةً و التَّدخُّلات العسْكرية الَّتِي كانت تونس مَسرَحَ أَحداثِها و حُكَّامِها و جَيْشِها الفَاعِلين الرَّئِيسين فيه؛ كما تُوجد إشاراتٌ و لو مُقتَضِبةٌ حول التَّفَاعُل الاقتصادي و الاجتماعي و الثَّقافي لِلبلَدَينِ خلال نفس الفَترَة دائماً.

4- ضِيفٌ لذلك رَغَبَتِنا الكبيرة في المساهمة و لو بجزءٍ بَسِيطٍ في الدَّرَاسات و البُحُوث التَّاريخية الجزائرية الحديثة ؛ و القائمة رأساً على الكِتاباتِ المَحَلِّيَّة و المَدُوناتِ التَّاريخية رَغْم صُعُوبَة إِسْتِخْلَاصِ الإشارات

التي جاءت حول صورة الجزائر ، و رغم ذلك أجد نفسي باستمرار مَشْدُودَةً إلى هذا النوع من الدراسات كثيراً ؛ لما تُوفِّره من مادةٍ خَبَرِيَّةِ هامة جداً و متنوعة.

5- الرغبة في معرفة "صورة الجزائر خلال القرن 18 و مطلع 19م" كيف تمّ تصويرها؛ بناءً على ما ورد في المصادر التونسية كونها كتاباتٍ محلِّيَّةٍ إسلامية و تختلف كثيراً عمّا جاء في الكتابات الأجنبية الأوربية سواءً كانت تقاريرُ القناصلِ أو تَقَاييدُ أسرى و رَحَالَة أو إنطباعَاتُ مُسَافِرِينَ و رجالِ دينٍ و جَوَاسِيس، و رَغْمَ أنَّها مُهمَّةٌ جداً نظراً للمَعْلُومَاتِ التي تُوفِّرها و الطَّرِيقَةُ المنظَّمة المتَّبَعَةُ في إنجازها و الضرورية جداً لأيِّ دراسةٍ تُخصُّ الجزائر في الفَتْرَةِ الحديثة العثمانية، لكنَّها تبقى كتاباتٌ أجنبيَّةٌ ألفت من أجل خدمةٍ مَصَالِحِ بُلْدَانِهِمْ و سَاسَتِهَا ذَوِي التَّوَجُّهِ الاستعماري.

6- تُوفِّرُ مادةً تاريخيةً علميةً لا بأس بها بحوزتنا؛ لأنَّ دراستنا في فِتْرَةِ الماستر كانت حول تونس و أثناء اشتغالي عليها اكتشفتُ مدى إهتمام بعض المقرِّبين من البلاط من تَسْخِيرِ أَقْلَامِهِمْ لِتَخْلِيدِ مَآثِرِ مَحْدُومِيهِمْ و حُكَّامِهِمْ و كذا تاريخ بلادهم تونس فقاموا بتأليف كتبٍ تاريخيةٍ كثيرةٍ و مُتنوعَةٍ لهذا الغرض؛ و ما استوقفتني في هذه المؤلفات تعرُّضُها للجزائر أثناء حديثها عن تاريخ تونس و بالتَّالي جاءتنا، ففكرة استغلال ما جاء في هذه المصادر على شكلِ دراسةٍ مُستقلَّةٍ بِدَائِمِهَا و مُستفادَةٍ في أغلبِ مَعْلُومَاتِهَا حول الجزائر من خلالها.

7- المساهمة في إثراء المكتبة الوطنية الجزائرية التاريخية بدراساتٍ جادَّةٍ نَهَتْهُمُ بتاريخ الجزائر من وجهة نظر كتاباتٍ خارجية؛ ليست أجنبيَّة و لا أوروپية بل إسلامية ، عَرَبِيَّة، شَقِيْقَة و قَرِيْبَة، و ما أَحْوَجَنَا لمثل هذه الدراسات التي تُمِيطُ اللَّثَامَ عن التَّفَاعُلِ الَّذِي كان بين دُولِ المَغرب الإسلامي خلال العهد العُثماني بِوَجْهِهِ الإيجابي و السَّلبي و تَمْحِيسِ عَثَّهَا مِنْ سَمِينِهَا و نَقْدِهَا نَقْداً مَوْضُوعِيّاً يَبِينِي و لا يَهْدِي من أجلِ الإِسْتِفَادَةِ من ذلك الإِرْثِ الحَضَارِيِّ الكَبِيرِ لِإِنْبَاءِ عَلاَقَاتِ مُسْتَقْبَلِيَّةِ تُحَدِّمُ هذه المناطق شُغُوباً و حُكُومَات.

8- تَوَجِّهِ القراء من المتخصِّصين إلى أبرز المصادر التونسية التي أُرِجِحُ للجزائر في الفِتْرَةِ الحديثة من أجلِ استغلالها و الإِسْتِفَادَةِ منها.

إشكالية الدراسة:

تمثل الإشكالية المطروحة لهذه الدراسة في : كَيْفَ تَنَاوَلَتِ المَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ التُّونِسِيَّةُ صُورَةَ الجزائر خلال القرن 18 و مطلع 19م (12-13هـ)، ما هي أبرز هذه المصار التاريخية التونسية

التي شكّلت أرضية هذا البحث و إلى أي مدى كانت مَوْضُوعِيَّةً و نزيهَةً في نقلها للصورة ؛ أم مُتَحَيِّزَةً للطرف التونسي و متعافلة في عَرْضِهَا و تصويرها للأحداث التاريخية و لماذا؟.

و للوقوف على جميع جوانب هذه الإشكالية، بتفاصيل أكثر، طرحنا مجموعة من الأسئلة الفرعية هي:

- كيف نظرت المصادر التُّونِسِيَّة إلى حُكّام الجزائر و سياستهم تجاه تونس خلال القرن الثامن عشر و مطلع التاسع عشر ميلادي، في أوقات الحرب و السلم؟.

- كيف رسمت المصادر التونسية المشهد السِّيَاسِي للإيالتين على مَدَار الفَتْرَةِ المَدْرُوسَةِ، هل سلّطت الضوء على الحروب فقط؛ أم تطرقت لفتّرات السِّلم و السِّلام و الاستِثْرَار في العلاقات بينهما كذلك؟.

- كيف قيّمت المصادر التونسية موقف الياب العالي من الصِّراع الذي كان يدور بين الجزائر و تونس بما أنهما إيالتين مسلمتين و عثمانيتين؟.

- هل تناولت المصادر التُّونِسِيَّة النشاط الاقتصادي و الاجتماعي بين الإيالتين بنفس حِدَّة تَنَاوَلَهَا للمَشْهَد السِّيَاسِي و العَسْكَرِي؟.

- هل رصدت المصادر التونسية تأثير تلك الحروب العسكرية، على العلاقات الاقتصادية و المبادلات التجارية للإيالتين أم لا؟.

- إلى أيّ مَدَى تَنَاوَلت المصادر التُّونِسِيَّة مُشَارَكَةَ القَبَائِل الحُدُودِيَّة في ذلك الصِّراع القائم بين الحُكّام هل تَأثّر بالحروب الفُوقِيَّة للحُكّام أم كان بعيداً عن ميادين القتال و غَيْر آبه لِتِلْكَ المَنَاوَشَات المَتَكَرِّرَة بين العسكّرين و إِسْتَمَرَّ يُزَاوِلُ أَعْمَالَهُ و حَيَاتُهُ اليَوْمِيَّة مُتَنَقِّلاً بين الجزائر و تونس أو العكس غير مُكَتَرِثٍ لِلحُدُود الجغرافية التي سَطَّرَهَا السَّاسَةُ؟.

- كيف صورت المصادر التونسية العلاقات التَّقَافِيَّة بين عُلمَاء و طَلَبَة البَلَدَيْن، و إلى أي مَدَى إِمْتَدَّ التَأثِير الصُّوفِي بين الإيالتين؟.

- ماهي مَعَالِمُ الصُّورَةِ الَّتِي رَسَمَتَهَا المَصَادِر التَّارِيخِيَّة التُّونِسِيَّة للجزائر، هل كانت مَوْضُوعِيَّةً صَادِقَةً في نَقْلِهَا لِلأحداث و أَنْتَاء عَرْضِهَا لمختلف جوانب العلاقات التي كانت تَرِبُطُ الإيالتين على مَدَار الفترة المدروسة، أم مُتَحَيِّزَةً لِلطَّرْفِ التُّونِسِي بما أَنَّهَا تُونِسِيَّة؟ هل كانت أَقْلَامٌ تَتَحَكَّمُ فِيهَا ولاءات الحُكّام و أَوْلُويَات السِّيَاسَةِ و الحُكْم أم كانت أَقْلَامٌ مُتَحَرِّرَةٌ تُعَدِّمُ مَصْلَحَةَ العالم الإسلامي و دار الجهاد التي

كانت إيلات المغرب الإسلامي أهم أطرافه على الجبهة العربية للمتوسط خلال الفترة الحديثة و بالتالي نحرص على نقل الصورة كما هي بحلوها و مرها دون اعتبارات سياسية؟.

**المنهج المعتمد في الدراسة:**

اعتمدنا في دراستنا لموضوع "صورة الجزائر من (1705 إلى 1814م) من خلال المصادر التونسية: على مجموعة من المناهج أهمها:

"المنهج التاريخي الاستقرائي" أولاً؛ الذي يتطلب تتبع كل ما ذكر حول الجزائر خلال القرن (12-13هـ/18-19م) و مطلع (19م) في المصادر التاريخية التونسية المترجمة مع هذه الفترة و الإطلاع عليها بتمعن من أجل فهم الصياغ العام الذي ذكرت فيه الجزائر، ثم استخراج هذه المادة الخام وفرزها ثم يأتي بناء الدراسة عليها في مرحلة لاحقة.

و اجتهدنا في اعتماد "المنهج التاريخي الوصفي" فهو قاعدة و أساس لأي بحث تاريخي و لا يمكن الاستغناء عنه، و ذلك من خلال توظيفه لوصف الأحداث التاريخية التي تطرقت لها هذه المصادر الإخبارية التونسية و ما له علاقة طبعاً بالجزائر، مركزين قدر الإمكان على التسلسل التاريخي للأحداث منذ بداية القرن 18م (12هـ) إلى مطلع القرن 19م (13هـ).

و اعتمدنا أيضاً على "المنهج التاريخي التحليلي" حيث استعنت به في تحليل لتلك المادة الإخبارية الخام التي تم استخراجها من المصادر و طريقة عرض المصادر لها و مدى موضوعية و نزاهة أصحاب تلك المصادر من عدمه و موقفها من الجزائر و حكامها و مدى مطابقتها أو صافيتها للواقع، ثم القيام بترتيبها تاريخياً حسب تسلسلها الزمني و الموضوعي؛ بمعنى تحليل تلك المعطيات التاريخية و تفكيكها و إعادة بنائها و صياغتها حسب تشابه المواضيع في مباحث و فصول سياسية عسكرية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية.

و استعملنا كذلك "المنهج التاريخي المقارن" في بعض الأحيان؛ و الذي يسمح لنا بمقارنة ما عرضته المصادر التاريخية التونسية بما تناولته المصادر المحلية الجزائرية لنفس الأحداث و ذلك من أجل تأكيد أو نفي أو توضيح هذه الأحداث التي وردت ذكرها في المصادر التونسية، و التي تكون أحياناً مطابقة لما ورد في الكتابات الجزائرية و أحياناً مخالفة لها و أحياناً أخرى مختلفة تماماً خاصة إذا كانت تلك الأحداث على التراب الجزائري بعيدة عن تونس "مثل فتح وهران الأول عام 1708م و إعادة احتلالها عام 1732م، لأن المؤرخين التونسيين معظمهم لم يزر الجزائر و تكلم عنها بما سمع فقط و لم

يعايش الأحداث مثل المؤرخ الجزائري الذي كان شاهداً و معاصراً للحدث و أحياناً فاعلاً فيه، كما قد يكون أحياناً مصدر المقارنة أجنبي لكنه زودنا بمعلومات قيمة يمكن الاستدلال بها للمقارنة.

-و إعتدنا كذلك على "المنهج الكمي الإحصائي" خاصة في الفصل الاقتصادي و ذلك لإستنتاق بعض الإحصائيات التي وردت ببعض الدفاتر الأرشيفية التونسية حول الهدايا و الإحسانات التي كانت تصل لعدة شخصيات بالجزائر حاكمة و نافذة و حتى شخصيات أخرى قليلة النفوذ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

و في الأخير حاولنا الخروج بدراسة حضارية شاملة حول الجزائر من عدة جوانب؛ و خلال فترة زمنية مهمة جداً من تاريخها بناءً على ما ورد في مصادر تونس التاريخية، حيث نقلت الصورة كما وردت قائمةً سوداويةً دمويةً سلبيةً في بعض فصولها السياسية و العسكرية؛ و متينةً متماسكةً مترابطةً و متماثلة في بعض فصولها الأخرى الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.

كما كنا حريصين إلى حد كبير على توضيح كل غامض و ترجمة معظم الأعلام و الأماكن التي ورد ذكرها في متن الرسالة بما يخدم الموضوع و يسهل فهم المضمون.

#### الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات الأكاديمية السابقة التي تطرقت " لصورة الجزائر خلال القرن 18- ومطلع 19م/12-13هـ". يوجد دراسات تتشابه و تتقاطع مع هذا الموضوع سواءً بالنسبة للهيكل التنظيمي و الخطة المتبعة أو حول المضمون و المعلومات الواردة هي هذه الرسالة؛ لذلك أذكر أهمها و هي:

مقالة تاريخية كتبها الأستاذ التونسي محمد صلاح حقي بعنوان "صورة الجزائر في القرن 19 من خلال المصادر التونسية" إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان" و "صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار و الأقطار" نموذجاً، و المنشورة بمجلة أفاق فكرية في خريف 2016م، تعتبر هذه المقالة هي المحرك الأول الذي دفعني في الحقيقة لإختيار الموضوع مع تغير الفترة الزمنية بالقرن 18م بدل 19م؛ مع تنوع المصادر التونسية و التي كانت متوفرة بشكل كافي خلال القرن 18م، علماً أن الباحث قد أنجز رسالة ماجستير تحت نفس العنوان، لكننا لم نتحل عليها .

يضاف إلى ذلك دراسة الأستاذ عمار بن خروف الموسومة ب: "العلاقات السياسية بين الجزائر و تونس في القرن 18م/12هـ"؛ وهي كتاب مطبوع عام 2017م عن دار الأمل، و هي في الأصل رسالة دكتوراه، و التي نعتبر حجر الزاوية في هذه الدراسة خاصة في الفصل السياسي

والعسكري ؛ لأن الباحث تتبع فيها العلاقات السّياسيّة بشكّلٍ مُنظّم و مُرتّب و مُتسلسل وكانت معلوماته دقيقة و تفسيراته للأحداث وافية خاصةً العلاقة الّتي كانت بين حكام الإيالتين في فترات الحرب و السلم و كذا علاقة بعض القبائل الحدودية المتنفذة بالسلطة في تونس و الجزائر، و هذا ما سمح لنا بفهم الكثير من خبايا تلك العلاقة المتداخلة بين الإيالتين خاصةً بين بايات بايلك الشرق الجزائري و السلطة بتونس؛ تداخل جغرافي و اقتصادي و اجتماعي و ثقافي يصعب في الكثير من الأحيان فصله، لكن الأستاذ بن خروف استطاع الوقوف على أهمّ تفصيله و أنارّه خاصةً السّياسيّة و أفادنا ذلك كثيراً في فهم مجريات الأمور.

و كذا رسالة ماجستير لصورية حصام "العلاقات بين أيالتي الجزائر و تونس خلال القرن 18م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ و الآثار، جامعة وهران، سنة 2012-2013، و هي غير منشورة على حد علمي، فاستفدت منها حول العلاقات السّياسية بين الإيالتين.

إضافةً إلى دراسة محمد عطية "الصراع بين الإيالتين الجزائرية و التونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية و التونسية" 1587-1830م، مذكرة ماجستير، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، السنة الدراسية 2014-2015م، غير منشورة، واطلعنا من خلالها على تاريخ الصراع بين حكام الإيالتين.

### عرض خطة البحث:

جاءت صياغة الخطة استجابة للمادة المصدرية و المعطيات التاريخية المتوقّرة؛ و التي فرضت شكل، و حجم الخطة، فقمنا بتقسيم البحث إلى مقدّمة و فصل تمهيدي و أربعة فصول، و أخيراً خاتمة و مجموعة من الملاحق التوضيحية؛ ذات العلاقة المباشرة بالمتون، و قائمة المصادر و المراجع: ففي المقدّمة اتّبعنا الخطوات المتعارف عليها أكاديمياً مثل: التعريف بالموضوع، و أهميته، و أهدافه العلميّة، و دواعي اختياره، مع طرح الإشكال و الأسئلة الفرعية المصاحبة له، و تبيّن المنهج المعتمد في الدّراسة، و عرض أهمّ المصادر و المراجع، و استعراض الصعوبات التي اعترضت الباحث، و غيرها من النقاط المنهجية.

أما الفصل التمهيدي، فعنوانه ب: "التعريف بالمصادر التاريخية التونسية خلال القرن (12-13هـ/18- و مطلع 19م)"، و لقد ارتأينا من الأفضل تخصيص مدخل منفصل خاص بالتعريف بهذه المصادر التاريخية التونسية؛ الّتي إنبنت على أساسها هذه الدّراسة و ذلك من أجل الإحاطة بظروف تأليفهم و علاقة أصحاب تلك المؤلفات بحكام تونس؛ لأخذ فكرة عن طبيعة الكتابات التاريخية التي

ظهرت بتونس خلال القرن 18م، و التي كان أغلبها بتشجيع من القابضين على السّلطة و التي كان لها الفضل في تخليد أحداث تونس خلال تلك الفترة التاريخيّة المهمّة، و طريقة تناولهم للجزائر على صفحات تلك المدوّنات، و جاء التعريف بهذه الكتب مرتبّ زمنياً على حسب تاريخ تأليفهم بهذا الشكل:

المبحث الأول: كتاب "ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان" لحسين خوجة.  
المبحث الثاني: "الحلل السُّنَدسيّة في الأخبار التونسيّة" للوزير السّراج (من ثلاث مجلدات) واستفدنا من الثاني و الثالث، و يوجد رابع و مهم جداً لكنّه أحرق من طرف علي باشا أثناء الفتنة الباشية على الحكم.

المبحث الثالث: "المُشرّع الملكي في سلطنة أولاد علي تُركي" لمحمد الصغير بن يوسف،(من أربع مجلدات) و كلها مهمة و استعنا بها جميعها.

المبحث الرابع: "الكتاب الباشي" لحمودة بن عبد العزيز و يتكون من مجلدين الأول محقق و الثاني مخطوط و كلاهما مهمين في هذه الدراسة.

المبحث الخامس: "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان" لأحمد بن أبي الضياف، و هو من أربع مجلدات و ثماني أجزاء، و استعملنا في هذه الدراسة الأجزاء 1،2،3، 7 خاصةً.

الفصل الأوّل: عنوانته ب: صورة العلاقات الجزائرية التونسية بين القطيعة و الالتقاء خلال القرن 18 و مطلع 19م، يتضمن هذا الفصل العلاقات السياسية عموماً بِوَجْهَيْهَا القطيعة تارةً بسبب الحروب التي كانت بين حكام الجزائر و تونس ، والسّلام و الهدوء تارةً أخرى، و يعتبر هذا الفصل هو الأطول نوعاً ما في هذه الدّراسة؛ و السبب يعود إلى غزارة المادة التاريخيّة في المصادر الإخباريّة قيد الدّراسة من جهة، كما أنّ معظم أصحاب هذه المصادر التاريخيّة كانت طبيعته وظائفيهم سياسيّة أي قريبةً من الحُكّام و توفّرت لديهم وثائق و معلّومات كثيرة حول علاقات حُكّامهم بالجزائر و غيرها لذلك جاء إهتمامهم بالشؤون السياسيّة بارزاً و واضحاً في كتاباتهم، و قسّمنا هذا الفصل إلى أربعة مباحث ، أولها: الصّراع بين دايات الجزائر و البايات التونسيين أواخر القرن 17 و مطلع 18م ، و رغم أنّ المدّة المحصورة في السنوات الأخيرة من القرن 17م تعتبر خارج فترة الدّراسة؛ لكننا ارتأينا تخصيص مبحثٍ لها حتى يتسنى لنا فهم طبيعة العلاقة بين الإياليين مع مطلع القرن 18م بسبب الإرتباط الوثيق بين الأحداث، كما أنّ المصادر صورت هذه الفترة بشكلٍ يصعب فصلها أو الإستغناء عنها لأنّ أحداث القرن 18م(12هـ) خاصةً مَطْلَعُها كانت نتيجةً لما حدث قبلها، ثمّ

استعرضنا في المبحث الثاني: **الفِتْنَةُ الحُسَيْنِيَّةُ البَاشِيَّةُ و تَدخُلُ حكام الجزائر فيها بين 1728-** 1756م، و هي صراع مرير داخل البيت الحسيني استمر قرابة الثلاثين سنة بشكل متقطع ؛ بسبب عدم تأسيس لقواعد ثابتة في مسألة ولاية العهد لمن تؤول بعد موت الحاكم منذ البداية و هذا ما فجّر الوضع مُبكراً بين العمّ و ابن أخيه، و كان لحكام الجزائر دخلٌ كبيرٌ في مساندة طرفٍ ضدّ آخر بناءً على ما نقلته و صورته المصادر التونسيّة.

و خصصنا المبحث الثالث: **لتجدد الصّراع بين الجزائر و تونس مطلع القرن 19م** ، و هي عبارة عن مرحلةٍ جديدةٍ من العلاقات بين الإيالتين سادها التّوتّر إلى درجة القُطيعة و الدُخول في حروب بَريّة و بحريّة، بعد مُدَّةٍ زَمَنِيَّةٍ طويلةٍ من السّلام و استعرضنا الأسباب التي أدت إلى ذلك الوضع الدموي بين الإيالتين و نتائجه.

ثمّ كان المبحث الرابع حول: **فترات الهدوء و الاستقرار في العلاقات السياسية بين الإيالتين خلال القرن 18 و مطلع 19م**؛ يعتبر هذا المبحث خلاصة عامة للعلاقات السياسية بين الإيالتين على مدار قرن و يزيد سادها السّلام و الاستقرار ؛ و هي نتيجة لرغبة مجموعة من الحكام في البلدين من أجل الالتفات للشؤون الداخلية أكثر بدل الحروب و الاقتتال .

أما الفصل الثاني فعنوانته ب: **صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر و تونس خلال القرن 18 و مطلع 19م**، و يشتمل على ثلاثة مباحثٍ، أولها كان عن: **ممثلي و وكلاء الجزائر و قسنطينة بتونس (المهام و الأدوار)** حيث تطرقنا فيه للمهام الموكلة لممثلي دايات الجزائر و بايات قسنطينة على الأراضي التونسية، و رغم أنّ طبيعة هاته الوظائف وقتها كانت سياسية أكثر، إلا أنّ الصّفقات التجاريّة التي أبرمها هؤلاء الوكلاء لصالح حُكام الجزائر كانت السّمة الغالبة ، لذلك حاولنا إلقاء الضّوء على هاته الفئة المهمّة و المعيّنة تقريباً من إهتمّامات الباحثين و هي مهامٌ لا تقل أهميةً؛ بل تكاد تكون مثل الواجبات التي كان يقوم بها قناصلُ الدُول الأجنبية على أراضي الدّولة العثمانية لصالح بلادهم؛ و لقد كان لذكر هؤلاء الوكلاء الجزائريين في المصادر التونسية حيز كبيرٌ و واضحٌ لذلك إرتأينا إبرازهُ.

و ثاني مبحث كان حول: **المبادلات التجارية بين الجزائر و تونس**، حاولنا من خلاله توضيح النشاط التجاري الكبير الذي كان خاصّةً بين بايلك الشّرق الجزائري و تونس نظراً للتّقارب الجغرافي و الانسجام الاجتماعي بين المنطقتين.

و خصّصنا المبحث الثالث: للإحسانات و الصّرائب المقدمة من طرف حكام تونس إلى الجزائر، و هي عبارة عن هدايا بعضها إلزامية و أغلبها طوعية كان حُكام تونس خاصّةً في النصف الثاني من القرن 18م يقدمونها إلى شخصياتٍ سياسيةٍ مرموقة و شرائح اجتماعيةٍ مُتنوعة، حاولنا التفصيل في هذا المبحث لأهمّيته؛ وهو ما جعل الفصل الاقتصادي هو الآخر يأتي طويلاً، لكن لم نتمكن من الإلمام بكل حيثياته؛ و هو موضوعٌ متشعبٌ و يحتاج إلى دراسةٍ مُعمّقةٍ و منفصلةٍ مستقبلاً بحول الله .

**الفصل الثالث:** فعنونه ب: صور من العلاقات الاجتماعية بين الإيالتين خلال القرن 18 و مطلع 19م. أدرجنا فيه خمسةً مباحث و هي، المبحث الأول: تحدثت فيه عن الهجرة السكانية بين الجزائر و تونس، خلال الفترة المدروسة و هي ظاهرةٌ طبيعيةٌ و مألوفة في ذلك الوقت و حتى قبّله، لأنّ حركة السُكان بين مناطق العالم الإسلامي ذهاباً و جيئةً كانت سهلةً متاحةً و لم تكن هنالك حدوداً جغرافيةً أو سياسيةً مانعةً مثل اليوم .

و جاء المبحث الثاني: ليعطينا نماذج حية لتلك الهجرة السكانية الفاعلة و المؤثرة و المثيرة على الإيالتين و هي: هجرة عائلي "آل الرصاع" و "آل قدورة" بين الجزائر و تونس، و تسلفهُما سُلم الوظائف الدّينية و العلمية وإندماجهُما الكلي في الحياة السّياسية لفتراتٍ زمنيةٍ طويلة؛ و الّتي تعتبر نماذج لهجراتٍ عائليةٍ ناجحةً بين الشّقيقتين الجزائر و تونس، و لا شك أنّ هناك عائلاتٌ أخرى مغمورة في التّاريخ هاجرت هي الأخرى من الجزائر و نجحت في تونس أو غيرها من بلدان العالم الإسلامي وقتها؛ و هي كذلك من المواضيع التّاريخية المهمّة الّتي تستدعي التّوقّف عندها بالبحث و الدّراسة ملياً مستقبلاً بحول الله.

أما المبحث الثالث: فكان حول: لجوء أطراف الصراع بتونس إلى الجزائر، و الاستقرار بها لسنواتٍ طويلةٍ، و حاولنا التفصيل في ظروف اقامتهم بالجزائر و العلاقات التي نسجوها خاصّةً مع بعض الحكام و الوزراء إن صحّ التعبير و كيف وظّفوا تلك المعارف في خدمة مصالحهم، كما تكلمنا في المبحث الرابع: عن ظروف و ملابسات: هروب محلة عسكرية و قبيلة حدودية إلى تونس، و الأسباب التي جعلت حكام تونس يعضون الطرف عنهما، و النتائج التي جعلت هذا المشكل يتفاقم بين حكام الإيالتين إلى حدّ الاقتتال.

أما المبحث الخامس: فتبعت فيه: انتشار وباء الطاعون بالجزائر خلال الفترة المدروسة، و رغم أنّه يبدو مبحثاً دخيلاً عن الموضوع، لكن ظاهرة الوباء الّتي أشارت إليها المصادر و المدونات التّونسية

كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على بعض الحملات العسكرية الموجهة نحو تونس، كما أثرت سلباً على الإيالتين بتناقص عدَد السَّاكِنَة و الحَرَفِيّين والعُلَمَاء و التُّجَّار و الفَلاحِين؛ و هي من المصائب الّتي كانت تضرب منطقة البحر الأبيض دون تمييز من حينٍ لآخر مُخلفَةً وراءها فراغاً اجتماعياً رهيباً.

أما الفصل الرابع: فعنوانه ب: صور من التفاعل الثقافي بين الجزائر و تونس خلال القرن 18 و مطلع 19م، و قسمته إلى خمسة مباحث، استعرضت في الأول ظاهرة هجرة علماء الجزائر عموماً خلال العهد العثماني، ثمّ فصلت في المبحث الثاني في أسباب و ظروف و نتائج رحيل علماء الجزائر نحو تونس و العكس خلال الفترة المدروسة دائماً، أما المبحث الثالث فتعرضنا بالدراسة للمراسلات التي كانت بين علماء الجزائر و تونس؛ مراسلات فقهية و إخوانية و علمية و حتى إجازات متبادلة بين نخبِ الإيالتين، ثمّ تناولنا في المبحث الرابع علاقة زاوية خنّقة سيدي ناجي بحكام تونس؛ علماً أنّ هذه الزاوية مُتواجدةٌ بالتُّراب الجزائري و كانت تربط شيوخها و علمائها بحكام تونس علاقات متينة، فبحثنا في ماهية تلك العلاقات و نتائجها على الزاوية خاصةً، أمّا المبحث الخامس فخصّصناه للتأثير الصّوفي بين الجزائر و تونس؛ و ذكرنا بعض الطرق الصّوفية التي قدمت من تونس إلى الجزائر أو العكس، و لم نتوسع كثيراً في هذا المبحث إلاّ بما يخدم الموضوع، لأنّ موضوع الطرق الصّوفية في المغرب الإسلامي خلال العهد العثماني يحتاج إلى موضوعٍ قائمٍ بذاته بسبب تشعبه. و جاءت خاتمة دراستنا هذه لتجمع أهمّ النتائج الّتي توصلنا إليها أثناء إنجازنا لهذا البحث و هي النتائج الّتي حاولنا تبسيطها للقارئ، حتّى تتمّ الفائدة المرجوة من البحث.

### دراسة نقدية للمصادر و المراجع:

بالنسبة لمصادر الدراسة، فقد اجتهدنا في تنويع المصادر و المراجع من أجل إثراء الموضوع، فاعتمدنا على المصادر المعاصرة لفترة الدراسة، منها المخطوط، و الوثائق الأرشيفية، و المصادر العربية و بعض الأجنبية، و المراجع المتخصصة في تاريخ الجزائر و تونس الفترة العثمانية، بالإضافة إلى الدراسات الجامعية و المقالات الدورية و كتب التراجم والقواميس.

### أولاً: المصادر التونسية التي تعتمد عليها الدراسة (الأساسية):

كان لها الحيز الأكبر، لأنّ جلّ مادة بحثنا مبثوثة بين طياتها، كما أنّ موضوع الدراسة قائمٌ أساساً على ما ورد فيها من أخبار و إحصاءات حول الجزائر لذلك خصّصنا الفصل التمهيدي للتعريف بهذه المصادر، و سنشير بشكل سريع و بإيجاز لهذه المصادر قصد توضيح مدى استفادتنا من كل واحدٍ منها على حدى.

- ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان: لمؤلفه حسين خوجة، تحقيق و تقديم الطاهر المعموري، الكتاب نصوصه الأصلية عثمانية يتضمن أصول القبائل التي انحدر منها آل عثمان و يشير إلى المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه، و الكتاب يحتوي على مقدمة و ثلاثة و عشرين بابا فكانت المقدمة لأصول بني عثمان، و خُصصت باقي الأبواب للسلطين، و الباب الرابع فهو يشكل سدس الكتاب و منه يتألف الذيل الذي أرتخ لمؤسس الحكم الحسيني بتونس، و قد أفادنا كثيراً في معرفة علاقات الجزائر بتونس أواخر القرن 17م و مطلع 18م و مختلف الحروب التي عرفتها تونس بسبب الإقتتال على السّلطة و تدخل حكام الجزائر في ذلك الصراع بين الفينة و الأخرى ، كما أفادنا كثيراً في تراجم بعض علماء الجزائر الذين قصدوا تونس و تمّ توظيف ذلك في الفصل الثقافي.

- الحلل السندسية في الأخبار التونسية: لصاحبه أبو عبد الله محمد الأندلسي المعروف بالوزير السراج الذي ينتمي إلى أسرة أندلسية، و قام بتحقيق و تقديم الكتاب محمد الحبيب الهيلة، و كان الوزير يكتب بناءً على طلب الحاكم "حسين بن علي" فهو إذن المؤرخ الرسمي لدولته، استفدنا كثيراً من المجلد الثاني خاصةً و بعضٌ من المجلد الثالث في الفصل السياسي و العسكري لأنّه تعرض للعلاقات التي كانت بين الجزائر و تونس و تدخل حكام الجزائر في شؤون تونس مطلع القرن 18م، كما استفدنا منه في تراجم بعض العلماء في الفصل الثقافي و كذا جوانب من حياة بعض علماء آل الرّضاع في الفصل الاجتماعي.

- المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي: لمؤلفه محمد الصغير بن يوسف الباجي، تحقيق أحمد الطويلي؛ و يتكون من أربعة مجلدات إستعرض فيها الأوضاع بتونس منذ عهد حسين بن علي مطلع القرن 18م إلى غاية حكم أبنائه محمد الرشيد و علي باي أواخر القرن الثامن عشر كذلك مروراً بمرحلة حكم علي باشا أواسط نفس القرن، و رغم بساطة أسلوبه إلى درجة العامية في الكثير من الأحيان و عدم التزامه بالترتيب التاريخي للأحداث غير أنّه يعتبر من أهمّ المدوّنات التي أرّخت لتونس في جميع المجالات خلال القرن 18م، و كانت استفادتنا من كل مجلداته دون إستثناء عظيمةً لأنّه تطرق لأخبار الجزائر أكثر من غيره واستخرجنا منه مادةً خيريةً كبيرة؛ اعتمدنا عليها في الفصل السياسي و العسكري و الاقتصادي و الاجتماعي و حتى الثقافي.

- الكتاب الباشي: للوزير و الكاتب حمودة بن عبد العزيز، الذي عاش خلال عهد علي باي بن حسين بن علي، ينقسم إلى جزأين، الأول مخصص إلى سيرة مخدمه علي باي؛ استفدنا منه خاصة في الفصل السياسي و العسكري و الاقتصادي و الاجتماعي و حتى الثقافي. أما الجزء الثاني فلا يزال

مخطوطاً بالأرشفيف الوطني التونسي تحت رقم 900/15 ، و كانت استفادتنا منه كبيرة خاصة في الفصل السياسي و العسكري، ثم الاجتماعي و كذا الثقافي، علماً أنه لا يزال بدون تحقيق.

-إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان: مؤلفه أحمد بن أبي الضياف؛ الذي عاش معظم القرن الثامن عشر و كان مقرباً منذ نعومة أظفاره من البلاط و رجالاته، يتكون كتابه من ثمانية أجزاء، ولقد استفدنا كثيراً مما ورد في الجزء الأول و الثاني و الثالث لأنه يؤرخ لتونس خلال القرن التاسع عشر ميلادي؛ و كانت الجزائر و صورتها حاضرة بقوة خاصة في الحروب؛ و بدا الكاتب متحيزاً جداً للطرف التونسي، كما استفدنا من الجزء السابع المخصص لتراجم علماء و شخصيات القرن 19م.

### ثانياً: الوثائق الأرشيفية:

اعتمدنا على عدد من الوثائق الأرشيفية بعضها جزائرية و الأخرى تونسية مثل:

-وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، المراسلات، المجموعة 3190، الملف الأول، الورقة 7، و الورقة 53. و استفدنا من الوثيقتين في الفصل السياسي و العسكري.

-الأرشفيف الوطني التونسي، الدفتر الجبائي، مداخيل الدولة و مصاريفها، 1170-1178هـ، رقم 1046، الورقة من 11 إلى 14. المعنونة ب: الخراج لأهل الجزائر و قرصانها، و هي عبارة عن مصاريف عينية صُرفت لإصلاح حكام الجزائر كهبات سنوية كان حكام تونس مُلتزِمون بها في النصف الثاني من القرن 18م، و مواد غذائية أنفقت على بحارة جزائريين استوقفتهم ظروف البحر بميناء حلق الواد بتونس، و استفدنا من هذه الوثائق خاصة في الفصل الاقتصادي.

- الأرشفيف الوطني التونسي، الدفتر الجبائي رقم 2144 الذي استعنت بما ورد فيه حول الجزائر في الفصل الاقتصادي.

- الدفتر الجبائي رقم 2145 الذي يُعتبر تيمّة للدفتر رقم 2144 فلم أتحصل عليه للأسف لأنه كان قيد الصيانة و الترميم.

- الأرشفيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، رقم الحافظة 223، رقم الملف 384، الوثيقة رقم 158 و 168، و هاتين الوثيقتين تمّ توظيفهما في الفصل العسكري، لما تجدد الصراع بين حكام الإيالاتين مطلع القرن 19م (حصار قسنطينة و موقعة سراط).

### ثالثاً: المخطوطات:

- الكتاب الباشي، الذي سبق الإشارة إليه في المصادر الأساسية التي اعتمدها في هذه الدراسة.
- المكتبة الوطنية الجزائرية، شرح أرجوزة الحلفاوي، لعبد الرحمن الجامعي، رقم المخطوط 2521. و استفدنا من هذا المخطوط الذي يؤرخ لفتح وهران الأول عام 1708م بمقارنة ما جاء فيه بما ذكره المؤرخ التونسي الصغير بن يوسف حول نفس الحدث.
- المكتبة الوطنية الجزائرية، بعض أخبار قسنطينة لجهول، المخطوط رقم 2717. وأفادنا في معرفة بعض أخبار بايلك الشرق و منتجاته ووظفناه في الفصل الاقتصادي.

### رابعاً: مصادرٌ مُكمِلةٌ للدراسة عربية و أجنبية:

- **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار:** لمؤلفه محمود بن سعيد مقديش، اعتمدنا على الجزء الثاني المخصص لتاريخ تونس في العهد الحسيني.

- **الخلاصة النقية في أمراء افريقية:** لأبي عبد الله الشيخ الباجي المسعودي، و قد تعرض فيه لأخبار أمراء تونس منذ الفتح الإسلامي لها إلى غاية عهد المشير الباشا أبي العباس أحمد، و يعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة لتاريخ تونس السياسي و استفدنا منه خاصة في الفصل السياسي و العسكري.

- **تقديرات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،** لابن المفتي حسين بن رجب شاوش الذي عاش بين (1683-1755م) و أرنح لتاريخ الجزائر السياسي و الاجتماعي و الثقافي و استفدنا منه كثيراً لأنه عاصر أحداث النصف الأول من القرن 18م، و كان شاهداً عليها.

- **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر،** تحقيق أحمد توفيق المدني، و غطى كتابه أحداث الفترة الممتدة بين 1754-1830م، و استفدنا منه كثيراً في المقارنة بما جاء في المصادر التونسية، و ما تعرض له هو الدراسة خاصة أحداث النصف الثاني من القرن 18 و مطلع 19م.

- **المرآة،** لحمدان بن عثمان خوجة الذي أرنح لتاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني، و كان شاهداً و فاعلاً في بعض الأحداث لأنه من أعيان و كبار تجار مدينة الجزائر وقتها، و استفدنا منه في الجانب السياسي و الاقتصادي.

- **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار،** للحسين الورثيلاي، و يعتبر كتابه الذي يجمع خلاصة رحلاته الحجية الثلاثة التي كانت خلال القرن 18م؛ مهم جداً لأنه يؤرخ لعدّة قضايا؛ لكننا استفدنا منه خاصة في الفصل الثقافي.

- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، لمحمد بن ميمون الجزائري و الذي تعرض بالدرس المستفيض لعملية فتح وهران الأول الذي كان عام 1708م، كما يؤرخ لسيرة الداى محمد بكداش الذي ساهم كثيراً في هذا الفتح و استفدنا كثيراً في المقارنة بين هذا المصدر الذي كان شاهداً و معاصراً لهذا الحدث المهم و بين ما أورده المؤرخ التونسي الصغير بن يوسف حول نفس الحدث.

-تاريخ قسنطينة، لأحمد بن المبارك بن العطار، استفدنا منه في الفصل السياسي و العسكري خاصة هجوم حمودة باشا تونس على قسنطينة و حصارها و رغبته في ضمها إلى تونس مطلع القرن 19م.  
- تاريخ بايات قسنطينة المرحلة الاخيرة، لمجهول و الذي حققه الأستاذ مختار حساني، أرّخ لمرحلة مهمة جداً من الحكم العثماني ببايلك الشرق الجزائري، و أفادنا هو الآخر في معرفة علاقة بايات قسنطينة بحكام تونس.

-الرحلة إلى تونس 1724م، لأندري بيسونال، و الذي ترجمها و حققها محمد العربي السنوسي، هذه الرحلة عبارة عن أربعة عشر رسالة كتبها صاحبها و ضمنها الوضع السياسي و الصحي و عادات المجتمع التونسي، كما وصف بدقة المناطق التي زارها.  
-هذا إضافة لمجموعة من المذكرات و الرحلات لشخصيات أجنبية سنكتفي بذكرها، مذكرات أسير الدّاي كاثكارت الذي أرّخ لنهاية القرن 18م بالجزائر، و مذكرات قنصل الولايات المتحدة الأمريكية وليام شالر الذي تكلم عن أحداث مطلع القرن 19م بالجزائر، و مذكرات العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر و تونس و طرابلس (1145هـ/1732م).

#### خامسا المصادر و المراجع الأجنبية:

أهمها دفتر التشريفات الذي نشره ألبير دوفو:

(A),Devoulx ;Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne, régence d'lger, imprmerie du gouvernement, Alger , 1852.

و هو عبارة عن ترجمة و نشر لدفتر التشريفات المدوّن باللغة العثمانية، و المحفوظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1640 ، في 99 صفحة مقسّمة على ستّة فصول.

(D),Peysonnel ; voyages dans les régences de Tunis et d'alger. Vol1, paris, Librairie de gide,1838.

-Venture De paradis ;Tunis et Alger au XVIII siècle.

(E) ,Plantet ; correspondance des Deys D'Alger Evec la cour de Francé , T2 ,(1700-1830), paris, 1889.

كما اعتمدنا على مجموعة كبيرة من الرسائل الجامعية و المقالات التاريخية المتخصصة لإثراء الموضوع بما لا يتسع المكان لذكرها.

### الصعوبات:

أصعبُ مشكلةٍ تعترضُ الباحث هو عدمُ التَّفَرُّغ و كثرةُ الالتزامات العائلية خاصةً إذا كان صاحبُ مسؤولياتٍ "أم مثل حالي" و عَامِلَةٌ خارج البيت فهذا يأخذُ من وقت الباحث الكثير و يضطرُّه إلى الانقطاع من حين لآخر و هذا يُبطئُ عَمَلِيَةَ السَّيْرِ الحسن للبحْث، هذا في الظُّروف العادية ؛ فَمَا بالك إذا كان هناك عَارِضٌ صَحِيٌّ مُفَاجِئٌ تَطَلَّبُ التَّرحال إلى العاصمة مراراً و مدَّة ثلاث سنواتٍ لعلاج الزَّوج ، و رغم ذلك نقول لله الحمد و المنَّة فرغم هذه الظُّروف كنت أَسْتَرِقُّ السَّاعَةَ و أُخْتَهَا من أَجْلِ الإِعْتِكَاف على البحث.

طبيعةُ الكِتَابَاتِ التُّونسية التي تُعود إلى القرن الثامن عشر ذات الأسلوب المتكَلِّف و غير المنظَّمة و كثيرُهُ الإسْتِطْرَاد مع تَدَاخُلِ الأحداث و المعلومات و هذا تَطَلَّبُ وقتاً طويلاً من أَجْلِ قِرَاءَتِهَا و إِسْتِخْرَاجِ المادَّة الحَامِ الخاصة بالجزائر، كما أنَّ المدوَّونات الإخبارية قيَّد الدِّراسة ركزت كثيراً على الأحداث السِّياسية و العسكرية و لم تتعرض لبعض القضايا الاقتصادية و الاجتماعية و الثَّقافية المهمَّة إلاَّ كإشاراتٍ مُقتَضِبَةٍ جداً مما تَوَجَّب إِثْرًاؤها و اسْتِكْمَالَ الفَجَوَاتِ التَّاريخية المحيطة بها بمصادر و مراجع أُخرى.

و في الحِتَام أَرْجو أَنْ أَكُون، من خلال هذا البحث المتواضع قَدْ وُفِّقْتُ في تقديم الإِضَافَةِ العِلْمِيَّةِ المرْجُوَّةِ من هذا الموضوع، كما أسأل الله الكريم أن يُسَاهِمَ هذا العَمَلُ في خِدْمَةِ العِلْمِ و طَلْبَتِهِ ، و أن يكون سبباً في فَتْحِ آفاقِ بَحْثِيَّةِ جديدة، خاصةً أَنَّهُ أثار الكثير من القضايا التَّاريخية التي تحتاج إلى المزيد من العِنَاية البَحْثِيَّةِ مُسْتَقْبَلاً.

و آخراً و ليس أخيراً فَإِنْ أَصَبْتُ في عَمَلِي هذا فتوفيق من الله، و إِنْ كان غَيْرُ ذلك فَحَسْبِي أَنِّي حَاوَلْتُ، طَامِعَةً في الإِسْتِفَادَةِ من تَوَجِيهَاتِ لَجْنَةِ المِنَاقَشَةِ، التي وَكَّلَ إِلَيْهَا عَمَلِي لِلتَّقْوِيمِ و المِنَاقَشَةِ و التَّصْحِيحِ، و الله ولي التوفيق.

## الفصل التمهيدي: التعريف بالمصادر التاريخية التونسية

خلال القرن (12-13هـ/18- و مطلع 19م)

المبحث الأول : كتاب "ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان"، لحسين خوجة.

المبحث الثاني: كتاب "الحلل السندسية في الأخبار التونسية"، للوزير السراج.

المبحث الثالث: كتاب "المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، لمحمد الصغير بن يوسف.

المبحث الرابع: "الكتاب الباشي"، لحمودة بن عبد العزيز.

المبحث الخامس: كتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"، لأحمد بن أبي الضياف.

تُعَدُّ الكتابات التاريخية التونسية التي تعود إلى القرن (12-13هـ) 18م ومطلع القرن 19م من المصادر المهمة التي تناولت قضايا تونسية متنوّعة بالدراسة؛ سياسية كانت أو عسكرية وحتى جوانب اجتماعية واقتصادية وثقافية، داخلية وخارجية.

وعلى الرغم من أنّ هذه المصادر أُلِّفَت راساً لتخليد مآثر بعض الحكّام مثل، «الحلّل السندسية في الأخبار التونسية» للوزير السراج الذي كُتِبَ بطلبٍ من الباي حسين بن علي (حكم 1705-1735م)، مؤسس الدولة الحسينية، ولذكر إنجازاته و مآثره لتبقى شاهدةً للأجيال اللاحقة؛ أو ظهور ما يسمّى "المشّرع المملّكي في سلطنة أولاد علي تركي"، لمحمد الصغير بن يوسف، حيث كان المؤلف بعيداً عن الحكّام و دوائر صنع القرار، فأراد أن يخلّد تاريخ تونس بمختلف جوانبه الإيجابية والسلبية مثل، وكذا كتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"، لابن أبي الضياف الذي كان قريباً جداً من الحكّام.

وما يهْمُنَا في هذه المصادر بالدرجة الأولى هو، ليس تاريخ تونس؛ بل تاريخ الجزائر، وكيف تناولته و صوّرت هذه المصادر ومدى موضوعية هذه الأقلام أثناء عرضها لهذا التاريخ.

ونظراً لأهمية هذه المصادر فقد خصصنا لها هذا الفصل التمهيدي للتعريف بها حسب الترتيب الزمني الذي ظهرت فيه، بدايةً من مطلع القرن 18م إلى غاية بدايات القرن 19م، لأنّ معرفة الظروف التي ظهرت فيها هذه الكتابات ومدى قرابة أصحابها من السُلطة أو بُعدهم عنها وتكوينهم وأسباب تأليفهم كلّ ذلك يُقرّب لنا الصورة التي ظهر فيها الكتاب، ويعرّفنا بمدى مصداقية الكاتب أو تحيُّزه، وينقل لنا صورة الآخر عن تاريخنا، لكن هذا الآخر ليسوا كُتّاباً أجانباً (من قناصل أو رحّالة أو أسرى حرب أو أطباء ورجال دين) بعيدين كلّ البعد عن ثقافة ولغة ودين وتقاليد هذه الشعوب الإسلامية التي كانت دوماً تتحكّم في قناعاتهم وانطباعاتهم النزعة العدائية والعقدة الفوقية تجاه هاته الشعوب؛ بل هي نظرة لنخبة ومثقفي المجتمع التونسي الذي تقاسمنا معه على فتراتٍ تاريخية طويلة نفس القواسم والمقومات والثوابت والمصير المتشابه إلى حدّ كبير.

## المبحث الأول: كتاب "ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان"، للشيخ حسين خوجة

لا يمكننا التعريف به إلا بعد التعريف بمؤلفه، ومعرفة الظروف التي عاش فيها لنتمكّن في ما بعد من تحليل محتواه والاستفادة من مضامينه التي تخدم موضوع بحثنا هذا.

### 1- التعريف بالمؤرخ حسين خوجة :

أ-مولده وتعلّمه: سكتت كتب التراجم عن الترجمة لهذا المؤرخ، لذلك لا تتوفّر لدينا معلومات يقينية عن أصله ولا عن تاريخ ولادته ولا مكائها، ولا كيف قضى شبابه، ولكن يمكن الاستخلاص من لقبه والوظائف التي شغلها والإشارات الشحيحة عنه في بعض كتب معاصريه، ومما نجده من إشارات في كتابه هذا "ذيل بشائر" عن بعض الأمور التي تخصّ فترة نُضجه<sup>(1)</sup>.

إذن، هو حسين خوجة بن علي بن سليمان الحنفي، ولد حوالي عام (1077هـ/1666م)، رئيس ديوان الإنشاء<sup>(2)</sup> بتونس أواخر القرن (17م ومطلع 18م)، وتُرجمان الدولة الحسينية<sup>(3)</sup> ومؤرخها، وكان عارفاً باللغات، التركيّة والفارسيّة واللاتينيّة، إضافةً إلى العربيّة<sup>(4)</sup>.

ومن خلال لقبه والوظائف التي تقلّدها نستنتج أنّ أصله تركي، ومذهبه الديني "حنفي"<sup>(5)</sup>، وعلى الرغم من أنّنا لم نحصل على معلومات تخصّ تكوينه ومراحل تدريسه، إلا أنّ بعض فقهاء

(1) أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19 م، رسالة في تاريخ الثقافة، ترجمة أحمد عبد السلام، وعبد الرزاق الحليوي، بيت الحكمة، تونس، 1993، ص219.

(2) ديوان الإنشاء، هو اسم مركب من قسمين؛ الديوان والإنشاء أما الديوان فهو الموضوع الذي يجلس فيه الكُتّاب، أما الإنشاء فمصدره أنشأ الشيء ينشئه إذاً ابتداءه و إحتراعه، و حينئذٍ إضافة الديوان للإنشاء تحتل أمرين:—أحدهما أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنشأ عنه و تُبتدأ منه.—و الثاني: أن الكاتب يُنشئ لكل واقعة مقالاً، و قد كان هذا الديوان يسمى في الزمن المتقدم بديوان الرسائل و ديوان المكاتبات، ثمّ استقر اسمه على ديوان الإنشاء. للمزيد أنظر: أبي العباس أحمد القلقشندي، كتاب صبح الأعشى، ج1، دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1922، صص89-90.

(3) الدولة الحسينية : مع نهاية القرن 17 وبداية القرن 18 م زالت الدولة المرادية التي حكمت تونس بين (1613-1702م) والتي عرفت البلاد أزمة حادة أواخر حكمها بسبب الصراع على السلطة تزامن مع انتشار الوباء والجذب لذلك سقطت، وظهرت بدلها الدولة الحسينية نسبة إلى مؤسسها حسين بن علي تركي، والتي امتدت بين (1705-1956م) أنظر : أحمد السعداوي، تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا، 1705-1756 م، وثائق أوقاف من العهد الحسيني، مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، عام 2015، صص13-15.

(4) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام 1986، صص250-251.

(5) المذهب حنفي: هو أحد المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة و صاحبه أبي حنيفة النعمان ، ظهر هذا المذهب عام 120هـ بالكوفة موطن الإمام أبي حنيفة؛ و لقد إنتشر مذهبه ببغداد و مصر و بلاد فارس و الروم و بخارى. و يعود دخول المذهب الحنفي إلى تونس إلى بداية القرن الثالث هجري على يد أبي عبد الله أسد بن الفرات أحد الفاتحين(ت213هـ/828م)، و عرف هذا المذهب بتونس مراحل إنتشار و إنكماش على حسب تبني السلطة الحاكمة له، لأن المذهب الأصلي للبلاد كان المالكي، إلى أن جاء إلحاق تونس بالدولة العثمانية سنة(981هـ/1574م) و عاد المذهب الحنفي للظهور و أخذ مركزه في المقدمة، لأنه مذهب ولاة الأمر من خلال تنصيب المفتيين و القضاة و نشر المدارس الحنفية. للمزيد أنظر: فارس زاهر، نشأة المذهب

تونس كانوا يلقّبونه بـ "شيخنا" و«أستاذنا»، كما تدلُّ بعض العبارات من كتابه «الدَّيْل» أنّه تلقّى تدريسيّاً على بعض علماء جامع الزيتونة بتونس مثل، محمّد زيتونة<sup>(1)</sup> الذي قال عنه: «إنَّ شيخنا وأستاذنا سيّدي محمّد زيتونة أفادنا وأخذنا عنه في علمي الطريقة والحقيقة»<sup>(2)</sup>.

والشيخ الصغير داود<sup>(3)</sup> قال عنه: «وطالما لازمني ولازمته، وأنسني، وحصلتُ عنه كثيراً في علمي، الطريقة والحقيقة»<sup>(4)</sup>.

وهذا يدلُّ على أنّه تلقّى جانباً من التعليم بمدارس تونس وبجامعها الأعظم، وإلا كيف له أن يتولّى "خطة الكتابة"<sup>(5)</sup>، والمترجم الرسمي لمراسلات حكام تونس باللغة التركيّة، إضافةً إلى كونه من أهمّ مؤرّخي تونس مطلع القرن 18م<sup>(6)</sup>، وكلّ هذه الوظائف تتطلّب تأهيلاً علمياً.

**ب-رحلاته:** أدّى فريضة الحجّ مرتين الأولى، في عام (1111هـ/1700م) التي تزامنت مع أواخر الدولة المراديّة بتونس (حكمت 1613-1702م)، وبعد أداء الحجّ بقي بالإسكندريّة مدّةً ولقي شيخه محمّد زيتونة في سنة (1114هـ/1703م)، وحجّ للمرّة الثانيّة عام (1125هـ/1714م)، كما التقى أيضاً بشيخه محمّد زيتونة الذي بقي بمكّة منذ حجّته السابقة (الثانيّة) التي كانت عام (1124هـ/1713م)، وبعد تمامها زار دمشق والقدس، ثمّ رجع إلى مكّة ومنها إلى مصر، ثمّ تونس.

**ج-وفاته وآثاره:** هناك اختلافٌ في تاريخ وفاته، حيث ذكر المؤرّخ محمّد بن خوجة<sup>(7)</sup> الذي نشر كتابه «الذيل» لأوّل مرّة عام 1908م، أنّه توفّي سنة (1169هـ/1755م)، في حين أكّد أحد

الحنفي و رئاسة الفتوى الحنفيه في عهد الدولة العثمانية و ما بعدها بإفريقية "تونس حاليا": عهد البايات المراديين و الدايات الحسينيين و الحماية الفرنسية، مجلة البحوث و الدراسات الإسلامية، ع16، م10، الجزائر، 2017، صص372-382.

(1) محمد زيتونة: (1670-1726م) هو محمد بن عبد الله زيتونة الشريف المنيسيري المفسر، الفقيه، الناظم الكفيف، الذكي الذي كان يحفظ من سماع واحد، تصدر للتدريس بجامع الزيتونة، وبمسجد الشيخ أبي جيرة بمدينة تونس كذلك، وكان للباي حسين بن علي فيه محبة واعتقاد ويستشير به في الكثير من الأمور. للمزيد أنظر: محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، صص 437-438.

(2) حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان، تحقيق طاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، عام 1975م، ص 65.

(3) محمد الصغير داود: (ت 1725م) أخذ من علماء نابل وزغوان، ثم قدم إلى تونس وتلمذ على أشهر علمائها حتى أجازوه، عرف بعلوم العربية والفقه والأصول والحديث، ورحل إلى مصر والحرمين الشريفين، ثم رجع إلى بلده، واتخذ بداره بيتا وزاوية مختصة للتدريس، وقبل ذلك كان من أهم مشائخ، جامع الزيتونة، أنظر: حسين خوجة، المصدر السابق، ص 66.

(4) حسين خوجة، المصدر السابق، صص 65-66.

(5) خطة الكتابة: هي من أهم الخطط و الوظائف في مجال النظم الادارية و هو نظام الكتابة و الدواوين، و يراد بالكتابة هنا؛ الكتابة الرسمية الصادرة عن السلطان أو الحاكم إلى مختلف الجهات في الداخل و الخارج و حتى المراسلات غير الرسمية، و هي من أهم و أشرف المهن و يشترط في صاحبها أن يكون من أرفع طبقات الناس و أكثرهم علماً و بلاغة و مروءة و حشمة. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج1، صص 61-100.

(6) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 220.

(7) محمد بن الخوجة (1869م-ت1942م) ولد بمدينة تونس، درّس بالمدرسة الصادقية ثم العلوية، ألف الفهرس العلمي لمكتبة جامع الزيتونة، ساهم في الحياة الفكرية بتونس بإصدار جريدة "الحاضرة" عام 1888م، ومديراً للمطبعة الرسمية بين (1902، و 1915م) ويعتبر من أهم أقلام المجلة الزيتونية

أقارب<sup>(1)</sup> حسين خوجة أنه توفي في شعبان عام (1145هـ/1732م)؛ أي، عن عُمرٍ قارب 68 سنة، ولم تتكلم المصادر عن سبب وفاته؛ هل كانت طبيعية، أم نتيجة مرضٍ ما؟، أما عن آثاره فهي:

- "الأسرار الكهنية بأحوال الكينة كينة"، وهي رسالة من مقدمةٍ وأثنى عشرة مقالة وخاتمة، وهي مترجمة من اللاتينية للعربية تهتم بمعالجة حمى المستنقعات التي مرض بها عام 1726م، وقصد إيطاليا للعلاج منها.

- كتاب "بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان"، ترجمه عن التركية، وهو من تأليف مُصلِح الدين اللّاري.

- كتاب "ذيلُ بشائر أهل الإيمان" خصّه لتونس، تعرّض فيه باختصار لتاريخ تونس من الفتح العثماني إلى عهد حسين بن علي، إضافةً إلى مجموعة من التراجم<sup>(2)</sup>.

## 2- التعريف بكتاب "ذيلُ بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان":

أ-سبب تأليف الكتاب ومحتواه: هذا الكتاب من تأليف المؤلّي مُصلِح الدين اللّاري بالتركية، وقام حسين خوجة بترجمته إلى العربية، وأضاف إليه العديد من الاقتباسات من كتبٍ فارسيّة وعربيّة<sup>(3)</sup>.

يحتوي على مقدّمةٍ وأربعةٍ وعشرين باباً، خصّصت مقدّمته للحديث عن أصول آل عثمان، والثلاثة والعشرون باباً للكلام عن السلاطين العثمانيين الأوّلين وعددهم ثلاثةٍ وعشرون، أمّا الباب الرابع والعشرين، المعروف "بالذيل" فهو الذي يهتمنا، وخصّص أغلبه لعهد مخدومه حسين بن علي، مؤسس الدولة الحسينيّة بتونس (حكم 1705-1735م)، وتكلم عن إنجازاته العلميّة كبناء المساجد والمدارس والزوايا، وتشجيع التدريس بها، إضافةً إلى إنجازات أخرى عمرانيّة لها فوائد اقتصاديّة واجتماعيّة كحفر الآبار، ومدّ القنوات والسواقي والجسور، وبناء وإحياء مدينة القيروان التي تعرّضت

(1936-1942م)، شغل عدة مناصب منها مترجماً بالحكومة عام 1887م، ووالياً على قابس و بنزرت، و بعد تقاعده عين مستشاراً للحكومة حتى وفاته. أنظر: محمد الفاضل، " ترجمة لمحمد بن الخوجة"، المجلة الزيتونية، مجلد 5، ج 5 و ج 7، ( نوفمبر 1942، جوان 1944م)، ص 91، ص 159.

(1) هو أمير الاي الهادي صاحب الطابع، صرّح بذلك في مقال له عنوانه: « على هامش أسفار وزراء الدولة الحسينية إلى الحج » المنشور بمجلة "الثريا"، ع3، س3، ربيع الثاني 1365هـ/ مارس 1946 م، ص 16، حيث قال: « والحقيقة أن حسين خوجة توفي 1145هـ حسبما يفيد ذلك رسم وفاته الذي عثرت عليه أخيراً بين أوراق عائلتي، حيث تربطني بحسين خوجة قرابة عائلية»، أنظر: محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، صص 251-252.

(2) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، صص 250-253.

(3) نفسه، ص 253.

للهدم والتدمير أواخر القرن 17م على يد أحد الحكام المراديين<sup>(1)</sup>، كما ترجم كذلك لمجموعة من الشيوخ الذين كلفهم الباي بإلقاء الدروس في المدن التونسية<sup>(2)</sup>.

لا ندري إن كان المؤلف قد بادر إلى تأليف كتابه بمحض إرادته ورغبةً منه في الحفاظ على ذكر المآثر وتخليد الفتوحات العثمانية التي جعلت الإسلام يستقرّ بشمال إفريقيا، واعتبر ذلك فرض كفاية تصدّر له، باعتباره المؤرخ الرسمي لحسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية، كما أراد تخليد ذكراه ومآثره، حيث خصّص له الباب الرابع والعشرين المعروف بالدليل، بعد ترجمته للأبواب السابقة<sup>(3)</sup>.

أما الرأي الثاني، فهو مجرد استنتاج يتمثل في طلب حسين بن علي من مؤلفنا كتابة مؤلف يخلّد ذكراه، حيث يقول حسين خوجة: «قال جامعُه ... ولما كان الكتاب المترجم في سلاطين آل عثمان، والتزم مؤلفه ذكر البعض من علماء دولة كل سلطان ... وكفى أن خلّد للعلماء الأعلام به ذكرًا أردت أن أطرز هذا الكتاب أولًا بحلية، أميرها صاحب الخيرات .. المولى حسين باي بن علي، ممّا شهدناه بالعيان، وجمل من خيراته ... وأتممّه بتعريف مراتب علمائها الأعلام، وأختمه بمناقب من عرفناه وشهدناه من المشايخ ... ولما أضافني يد المقادير إلى خدمة جناب المولى الهمام من شرفني بكتابة إنشاء ديوانه وترجمة حضرته ولسانه .... أمير الحضرة الإفريقية مولانا حسين باي بن علي تركي ...»، ثم يواصل في تعداد مناقبه وسيرته<sup>(4)</sup>، ومن سياق الكلام يمكن الاستنتاج أنّ حسين بن علي، مؤسس الحكم الحسيني بتونس هو صاحب المشروع.

**ب- أسلوبه ولغته:** لغة المؤلف بسيطة تكتنفها بعض التعبيرات العامية من حين لآخر مثل، "تزايد"، بمعنى: "وُلد"، و«صاحب السجادة»؛ بمعنى: "إمام"، مع اعتماده على المحسنات البديعية والسجع، وهي أساليب مؤرخي وكتاب ذلك العصر<sup>(5)</sup>.

أما أسلوبه الخاص أو ما يميّزه فلا نجد ذلك واضحًا لأنّه لا يؤلف لعصره، ولكن ليمدح صاحب نعمته ومخدومه حسين باي بن علي، وكذا ليمدح خلفاء آل عثمان لأنهم يمثلون الخلافة الإسلامية وقتها، فهو جمع المعلومات من المصادر وعرضها كما هي دون نقدٍ أو إبداء رأيٍ في أيّ

(1) هو مراد باي بن علي بن حمودة باشا حكم بين (1698-1702م)، هو آخر الحكام المراديين، انحرفت نفسيته واضطرب عقله، فقام بأشنع الأعمال وحشية من قتل وهدم وسفك للدماء، أنظر محمد بوذينة، الوزير السراج، سلسلة مشاهير، منشورات محمد بوذينة، تونس، 1995، ص 4.

(2) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، صص 226-227.

(3) نفسه، ص 234.

(4) حسين خوجة، كتاب ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان، مكتب الثقافة الدينية، بور سعيد الظاهر، (ب. م) (د. س. ن)، صص

16-17، هذه نسخة ثانية اعتمدت عليها مطبوعة لكنها غير محققة مرقونة فقط، والكتاب بصيغة PDF.

(5) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 232.

مسألة، فمنهجه واحد تقريباً مع جميع التراجم، حيث يذكر اسم الرجل الكامل وكنيته ونسبه وبلده الذي ولد فيه أو أصله، ثمّ شيوخه ومنّ أخذ عنهم وتلاميذه، وأخيراً تاريخ الوفاة، وتاريخ الميلاد إن وُجد، فهي بمثابة سجّلات أكثر منها تراجم.

ومّا يلاحظ من خلال كتابه أنّ "حسين خوجة" كان صاحب أخلاقٍ رفيعة فلا يتعرّض بالتحجّيج أو ذكر الصفات المشينة أثناء ترجمته حتّى وإنّ تعرّض أحدهم للقتل ظلماً، وكان يعرف من فعل ذلك فلا يُصرّح بذلك، ويكتفي بقول: «قتله بعض الظلمة»<sup>(1)</sup>.

**ج-أهميّة الكتاب :** تعتبر المعلومات الواردة في الأبواب الأولى "الثلاثة والعشرون" المصدر الوحيد الذي أخذ منه مؤلّفون تونسيون معاصرون أو لاحقون مادةً منه لإعداد مؤلّفاتهم التي تتكلّم عن الخلافة العثمانيّة، وتروي كيفية فتح تونس وإحاقها بالخلافة العثمانيّة، علماً أنّ هذه الأحداث نقلها حسين خوجة بدوره عن مصادر أخرى، ويعتبر أهمّ جزءٍ في الكتاب هو الباب الرابع والعشرون، المعروف "بالذيل"، وعلى الرغم من أنّه سكت عن ذكر الكثير من الأحداث السياسيّة والعسكريّة المهمّة، لكن بعض إشارات المقتضبة تمتاز بالدقّة والوضوح.

وتكمن أهميّة هذا المؤلّف في كونه كتاب ذو قيمة وثائقيّة لا يُستهان بها أرخ للحياة الفكرية في تونس بداية القرن (12هـ/18م)<sup>(2)</sup>، لأنّ صاحبه كان مقرّباً من مراكز صنع القرار ومؤرّخاً رسمياً للحاكم، ومُطلّعاً على مجريات الأحداث، إضافةً إلى الفائدة الثابّة المتمثّلة في التعريف بمجموعة من العلماء والفقهاء من تونس وخارجها خلال القرنين (11و12هـ/17و18م)<sup>(3)</sup>.

وقد أنهى تأليف كتابه عام (1137هـ/1725م)، حيث أشار لذلك في آخر كتابه قائلاً: «قال جامعه ... هذا آخر ما أوردناه .. وجمعناه مع قصور وضعف الحال وكثرة الاشتغال، وكان ابتدائي في تعريبه وجمعه في أوائل شهر محرّم سنة 1136هـ، وكان ختامه بحمد الله وحسن عونه ... جمعاً وكتابةً في صبيحة يوم السبت غرّة شهر ربيع الأوّل عام 1137هـ ...»<sup>(4)</sup>؛ أي: عام 1725م قبل وفاته بسبع سنوات<sup>(5)</sup>.

(1) حسين خوجة، ذيل بشائر ...، تحقيق طاهر المعموري، ص 67.

(2) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، صص 233-236.

(3) حسين خوجة، كتاب ذيل بشائر، الطبعة الغير محققة، المرقونة، ص 4.

(4) نفسه، ص 202.

(5) أنظر مقدمة حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان، تحقيق طاهر المعموري، صص 5-7، وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة عام 1908م (1326هـ) بإشراف من المؤرخ محمد بن الخوجة حينما كان مديراً للمطبعة الرسمية، ثم قام الطاهر المعموري في سبعينيات القرن الماضي من تحقيقه.

المبحث الثاني: كتاب "الحلّل السُّنَدِسِيَّة في الأخبار التونسية، للوزير السراج: يعدّ أحد المصادر الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها لإعداد بحثنا.

### 1-التعريف بالمؤرخ ورجل الدولة الوزير السراج:

هو محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن مصطفى، الوزير لقبًا، الأندلسي نسبًا، المالكي مذهبًا، التونسي ميلادًا ومنشأً، الأديب الشاعر، المؤرخ، المشهور بين معاصريه بالسراج أمثال، حسن خوجه في كتابه "ذيل البشائر"، وحمودة بن عبد العزيز<sup>(1)</sup> في كتابه "التاريخ الباشي".

أ-مولده وتعلّمه : لم يذكر مؤلّفنا تاريخ ولادته في كتابه "الحلّل السُّنَدِسِيَّة"، كما أنّ معاصريه ممّن ترجم له لم يشيروا إلى ذلك، وعليه فإنّ تاريخ ولادته تقريبي، ويمكن استنتاجه من بعض الإشارات التي تطرّق لها، أنّه درس على يد الشيخ العمّاد الذي توفّي عام (1090هـ/1679م) ولكي يتمكن من دراسة الحديث على هذا الشيخ المعدود من كبار أساتذة الزيتونة، فإنّه يكون في حدود العشرين سنة، وهكذا يمكن اعتبار ولادته حوالي عام (1070هـ/1659م)<sup>(2)</sup>.

تلمذ على يد مجموعة من الأساتذة أمثال، محمّد العمّاد<sup>(3)</sup>، وسعيد الشريف<sup>(4)</sup> ومحمّد فتاته<sup>(5)</sup>، وأحمد برناز<sup>(6)</sup>، اشتغل مؤلّفنا بصناعة الشواشي التي أدخلها الأندلسيون إلى تونس، وكانت حرفة رائجة آنذاك، ثمّ درس بعدّة جوامع بمدينة تونس ليستقرّ على مهنة التدريس بجامع الزيتونة التي ضمنت له دخلاً منتظماً، ويصفه حسن خوجه بـ: « وهو عفيفٌ، ورعٌ، دينٌ، صالحٌ، له ميلٌ إلى الخمول، ربعة، حسن الوجه والملافة...»<sup>(7)</sup>.

<sup>(1)</sup> هو من أهم المصادر التي تعتمد عليها هذه الدراسة وسياً في تعريفه مباشرة بعد هذا المصدر.

<sup>(2)</sup> الوزير السراج، الحلّل السُّنَدِسِيَّة في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الهيلة، المجلد 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام 1985، صص 67-68.

<sup>(3)</sup> كان يُدّرس الحديث والأصول والفقه والنحو والصرف والبلاغة بجامع الزيتونة بمدرسة الدباغين، كما كان شيخاً لزاوية أبي الحسن الحلفاوي، توفي حوالي 1678م (1090م)، أنظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة عام 1930، ص 306.

<sup>(4)</sup> طرابلسي الأصل، شريف النسب، قدم إلى تونس وتفقه بها، برع في علوم النقل والعقل، درّس بجامع الزيتونة، امتاز في الفقه والنحو، ودّرس المنطق والمعاني والحديث، توفي 1700م (1112هـ)، أنظر: محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، صص 103-105.

<sup>(5)</sup> من أشهر علماء عصره، أحاط بعلوم الشرع، تلمذ على يده أغلب معاصريه، وتولى وظيفة الإفتاء مدة 31 سنة، توفي سنة 1703م (1115هـ)، أنظر: محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 319.

<sup>(6)</sup> مدرّس حنفي تركي الأصل، كثير الحفظ والرواية، أخذ من أعلام تونسيين وجزائريين ومصريين وحجازيين، ثم عاد إلى تونس واشتغل بالتدريس، نقل حسين خوجه عنه الكثير من تراجم "ذيل البشائر"، كما نقل عنه الوزير السراج جزء كبيراً من كتابه الحلّل، وكثيراً ما وصفه السراج "بشيخنا"، وكانت تربطه به علاقات أخوية وطيدة، من أشهر مؤلفات برناز "الشهب المخرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة"، أنظر: أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 191.

<sup>(7)</sup> أحمد عبد السلام، نفسه، صص 238-239.

ونستنتج مما سبق أنه كان من علماء تونس الأجلّاء علماً وخلقاً، ولعله يقصد بميله إلى الخمول؛ أي: "زاهد في طلب المراتب العليا"، على الرغم من أنّ الظروف واتته، وكان قريباً من السّلطة، ويؤكّد حسين خوجة أنّ مؤلّفنا كان فقيهاً، محدّثاً، وكاتباً بارعاً، وينظّم الشعر، ومؤرّخاً ألمعياً<sup>(1)</sup>.

**ب- ثقافته وأدبه :** إنّ المطالع لكتاب "الحلل" ليجد ملامح ثقافة أصيلة، وعلى الرغم من أنه وُضع لتاريخ البلاد التونسية، إلا أنّ فصوله لا تخلو من استعراضٍ غزيرٍ لمعلومات أدبيّة وصوفيّة ولغويّة وشرعيّة، وحتى فلكيّة أحياناً، مع النقد والتمحيص وتفسير الآية أو السّنَد، وترجيح مذهبٍ على آخر، اعتماداً على حُجّة قويّة، ممّا يدلّ أنّ صاحبه متنوّع الثقافة وغزير العلم، وهذا ما أقرّ به أستاذه وصديقه أحمد برّناز، ووصفه بالعلامة، الفقيه، البارع، النبيه، الفاضل، فريدُ العصر في الأدب<sup>(2)</sup>.

أمّا أدبُ الوزير النثري والشعري لا يمكن اعتباره أدباً رفيعاً بمفهوما الحالي بسبب كثرة التكلّف واستعمال المحسنات البديعيّة والسجع، وحشو نصوص التراجم بالنصوص الأدبيّة المطوّلة والمليئة بالنعوت والأوصاف، مستفيضاً في ذلك، ممّا يدلّ على وفرة زاده اللغوي، وسعة خياله الذي مكّنه من وصف كلّ واحدٍ من المترجمين بأوصافٍ تتشابه كثيراً في المعاني، وتختلف في الألفاظ، وذلك ما يعتبر تفنّناً وأدباً أصيلاً في ذلك العصر<sup>(3)</sup>.

**ج- وظائفه :** اشتغل الوزير السراج بالتدريس في عدّة مدارس، واشتهر أمره، وذاع صيته في العلم والأدب، لذلك قرّبه الأمير حسين بن علي منه، واختاره لوظائف متعدّدة أهمّها: تأليف كتاب الحلل، والتدريس بجامع الزيتونة، والقيام على مرتّبات المدرّسين به، وصرّفها إليهم، ويدعوه إلى مرافقته في بعض أسفاره، ويجّز مجلسه العلمي، وتقرّوت العلاقة بين الأديب والأمير حتى أصبحت بينهما مراسلات وديّة كلما سافر أحدهما، ونتيجةً لهذه العلاقة فقد أفاض حسين بن علي على المؤلّف من العطايا، وجعل عيشته هنيئة رغداً، وأطلق لسانه فانطلق في المدح وتخليد المآثر<sup>(4)</sup>.

هو رجلٌ بلاطٍ مقرب من السّلطة، وكُلّف بوظائف من طرفها، ومدح القائم عليها حسين بن علي صاحب نعمته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نستنتج أنّ حسين بن علي نفسه كان فعلاً

(1) أحمد عبد السلام، نفسه، صص 239-240.

(2) الوزير السراج، المصدر السابق، المجلد 1، ص 73.

(3) محمد بوذينة، الوزير السراج، صص 19-21.

(4) نفسه، صص 21-23.

مهتمًا بالعلماء والتّدرّيس، ومحاطًا بمجموعة منهم، وكلّ ذلك انعكس إيجابًا على الحياة الثقافيّة بتونس في عهده<sup>(1)</sup>.

**د-وفاته وآثاره:** ذكر صاحب عنوان الأريب، أنّه توفّي سنة (1149هـ/1736م)، أمّا عن آثاره فلم تذكر كتب السيّر إلّا كتابه "الحلّل السّندسيّة في الأخبار التونسيّة"، وبعض الرسائل التي ضمّنها أبياتًا شعريّة أرسلها إلى زملاء الدّراسة<sup>(2)</sup>.

**2- التعريف بكتاب "الحلّل السّندسيّة في الأخبار التونسيّة":** كتاب مهمّ جدًّا لما له من علاقةٍ مع موضوع بحثي.

**أ-سبب التّأليف ومحتواه:** أنجز هذا الكتاب بطلبٍ من الباي حسين بن علي من وزيره السّراج، وآثر هذا الأخير أن يبدأ بالتّاريخ لتونس عبر العصور السابقة، وما تعاقب عليها من أحداثٍ منذ الفتح الإسلامي، ثمّ يختتمه بتسجيل التاريخ الرسمي لعهد مخدومه حسين بن علي ومآثره<sup>(3)</sup>.

يحتوي كتاب "الحلّل" على فهرسة الكتاب ومقدّمة، وثمانية أبوابٍ موزّعة على أربعة أجزاءٍ

بالشكل التالي:

يشتمل الجزء الأوّل على الأبواب الستّة الأولى والتي تكلمت عن: الأوّل في التاريخ العام، والثاني في أخبار العرب، والثالث في إفريقيا، والرابع في قرطاجنة، والخامس في تونس، والسادس في ملوكهم، وأتمّ كتابة هذا الجزء عام(1117هـ/1705م).

أمّا الجزان الثاني والثالث؛ فاشتملا على الباب السابع الذي خصّصه لتونس من الفتح العثماني إلى قيام الخلف بين حسين بن علي وابن أخيه - علي باشا- عام (1137هـ/1724م)، مع تراجم لأعيان العصر، ثمّ قام المؤلّف بتبويب الأجزاء الثلاثة عام(1144هـ/1731م)<sup>(4)</sup>.

أمّا الجزء الرابع، فقد احتوى على الباب الثامن الذي أرّخ للحوادث التي عرفتها تونس من سنة(1137هـ/1724م) إلى سنة(1144هـ/1744م)، مع التّرجمة لرجال السّياسة والثقافة، ويعتبر هذا الجزء في حكم المفقود لأنّ علي باشا أمر بحرقه لما اشتمل عليه من تفاصيل ثورته ضدّ عمّه من أجل السّلطة، وما خلفته هذه الحرب من مظالمٍ وسفكٍ للدماء؛ وبما أنّ المؤلّف كان وزيرًا ومؤرّخًا رسميًا

<sup>(1)</sup> محمد النيفر، عنوان الأريب، عما نشأ بالبلاد التونسية في عالم وأديب، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام 1996، ص 508.

<sup>(2)</sup> أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 240.

<sup>(3)</sup> نفسه، صص 244-245.

<sup>(4)</sup> محمد بوزينة، المرجع السابق، صص 24-30.

لعمّته (خصمه)، فقد أمر بإتلاف هذا الجزء فلم يبق له أثر، وهذا ما أكّده صاحب الكتاب الباشي في مقدّمة كتابه<sup>(1)</sup>.

**ب- أسلوبه ولغته :** لا يختلف أسلوب السراج في الكتابة عن مؤرّخي ذلك العصر أمثال، أحمد برّناز، وحسين خوجة، فهي كثيرة التكلّف، والتصنّع، والسجع، فكتابه مزيجٌ من التاريخ والسير، وعرضٍ للآيات، والأحاديث، والأشعار، كثير الاستطرادات التي تشوّش نسق الأحداث، وتُضللّ القارئ في الكثير من المرّات.

أمّا لغته، فعلى الرغم من أنّه يعتبر نفسه من خاصّة أهل النظم والأدب، وكثيراً ما ينقُد الأشعار المخلّة بقواعد العروض<sup>(2)</sup>، لكن في نفس الوقت يُكثر استعمال التعابير العاميّة، وعلى الرغم من أنّ ذلك يعتبر سلبيةً بمفهومنا الحالي، إلّا أنّه لا يخلو من عدّة إيجابيات لأنّه يُفحم القارئ في لغة ذلك العصر، ويجعله يستشعر الفترة، ويفهمها بعمقٍ.

**ج- أهمية الكتاب:** يعدّ كتاب الحُلل أهمّ تأليفٍ تاريخي تونسي للفترة ما بين الفتح العثماني إلى قيام علي باشا ضدّ عمّه حسين بن علي، لما يحتويه من معلوماتٍ انفراديةٍ وذكرها مُفصّلةً، ممّا يعسر على الباحث العثور عليها في غيره من المصادر التاريخية<sup>(3)</sup>، خاصّةً الجزء المخصّص لتونس العاصمة بالذات<sup>(4)</sup>، ويكفي للدلالة على أهميّته أنّ معظم كُتّاب تونس في مطلع القرن 18م قد اعتمدوا عليه مثل، حسين خوجة في "دليل البشائر"، وأحمد برّناز في "الشّهْب"، وحمودة ابن عبد العزيز في "التاريخ الباشي"، وغيرهم ممّا لا يتّسع المكان لذكرهم<sup>(5)</sup>.

وقام بتحقيق الأجزاء الثلاثة "محمد الحبيب الهيلة"، وطُبِع ضمن مجموعة واحدة عام 1985م، من طرف دار الغرب الإسلامي.

<sup>(1)</sup>الوزير السراج، المصدر السابق، المجلد 1، ص 97.

<sup>(2)</sup>أحمد عبد السلام، المرجع السابق، صص 256-257.

<sup>(3)</sup>محمد بوذينة، المرجع السابق، ص 25.

<sup>(4)</sup>أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 245.

<sup>(5)</sup>الوزير السراج، المصدر السابق، صص 95-96.

المبحث الثالث: كتاب "المُشَرَّع المَلَكِي في سلطنة أولاد علي تركي"، لمحمد الصغير بن يوسف: أحد الكتب المهمة التي اعتمدت عليها في استيقاء مادة بحثي.

### 1- التعريف بمحمد الصغير بن يوسف :

أ-مولده وعمله: لم تتكلم كتب التراجم عن سيرة الصغير بن يوسف، لأنه لم يشغل حُطَّة علمية أو فقهية أو وظيفة رسمية، لذلك يعتبر كتابه المصدر الوحيد لمعرفة بعض الأمور عنه، خاصة في فترة الكبر<sup>(1)</sup>.

هو محمد بن يوسف، الملقب بالحاج الصغير الباجي الحنفي<sup>(2)</sup>، كُرغلي<sup>(3)</sup>، ولد حوالي عام (1105هـ/1693م) أو (1106هـ/1694م)، وكان اسمه مُدرجًا ضمن سجل المحلة مع باقي الكُرغليين في مدن تونس، يتقاضى راتبًا قارًا، ويشارك في الحروب ضمن الفرق الاحتياطية عند الحاجة، لأنه شارك ضمن فيلق صبايحية باجة في المعارك التي دارت بين حسين بن علي وابن أخيه علي باشا، شمالي القيروان وجنوبها عام (1147هـ/1734م)، ولما اشتدت هذه الفتنة رحل إلى العاصمة تونس، ثم رجع إلى موطنه باجة بعد انتهائها؛ ليرعى شؤونه الفلاحية وأرزاقه بنفسه.

وعلى الرغم من أن راتبه تعرّض للقطع فترة، وللخصم من طرف علي باشا، كما خسر معظم حيواناته أثناء الصراع العائلي داخل الأسرة الحسينية، إلا أنه يعتبر أفضل حالًا ممن لحقت بهم الخصاصة بسبب الفتن التي عرفتها تونس، خاصة في ثلاثينيات القرن 18م.

ومع أنه كان مقيمًا بباجة، إلا أنه كان يتردد على العاصمة، وشهد العديد من المعارك والفتن التي مرّت بها تونس وسجلها في كتابه، وهذا ما سمح لنا من الاطلاع عن كتب علي أهم ما عاينه وعاصره فترة حياته إلى غاية عام (1148هـ/1770م)، لأنه توقّف عندها، ويُفترض أنه توفيّ خلالها أو السنة الموالية<sup>(4)</sup>.

ب-وفاته وآثاره: سبق وذكرنا أنه توفيّ عام 1770م؛ أي: عن عمر السادسة والسبعين سنة، أمّا عن آثاره؛ فلم نجد أيّ إشارة إلى مؤلفاتٍ أخرى غير كتابه "المُشَرَّع المَلَكِي في سلطنة أولاد علي تركي".

(1) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 267.

(2) حسين خوجة، ذيل بشائر، تحقيق المعموري، ص 53.

(3) الكلورغليين هم أبناء الأتراك ممن استقروا بالبلاد وتزوجوا من أهلها فخلفوا أبناء يطلق عليهم هذا الاسم، للمزيد أنظر : حسين خوجة، المصدر السابق، ص 35.

(4) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، صص 268-271.

2-التعريف بكتاب " المُشَرَّع المَلَكِي فِي سُلْطَنَةِ أَوْلَادِ عَلِي تَرْكِي"، كتاب مهمٌ جدًّا لما له من علاقة بمضامين بحثي.

أ-سبب التّأليف ومحتواه: كان مؤلّفنا مولعًا بالتاريخ، على الرّغم من محدوديّة ثقافته التّاريخيّة وقلة زاده العلمي، ولما اطّلع على كتاب "بشائر أهل الإيمان" لحسين خوجة ازداد تعلقًا به، وأراد أن يسلك مسلكه في التّأليف فاستخار الله وشرع في تّأليف كتابٍ يشمل ما رأى بعينه، وسمع بأذنيه من أحداثٍ جدّت في عهد البايات الحُسينيّين الأربعة الأوائل<sup>(1)</sup>، وعليه فإنّ تّأليف الكتاب يكون في حدود عام 1727م.

ينقسم كتاب "المُشَرَّع المَلَكِي" إلى أربعة فصولٍ مطابقة لعهود البايات الأربعة الذين عرفهم المؤلّف: حسين بن علي الذي حكم بين (1705-1735م)، وعلي باشا حكم بين (1735-1756م)، وأبناء حسين بن علي محمّد وعلي باي حكمًا بين (1756-1782م).

ويتألّف كلّ فصلٍ من عدّة رواياتٍ، يبدأها بعنوانٍ، ثمّ يسرد خلالها حدثًا من الأحداث، من بدايته حتّى نهايته سردًا كاملاً، ثمّ ينتقل إلى غيره دون إعطاء أهميّة للتسلسل الزمني مثلما يفعل غيره من المؤرّخين<sup>(2)</sup>، ويتوقّف في روايته عند سنة (1184هـ/1770م أو 1185هـ/1771م)<sup>(3)</sup>.

ب-أسلوبه ولغته: يتّسم أسلوب المؤلّف بشيءٍ من الطرافة بالنسبة إلى أسلوب معاصريه، لأنّه غلب عليه الخروج في كتاباته السابقة عن قواعد العربيّة وأكثر من استعمال الصيغ العاميّة والأمثال الشعبيّة، فهو يرى في ذلك خلوًا من التكلّف والتّصنع، وميزةً يمتاز بها كتابه الذي صدّره<sup>(4)</sup> في الصفحة الأولى من مخطوطه الأصيل بالتصريح قائلاً: «هذا المُشَرَّع ساهلٌ المقطّع والمجتمّع، يروي منه الكاتب والناظر والسامع، سالمٌ من تعقيد افرنقع وتكعكعي»<sup>(5)</sup>.

ولم يستطع مؤلّفنا أن ينافس الكتاب الكلاسيكيين، لأنّه غير متمكّن من اللغة مثلهم، باعتباره فلاّحًا أكثر منه مُدرّسًا أو مُؤرّخًا، لذلك جاءت لغته تشبه صاحب القصص الشعبي يحاول أن يثير انتباه القارئ، ويجلب اهتمامه بالنوادر والطرائف والتعابير العاميّة الكثيرة، وهذا ما عرّض كتابه

(1) الصغیر بن یوسف، المشرع المملکي في سلطنة أولاد علي تركي، ج 1، تحقیق أحمد الطولبي، المطبعة العصرية، تونس، عام 2009، ص 17.

(2) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 276-277.

(3) الصغیر بن یوسف، المصدر السابق، ج 4، ص 222.

(4) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، صص 273-274.

(5) تکعکع الرّجل أي احتبس عن وجهه أو جبن وتنطق تکأکأ، افرنقع یعنی انکشف وتنحى، أنظر: الصغیر بن یوسف، المشرع المملکي، ج 1، ص 15.

للنقد، فلغته بسيطة وسطاً بين الفصحى والعامية<sup>(1)</sup>، لكنّها تفي بالغرض، ويستطيع القارئ أن يفهم الأحداث جيّداً.

**ج-أهمية الكتاب:** على الرغم من أنّ لغة الكاتب تميل إلى العامية ويغلب عليها الأسلوب القصصي في روايته للأحداث التي عاصرها، إلاّ أنّه يعتبر من المصادر المهمّة جدّاً التي لا يستطيع الباحث في أحداث تونس في القرن 18م الاستغناء عنه، لما يتوفّر عليه من معلوماتٍ دقيقة جدّاً ومضبوطة سنوياً عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، كما أنّه عاصر الحرب الباشية الحسينية (1728-1740م)، وشارك في إحدى معاركها، واستطاع أن يروي أحداثها بأكثر موضوعية ودون تحيزٍ لأيّ طرفٍ، لأنّه كان بعيداً عن السّلطة، وهذا ما يزيد من أهميّة كتابه<sup>(2)</sup>.

قام "أحمد الطويلي" بتحقيقه، وطُبع عام 2009م في أربعة أجزاء، لكنّه لم يضع له مقدّمة ولا خاتمة، واكتفى بالنص الأصلي، وفهرسة جاءت كما وضعها الكاتب على شكل عناوين.

**المبحث الرابع: "الكتاب الباشي"، للوزير حمّودة بن محمّد بن عبد العزيز، أحد المصادر الهامة التي لا استغناء عنها في إنجاز بحثي.**

### 1-التعريف بالوزير حمّودة بن عبد العزيز:

**أ-مولده وتعلمه:** هو الكاتب الوزير أبو محمّد الحاج حمّودة، ابن العالم الفقيه، المدرّس محمّد بن عبد العزيز، التونسي أصلاً ومولداً، ونشأه، ووفاه<sup>(3)</sup>، مالكي المذهب، ولم تذكر المصادر سنة مولده، لكن يمكن وضع تاريخ مقارب، لأنّه زاول درس صحيح البخاري على يد الشيخ "محمّد بيّرم الأول" بالمدرسة الباشية الذي يُفترض أن يكون في العشرين من عُمره بعد استكمال تعلّمه القرآني والجامعي<sup>(4)</sup>، وعليه يمكن اعتبار مولده حوالي عام (1146هـ/1733م).

تتلّمذ أوّلاً على يد أبيه الذي كان بارعاً بالخصوص في تدريس "المختصر الخليلي"<sup>(5)</sup> الذي كان يُسامره ليلاً بعلم السير، والتاريخ، وعلى الرغم من أنّه توفّي مبكراً وخلفه يتيماً، لكن الملكة الأديبة رُسّخت فيه، ثمّ أكمل المترجم تعليمه بجامع الزيتونة على يد مجموعة من العلماء والأئمّة أمثال، أحمد المكودي، وقاسم المحجوب، ومحمّد بيّرم الأول، ومحمّد الهدّة .

(1) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 283.

(2) نفسه، صص 286-287.

(3) حمّودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، قسم السيرة، ج 1، تح محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ص 15.

(4) أي ما يقابل الابتدائي والثانوي اليوم.

(5) Ahmed Abdessellem , Les historiens tunisiens du 17<sup>ème</sup> 18<sup>ème</sup> et 19<sup>ème</sup> siècles ; Essai d'histoire. Culturelle ;Tunis ,1973, p 260.

ب-وظائفه ورحلاته: تصدر مترجمنا للتدريس بجامع الزيتونة، وأخذ عنه جماعة ذاع صيتهم أمثال، محمد بَيْرَم الثاني، المفتي، الحنفي، وكذا الأخوين محمد وعمر المحجوب<sup>(1)</sup>، ووصفه صاحب الإتحاف قائلاً: "كان فصيح اللسان، ماضٍ القلم، عذب المجالسة، آيةً في المحاضرة، بحيث إذا حضر مجلساً توقرت دواعي سماعي ما يلفظ من قول"<sup>(2)</sup>.

وقد طلبه الباشا<sup>(3)</sup> علي باي بن حسين، ليكون رئيساً لديوان الإنشاء فامتنع، فطلبه ثانيةً قبله، ولم يذكر مترجمنا مَنْ اتّصل بالباي، لكن يُفهم من سياق الأحداث أنّه كان إلى جانبه في ثورة وسّلات التي انتهت عام (1175 هـ/1761م)، ونال حظوةً خاصّةً لدى هذا الباي الذي استعان به لتدبير شؤون دولته، كما بعثه سفيراً عنه إلى قسنطينة والجزائر في بعض الأغراض السياسيّة، واختاره لتعليم ابنه حمودة وإخوته ابتداءً من سنة (1186هـ/1772م).

أمّا عن رحلاته، فقد قام أيّام شبابه وقبل اتّصاله بباي تونس برحلتين الأولى، نحو المغرب الأقصى زمن سلطان المولى محمد بن عبد الله<sup>(4)</sup> طامحاً متطلّعاً للمعالي، لكنّه فشل، والثانية، نحو الحجّ، وبعد اعتلائه مكتب الإنشاء أرسل سفيراً نحو الجزائر، كما أسلفنا وكذا الحجّ للمرّة الثانية عام (1181هـ/1767م)، وكان فيها قاضياً للركب<sup>(5)</sup>، والواضح أنّه لم يكن يُسمح لمثله من العناصر المحليّة بتجاوز مناصب محدودة كالتدريس والقضاء والفُتيا، وسمح له هو برئاسة ديوان الإنشاء الذي كان بمثابة -وزارة الداخلية حينها - واستمرّ فيه حتى حين خلف حمودة باشا أباه في الحكم.

وكان يسمح لنفسه بالإذلال على ابن تربيته حمودة باشا، بما له من حقّ التعليم، وبما لا يحتمله سنّ الشباب، وعلى رجال دولته الذين ضاقوا ذرعاً بذلك حتى تعرّض لمحاولة اغتيال، فأمر الباي مترجمنا بالاقتصاص من الجاني، فحكّم عليه بقطع يديه ورجله، ثمّ قتلّه، فتعرّض بسبب قسوته إلى انتقادٍ شديدٍ، وسقطت منزلته عند مخدومه، وبقيّ مُهملاً حتى توفّي عام (1202هـ/1787م) أو (1203م/1788م)، وخلف ابناً بدّد جميع ثروته<sup>(6)</sup>.

(1) حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، صص 17-18.

(2) أحمد بن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار تونس و عهد الأمان، مج4، ج7، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس 2004، ص23.

(3) الذي حكم بين 1759-1782.

(4) حكم المغرب الأقصى بين ( 3 نوفمبر 1757م - 9 أبريل 1790م).

(5) حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ج1، صص 22-23.

(6) أحمد بن أبي الضياف، المرجع السابق، صص 23-24.

ج-وفاته وآثاره: سبق ذكر وفاة حمودة بن عبد العزيز عام 1787م أو السنة التي بعدها، عن عمر الرابعة والخمسين سنة، ويعدّ الكتاب الباشي " أهمّ مخطّات، كما حرّر رسائلًا ناقش فيها عدّة مسائل من علم الكلام وحاشيته على " الوسطى "، للسوسى في نفس الغرض، ورسالةً أخرى، في تعيين القبلة، وديوان شعرٍ لقيّ استحسانًا وقتها<sup>(1)</sup>.

2- التعريف ب"الكتاب الباشي": أحد الكتب الهامة التي اعتمدت مادتها في إنجاز بحثي.

أ-سبب تأليفه ومحتواه: هذا الكتاب يؤرّخ في المقام الأوّل لعهد الباشا علي بن حسين من سنة (1196هـ/1759م) إلى (1196هـ/1782م)، وعنوانه يدلّ على ذلك، وتمّ تأليفه في حياة هذا الحاكم سنة (1190هـ/1777م)<sup>(2)</sup>، وضّح مترجمنا سبب التأليف قائلاً: "صرفت القصد إلى الاقتصاد على دولة مولاي بالتصنيف ... واقتصرت من أخباره على أشهرها، ومن فضائله وكمالاته على أظهرها ... وسمّيته بالكتاب الباشي، إضافةً للقب مولانا الذي تميّز به ..."<sup>(3)</sup>.

ويمكن لتصفّح الكتاب أن يلمس اهتمام المؤلّف في كامل الكتاب، والمتمثّل في استرضاء الباشي علي باشا، بتمجيد أصله، والتنويه بسيرته وأعماله ومختلف الإنجازات التي تمت في عهده، فهذا هو الغرض الذي يشكّل محور الكتاب، وهو ما وضّحه المؤلّف من البداية، مؤكّداً أنّ مُصنّفه عبارة عن تقيّظٍ نشري، لأنّ القصائد لم تعد تكفي لحفظ خصاله النبيلة، ومما يُعاب على المؤلّف أنّه لم يتّبع الترتيب الزمني للأحداث، حيث بدأ بالأحداث الأقرب عهداً، ثمّ انتقل فجأةً إلى ما قبل بأربعة أو خمسة قرون؛ أي، إلى العهد الحفصي لتونس، ثمّ يعود آخر الأمر إلى الفترة المعاصرة<sup>(4)</sup>.

قسّم حمودة بن عبد العزيز كتابه إلى جزئين: الجزء الأوّل، مخصّص لسيرة علي باشا وأهم إنجازاته، وهو يجمع بين الشعر والنثر، تمّ تحقيقه من طرف محمّد ماضور عام 1970 م، أمّا الجزء الثاني، فهو مخصّص للتاريخ؛ أي، عرضٌ مختلف الأحداث التي قام بها أو وقعت في عهده - تاريخ تونس أيام حكم علي باشا - فهو وصفٌ مفيدٌ للحياة السياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة في العاصمة تونس، إضافةً إلى بعض الاستطرادات عن الفترة الحفصيّة، وإلحاق تونس بالدولة العثمانيّة، كما تعرّض لأهمّ الأحداث خلال عهد حسين بن علي. (ولا يزال هذا الجزء مخطوطاً إلى اليوم، موجود بالمكتبة الوطنيّة التونسيّة تحت رقم A-M SS 18 666).

(1) Ahmed abdesselem, op, cit ; p 262.

(2) opcit , p 262.

(3) حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، صص 43-44.

(4) Ahmed Abdesselem , op cit , pp 264-265.

ب-أسلوبه ولغته: يمتاز الكتاب الباشي على جميع كتب التاريخ بكونه أثرًا أدبيًا، فهو في بعض أجزائه عبارة عن منتقيات شعرية نظمها المؤلف وزملاؤه، وهي قصائد ظرفية قيلت كلها أو جلها في مدح الملك بمناسبة أحداث سعيدة، وفي الواقع هي قصائد غير طريفة وتتسم ببعض العيوب التي تُعاب على شعر المناسبات عند العرب كالإفراط في استعمال الأساليب البلاغية والتكلف والابتعاد عن العفوية، لكن على الرغم من ذلك تعتبر أشعارًا متينة البناء، ذات لغة سليمة إذا ما قورنت بغيرها من الأشعار التي قيلت في نفس الفترة .

وعلى قارئ الكتاب أن يحترس من النزعة التمجيدية الواضحة، وعدم التأثر بالآراء المسبقة للمؤلف وأفكاره، لأنه رجل بلاط بالدرجة الأولى، وألف الكتاب لغاية واضحة وهي إرضاء مخدمه<sup>(1)</sup> والظاهر أن هناك من شهد له بقوة لغته وتمكّنه مثل، صاحب الإتحاف الذي أثنى على الكتاب وصاحبه قائلًا: "وتاريخه الباشي" الذي ألفه في مدح مخدمه أعظم شاهد له بالبلاغة والبراعة في فنّ الإنشاء، والله يؤتي الحكمة من يشاء، وله في العلوم الشرعية والعقلية القدم الراسخة ... وكان فصيح اللسان ... مع وقارٍ، وهمة عالية زاحمت الكواكب .."<sup>(2)</sup>، أما صاحب الشجرة الزكية، فاعتبر شعره أفضل من نثره قائلًا: " الأديب، الفقيه المؤرخ، المطلع ... الكاتب البليغ اللغوي الشاعر ... ألف التاريخ الباشي، شاهد له بالفضل والتبّل ... وله ديوان شعر، وشعره أحسن من نثره ..."<sup>(3)</sup>.

ج-أهمية الكتاب: يعدّ كتاب "التاريخ الباشي" على جانب كبير من الأهمية، بسبب ما حواه من الأحداث التي لا مصدر لها سواه، لأنه كان شاهد عيان على وقوعها<sup>(4)</sup>، كما لا يخلو الجزء الأخير من الفوائد؛ إذ تطرّق فيه حمودة بن عبد العزيز إلى القوانين الاقتصادية والحفلات الاجتماعية ونظام بعض المؤسسات، لكنّه أثقله باهتماماته الأدبية وشعر المناسبات التي رأى ابن أبي الضياف بعد قرن من الزمن أن لا فائدة فيها.

وتزداد أهمية الكتاب عندما نصل إلى عهد الحسينيين، خاصة عهد علي بن حسين، حيث يمكن من خلاله وضع قائمة بأسماء المدارس التي أسسها هذا الحاكم، والدروس التي أحدثها في مختلف المدارس والمساجد، سواء الموجودة بالعاصمة التونسية أو ببقية المدن، وحاول مترجمنا أن يُبرز

(1) Abdesslem , op cit , p 269-271

(2) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مجلد4، ج7، ص 23.

(3) محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 364.

(4) حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ج1، ص 20.

اهتمام مخدومه بنشر التعليم الديني مثل والده قبله، كما اهتمّ بالمدرّسين والفقهاء ورجال الدين وطلبة العلم<sup>(1)</sup>، واهتمامه ذلك نابع من محبته للعلم وللعلماء من جهة، ومن جهة أخرى كان في أمّس الحاجة إلى هؤلاء الفقهاء والمدرّسين من أجل استباب الأمن وإطفاء نار الفتنة التي أدخلت تونس في حرب أهلية لمدة طويلة.

كما استعرض المؤلف الإجراءات التي اتخذت ضدّ أصحاب الحانات، وأوكار الفساد التي لم يجرؤ أحدٌ قبله على إبطائها، وإلغاء بعض الضرائب التي أرهقت كاهل الفلاحين، وعطلت زراعة الأرض، ومعلوماتٍ عن النظام الجبائي، وانتشار الأمن في تونس في عهده، وعن ازدهار الفلاحة وتطوّر الحرف والتجارة، وكلّ ذلك يُصوّر لنا فترات الازدهار والانهيار الاقتصادي في نفس الوقت التي مرّت بها تونس، بسبب القحط والمجاعات، دون أن يغفل عن ذكر بعض العادات الاجتماعية كحفلات الحتان والزواج، وكلّ ذلك يساعدنا على فهم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، كيف كانت في تونس في عهد علي باشا بن حسين<sup>(2)</sup>.

**المبحث الخامس: كتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"، لأحمد بن أبي الضياف:** كتابٌ في غاية الأهمية لما محتواه من علاقة ببحثنا.

### 1- التعريف بالمؤرخ "أحمد بن أبي الضياف":

**أ- مولده وتعليمه:** الفقيه، الأديب، السياسي، المؤرخ أحمد بن أبي الضياف بن عمر بن أحمد العوّني<sup>(3)</sup>، أصله من قبيلة أولاد عوّن بسليانة<sup>(4)</sup>، ولد مطلع القرن التاسع عشر بمدينة تونس عام (1217هـ/1802م)، زاول تعليمه الابتدائي بزواية ابن ملوكة خارج باب القرجاني<sup>(5)</sup>، وتميّز عن أقرانه بقوة الذاكرة ودقّة الملاحظة والنجابة، ثمّ التزم الدرس بجامع يوسف، صاحب الطابع ومدرسته، كما تلقى تعليمًا شرعيًا على يد نخبة من علماء جامع الزيتونة في المذهبين المالكي والحنفي أمثال، بن

(1) Abdesslem , op cit , p 264-268.

(2) opcit , p 264-268.

(3) قبيلة أولاد عون هي إحدى القبائل التونسية التي كانت تعيش جهة سليانة شرقي مدينة الكاف، وكانت تتمتع بحظوة عند البايات بتونس الذين استخدموا منها ضباطا وموظفين وعساكرا . أنظر :

Ahmed Abdesslem , op cit , p 333.

(4) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 264.

(5) باب القرجاني هو أحد الأبواب العتيقة، يقع في الجنوب الشرقي من نابل وبالقرب منه توجد زاوية ابن ملوكة، أنظر : أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 4، ج7، صص 103 - 139.

خوجة<sup>(1)</sup>، ومحمد البحري<sup>(2)</sup>، ومحمد بيزم الثالث<sup>(3)</sup>، وإبراهيم الرياحي<sup>(4)</sup>، حتى تضلّع في العلوم الشرعيّة ونُعت بصاحب اليد البيضاء في العلوم الدينيّة، كما برع في الأدب والإنشاء حتى مدحه السنوسي (ت1318هـ/1900م) الذي عاصره قائلاً: "إمام أئمة الإنشاء... والمجلى في حلبة البلاغة على كلّ أديب"<sup>(5)</sup>.

ولم يكتف مترجمنا بهذا القدر من التعليم؛ بل كان حريصاً على مجالسة ومناقشة علماء عصره داخل تونس وخارجها، كما كان شغوفاً باقتناء الكتب أثناء سفره خارج تونس ومطالعتها<sup>(6)</sup>، هذا إضافة إلى طبيعة عمله في ديوان الإنشاء الذي سمح له بالاطلاع على قدر كبير من الوثائق السريّة والمراسلات الدبلوماسية التي كان يتولّى كتابتها للبايات .

كما حظي وعائلته باهتمام وعناية الوزير صاحب الطابع، فالمكانة التي كان يتمتع بها والده الحاج بالضيف لدى هذا الوزير جعلت ابنه يعيش منذ صغره إلى جانب الوزراء والبايات، وهذا ما سيسهل عليه التعامل مع حياة القصور فيما بعد، ويؤهله لاعتلاء مناصب عليا وقريبة من الحكام<sup>(7)</sup>.

**ب- وظائفه ورحلاته:** بدأ حياته المهنيّة عام (1237هـ/1822م)<sup>(8)</sup>، حيث أولاه الأمير حسن باي الثاني<sup>(9)</sup> خطة العدالة<sup>(10)</sup>، وهو دون الثماني عشر سنة<sup>(11)</sup>، ثمّ أولاه نفس الأمير خطة الكتابة<sup>(12)</sup>، ثمّ وزيراً للقلم في الحكومة التونسية عام 1827م (1242هـ/1827م)<sup>(13)</sup>، وخصّه بكتابة يسيرة، وكان أوّل

(1) (ت1826م) هو من شيوخ تونس وعلمائها، قرأ عليه ابن أبي الضيف، تذكرة القرطبي في الحديث، أنظر أحمد بن أبي الضيف، المصدر السابق، مج4، ج7، صص 142-143.

(2) (ت 1838م) تولى خطة القضاء بالحاضرة، قرأ عليه ابن أبي الضيف، الفقه المالكي، أنظر: الإتحاف، مج1، ج1، ص VIII.

(3) (ت 1843م)، كان شيخ الإسلام وهو متمكن في علم المعاني والبيان والمنطق، ويعتبر أول خطيب بجامع يوسف صاحب الطابع وتولي رئاسة المجلس الشرعي الحنفي للفتوى، أخذ عنه ابن أبي الضيف علوم البيان والمعاني، أنظر محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1، ص182.

(4) (ت 1850م) أصله من طرابلس، قدم إلى تونس، درّس بجامع الزيتونة وجامع صاحب الطابع، برع في النظم والشعر، كما اشتغل في خطة التوثيق، اختاره الباي حمودة باشا سفيرا للملكة المغربية عام 1218م، أخذ عنه ابن أبي الضيف السعد والمكودي - كتاب في الصرف والنحو - على ألفيه ابن مالك، أنظر: أحمد بن أبي الضيف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص VIII.

(5) محمد السنوسي، ذيل أقدم ترجمة لابن أبي الضيف، مجمع الدواوين التونسية، حوليات الجامعة التونسية، ع5، عام 1968م، ص 114.

(6) الصادق الزميري، أعلام تونس، نقلت و تعريب حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 74.

(7) Ahmed Abdessellem, op cit, p 339.

(8) أحمد بن أبي الضيف، المصدر السابق، مج1، ج1، ص ز.

(9) حكم بين (1824-1835م) أنظر محمد بوزينة، مشاهير التونسيين، ط2. دار سيراس للنشر، تونس 1992، ص12.

(10) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس 2010، ص 147.

(11) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 264.

(12) محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص130.

(13) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 264.

من كتب باللغة العربية في مراسلاته للباب العالي<sup>(1)</sup>، واستطاع أن يحقق نجاحاً كبيراً في مهمته، حيث أصبح يباشر تحرير أهم المراسلات الرسمية وقوانين الدولة<sup>(2)</sup>.

واستمرّ به الحال على عهد الباي مصطفى<sup>(3)</sup> من أعضائه وخاصته، ثمّ تدعّمت مكانته أكثر في عهد المشير الأوّل أحمد باي<sup>(4)</sup> الذي أمده بقلم دولته، ومنحه الإشراف المباشر على شؤون الكتابة، وكلفه بمهمة دبلوماسية إلى اسطنبول صحبة خير الدين كاهية عام 1842م<sup>(5)</sup>، كما إصطحبه معه في رحلته إلى فرنسا بصفته مستشاره وأمين سرّه أواخر سنة 1845م، وتمكّن الشيخ من تدوين جميع مراحل تلك الرحلة التي كشفت له النقاب على عظمة الغرب وسيّر تقدّمهم<sup>(6)</sup>، وألبسه نياشين الافتخار الأكبر عام 1849م<sup>(7)</sup>.

واستمرّ على وظيفته مع خلفه محمّد باي<sup>(8)</sup> الذي كلفه بتحرير المكاتيب المهمة كعهد الأمان<sup>(9)</sup>، والدستور لعام 1861م<sup>(10)</sup>، وباعتلاء محمّد الصادق باي<sup>(11)</sup> رقاہ لتربية أمير الأمراء، ثمّ تعرّض مترجمنا إلى بعض الدسائس التي أبعدهت عن السّلطة أواخر عام 1864م، ثمّ أعيد للعمل كمستشار أوّلاً بالوزارة الكبرى سنة 1870م، كما منحه الصادق باي لقب الوزير لإبقائه في الخدمة<sup>(12)</sup>.

**ج-وفاته وآثاره:** يقف القلم حائراً أمام قوّة وثبات ورباطة جأش هذه القامة العلميّة والنفس الباذلة لأقصى جهودها لخدمة أكثر من أربعة ملوك مختلفين على حكم تونس على مدار القرن التاسع عشر، وخدمة البلاد التونسيّة بأسرها لما قدّمه من أعمالٍ جليّة، لكنّه اضطرّ للتخلّي عن مهامه بسبب كبر سنّه وتدهور صحّته، وكرس ما بقيّ من حياته للعبادة وتأليف رائعته «إتحاف أهل الزمان...» الذي

(1) محمد النيفر، المصدر السابق، ج2، ص 130.

(2) أحمد بن أبي الضياف. المصدر السابق، مج1. ج1، ص ح.

(3) حكم بين (1835-1837م) أنظر: محمد بوذينة، المرجع السابق، ص 12.

(4) حكم بين (1837-1855م) أنظر: محمد بوذينة، المرجع السابق، ص 12.

(5) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 265.

(6) صادق زميري، المرجع السابق، ص 74.

(7) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 266.

(8) حكم بين (1855-1859م) أنظر: محمد بوذينة، المرجع السابق، ص 12.

(9) أحمد بن أبي الضياف، الإتحاف، مج2، ج4، ص240.

(10) خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم محمد الحداد، دار الكتاب المصري، مصر، 2012، ص34.

(11) حكم بين (1859-1882م) أنظر: محمد بوذينة، المرجع السابق، ص12.

(12) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 266.

خلّد ذكره مع تاريخ تونس على مدى ثلاثة قرون<sup>(1)</sup>، ويبقى محلّ احترام المجتمع وأولي الأمر إلى أن يفارق الحياة يوم (17 شعبان 1291هـ/29 سبتمبر 1874م).

أمّا آثاره، فقد اعتُبر كتابه «الإتحاف» من أروع ما كتب وأنتج، إضافةً إلى بعض الآثار هي: رسالة ابن أبي الضياف في المرأة (1856م)، ورسالة ابن أبي الضياف إلى خير الدين، والمقامة البشرية في الأنوار البشرية، ومجموعة دواوين شعر<sup>(2)</sup>.

**2- التعريف بكتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأيمان":** كتابٌ في غاية الأهمية لما لمادته من علاقة ببحثنا.

**أ- سبب تأليفه ومحتواه:** بدأ ابن أبي الضياف تأليف كتابه عام 1862م، وأتمه عام 1872م، وأراد من خلاله أن يؤرّخ لتاريخ البايات الذين عاصروهم، فالإتحاف يهتم بعصر الأيالة، من عهد حمودة باشا الحسيني<sup>(3)</sup> إلى عهد الصادق باي، ويتوقّف عند الأحداث التي كانت عام 1872م، وهي السنة التي أتمّ فيها كتابه، وكان حريصاً على تقديم هاته المراحل التاريخية، خاصّةً مرحلة عهد الأمان (1857م) الذي كان مُوكّلاً بتحريره، وشرح أحكامه، وتوضيح معانيه وأبعاده<sup>(4)</sup>، وقد شرح سبب اختياره لذلك بعدم توقّر مراجع وافية حول تاريخ البايات الحسينيين "لم تُدوّن إخبارهم، ولا قيّدت آثارهم"<sup>(5)</sup>.

ويرجع سبب تأليفه، إلى رغبته الخالصة في خدمة وطنه وليس بإيعازٍ من أيّ حاكمٍ ووضّح ذلك قائلاً: "فحرّكتني رياح هذا الوطن إلى اطناب، ربّما استحسن في مثل هذا الباب، مع أيّ لستُ من أولئك الرجال، ولا من فرسان هذا المجال لاسيّما والشيبة ولّت والقريجة كلّت والقوى ألّقت ما فيها وتخلّت، ولكن وراء قصوري عين الرضا وعادات الكرام من الأغضاء"<sup>(6)</sup>.

تمّ طبع هذا الكتاب عدّة مرّات وأحدثها تعود إلى 2004م، حيث قامت لجنة من وزارة الشؤون الثقافية بتحقيقه وأصدرته الدار العربية للكتاب، وتمّ طبع الكتاب في أربعة مجلّدات مقسّمة حسب تقسيم المؤلّف إلى مقدّمةٍ وثمانية أبوابٍ وخاتمةٍ بالشكل التالي: المجلّد الأول، يحتوي على جزئين

(1) صادق زميرلي، المرجع السابق، ص 75.

(2) محمد محفوظ، المرجع السابق، ج3، ص 268.

(3) حكم بين (1782-1814م).

(4) الصادق الزميرلي، المرجع السابق، ص 75.

(5) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص ل.

(6) نفسه، مج 1، ج 1، ص 3.

هما،(العقد الأول من المقدمة): عبارة عن مقدمة نظرية لأصناف الملك في الوجود (الملك المطلق، الملك الجمهوري، والملك المقيد بالقوانين)، أما الجزء الثاني (العقد الثاني من المقدمة)، فقد ألم فيها وباختصار بأمراء إفريقية وبيوت ملك القيروان والمهدية وتونس، ثم الفتح العثماني، وانقراض دولة الحفصيين، ثم العهد المرادي وبداية الدولة الحسينية.

واحتوى المجلد الثاني على الجزء الثالث والرابع، أما المجلد الثالث، فيحتوي على الجزء الخامس والسادس، وفي هذين المجلدين جمعت ثمانية أبواب خصها صاحبها لدراسة البايات الحسينيين منذ تولي حمودة باشا الحكم عام 1782م إلى غاية ثورة ابن غدام، ثم سجنه، وأخبار عن عجز الميزان التجاري وانتصاب الكومسيون المالي ومختلف الأحداث التي عرفتها تونس في عهد محمد الصادق باي<sup>(1)</sup>، وكان المجلد الرابع خاتمة الكتاب التي احتوت على مجموعة من التراجم للأعلام، من رجال الحكم وعلماء وتجّار وحرفيين، والجدير بالذكر أنّ المؤلف عمد إلى وضع في آخر جزء فهرساً للموضوعات الخاصة به<sup>(2)</sup>.

**ب- أسلوبه ولغته:** يختلف أسلوب المؤرخ ابن أبي الضياف في الكتابة عن مؤرخي البلاط حيث تجنّب المدح، وحاول قدر الإمكان توخي الموضوعية في سرده للأحداث وتحليله لها، ولم يكن يرغب من وراء تأليفه في أيّ منصبٍ أو شخصاً بعينه؛ بل ألقه في أواخر حياته لما نال منه التعب والكبر تفرغ لهذا العمل<sup>(3)</sup>، إلى جانب هذا فقد تميّز الإتحاف بعفوية أسلوبه ولغته، وفي سرده للأحداث فهو يميل إلى تبسيط لغته، حيث استعمل التعابير المتداولة وأحياناً بالعامية، كما استشهد كثيراً بالأحاديث النبوية والأبيات الشعرية<sup>(4)</sup>.

كما نجح في سرده للأحداث بشكل متسلسل في جميع أبوابه الثمانية، حيث نجده يبدأ بتعريف الشخصية الحاكمة، ثم سرد الأحداث التي وقعت على عهده ليختتمها بخصاله وأخلاقه، ثم وفاته، وتتبع هذه الطريقة في كلّ الأبواب، كما وقق في تراجمه، وتتبع تسلسلاً زمنياً من الأقدم إلى الأحدث والأقرب عهداً، وعمد إلى تبسيط المصطلحات التي رآها صعبة في الهامش<sup>(5)</sup>، وكلّ ذلك أضفى إلى تأليفه صبغة الأكاديمية، وابتعد عن الإطناب والسجع وكثرة المحسنات البديعية التي درج عليها مؤلفو

(1) الذي حكم بين ( 1859 - 1882م).

(2) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ل. أنظر كذلك: أحمد عبد السلام، المرجع السابق، صص 409-437.

(3) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 1، ص أ.

(4) نفسه، ص 15.

(5) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 4، ج 8، ص 179.

ذاك العصر، لكن وعلى الرغم من كلّ هذه المزايا لهذا المؤلف إلا أنّ صاحبه اختصر بعض الأحداث التاريخية المهمة التي تستحقّ التفصيل لما كان لها من انعكاس على مجرى الأحداث اللاحقة<sup>(1)</sup>.

**ج-أهمية الكتاب:** احتوى كتاب الإتحاف على معلومات مهمة تخصّ القرنين (18 و 19م)، كما اعتمد صاحبه على وثائق دبلوماسية غايةً في الأهمية، وهذا ما جعله يتمتع برتبة خاصة لا يشاركه فيها أيّ كتابٍ تاريخي آخر في تلك الفترة.

كما تكمن أهميته في الخاتمة (المجلد الرابع) المخصصة للتراجم التي لم يقتصر فيها على طبقة معينة مثل، المشايخ، والعلماء، والوزراء، كما يفعل غيره من المؤرّخين؛ بل جاءت شاملة لأنّه ترجم لغيرهم من أمناء الصنائع والأعيان ورؤساء القبائل من أبناء البلد، فكانت بمثابة سيفساء اجتماعية متنوعة احتوت على مختلف أطراف المجتمع، وفي هذا الصدد يقول المؤلف: "والخاتمة فيما تيسر لي علمه من تراجم بعض الأعيان المتأخرين من العلماء والوزراء وكتاب وغيرهم".

وعلى الرغم من ذلك فإنّ كلّ ما أورده من أحداث القرن 18م منقول عن المؤرّخين السابقين، خاصّةً "الكتاب الباشي"، وابتداءً من تاريخ حمودة باشا الذي حكم بين (1782-1814م) يعرض تاريخاً جديداً، لأنّ مترجمنا ولد أيام هذا الباي وتلقّى أخباره من والده الذي كان مقرّباً من الحكّام ومن أساتذته وكذا من الوثائق الرسمية التي اطّلع عليها بحكم الوظائف التي اشتغلها<sup>(2)</sup>.

**نقد واستنتاج:** من خلال دراستنا السابقة للمصادر التاريخية التونسية يمكن أن نخرج بمجموعة من الملاحظات والاستنتاجات حولها هي:

أنّ أصول هؤلاء المؤرّخين متنوعة، فحسين خوجة تزكي العرق، علماً أنّ عائلة آل الخوجة نالت حظوة، خاصّةً لدى بايات تونس، وشغل عدد من أفرادها خططاً علمية ووظائفاً سامية مثل، محمّد بن الخوجة<sup>(3)</sup> وغيره، أمّا الوزير السراج فأصوله تنحدر من الأندلس، في حين نجد محمّد الصغير بن يوسف كُرغلي، أمّا آخر مؤرّخين هما، حمودة بن عبد العزيز، وأحمد ابن أبي الضياف، فكلاهما من السكان المحليين التونسيين، والمتفحص في هذه التشكيلة يستنتج أنّ البايات الحسينيين كانوا أذكياً، وربطوا ولاءات سياسية عديدة مع فئات اجتماعية متنوعة الأصول والأعراق من أجل اكتساب الشرعية والتحكّم أكثر في زمام المجتمع التونسي، لأنّ أغلب هؤلاء المثقّفين شغلوا مناصب رفيعة

(1) الصادق الزميري، المرجع السابق، ص 76.

(2) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 413.

(3) تعريفه سبق التطرق له من هذا الفصل.

كالتدريس بجامع الزيتونة، ومناصب مُقرّبة من الحاكم مثل، حسين خوجة الذي ترأس ديوان الإنشاء، وحمودة بن عبد العزيز الذي كان وزيراً، وابن أبي الضياف الذي ترأس خطة الكتابة والمراسلات ووزيراً للقلم.

أما أسلوب كتابتهم فمتقارب في بعض الجزئيات مثل، استعمال التعابير العامية وكثرة الاستطراد والاستشهاد بالأبيات الشعرية، ويختلفون في أمورٍ أخرى مثل، كثرة المدح للحكام والتكلف في استعمال السجع الذي أطنب منه حسين خوجة والسراج، على الرغم من أنّها لغة ذلك العصر وخصائص التعليم التقليدي المعمول به وقتها، أما محمد الصغير بن يوسف فجاء أسلوبه بسيط ومفهوم، على الرغم من استعمال العامية، لكنّه يفتقر للتسلسل الزمني للأحداث، ممّا يُذهب وحدة الموضوع بالنسبة للقارئ.

والواضح أنّ المؤرّخ أحمد بن أبي الضياف قد وُفق إلى جدٍ بعيدٍ، وجاء تاريخه أشمل ومرتب زمنياً، على الرغم من استعمال العامية وكثرة الاستطراد والنقل عمّا سبقوه، خاصةً بالنسبة لأحداث القرن 18م، لكن ابتداءً من تاريخ الباي الخامس حمودة الذي حكم بين (1782-1814م) يعرض تاريخاً جديداً وثرياً، استناداً للوثائق والدفاتر الرسمية التي كانت تحت يده، وأحسن توظيفها في مؤلّفه "الإتحاف".

أما الموضوعية، فهي صعبة المنال بالنسبة لمن ألّف مدح مخدومه الحاكم أو لمن اشتغل وزيراً مقرّباً من البلاط، ويبقى متحيّزاً على الرغم من توخّيه الحذر، فحسين عندما أنهى كتابه كان عمره تسعة وخمسون سنة (59)، والوزير السراج اثنان وسبعون سنة (72)، ومحمد بن يوسف تسعة وستون (69)، والوزير حمودة بن عبد العزيز أربعة وأربعون سنة (44)، وأكبرهم كان ابن أبي الضياف الذي تفرّغ للتأليف لما اعتزل السياسة فأتمها عن عمر السبعين سنة (70).

والكتابة والتأليف بعد الأربعين سنة تكون أكثر إتراناً وموضوعية وحكمة، لأنّ صاحبه في هذا السنّ ليس بحاجة إلى جاهٍ، ولا نفوذٍ، ولا مصلحة تُرجى من تودّده للحاكم والسلطان<sup>(1)</sup>، لكن هذه القاعدة لا تنطبق مع جميع مؤرّحي المصادر التي درسناها فبعضها كان أقرب للموضوعية مثل، محمد الصغير بن يوسف، وابن أبي الضياف، والبعض الآخر أكثر تحيّزاً للحاكم بحكم المناصب التي شغلوها، فمصلحة الوظيفة والعيش الرغيد في الكثير من الأحيان اقتضت ذلك.

(1) أبو القاسم الزباني، الترجمة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تح عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1991، ص 12.

وقد جاءت إشارات هذه المصادر لتاريخ الجزائر متفاوتة، فهناك مَنْ أشار إليها عابراً وسريعاً فقط مثل، حسين خوجة، وهناك من خصّص لها فقرات وفصولاً موسّعة مثل، صاحب كتاب "المشرّع الملّكي"، و"الكتاب الباشي"، وجاء أغلبها عارضاً للأحداث السياسيّة والعسكريّة التي ربطت البلدين على مدى القرن 18م ومطلع 19م، وهذا ما سيتمّ توضيحه في بقية الفصول.

## الفصل الأول: صورة العلاقات

الجزائرية التونسية بين القطيعة والالتقاء خلال القرن

(12-13هـ/18م ومطلع 19م)

المبحث الأول: الصّراع بين دَايات الجزائر و البَايات التونسيين أواخر القرن 17م و

مطلع 18م:

المبحث الثاني: الفتنة الحسينية الباشية و تدخل حُكام الجزائر فيها بين (1141-

1170هـ/1728-1756م)

المبحث الثالث: تجدد الصّراع بين الجزائر و تونس في القرن 13 هـ/مطلع القرن 19م:

المبحث الرابع: فترات الهدوء والاستقرار(السلام) في العلاقات السياسية بين الإيالتين(الجزائر

و تونس) خلال القرن(12-13هـ/18م ومطلع 19م):

خاتمة الفصل الأول

تعتبر الجزائر و تونس من الثغور المغربية الإسلامية التي تعرضت لإعتداءات صليبية إسبانية مُبكرة خلال القرن 10هـ/16م؛ و خاصةً بعد سقوط آخر معقل إسلامي بالأندلس غرناطة عام 1492م؛ و فرار مسلميها نحو بلاد المغرب الإسلامي.

ولم تكف إسبانيا بمطاردتهم، بل مدّت أذرعها العسكرية نحو هذه المناطق بغية احتلالها؛ ولم يكن بمقدور هذه الدويلات الإسلامية الضعيفة (الحفصية و الزيانية و المرينية) خلال هذه المرحلة - بسبب التناحر الداخلي فيما بينها - التصدي لهذه الهجمات المتكررة و التي نتج عنها احتلال عدّة مدن ساحلية جزائرية و تونسية.

كل هذه الأحداث كانت سبباً لتدخل الدولة العثمانية في بلاد المغرب الإسلامي لطرد الاحتلال الإسباني، و بذلك تحولت الجزائر و تونس إلى إيالات إسلامية عثمانية خلال القرن 10هـ/16م؛ و استطاعت المنطقة بفضل تظافر جهودهم أن تتحول إلى جبهة إسلامية حصينة تقف في وجه الاعتداءات الأوربية و طغى على المشهد السياسي بينهما حسن الجوار و التعاون الفعّال لردّ الاعتداءات الأجنبية أي علاقات سلام رغم المناوشات القليلة التي تنشب بين الإيالتين من حين لآخر و لكن بشكل قليل جداً.

غير أنّ الوضع تغير لاحقاً و شهدت العلاقات الجزائرية التونسية خلال الفترة المدروسة القرن (12-13هـ/18م- مطلع 19م) تأرجحاً بين الصدام العسكري و السلام السياسي و كان ذلك بشكل مُتناوب، فما هي أسباب و نتائج هذا الصراع بين الإيالتين الشقيقتين يا ترى وهل ارتقى السلام بينهما إلى ذلك التعاون الفعّال لتعزيز الجبهة الإسلامية المغربية للوقوف درعاً منيعاً في وجه أي تدخلات أجنبية طامعة في المنطقة؟. وهذا ما سنحاول معرفته من خلال تتبع هذه الفترات بدءاً بمراحل الصراع أولاً.

**المبحث الأول: الصراع بين دَايات الجزائر و البَايات التُونِسِيين أواخر القرن 17م و مطلع 18م**  
واجهت أيلة الجزائر أواخر القرن السابع عشر ميلادي (11هـ) صعوباتٍ خارجية كثيرةً تمثلت في تكرار الهجمات الأوربية البحرية التي استهدفت (عاصمة الأيالة) ممّا جعلها في حالة تآهبٍ مُستمرٍ و أفقدها عدداً كبيراً من الأنفس و ألحق بتحسينات المدينة و مينائها خسائراً ماديةً مُعتبرةً إضافةً إلى إحراق قطعٍ من أسطولها الرّاسي بالميناء.

فالأسطول الفرنسي هاجم مدينة الجزائر عامي 1664 و 1665م و أعاد الكرة عام 1683م حيث أحدثت قنابله خسائر جسيمة في تحسينات المدينة و مينائها و قتلت أربعمائة شخص، و بعد ذلك

بوقتٍ قصيرٍ تتعرض المدينة مجدداً خلال شهر جوان عام 1688م لهجوم شرس من طرف الأسطول الفرنسي دائماً بقيادة "ديستيري" *destrée*؛ والذي بقي بميناء الجزائر لأزيد من خمسة عشر يوماً وأطلق أثناءها أكثر من عشرة آلاف قنبلة خلّفت خسائراً جسيماً في الأرواح والبنيان إضافة إلى إغراق خمسة مراكبٍ حربيةٍ جزائرية<sup>(1)</sup>.

ولم تكن فرنسا هي الوحيدة التي لها أطماعٌ في الجزائر، بل كان لبريطانيا وإسبانيا نفس الأطماع، حيث قام الأسطول الإنجليزي بمهاجمة مدينة الجزائر عامي 1668 و1671م وأحرق بها ثلاثة مراكبٍ، كما هاجم نفس الأسطول وخلال نفس السنة ميناء بجاية وأحرق بها اثنتا عشر مركباً، وفي ذات السياق هاجمت حامية إسبانية مدينة تلمسان عام 1675م وسيطت عليها أياماً ثم قام الجيش الإنكشاري باخراجها<sup>(2)</sup>، وهذا يدل على نوايا إسبانيا المبيّنة في توسيع نفوذها ببايلك المغرب الجزائري.

والمبتغى لهذه الأحداث يستنتج أن الجزائر كانت في حالة تأهبٍ واستعدادٍ مستمرٍ لمواجهة هذه الاعتداءات المتكررة، وما يزيد الطينَ بلّةً أنّ الحرب لم تكن بحرية فقط وضدّ الأعداء الأوربيين، بل كانت هناك حرباً بريةً لا تقلُّ ضراوةً ولا تكاد تتوقف بين الجزائر والجاريتين الشقيقتين تونس والمغرب الأقصى، والتي كانت تعصفُ بعلاقات السّلام وحُسنِ الجوارِ بين هاتِهِ الكيانات الإسلامية من حينٍ لآخر<sup>(3)</sup>.

فالأحداث السياسية التي عاشتها تونس خلال القرنين (11/12هـ) أواخر القرن 17م ومطلع 18م خاصة فيما يتعلق بانتقال الحكم من شخصٍ لآخر و ما يُصاحبُ ذلك من اقتتالٍ على السّلطة، كان مناعاً مُلائماً لتدخّل حُكّام الجزائر فيه بين الفينة و الأخرى وبطلبٍ من هؤلاء المتحاربين على الكرسي، هذه التدخلات كانت في الغالب عبارة عن مواجهاتٍ داميةٍ بين الطرفين؛ هذا ناهيك عن خسائرها البشرية والمادية الكبيرة والتي كان من المفروض أن تُستغل في النهوض بقطاعات اقتصادية أكثر أهمية وحيوية للدولة و المجتمع على حدٍ سواء لكنها استنفذت للأسف في الصّراع على الكرسي، وسنحاول فيما يلي تتبع أهمّ المراحل التي كان لتدخّل حُكّام الجزائر فيها دورٌ بارزٌ في شؤون تونس وبإيجاز.

(1) P , Granchanp : « le Maréchal Destrée devant Alger » ;in R.T.1918.p288.

(2) محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، صص 16-22.

(3) يعتبر الأستاذ عمار بن خروف من السّباقيين في دراسات العلاقات السياسية بين الجزائر و الشقيقتين تونس و المغرب و قد صدر له كتابين في ذلك.

## 1-1 موقف حُكّام الجزائر من الفِتنَةِ المُرادِيَةِ أواخر القرن 17م:

خلال الفترة الممتدة بين (1675 و1686م) عاشت تونس حرباً أهلية تُعرف "بالفتنة المرادية"<sup>(1)</sup> ومُلخص هذه الفِتنَةِ أنّه بوفاة حاكم تونس مُراد باي الثاني الذي حكم بين (1666-1675م) تندلع حرباً أهلية بين ولديه "محمد وعلي" -وهذا الأخير- كان مدعوماً من طرف عمّه الذي رباه بالتبني محمد الحفصي في البداية فقط ، وتستمر الحرب بين الأخوين سجّالاً لأكثر من عشر سنواتٍ مُخلفَةً وراءها خراباً للبلاد<sup>(2)</sup>.

وفي خِضْمِ هذه الحروب تمَّ الإستنجاد بِحُكّام الجزائر وهذا ما نقله مُعاصر هذه الفِتنَةِ المؤرخ التونسي حسين خوجة قائلاً: "...وقع الغلاء المفرط.... ووقعت حروب وقتل ومقتول... وعمّ البلاء على المسلمين... وورد الخبر إلى محمد باي بأن أخاه علي باي قادم إليه... والتقى فكانت الهزيمة على محمد باي ووقعت بينهم وقائع وحروب وآخر أمرهم استنجدوا بعسكر من الجزائر<sup>(3)</sup>...." وذكر الإخباريون أن تدخّل عسكر الجزائر في هذه الفِتنَةِ كان لِعِدَّةِ مراتٍ وبطلبٍ من أطراف الصراع. فأولها<sup>(4)</sup>: كان في عام (1091هـ/1680م) عندما تدخّل الجيش الجزائري بأمرٍ من الدّاي محمد التريكي<sup>(1)</sup> الذي حَكّم الجزائر بين (1671-1682م) وعبر الحدود التونسية و قام بِعقدِ الصُّلحِ بين

<sup>(1)</sup> المرادية: الأسرة المرادية حكمت تونس طيلة القرن 17م تقريبا وتسمى كذلك نسبة إلى مراد الأول المدعو (كورسو) مملوك من أصل كورسيكي، وصل تونس صغيراً ثم أصبح قائدا للمحلة، ثم بايا على تونس عام 1613م، واستمر حكم السلالة المرادية إلى مطلع القرن 18م (1702م) حيث انتهى نتيجة صراع عائلي على الحكم وهو المعروف بالفتنة المرادية، حول فترة حكم البايات المراديين أنظر:

- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، صص 35-79.

- ابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط 1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس 1286هـ، ص ص 215-235.

- دندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص ص 58-62.

- حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، الجزء 2، مخطوط الأرشيف الوطني التونسي، رقم 900/15، الورقة 67-1-والورقة 79-1، 2.

<sup>(2)</sup> حول هذه الفتنة التي عصفت بالحكم المرادي بتونس، أنظر:

- ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 237 وما بعدها.

- الوزير السراج، المصدر السابق، مج 2، صص 464-485.

- حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج 2 (المخطوط)، الأوراق، 79-92.

- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص ص 47-72.

<sup>(3)</sup> حسين خوجة، ذيل كتاب بشائر أهل الإيمان، ص ص 11-12.

<sup>(4)</sup> صُنِفَ هذا التدخل هو الأول خلال هذه الفترة لأنه تدخل رسمي بإذن من داي الجزائر وشارك فيه العسكر (الجيش الانكشاري) ولكن هناك تدخل آخر غير رسمي من عناصر جزائرية كان قبل ذلك بقليل، ففي عام 1086م/1675هـ هزّب علي باي المرادي إلى قسنطينة، وهناك عقد تحالفا مع قبيلة الحنانشة حيث تزوج من ابنة شيخها سلطان بن منصور وأنجب منها ولدا سماه مراد (هو مراد III المعروف ببوبالة) وفي السنة الموالية 1087م/1676هـ حشد علي باي جموعا من الحنانشة ودخل تونس لمقاتلة أخيه محمد باي. حول هذه الواقعة أنظر: - أبي المهاجر دينار، المصدر السابق، ص ص 237-238. - أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص ص 49-50.

الأخوين المتنازعين على الحكم (محمد وعلي) أبناء مُراد الثاني، ومن هُنا نستنتج أن تدخل حُكَّام الجزائر لم يكن دائماً لأجل الحرب، بل أحياناً كان لرأب الصدع وجمع شمل المتخاصمين وهذا ما أكدّه المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف قائلاً: "فبان ان قدومهم لأجل الصلح بين طائفتين من المؤمنين اقتتلوا، وجمعوا الأخوين وعمّهما، وانعقد الصلح على أن يكون الملك بالحاضرة لعلي باي... ويكون محمد الحفصي باشا بالحاضرة... ومحمد باي يبقى بالقيروان والساحل... وأخذوا عليهم الأيمان والمواثيق... ورجعوا إلى بلادهم<sup>(2)</sup>".

**وثانيها:** كان عام (1095هـ/1684م) حيث تدخّلت محلّة الجزائريين لمساعدة الباي محمد والدّاي أحمد شلي<sup>(3)</sup> ضدّ الباي علي، ولما استقر الأمر لمحمد باي عادت المحلّة إلى الجزائر وهذا ما أكّده ابن أبي الضياف قائلاً: "ثم ارتحلت محلة الجزائر، وشايعها محمد باي واستقر بالمملكة"<sup>(4)</sup>.

**وثالثها:** كان في عام (1096هـ/1685م) لمساعدة الأخوين محمد وعلي اللذان تصالحا وتحالفا لمقاتلة الدّاي أحمد شلي الذي أراد أن يستأثر بالحكم في تونس، ودارت بين الطرفين معارك انهزم فيها الأخوان لذلك طلبا المساعدة من حاكم الجزائر.

وقد وصف لنا الوزير حمودة بن عبد العزيز الواقعة قائلاً: "وعلمنا أن لا طاقة لهما بأحمد شلي إلا بإعانة صاحب الجزائر وكان صاحبها في ذلك الوقت إبراهيم خوجة فأرسلنا محمد بن شكر كاهية محمد باي يطلب منه إخراج المحلة والتزم له بجميع ما تحتاج إليه وما يصرف عليها من مال ترجع إليه فخرج إبراهيم بنفسه في محلة من الجزائر وخرجت معه محلة من قسنطينة... صاحبها عبد الرحمن باي<sup>(5)</sup>..."، وفعلاً بقيت محلة الجزائريين تُحاصر الحاضرة "تونس" إلى جانب الأخوين وأحمد شلي مُتحصنين بها مُدَّةً تسعة أشهرٍ من أواخر شوال 1096هـ/1685م إلى رجب 1097هـ/1686م ثم تغلبوا

(1) هو الحاج محمد باشا من قدماء الرياس كان عجوزاً لما تولى الحكم لذلك ترك تسيير الأمور إلى صهره بابا حسن، إسترجع الرياس في عهده سطوتهم و لم يعترفوا بالمعاهدة السابقة مع فرنسا، فرجعت حالة الحرب معها، و في عهده أراد الإسبان من وهران احتلال تلمسان لكنهم فشلوا، كما أراد سلطان المغرب إسماعيل التوسع على المناطق الجزائرية المخاضية له لكنه فشل هو الآخر، أدرك الباشا محمد التريكي عجزه بسبب كبر سنه ففتح عن الحكم بنفسه و أولى مكانه صهره ثم إستقر بطرابلس. أنظر: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، ص42.

(2) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 54-55.

(3) تولى دايا علي تونس بين (1093-1097/1682-1686م) و في عهده إستتدت الفتنة المرادية بين الأخوين محمد و علي على السلطة وقتل الداي أحمد شلي نتيجة لهذه الحرب أنظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م1، ج2، ص 56-61.

روسو ألفونصو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تعريب محمد عبد الكريم الوائي، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1992، ص134.

(4) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج2، ص 58-59.

(5) حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج2، المخطوط، الورقة 83-2/ أنظر كذلك أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 59-60.

عليه وقتل، وتسلم الحُكْم محمد باي؛ أمّا علي باي فقتله الجند التونسي، ثم قفلت محلة الجزائريين راجعةً بعد انتهاء المهمة مُحَمَّلة بالهدايا والأموال<sup>(1)</sup>.

ورغم أن المؤرخين حمودة بن عبد العزيز وابن أبي الضياف يؤكدان أنّ تدخل عسكر الجزائر كان بطلبٍ من الأخوين "محمد وعلي"، نجدُ الإخباري ابن ميمون الجزائري مُعاصر الأحداث يذكُر أنه خلال هذه الفترة كانت الجزائر تواجه هجوماتٍ خارجيةٍ من طرف فرنسا وقلاقل داخلية كان مصدرها حاكم تونس-ويقصد أحمد شلي- وأنّ له يداً في ترويجها لذلك وَجَهَ إليه جيشاً تحت قيادة إبراهيم خوجة مصحوباً بالأخوين اللذان كانا ينازعانه العرش<sup>(2)</sup>.

وسواءً كان تدخل حُكّام الجزائر بطلب من الاخوين محمد وعلي؛ وهذا هو الراجح أو من أجل قطع دابر الفتن الداخلية والتي تسبب بها أحمد شلي، فإن النتيجة كانت هي القضاء عليه وهذه المصلحة المشتركة ما كانت لِيَتَحَقَّقَ لولا تدخل عسكر الجزائر.

**ورابعها:** كان في سنة (1105هـ/1694م) لمساعدة<sup>(3)</sup> محمد بن شكر ليصل إلى الحكم في تونس ضدّ محمد باي المرادي؛ و لِلْعِلْمِ فَإِنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ دَخَلَتِ الْجَزَائِرُ فِي حَرْبٍ مَعَ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى الَّذِي كَانَتْ جُيُوشُهُ تُغَيِّرُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْأُخْرَى عَلَى الْحُدُودِ الْجَزَائِرِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ، فَأَعْلَنَ الدَّايُّ شَعْبَانَ<sup>(4)</sup> الَّذِي حَكَمَ بَيْنَ (1688-1695م) الرَّدَّ عَلَيْهِ؛ وَجَهَّزَ حَمَلَةً وَتَحَرَّكَ صُوبَ الْمَغْرِبِ وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمَا حَرْباً انْتَصَرَ فِيهَا عَسْكَرُ الْجَزَائِرِ ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمَا صُلْحٌ<sup>(5)</sup>. وبعده مباشرةً لفتت الداي شعبان بجيوشه إلى تونس فاستولى عليها في وقتٍ قصيرٍ حسب ما أورده المؤرخ التونسي الصغير بن يوسف قائلاً: "...ففي

(1) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص 61.

(2) ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 21/ أنظر كذلك: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 1، ج 2، ص 63-65.

(3) هناك أسباب أخرى لهذه الحملة ضد تونس إضافة إلى مساندة ابن شكر منها:

- رفض الباي محمد المرادي دفع الضرائب التي إلتم بها في المرة السابقة.

- تحالف الباي محمد المرادي مع مولاي إسماعيل سلطان المغرب لمهاجمة الجزائر و كذا، مساندة فرنسا للتونسيين بالسلاح، لذلك تدخلت الجزائر بتونس لإنهاء هذا التحالف الذي كاد أن ينهي إيالة الجزائر لو نجح. حول ذلك أنظر: ابن ميمون، المصدر السابق، ص 25،/ جمال قنان، معاهدات الجزائر

مع فرنسا (1619-1830)، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص 142.

(4) كان من رياس البحر و من كبار المحاربين خاض عدّة حروب ضدّ تونس من أجل تأييد طرف ضدّ آخر للوصول إلى السلطة كما تصدى لأطماع السلطان المغربي إسماعيل في بعض التراب الجزائري وتصدى لمؤامرة داخلية بدعم من محمد باي المرادي من حاكم تونس و إسماعيل حاكم المغرب، و رغم ذلك تمرد الجيش ضدّه لما أراد معاودة الحرب ضدّ تونس بسبب التعب و الحر المستمرة لثلاث سنوات مستمرة فسجنوه ثم قُتل بأمر من أحمد باشا خليفته. للمزيد حول هذه الشخصية المهمة أنظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 2، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2005، صص 321-322.

(5) ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 23. حول وقائع هذه الحروب مع المغرب الأقصى وأسبابها ومسألة الصلح أنظر كذلك: عزيز سامح التري، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص ص 437-441.

لحظة واحدة...أخذوا السبعة محال وما فيها ووطاق محمد باي بن مُراد وخزانيه وأمواله ومراكيبه ومدافعه<sup>(1)</sup>...، ثم عاد إلى الجزائر بغنائم كثيرة بعدما ألزم رعيتهما بدفع ضريبة سنوية وترك أحمد بن شكر بايا هناك<sup>(2)</sup>، ونفس الرواية أكدها كُلاً من المؤرخ الجزائري ابن المفتي بأن حملة "الحاج شعبان خوجة" مع ابن شكر استغرقت قرابة الشهر ثم ترك فيها نوابه وعاد إلى الجزائر بغنيمة ثرية<sup>(3)</sup>.

والمؤرخ التونسي الصغير بن يوسف الذي تكلم بالتفصيل عن دخول "شعبان خوجة" مدينة تونس وتولى رئاسة ديوانها وجلس على كُرسي مَلوكي ورَثَب الحُكم لابن شكر ثمَّ عاد إلى الجزائر<sup>(4)</sup>. ومن خلال قِراءتنا لمختلف الروايات التي ذكرتها المصادر المحليّة سواء التونسية أو الجزائرية نَحُلص إلى ما يلي:

- أن تدخل حُكّام الجزائر وعسكرها في شؤون تونس الداخلية كان دائماً بطلب من أطراف الصراع التونسي، ولم يكن تدخّل جزائري محظ<sup>(5)</sup>.

- أن حُكّام تونس ذوي الأصول التركية كانوا يعتبرون أنفسهم حالاً واحداً مع أوجاق (أي عسكر) الجزائر العثمانيين فمتى احتاجوا إلى مساعدة طلبوها دون أن يعتبروا ذلك تدخلاً أو مساساً بسيادة تونس.

- أنّ التّدخّل الرابع كان بطلبٍ من كاهية "محمد باي المرادي" وصهره ابن شُكر الذي فرَّ إلى الجزائر وطلب المساعدة من حاكمها عام 1689م ولم ينجح في مسعاه، فبقي لاجئاً في الجزائر وأعاد الطلب عام 1694م زمن الدّاي "شعبان خوجة" وتمَّ له ذلك<sup>(6)</sup>. إضافة إلى عوامل أخرى سبق ذكرها.

<sup>(1)</sup> الصغير بن يوسف، المصدر السابق، المجلد 1، ص 135. أنظر كذلك: حمودة بن عبد العزيز الذي يروي الواقعة قائلاً: "فجعل عسكر الجزائر يتقرب إلينا... خطوة بعد خطوة وجعلنا كلما تقربوا خطوة تأخرنا خطوة فلما رأى محمد باي تصميم العدو وأتمّ كلما زادوا إقداماً زاد عسكره إحجاماً.. فكانت الهزيمة واستولوا على المحال بما فيها وأخذت مضارب محمد باي وفيها أموال عظيمة وكان ذلك لثلاث مضت من ذي القعدة سنة خمس ومايه وألف... أنظر الكتاب الباشي، ج 2، المخطوط، الورقة 87-2.

<sup>(2)</sup> ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 24.

<sup>(3)</sup> ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2008، ص 71. كما ذكر دي غرامون أن الداي شعبان عاد من تونس محملاً بالغنائم و التي قُدرت ب: 120 بغلاً محملاً بالذهب و الفضة و كمية من المدافع و عدد كبير من العبيد أنظر: مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 197.

<sup>(4)</sup> الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م 1، ص 256-259.

<sup>(5)</sup> وفي هذا الشأن قال الصغير بن يوسف: "ولما أن قدر الله على مملكة تونس ساعة ساعة يسلط عليهم الجزيرية فيهرب إليهم هارب أو غاصب أو طالب مملكة تونس فيدخل الجزائر فيكروونه ويوعدونه بنصره والخروج معه ويقدمون على القتال... مع أبناء عمهم لأجل تولية سلطنته"، الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م 1، ص 131-132.

<sup>(6)</sup> حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج 2، المخطوط، الورقة 27-2/. والوزير السراج، المصدر السابق، ج 2، ص 568.

و الأكثر من ذلك أن ابن شكر ثارت ضده العامة وخلع من الحكم بعد مغادرة "شعبان خوجة" تونس، وأعيد "محمد باي المرادي" إلى كرسي الحكم، ولما علم "شعبان خوجة" بذلك قرّر العودة إلى تونس لمعاقبة المتمردين على أوامره لكن الجيش الانكشاري الجزائري ثار ضده وعارضوا عودته لمحاربة تونس مرة أخرى، ودفع حياته ثمنا لذلك عام 1695م<sup>(1)</sup>.

و من هنا نستنتج أن الصراع الذي كان قائماً بين حكام تونس وما يدور حوله من مشاكل كان يُصدّر نحو الجزائر و يرمي بثقله عليها و يُقحم حكامها و جيشها الانكشاري فيه كلما تجدد، لكنّ عسكر الجزائر ملّ الدخول في مثل هذه الحروب وثار ضدّ الداوي "شعبان خوجة" وضحو به من أجل ذلك رغم شجاعته وحزمه وقوته المشهود له بها<sup>(2)</sup>.

- كما نستنتج أنه على الرغم من أن هذه الحملات الموجهة نحو تونس كانت ضمنيًا من أجل تحقيق مكاسب مالية وضمن موارد قارة للخرينة، لكنّها في المقابل كانت مكلفة جدًا بشرياً ومادياً ومُرهقة ومُتعبة، وعلى جبهتين متباعدتين (تونس والمغرب) وكلّ ذلك أثّر سلباً على الجزائر وعلى استقرارها وإمكاناتها المالية خاصة، وجعلها عُرضةً للإعتداءات الخارجية هذا إضافةً إلى تحديات الداخل من قحطٍ ومجاعاتٍ وأوبئةٍ.

- وأهم ملاحظة يخرج بها القارئ لرواية المؤرخ التونسي الصغير بن يوسف و هو يعرض هذه الحادثة إشادته بقوة وشجاعة وتماسك عسكر الجزائر في الحروب عكس الجيش التونسي، ومثل هذه الملاحظة ستتكرر في مواطن أخرى كثيرة رغم أن الحرب دائرة على التراب التونسي، ممّا يدلُّ على موضوعية الكاتب وعدم تحيزه، ولإثبات ذلك ندرج مثلاً على ذلك حيث قال: (...وأما الجزائر فسلطنة قوية برا وبحرا ورعية، وأمرهم تام... وحاكمهم واحد منهم تركي عجمي لا يقدمون كوغلي... ولا يقدمون في المراتب المعترية إلا من جنسهم، وابن عمهم تركي عجمي، فصار أمرهم محكوما، لا محطوما ولا مفروسا، وهي أقدم وأسبق من مملكة تونس<sup>(3)</sup>).

وهذه الشهادة تحمل دالتين، الأولى هي قوة وشجاعة عسكر الجزائر، والثانية أن السُلطة في الجزائر كانت حكرًا على العنصر العثماني فقط، وإن كانت هذه الخاصية تبدو سلبية لعدم إشراك العنصر المحلي الكورغلي في الحكم إلا أنها في نظر الصغير بن يوسف -الكورغلي- ايجابية لأنها حافظت

(1) ابن ميمون، المصدر السابق، ص25/ الوزير السراج، المصدر السابق، ج2، ص579.

(2) ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص23-24./ أنظر كذلك: الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م1، ص260.

(3) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م1، ص131.

على تماسك الحكم بالجزائر، عكس تونس التي كانت تشهد صراعاً عائلياً بين أبناء الأسرة المرادية، وصراعاً سياسياً<sup>(1)</sup> بين أصحاب المناصب الثلاثة الباشا والداي اللذان يُمثّلان السُلطة العثمانية و مدعومان بالجيش الانكشاري، والباي الذي يُمثّل السُلطة المحلية لأنّه كورغلي، ومحاط بجيش من القبائل والأعراب<sup>(2)</sup>، وهذا ما حصل بين أبناء مُراد (محمد وعلي) وبين الدّاي أحمد شلي الذي استدعى تدخّل حُكام الجزائر عام 1685م.

كما أنّ هناك شهادة أخرى جديدة بالتّوقف ملياً عندها، وهي التي أدلى بها المؤرخ التّونسي أحمد برناز<sup>(3)</sup> الذي زار مدينة الجزائر والتقى بحاكمها "شعبان خوجة" في داره حيث يصفه بصفات جيّدة قائلاً: "...وكان في أيام دولته مهما قعد في دار السلطان للحكم لم يدع المصحف من يده، غالباً تفرغه يقرأ القرآن، ويصوم الاثني والخميس ويصوم الثلاثة أشهر والأيام البيض، ورأيته أنا مرّة في داره وفي رجله نعل عتيق، وهو حاكم وليس بباب داره حاجب ولا بواب، ماعدا نصرانياً أشيب واقفا في الباب لقضاء حاجة داره...".

(1) نلاحظ أنّ هناك ثلاثة مناصب كانت تُسير دفة الحكم بتونس خلال العهد العثماني وهي الداي والباي والباشا، فالداي كان ممثّل الطائفة العسكرية التركية أي المسؤول عن المؤسسة العسكرية والباي هو قائد الأحمال التي تجوب البلاد وتجمع الضرائب و من مهامه ترويض القبائل كذلك وتدخل تحت إمرته عدّة فرق عسكرية محلية، والباشا كان ممثّل السُلطة العثمانية لأنه يُعيّن من طرف الباب العالي، وما حصل أنّ التحاسد والتنافس والتداخل في المهام والرغبة في الانفراد بالسُلطة قد وُلد صراعاً مريزاً بين هذه المناصب الثلاثة وجرّ معه البلاد إلى فتن داخلية وحروب، والغريب في الأمر أنّ هذه الحروب كان أحد أطرافها مدعوماً من عسكر الجزائر ويتدخلون لصالحه وهذا ما حصل أثناء هذه الحرب الأهلية داخل البيت المرادي. حول هذا الصراع الذي ظهر بتونس مبكراً- منذ الحكم المرادي الأول- بين أصحاب هذه المناصب أنظر:

- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، م، 1، ج، 2، ص 42.

- محمد هادي شريف، السُلطة والمجتمع في تونس عهد حسين بن علي (1705-1740م)، د.ط، ج، 1، ج، 2، المكتبة الجامعية، تونس 2008، ص 66.

- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 61-62.

- كمال مايدي، السُلطة والمجتمع بأبالة تونس خلال العهد الحسيني 1705-1814م، مقارنة سياسية اجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، غرداية، رسالة دكتوراه، 2017/2018، ص 21-22. (غ.م).

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، ص 135/ أنظر كذلك: حسين خوجة، ذيل كتاب بشائر أهل الإيمان، ص 13.

(3) وُلد عام 1663 وتوفي 1726م في عهد الأمير حسين بن علي، زار الجزائر وعمره يُقارب العشرين سنة فزار من اضطهاد الداي طاطار، حيث دخل عنابة ثم قسنطينة أين كانت له حظوة بحاكمها "علي خوجة" الذي أصبح يستشيريه في عدّة قضايا وكان ذلك سنة 1107هـ/1695م، ثم واصل سيره نحو بلاد زواوة ثم مدينة الجزائر ثم رجع إلى تونس، أحمد برناز، الشهب المحرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المحرقة، تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص 8-9. حول هذه الشخصية كذلك أنظر الفصل الثقافي من هذه الرسالة هناك تعريف وافي حوله في مبحث هجرة العلماء بين الجزائر وتونس.

ثمَّ يَنْعُتُهُ بِأَنْعَاتٍ سَيِّئَةٍ مِثْلَ: "فإنه رجل ظلوم في أخذ أموال الناس بالباطل..، وقتل الرقاب... توجه لقتال محمد باي بتونس، وعاد فيها بأخذ الأموال، وقتل الرقاب"<sup>(1)</sup>... "كما يُورد برناز أن مسألة ثوران الجيش ضد "شعبان خوجة" وقتله كانت بسبب دعوة وكرامة الشيخ الولي علي عزوز"<sup>(2)</sup> الذي أرسله محمد باي المرادي سنة 1106هـ/1695م مع جمع من العلماء إلى "شعبان خوجة" من أجل الصلح، فأساء استقبالهم ورفض هديتهم والصلح معاً وأمر جنده بالتوجه إلى تونس لقتال "محمد باي" فغضب عليه الشيخ عزوز المشهود له بالولاية والكرامة في تونس ومصر والحرمين، وكان ذلك سبباً في مقتله من طرف جيشه"<sup>(3)</sup>.

في حين أنّ الصغير بن يوسف يُشير إلى شجاعة وقوة الدّاي "شعبان خوجة" ويورد قصّةً مُغايرةً تماماً لمقتله على يد جيشه مفادها، أنّ الجيش كان خارج مدينة الجزائر في مُهمةٍ لِمُدّةٍ سِتّةٍ أشهرٍ ولمّا عاد واقترب من مدينة الجزائر أرسل إليهم "شعبان خوجة" أمراً بعدم الدّخول، والتّوجه حالاً إلى تونس لمقاتلة "محمد باي المرادي" الذي خالف أوامر "شعبان خوجة" وخلع الباي "محمد بن شكر" و نصّب نفسه باياً مكانه، لكنّ الجيش كان مُتعباً وفي حاجةٍ إلى مُهلةٍ لزيارة عائلاتهم وتنفّذ أحوالهم ثمّ التهيؤُ مُجدداً للخروج، فطلبوا بعض الوقت كمهلة فرفض "شعبان خوجة" ذلك وهذا ما جعل الجيش يثور ضده من شدّة التّعبِ ويقتله، لكنّ الأحداث تمّ تأويلها بشكلٍ مخالفٍ للواقع؛ ولا يخفي أمرٌ إعتقاد أهل الجزائر وحتى تونس في كرامات المشايخ و الأولياء لذلك إعتقدوا أنّ مقتل دولاتلي الجزائر شعبان كان بسبب دعاء الشيخ علي عزوز عليه"<sup>(4)</sup>.

وحول رواية الشيخ علي عزوز الذي يُبجّله برناز وحتى الصغير بن يوسف، يرى الأستاذ المرحوم أبو القاسم سعد الله أنّ هذه الشخصية تُحوم حولها الشكوك وهناك احتمال كبير في كونه عين من أعين حاكم المغرب "المولى إسماعيل"؛ أي جاسوس في هيئة رجل دين وصلاح وولاية؛ وكلفه بإفساد العلاقة بين الجزائر وتونس، وهذا ما جعل "شعبان خوجة" يُسيءُ مُعامَلته ويرفض هديته لأنّه تفتنّ

(1) أحمد برناز، المصدر السابق، ص 284.

(2) ولد بنفاس وبما تعلم ثم سافر إلى الحج مرتين ثم استقر بتونس حيث ذاع صيته وأصبحت له زاوية يقصدها العلماء والمردون، فهو شخصية غريبة ظهرها الصلاح والكرامة والدروشة وباطنها ربما الدهاء والدبلوماسية، وما حصل بالجزائر مع الداي "شعبان خوجة" لما جاءها "علي عزوز" يثبت ذلك. حول هذه الشخصية أنظر: أحمد برناز، المصدر السابق، ص 19-21.

- حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الأيمان، ص 287-302.

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المجلد 2، ص 323-324.

(3) برناز، المصدر السابق، ص 20.

(4) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 268-272.

لذلك<sup>(1)</sup>، وما يُعزّز هذا الاعتقاد أنّ الدّاي "شعبان خوجة" وهو يُساق إلى حَتْفِهِ قال لجيشه: "...ويلكم، وأكثر ويلكم، أمثلي يقتل اتركوني في مكان وولوا غيري حتى أدبر أمركم وأقاتل عدوكم ومهما اختلفت آراؤكم جمعتها بينكم..."

ولما قُضي أمره عُسِل من طرف علي عزوز مع من عَسَلَهُ وصلى عليه، ثم بقي مُدَّةً في مدينة الجزائر يَنعَمُ بِإِقَامَةٍ فَارِهَةٍ إلى أن نُصِّبَ حَاكِمَ آخِرٍ وَقَابَلَهُ وَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ وَمَسْأَلَةَ الصُّلْحِ ثُمَّ عاد إلى تونس أين وَجَدَ الاستقبال الحار لنجاحه في مُهمَّةِ الصُّلْحِ<sup>(2)</sup> ظاهراً، والقضاء على أَلَدِ الحِصَامِ "شعبان خوجة" باطناً و هو الأمر الذي لم تفصح عليه المصادر التونسية(لأن مثل هذه المهام أصلاً تكون سرّاً بين الحاكم و المبعوث لذلك لم تسمع بها العامة و لو كان مؤرخين).

إنّ ما ورد من آراء و أخبار حول قصة مقتل الدّاي "شعبان" في المصار التونسية تدعو إلى البحث المعمق حول هذه الشخصية القوية و الشجاعة لمعرفة هل كان لحاكم تونس و ربما حتى المغرب يدٌ في ذلك من عدمه؛ لأنه من المعروف تاريخياً أنّ سلاطين المغرب الأقصى في بداية العهود الأولى للوجود العثماني في الجزائر، كانوا يشنون حملات عسكرية ضدّ الجزائر لوقف المد العثماني إلى مملكتهم؛ إلا أنّه في العهود الأخيرة، قد غيروا أسلوب تعاملهم مع الجزائر فكانوا يوظفون رجال الدّين لإثارة الفتن و القلاقل في الجزائر.

### 1-2- هجوم مُراد باي الثالث على قسنطينة عام 1112هـ/1700م:

يعتبر "مراد باي الثالث" (حكم 1699-1702م) آخر السُّلالة المرادية على حُكم تونس و التي بدأ حكمها منذ 1613م، وصل إلى السُّلطة في مُقتبل العُمُر (لم يتجاوز الثمانية عشر سنة)<sup>(3)</sup> و تُجمَعُ المصادرُ التاريخية على ظلّمه للرّعية واستباحته للمحارم و شراهةً منقطعاً النّظير في سفك الدماء دون وجه حق، وله سيف يسمى البالة لا يكاد يَمُرُّ عليه يوم إلاّ وقتل به حتى أصبح يُعرف بـ"أبو بالة"<sup>(4)</sup>، وينعته المؤرخ حسين خوجة الذي عاصره<sup>(5)</sup> قائلاً: "...وسار مراد باي سيرة خبيثة وأخذ في قتل

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، مج 2، ص 323.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 272-275.

(3) روسو ألفونزو، المصدر السابق، ص 147.

(4) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص 73.

(5) لأن حسين خوجة ولد حوالي 1666م وتوفي حوالي 1732م.

النفوس ونهب الأموال وهتك الستور والمجاهرة بشرب الخمر وأفعال الشنايع والفجور وارتكب كل قبيحة وقتل الأطفال واستباح المحرمات<sup>(1)</sup>....".

ولم تتوقف سياسته التعسفية عند تونس فقط، بل تعدّها إلى الجزائر حيث عقد تحالفاً مع سلطان فاس "إسماعيل" كما إتصل بصاحب طرابلس الغرب "خليل باي" وضمّن مساندتهما له بشنّ هجوم عسكري على الجزائر يكون في وقت واحدٍ من جهة الشرق والغرب، ثمّ حرّك حملة<sup>(2)</sup> عسكرية كبيرة نحو قسنطينة في صائفة عام 1700م تتكون من اثني عشر ألف جندي مشاة، وأربعة آلاف فارس، واثني وثلاثين مدفعا<sup>(3)</sup>، وقبل وصوله إلى قسنطينة قام بذبح حُرّاس الحصون<sup>(4)</sup>، ثم خرج له حاكمها الباي "علي خوجة" والتقي الجمعان في معركة أولية في جويلية 1700م وكان النصر فيها حليف "مراد باي" الذي قتل ثلاثمائة جندي من عسكر "علي خوجة" ثم قام بمحاصرة مدينة قسنطينة خمسة أشهرٍ وانضمت إليه قوات "خليل" باي طرابلس المتكونة من ألف وخمسمائة فارس<sup>(5)</sup>، وعرض "مراد باي" الأمان على سكان مدينة قسنطينة فرفضوا؛ فأمر بقصف المدينة لكنّها صمدت إلى أن وصل جيشٌ كبيرٌ من الجزائر يتقدمهم الدّاي "عطشي أو عشي مصطفى" حكم (1700-1705م) ووقعت المواجهة بين الطرفين في معركة حاسمة بمنطقة "جوامع العلمة"<sup>(6)</sup> في

<sup>(1)</sup> حول أفعاله الشنيعة أنظر: حسين خوجة، ذيل كتاب بشائر أهل الأيمان، ص 14. / حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج 1، قسم السيرة، ص 299.

<sup>(2)</sup> هناك عدة أسباب - حسب المصادر التونسية - جعلت مراد باي الثالث يقرّ شنّ حملة على الجزائر وهي أنه أرسل هدية لحاكم الجزائر لما أصبح باياً فردّها عليه وهذا ما جعله يشنّ غضباً، إضافة إلى أن عسكر الجزائر كانوا سببا في مقتل والده علي باي عام 1686م، وهناك أسباب أخرى للمزيد أنظر: حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج 2 (المخطوط) الورقة 92-2.

- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، م 1، ج 2، ص 75.

- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 12-14.

<sup>(3)</sup> أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 3190، الورقة 53. حول هذه الوثيقة التي نقلت وقائع هذا الاعتداء أنظر الملحق رقم 2.

<sup>(4)</sup> ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 26.

<sup>(5)</sup> ذكرت المصادر التاريخية أن، حصار مراد باي الثالث لقسنطينة كان لمدة خمسة أشهر في حين ذكرت الوثيقة الأرشيفية سابقة الذكر أنه كان لمدة تسعون يوماً، كما ذكر صاحب الكتاب الباشي أن مراد باي طلب الأمان أي الصلح من سكان قسنطينة لكي تفتح أبوابها لكن الوثيقة الأرشيفية لم تشر لأمر الصلح، بل تؤكد أن الطرف الجزائري هو من طلب الصلح من مراد باي ولكنه رفضه. أنظر:

- حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، (المخطوط) الورقة 92-2.

- أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ قسنطينة، تح رابع بونار، (د.ت.ن)، ص 44.

<sup>(6)</sup> نجد بعض الاختلاف بين المصادر في تسمية مكان وتاريخ هذه المعركة، فصاحب تاريخ قسنطينة كتب بمنطقة "جوامع العلمة" وصاحب الاتحاف يُسميها "جوامع العلماء"، والوثيقة الأرشيفية تسميها بموضع "الجامع الصغير"، أما حول تاريخها فذكر حسين خوجة أنها كانت في ربيع الأول سنة 1112هـ، في حين ذكرت الوثيقة الأرشيفية أنها كانت "... سنة ألف ومائة واحد عشر تاسع من ربيع الثاني..." حول هذه المعركة أنظر: أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية المجموعة 3190 الملف الأول، الورقة 53. ملحق رقم 2 / ابن المبارك، تاريخ قسنطينة، ص 44-45. / ابن عبد العزيز، الكتاب

(17 ربيع الثاني 1112هـ/1 أكتوبر 1700م) حيث انتصرت فيها الانكشارية الجزائرية على الجيش التونسي<sup>(1)</sup> فذبحت منهم ألفين وعادت إلى الجزائر مرفوعة الرأس يتقدمها الدّاي "عشي مصطفى"، ثمّ توجه رُفقة جيشه لمُحاربة حاكم فاس "المولى إسماعيل" الذي اتَّفَق مع "مراد باي الثاني" على مُحاربة الجزائر كما امتنع عن دَفْع الضَّريبة التي تعهَّد بها للجزائر سنة 1105هـ/1694م؛ ورغم كثرة القوات المغربية (خمسين ألف)، فقد انتصر عليهم الجيش الجزائري الذي كان قوامه ستة آلاف من المشاة وألف فارس<sup>(2)</sup>.

وأما "مراد باي الثالث" فعاد مهزوماً إلى تونس، ورغم أن الدّولة العثمانية قد تدخّلت لعقد الصُّلح بين أوجاق الجزائر وتونس لأتّهم مسلمون من جهة و يدخلون ضمن صلاحياتها من جهة أخرى، إلّا أنّ "مراد باي" أراد الانتقام من الجزائر لحو آثار الهزيمة التي مُني بها ضارباً باتفاقية الصُّلح هذه عرض الحائط<sup>(3)</sup>؛ وجَهَّز جيشاً وحاول مُعاودة الكرّة على الجزائر لكنّ أحد خُدامه و هو "إبراهيم الشريف"<sup>(4)</sup> "أغا الصبايحية"<sup>(5)</sup> قام باغتياله قُرب مدينة باجة التونسية في (13 محرم

الباشي، ج2 (المخطوط) الورقة 92-2، 93-1. / حسين خوجة، المصدر السابق، ص 14-15. / ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مع 1، ج2، ص75.

<sup>(1)</sup> يذكر صاحب كتاب تاريخ قسنطينة أن مراد باي الثالث فرّ بعد الهزيمة إلى تونس رفقة خمسين فارس فقط، وغنم الجزائريون محلته و 25 مدفعا تم جرّهما إلى مدينة قسنطينة، وبخصوص جيشه من الأتراك تم تسريحهم، بعضهم عاد إلى تونس وبعضهم انضم إلى عسكر الجزائر. أنظر: أحمد بن المبارك، المصدر السابق، ص45.

<sup>(2)</sup> ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 26-27. تكلم كذلك صاحب دليل الحيران عن أطماع حاكم المغرب الأقصى في بايلك الغرب الجزائري، أنظر: ابن يوسف محمد الزباني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تق، تع المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2007، ص151.

(E) Plantet , *correspondance des Deys d'alger avec la cour de France*, T2, (1700-1830), Paris, 1889, p10.

<sup>(3)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص 76-78.

هناك وثيقة أرشيفية تعرض نموذجا لمراسلة صلح من الباب العالي إلى أوجاق الجزائر وتونس وطرابلس الغرب. أنظر: وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 3190، الملف الأول، الورقة 07. تدرج كملحق رقم 3.

كما أوفد الباب العالي في عهد السلطان أحمد الثاني (1691-1695م) ممثلين له إلى حكام المغرب الإسلامي (أحمد باشا إلى طرابلس الغرب وعمر باشا إلى الجزائر) يبحثهم على العيش في سلام وعدم الاقتتال فيما بينهم. أنظر: شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد بن عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1994، ص234.

<sup>(4)</sup> تركي الأصل والنشأة يُقال أنه من عسكر الجزائر الذين أتوا مع الثائر محمد بن شكر وتحلف بتونس، ورُسم في ديوان جُندها، وترقى في الوظائف حتى أصبح آغا صبايحية الثُرك وهو الذي ستم له البيعة لحكم تونس بعد مقتل مراد باي الثالث. أنظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص80.

<sup>(5)</sup> آغا كلمة فارسية الأصل تعني السيد أو الرئيس كما تعني بالتركية الأخ الأكبر، ويطلق هذا اللفظ للدلالة على بعض الرُّتب العسكرية والمدنية.

الصبايحية: هم فرق أمنية مهمتهم حفظ الأمن وتأمين السبل. أنظر: رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814م) منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980، ص55. وكذا:

(D). Peyssonnel : *voyages dans les régences de Tunis et d'Alger*, Voll, Librairie degide, paris , 1838, p61.

1114هـ/10 جوان 1702م) كما قام بقتل ما بقي من نَسُل المراديين<sup>(1)</sup>، وبذلك انتهى فصلٌ طويلٌ من الحرب الأهلية المرادية بتونس على السُّلطة والتي كان لهيئها يصل إلى التراب الجزائري من حينٍ لآخر.

### 1-3- الحرب بين الجزائر وتونس زمن إبراهيم الشريف عام 1117هـ/1705م:

بِنهاية الدَّولة المرادية بمقتل "مراد باي الثالث" تولى حُكم تونس "إبراهيم الشريف"<sup>(2)</sup> (1702/1705م) الذي سعى إلى تحسين علاقاته مع الجزائر في بداية عهده وأعلن عن التَّرحيب بالجزائريين الذين يرغبون في التَّجارة بتونس، علماً أن "مراد باي الثالث" قبله كان قد طردهم أثناء قيامه بحملته العسكرية على بايلك الشرق (قسطنطينة عام 1700م) ورَحَّب حُكام الجزائر بهذه النوايا الحسنة لإصلاح ما فسد من العلاقات بين الإيالتين<sup>(3)</sup>، لكنَّ الأمر لم يدم طويلاً.

وبحلول عام 1705م بدأ حاكم تونس يستعدُّ لمحاربة الجزائريين حيث حصَّن مدينة الكاف - التي تعتبر مفتاح الإيالة التونسية من جهة الغرب - لأنَّها المحطة الأولى التي يجتازها عسكر الجزائر باتجاه الحاضرة، وشحَّنها بالذخائر والميرة وآلات الحرب<sup>(4)</sup> واستكثر من الجند - سبعمائة رجل - وجعلهم تحت إمرة شقيقه "محمد"، وخلال شهر محرم من عام 1117هـ/أفريل 1705م شاع خبر قدوم الجيش الجزائري بقيادة الدَّاي "عشي مصطفى" فخرج "إبراهيم الشريف" لمواجهةهم، حيث التقى الجمعان قُرب الكاف في 17 ربيع الأول/7 جويلية من نفس السنة<sup>(5)</sup>.

و أسفرت المعركة عن إهزام "إبراهيم الشريف" الذي تحلَّت عنه بعض قُواته النَّظامية التي كان يُفودها وزيره وصاحبُ سره محمد بن مصطفى المعروف "بابن فطيمة" كما هربت عنه بعض القبائل التخومية وانضمت إلى صفِّ الجزائريين مثل أولاد سعيد ودريد وتبعهم الكثير من العرب الذين استباح أموالهم - أي إبراهيم الشريف - وقتل ذريتهم واستاق إبلهم وخيلهم فتنكرت له عند ساعة الحسم و انقلبت ضده، ولم يبق معه إلا فرسان الصبايحية - الجيش الانكشاري - وشرذمة من العرب؛ و تذكر المصادر الجزائرية أن داي الجزائر "مصطفى" قد راسل "إبراهيم الشريف" في أمر الصُّلح قبل الحرب مُقابل دفع غرامة مقدارها ألف بغير وأن يُسلِّم أبناءه للجزائر كرهائن لضمان تنفيذ الصُّلح، لكنَّ الباي "إبراهيم الشريف" رفض ذلك، وآثار الحرب وإنهزم فيها، وتمَّ أسره مع أخيه من طرف عسكر

<sup>(1)</sup> حسين حوجة، ذيل كتاب بشائر أهل الأيمان، ص 14-15. ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م، ج 2، ص 78.

<sup>(2)</sup> حول ظروف توليه الحُكم سرًا بأمر من السلطان العثماني أنظر: الوزير السراج، المصدر السابق، ج 2، ص 673.

<sup>(3)</sup> بن خرف، المرجع السابق، ص 38-40.

<sup>(4)</sup> همودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج 2 (المخطوط) الورقة 95-1. ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م، ج 2، ص 81-83.

<sup>(5)</sup> روسو ألفونصو، الحوليات التونسية، ص 154-155.

الجزائر، وبذلك انتهت دولة "إبراهيم الشريف" -أي فترة حكمه- التي اتسمت بالعدائية اتجاه جيرانه طرابلس الغرب وكذا الجزائر<sup>(1)</sup>.

ولفهم حيثيات هذه الأحداث قُمنّا بدراسة و مقارنة لما جاء في مراسلة "وثيقة أرشيفية"؛ من حُكّام الجزائر إلى الباب العالي للتوضيح والاحتجاج وعرض حال حول حملة "مراد باي الثالث" على قسنطينة ومقارنتها بما جاء في المصادر المحلية التونسية و كذا الجزائرية، و كذلك حول الحرب مع "إبراهيم الشريف" الذي خَلَفَ "مراد باي" على حُكم تونس، نخرج بمجموعة من الاستنتاجات هي:  
- أن هُجوم "مراد باي الثالث" على الجزائر يعتبر سابقة في تاريخ العلاقات بين الجزائر وتونس، فلم يحدث قَبْلَهُ من حُكم تونس من تجرأ على فعل ذلك، وعادةً ما كان حُكّام الجزائر هم من يتدخل في شؤون تونس و يطلب من أطراف الصراع وليس العكس.

- كما ذكرت الوثيقة الأرشيفية أن أوجاق الجزائر قد راسلوا "مراد باي الثالث" بشأن الصلح لتجنب الحرب بين الأيالتين لكن المصادر التونسية ذكرت عكس ذلك و هو أن "مراد باي" كان سابقاً لعرض هديته-أي صداقته-على حُكّام الجزائر بعد توليه الحكم عام 1699م، لكن حُكّام الجزائر رفضوا تلك الهدية وردوها.

- و أكّدت المصادر التونسية أن "مراد باي" عرض الأمان (أي تسليم المدينة) على سكان مدينة قسنطينة عند محاصرتها ورفض أهلها ذلك، لكن الوثيقة الأرشيفية لم تذكر ذلك.

- و ذكر صاحب كتاب تاريخ قسنطينة وكذا الوثيقة الأرشيفية أنه بعد إنحزام "مراد باي"، فإن جيشه الانكشاري (التركي) كما تنعته المصادر، قد تمَّ إكرامه من طرف عسكر الجزائر و لم يُهان؛ باعتبار

<sup>(1)</sup> ذكر صاحب كتاب نزهة الأنظار أن "إبراهيم الشريف" شنَّ حرباً على طرابلس الغرب عام 1704م لأسباب يطول ذكرها، وما يهْمُنَا أنه اعتبر الجزائر هي المحرّضة على هذه الحرب مقابل حصولها على شحنات من القمح كانت بحاجة له بسبب القحط الذي عرّفته، لكن حمودة بن عبد العزيز ذكر أن صاحب طرابلس الغرب "خليل الأرنؤوطي" كان على علاقة جيدة مع الباي التونسي "مراد الثالث" وسانده في حصاره لقسنطينة عام 1700م، وتأسف لمقتله وحاول الانتقام من "إبراهيم الشريف" الذي قتله، في حين ذكر ابن أبي الضياف أن الجزائر قد تحالفت مع طرابلس الغرب وتونس سرّاً وفي وقت واحد قائلاً: "...وصاحب الجزائر من خلال ذلك، يغري كلاً بصاحبه، ويعدّه النصر..."

في حين يرى روسو أن الجزائر عقدت تحالفاً مع طرابلس الغرب لإعلان الحرب على "إبراهيم الشريف" الذي فضّل تصدير القمح إلى أوروبا عوض الجزائر و اكتفى بتزويدها بكمية قليلة. حول تفاصيل هذه الحرب التي شتتها تونس ضد طرابلس الغرب ثم الجزائر أنظر:

- محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، مج2، تح علي الزواري ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص151.

- حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج2 (المخطوط) الورقة 94-2.

- ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 82-83.

- روسو ألفونصو، المصدر السابق، ص153.

كونهم كُلمهم أتراك وينتمون إلى الدولة العثمانية، فبعضهم عاد إلى تونس والبعض الآخر آثر البقاء في الجزائر وانضم إلى الجيش الانكشاري، وفي هذا دلالة على أن الجيش الانكشاري وخاصةً التونسي كان يعتبر العمل في الجيش وظيفة لأجل الراتب وحصل عدة مرات أنه إنحاز إلى الصّف الجزائري أثناء الحرب مما يدل أن الصراع كان بين الحكام وفي أغلب الأحيان صراع مصالح بالدرجة الأولى.

- كما تُطلعنا الوثيقة أن الجزائر خلال هذه الفترة كانت تواجه أخطارًا خارجيةً متنوعةً من العدو الإسباني الذي كان جاثمًا على إحدى مُدُنّها وهران، أو التّهديد المتكرر من الجارة المغرب الأقصى على حدودها الغربية؛ و العُربان المتعاونين معهم، وهذا يفتح نافذة أخرى عن طبيعة العلاقات بين حُكّام الجزائر العثمانيين وحُكّام المغرب الدّين لم يدخلوا ضمن الخلافة العثمانية، وهذا الصراع كان يتجدد من حينٍ لآخر، فالمغرب كان حُكّامها أطماعٌ في ضمّ منطقة تلمسان بحجّة أنّ العثمانيين عجمٌ وموطنهم بلاد الروم، وسُكان تلمسان عرب فهم أولى بهم، وهذا ما أكّده المصادر المحلية<sup>(1)</sup>.

-والشيء الملفت للانتباه وللأسؤال في نفس الوقت، هو موقف الباب العالي من هذه الحروب التي أتمّكت أياالات المغرب الإسلامي و الدّلي تُعتبر الجزائر أهمّ قلعةٍ أماميةٍ فيه لردّ الاعتداءات الأوروبية الموجهة ضده، فالدولة العثمانية وضعها لم يكن أفضل حالاً من أياالات المغرب الإسلامي، فخلال أواخر القرن السابع عشر ميلادي، كانت تخوض عدّة حروبٍ ضدّ روسيا والنمسا ودول أخرى وأمضت معاهدة كارلوفتس في رجب 1110هـ/يناير 1699م مع (النمسا و روسيا، والبندقية، و بولونيا) وفقدت جزءاً من أراضيها بأوروبا لصالح هذه الدول<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> إضافة إلى الوثيقة الأرشيفية تكلم صاحب التّحفة المرضية، وكذا صاحب دليل الحيران عن أطماع حُكّام المغرب الأقصى العلويين في بايلك الغرب الجزائري وإغارتهم المتكررة عليه، أنظر: ابن ميمون، المصدر السابق، ص 26-27. وكذا ابن يوسف محمد الزباني، دليل الحيران، ص 151. عزيز سامح الرّ، المرجع السابق، ص 440 وما بعدها.

لكن المصادر التاريخية المغربية تعزي تدخلات المولى إسماعيل في الغرب الجزائري إلى المناوشات التي كانت بين حكام فاس وأتراك الجزائر إلى وجود اتفاق سري بين أتراك الجزائر وابن أخ المولى إسماعيل المدعو "أحمد محرز" الثائر في الجنوب الشرقي من المغرب ضد عمه وكانت له مراسلات مع حكام الجزائر الذين تتهمهم المصادر بتحريضه على التمرد. "وقد ازداد حذر المغرب من الأتراك بتلمسان عندما وصلته الأخبار بأن أتراك الجزائر بمولون تمرد ابن أخيه الأمير أحمد محرز بجنوب المغرب وتأكد لديه وجود "اتفاق" يهدف إلى كسر شوكة المولى إسماعيل. أنظر:

- عبد الهادي التازي، التاريخ الدّبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد التاسع، عهد العلويين 1، دون ت ولا دار نشر ولا سنة، مطابع فضالة المحمدية، ص 13.

- أنظر كذلك: أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدّولة العلوي، ج7، تحقيق و تعليق جعفر الناصري و محمد الناصري المجلد7، دار الكتاب الدّار البيضاء، المغرب، 1997، صص 64-65.

- محمد الضعيف الرباطي (ت1233هـ)، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعدية)، تحقيق و تعليق و تقديم أحمد العماري، ط1، دار المآثورات، الرباط، 1986، ص70، التعليق 721.

<sup>(2)</sup> محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط6، دار النفائس، بيروت، 1988، ص310.

وفي خِضَم هذه الأحداث قام السلطان "مصطفى خان الثاني" (1695-1703م) بجمع وفد تونس والجزائر اللذان التقيا صُدْفَةً عام 1111هـ/1700م في عاصمة الدولة العثمانية في مُهْمَةٍ رسمية لتزويد الإيالتين بالجنود، فَشَجِب حالة الصِّراع بين تونس والجزائر وَقَرَّر إقامة الصُّلح بينهما وزودهما بفرمانات حول ذلك<sup>(1)</sup>؛ ولم يكن بمقدور الدولة العثمانية فعل أكثر من ذلك.

و الملاحظ للأحداث يستنتج أَنَّ الضَّعف الذي أصاب مركز الخِلافة الإسلامية هو الذي شَجَعَ الأقاليم البعيدة مثل أيالات المغرب الإسلامي على التصرف بأكثر حُرِيَّة واستقلالية على مستوى أقاليمها داخلياً؛ وكذا فيما بينها، تبعاً لأهواء حُكامها في أغلب الأحيان وليس حسب ما تُملِّيه عليهم مصالح شعوبها.

- تعتبر الحملة الجزائرية على تونس عام 1705م ضدَّ "إبراهيم الشريف" الحملة الخامسة إذا أضفناها لبقية الحملات السابقة، والتي كانت سبباً في نِهْيَةِ حُكم "إبراهيم الشريف" المدعوم من طرف الدولة العثمانية؛ وبذلك تدخل تونس عهداً جديداً يتَّسِم باستقلالية أكثر عن الدولة العثمانية وهو المعروف بالفِترَةُ الحسينية .

**1-4- الحرب بين الجزائر وتونس في بداية عهد حسين بن علي عام 1117هـ/1705م: أمام الفراغ السياسي بتونس الذي أحدثته أسْرُ "إبراهيم الشريف" من طرف عسكر الجزائر، اتَّفَق أهل الحِلِّ والعقد على مُبايعة "حسين بن علي"<sup>(2)</sup> بالطاعة الكاملة ليحكم البلاد وكان ذلك في 20 ربيع الأول 1117هـ/12 جويلية 1705م<sup>(3)</sup>؛ وبمجرد استلامه الحُكم باشر المفاوضات طيلة شهر أوت مع محَلَّة الجزائريين التي كانت قابضةً بمنطقة الكاف وذلك من أجل إبرام الصُّلح وتجنُّب الحرب وحَقناً لدماء المسلمين، فأرسل لهم جَمْع من العلماء ووجهاء الحاضرة في البداية؛ ثمَّ أعيان العسكر مع كُبراء الديوان**

<sup>(1)</sup> روسو ألفونزو، المصدر السابق، ص 149.

<sup>(2)</sup> ولد عام 1675م من أب أصله من اليونان جاء إلى تونس وعمل في المؤسسة العسكرية، وصاهر قبيلتين محليتين، حيث تزوج من عرش الشنانفة ورزق بولد "محمد" ثم تزوج من قبيلة شارن فأنجب ولده الثاني حسين الذي نحن بصدده دراسته، تقلد حسين لما كَبُر عدة مناصب مهمة أكسبته خبرة سياسية وحنكة في إدارة الأمور لمدة عشر سنوات، كان قريبا فيها من البلاط المرادي وقريبا من أصحاب المال والنفوذ، وقائدا للجيش، وهذا ما أهله لحكم البلاد لأكثر من ثلاثين سنة، توفي على يد يونس ابن "علي باشا" حفيد أخيه "محمد" أثناء الفتنة الباشية عام 1740م. أنظر:

- ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 1، ص 85-87.

- الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 12-14.

- محمود مقديش، نزهة الأنظار، ج 2، ص 155.

- سعيد الشايب، بلاط باردو في عهد حسين بن علي 1705-1735، رسالة ماجستير، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، د.ت، ص 18-19، (غ. م)

<sup>(3)</sup> الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 9.

في مَرَّةٍ أُخرى مُحمّلين بالهدايا العظيمة ونفائس المركبات الملوكية والحلويات على ظهر ستين بعيراً<sup>(1)</sup>، وعرضوا عليهم مائة وخمسين بياسترا<sup>(2)</sup> تُدفع لداي الجزائر "مصطفى عشي" نقداً مُقابل كَفِّهِ عن الحرب<sup>(3)</sup>.

لكن داي الجزائر رفض تلك العروض حسبما أشار إليه الوزير السراج ، ولم يلتفت للهدية وأرسل إليهم قائلاً: "...إيتوني بأناس آخر لأتكلم معهم في غير هذه الساعة، وأنا قادم إليكم"<sup>(4)</sup>. وحول موقف داي الجزائر المتعنت أمام عروض الصلح تنقسم المصادر<sup>(5)</sup> الإخبارية إلى موقفين، فهناك من ذكر بأن له نوايا خفية ورغبةً جاحضةً وطموحاً واسعاً لجعل تونس تابعةً إلى الجزائر؛ لأنَّه اشترط لإبرام الصلح حضورَ باي وداي تونس إليه شخصياً لإستلام قفطانا التولية على تونس من عنده، واعتبر نفسه سيِّداً على البلاد، ومن واجبهما تقديمُ عروضِ الطاعة والخضوع له، وهذا ما أشار إليه الوزير السراج في معرض كلامه بالتلميح دون التّصريح قائلاً: "...جاء رسل الجزائر من محلّتهم الكائنة بالكاف بمكاتيب ظاهرها الأمان وباطنها شيء آخر"<sup>(6)</sup>، ولما رفض "حسين بن علي" وأعضاء الديوان هذه الشروط بدأ داي الجزائر يتقدم نحو الحاضرة تونس وحاصرها.

<sup>(1)</sup>الوزير السراج، المصدر السابق، ج3، ص25.

<sup>(2)</sup> هو عملة مكسيكية قديمة، وكانت شائعة الاستعمال في مدينة عنابة وموانئ الشرق الجزائري، وتعتبر عملة رئيسية في المعاملات التجارية ، خاصة مع الأجانب، وزمها في القالة كان يساوي وزن 18 فلس و 16 حبة ، وفي عنابة 16 فلس و 19 حبة ، وفي القل 16 فلس و 6 حبات ، وكان يطلق على البياستر في عنابة الريال العنابي وهو ريال كامل ولكنه خاص بعنابة فقط، أنظر : لعربي إسمهان ، التجارة الخارجية لمدينة عنابة خلال العهد العثماني من خلال مصادر أولية (غير منشور) ، ص76.

<sup>(3)</sup>ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص28. و يعتنه الأستاذ سعد الله بالحق والجهد. أنظر: عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النيا عن التسبب والحسب والحال" تق و تح و تع أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، هامش ص227.

<sup>(4)</sup>الوزير السراج، المصدر السابق، ج3، ص25. أنظر كذلك: حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج2 (المخطوط)، الورقة 96-2.

<sup>(5)</sup>حول رغبة حكام الجزائر في فرض السيطرة على حكام تونس وتنصل هؤلاء الحكام من هذه التبعية وإثباتهم أنهم تابعين رأساً إلى الباب العالي مثلهم مثل غيرهم أنظر:

- عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر و تونس في القرن 18م/12هـ، ط1، الأمل للنشر و التوزيع، الجزائر، 2017، ص51 نقلا عن:

(P)Lucasc: voyage du sieurepaul Lucas, Paris, 1712, tomes2, p359.

- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص45. حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقدمت وتعد محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص125.

في حين لم تتكلم بشكل واضح المصادر التونسية عن موضوع التبعية أمثال: حسين خوجة، والوزير السراج، وحمودة بن عبد العزيز، واكتفوا بوصفه "بعدهو الله" أنظر: الوزير السراج، المصدر السابق، ج3، صص 23-24. / ابن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج2، مخطوط، الورقة 96-2.

<sup>(6)</sup>الوزير السراج، المصدر السابق، ج3، ص23.

وقد نقل لنا حسين خوجة جانباً من هذه الصدامات والمعارك قائلاً: "...ونزلوا بمقربة من مدينة تونس، ووقع بين الفريقين محاربات كثيرة، ومكثوا على محاصرتها قدر الأربعين يوماً... وعجزوا عن المقاتلة، ورحلوا بليل... وسارو على أشر حالة وانفرج الكرب على المسلمين<sup>(1)</sup>"; ويُعتبر صاحب الحلل السندسية الوحيد الذي تكلم عن هذه المعارك الأربعة التي حدثت بين الطرفين بشيء من التفصيل موضعاً أن:

- المعركة الأولى كانت في 10 جمادى الأولى 1117هـ/30 أوت 1705م وقد انصم إلى محلة الجزائر ما قدره أربعون ألفاً بين أعراب البادية والأطراف، في حين كان مع "حسين بن علي" ثمانية عشر ألفاً بين خيّل ورجل، ودامت المعركة من الصباح إلى الزوال ومات من الطرفين عددٌ؛ وأحزر الجيش التونسي تفوقاً فيها حسب رواية السراج<sup>(2)</sup>.

- المعركة الثانية في يوم 15 جمادى الأولى 1117هـ/4 سبتمبر 1705م، استعمل فيها الجيش التونسي أربعة مدافع ودامت المعركة سبع ساعات وكانت حصيلتها مائتين قتيلاً وثلاثمائة جريح من محلة الجزائر، ومات من أهل تونس سبعون وجرح مائة وخمسون، ولم يكن هناك مُنتصراً ولا مُنهزماً.

- المعركة الثالثة كانت في 22 جمادى الأولى من نفس السنة 10 سبتمبر، استمر القتال فيها لخمس ساعات وانتهت دون نتيجة حاسمة وسقط مائة وعشرين قتيلاً ومائة وسبعين جريحاً من عسكر الجزائر ومات خمسون من عسكر تونس وجرح مائة وعشرة.

- المعركة الرابعة في 06 جمادى الثانية/25 سبتمبر من نفس السنة وكانت أعظم وأشدّ ممّا سبقها حيث انتصر الجيش التونسي الذي استعمل خمسة مدافع، وبلغ عدد الجرحى نحو مائتين وستين نفرًا من الجيش الجزائري ونفس العدد تقريباً من الجيش التونسي<sup>(3)</sup>.

وبعد هذه المعركة الحاسمة طلب داي الجزائر الصلح لكن حاكم تونس وديوانه اشترطوا لقبوله استرجاع ما نهبه ومقدار ما صُرف في هذه الحرب من طرف الجيش التونسي والمقدرة ب: مائتا قنطار بارود وألف مكحلة التي كانت ببرج الكاف وأخذت من طرف عسكر الجزائر، وثمانية آلاف بعير، فندم "مصطفى عشي" على فوات فرصة الصلح الأولى، وانسحب رفقة محمّته خفية تحت جناح الليل

(1) حسين خوجة، المصدر السابق، ص 16.

(2) الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 29-30.

(3) الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 31-40.

تاركين وراءهم جزءاً من الأخبية ومائتا بونبة عدا الكور والرصاص وآلات الحرب وأثاث لا يُحصى من كثرته وبقي الناس ثلاثة أيام يلباها يجرون ما خَلَفُوا على الدواب وعلى ظهورهم. والأدهى والأمر أن هناك بجدّة وفدت إلى "مصطفى عشي" قادمة من الجزائر، لم تلتق بهم في الطريق مقدازها (أربعمائة فارسٍ ومعهم خمسمائة بعيرٍ مُحمّلةٌ بالذخائر وستون بغلةً بالبارود والرصاص وعددٌ من العساكر) فأخذها "حسين بن علي".

ويواصل الوزير السراج ذكر وقائع زحف داي الجزائر وما خَلَفَهُ من أثاثٍ وآلات حربٍ وخيمٍ ومؤونةٍ على طول الطريق التي سلكها أثناء العودة إلى الجزائر وتعرض محلّتهم لنهب الأعراب بعد فرارهم منها في عدّة محطاتٍ، وصدّاماتٍ أخرى حدثت بين الجيش التونسي والجزائري إلى أن دخل "مصطفى عشي" الثراب الجزائري؛ والنتيجة كانت رجوع "حسين بن علي" إلى تونس مُنتصراً يوم 21 أكتوبر 1705م<sup>(1)</sup>، أما داي الجزائر فقد قُتِلَ لَمَّا عاد إلى الجزائر من طرف جيشه نتيجة فشل حملته على تونس يوم 03 نوفمبر 1705م<sup>(2)</sup>.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها حول هذا التّدخل العسكري الجزائري ضدّ تونس عام 1705م من خلال قراءة للمصادر الاخبارية المحلية التونسية والجزائرية هي:

- أنّ داي الجزائر "عشي مصطفى" لم يكتفِ بإلقاء القبض على "إبراهيم الشريف" وشقيقه محمد، ولم يقنع بما غنم من محلّته والمقدّرة بـ: (100000 بياستر) إضافة إلى الأغذية والأسلحة التي كانت مُودعة بقلعة الكاف والتي تكفي أهله مؤنة سنين<sup>(3)</sup>، بل ارتكب خطأً جسيماً لما رفض عرض الصلح الذي تقدّم به الباي الجديد "حسين بن علي" والذي كان عبارةً عن صفقةٍ مُربحةٍ جداً.

- و النتيجة الأهمّ أنّ حمّلة "مصطفى عشي" هذه على تونس كانت سبباً مُباشراً في ظهور حكم عائليّ جديد بتونس و الذي جاء خلفاً للمرادين وهو الحكم الحسيني و يُعتبر "الباي حسين بن علي" أول مؤسسٍ له؛ ولقد خوّله نجاحه في الدفاع عن الحاضرة تونس ضدّ حمّلة الجزائر أحقية الجلوس على كرسي الحكم دون رغبةٍ منه في ذلك و بدون مُنازع.

- أمّا على الصّعيد الجزائري؛ فبعد فشل هذه الحملة والتي كانت سابقةً في تاريخ الحملات الجزائرية ضدّ تونس السابقة والمنتصرة دائماً، يقوم الجيش الجزائري بقتل "عشي مصطفى" بسبب فشله في

<sup>(1)</sup> الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 47.

<sup>(2)</sup> ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 29. / ابن المفتي، المصدر السابق، ص 59. يروي ابن المفتي أن باي تونس "حسين بن علي" تأمر مع شيخ قبيلة "الحنانسة" "بوعزيز" ودبّر الدسائس لداي الجزائر "مصطفى" مما جعله يُفْرُ ويترك أخيبته وأمتعته وعتاده، أنظر: ابن المفتي، المصدر السابق، ص 69.

<sup>(3)</sup> محمود مقديش، المصدر السابق، ج 1، ص 95. / بن خروف، المرجع السابق، ص 46-47.

حملته على تونس من جهة وسبب غيابه الطويل عن الحكم من جهة أخرى، لأنه غادر مدينة الجزائر على رأس الجيش متجهاً إلى تونس في 26 أبريل 1705م<sup>(1)</sup>، وقُتِلَ بمجرد عودته يوم 03 نوفمبر<sup>(2)</sup> من نفس السنة، فمدّة الغياب كانت طويلة (أكثر من نصف سنة) وهذا الفراغ السياسي على مستوى عاصمة الأيالة (الجزائر) كان سبباً كافياً لجعل البلاد عرضةً لخطرِ التقلبات والفتن الداخلية وكذا الاعتداءات الخارجية، وهذا ما جعل حُكّام الجزائر بعد هذه الواقعة لا يخرجون على رأس الحملات المتوجهة نحو تونس ويكتفون بإرسال الجيش على رأس كبار الضباط وبايات قسنطينة.

- في حين نجد أن صاحب التحفة المرضية يُرجع سبب مقتل "عشي مصطفى" إلى فشله في الحملة على تونس وكذا إلى بُغض الجيش و العامة له بسبب كثرة ظلمه، قائلاً: "...وعامل الناس أسوأ معاملة... وأهمل حال الدولة... وفرط في مصالحها. وتجبر وعتا... واشتغل بنهب الأموال، وإجراء المظالم في كل حال"<sup>(3)</sup>؛ أما ابن المفتي فأرجع سبب فشله في حملته على تونس إلى تحالف وتأمير الباي التونسي "حسين بن علي" مع "بوعزيز" شيخ قبيلة حُدودية (الحنانشة) اللذان أوقعا "بمصطفى عشي" وكانا وراء فراره<sup>(4)</sup>.

أمّا الأستاذ عمار بن خروف فله تحليل آخر للأحداث ويعتبر الداي "مصطفى عشي" أحد الدايات الجزائريين الطموحين<sup>(5)</sup> و الراغبين في إلحاق تونس بالجزائر وفرض السّيطرة عليها وإرغامها على التّبعية، إلا أنّ الظروف سارت عكس ما كان يرغب ويُخطط، لأنّه تمكّن من الانتصار في الجولة الأولى من الحرب وألقى القبض على "إبراهيم الشريف" الذي شقّ عصا الطاعة وتحارب مع من ساعده في الوصول إلى حكم تونس و (هُم الجزائريين)، لكنّه أخطأ لما بقي يُحاصر تونس ولم يغادرها، ورفض الصُّلح الذي عُرضَ عليه من طرف باي تونس وديوانها رغم أنّه كان مُغري<sup>(6)</sup> وهذا ما يعزز فرضية رغبة "عشي مصطفى" في محاولة فرض التّبعية على تونس، لكنّ نتيجةً لتّهوّر داي الجزائر

<sup>(1)</sup>Plantet (E) : op.cit, T2, P25.

وكذا: بن خروف، المرجع السابق، ص44.

<sup>(2)</sup>بن خروف، نفسه، ص62.

<sup>(3)</sup>ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص123.

<sup>(4)</sup>ابن المفتي، المصدر السابق، ص69. / ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م1، ج2، صص89-90.

<sup>(5)</sup>أمثال الداي شعبان الذي حكم قبله (1689-1695م) والداي علي بوضبع الذي حكم بعده (1754-1766م). أنظر: بن خروف، المرجع

السابق، ص43.

<sup>(6)</sup>الوزير السراج، المصدر السابق، ج3، ص41.

سَاءت العلاقات السياسية بين الأيالتين وجَرَّهما إِصرارُهُ إِلى حربٍ جَدِيدَةٍ لا طائِلَ من ورائها؛ وكانت خسائر الطرفين البشرية والمادية فيها كبيرةً جداً.

ومن هُنا نستنتج أَنَّ أَغلبَ هذه الحُرُوب كان دافعُها نَزَعاتٌ ذاتيةٌ، ومصالحٌ شَخْصيةٌ لحكام البلدين (مراد الثالث باي تونس/وعشي مصطفى داي الجزائر) ولم يكن للشعوب ناقةٌ فيها ولا جمل، بل بالعكس تنعكس عليهم سلباً دائماً لِأَتَّهم وَقُوذُها الأول.

- كما نجد أَنَّ العلاقات بين الجزائر وتونس بعد هذه الحرب ستدخلُ فترةً سلامٍ واستقرارٍ طويلٍ يَستَمِرُّ لثلاثين سنةً قادمةً (من 1705م إلى 1735م) عندما سَتُوجَّه الجزائر حملةً عسكريةً أخرى ضد تونس.

- أمَّا على مستوى تونس فقد أثبتت الأحداث أَنَّ "حسين بن علي" الذي استطاع إنقاذ بلاده والدِّفاع عن سيادتها والتَّمَلُّص من تَبَعيتها إِلى الجزائر ولو إِلى حين، يُنمُّ عن حِكْمته السياسية وخبرته العسكرية في إِدارة الأزمات، مِمَّا جعله مُؤَهَّلاً للحكم خاصة عندما كَسَبَ دَعْمَ العُلَماء والجيش وأعيان البلادِ في وقتٍ واحدٍ؛ وهذا ما أَكسَبَهُ شرعيةً دينيةً و عسكريةً و شعبيةً دامت لِزمنٍ طويلٍ وسمحت له ببناء صَرحِ سُلالةٍ حاكمةٍ لِأكثر من قرنين (1705-1956م).

و بعدما ذكرناه من أحداث، فإن السَّؤال المطروح؛ هو، ما هو مَوقِفُ الدَّولة العثمانية في مسألة الحروب الناشئة بين الإيالتين؟؛ و لماذا لم تتدخل لتسوية الخلافات و إنهاء حالة الحرب؟؛ و هل كانت تقف إِلى جانب طرفٍ ضدَّ طرفٍ آخر؟؛ أ لم يكن في صالحها أن تستمر الحرب بين الأيالتين حتى ينشغل حكامها بها؛ و لا تُراوِدُهُم فكرة الاستقلال عن الدولة العثمانية؟.

فلسنا ندرى هل هناك مراسلات بين حكام الإيالتين مع الباب العالي حول هذه الأحداث علنيةً كانت أو سرية؛ و هذا ما يفتح باب البحث مستقبلاً حول هذه الجزئيات المهمة و المبهمة من البحث من أجل إزالة اللبس و فهم الأحداث أكثر.

المبحث الثاني: الفتنة الحسينية الباشية وتدخل حُكام الجزائر فيها بين (1141-1170هـ / 1728-1756م):

2-1- تعريف الفتنة الباشية: عرفت تونس في الفَترَةِ الممتدة بين 1728 و 1740م حرباً أهليةً بدأت شرارتها داخل البلاط بين أفراد الأسرة الحسينية، ثم انتقلت إِلى الشارع وقَسَمَتْ تونس إِلى قسمين أحدهما يُؤيِّد مؤسس الحكم الحسيني "حسين بن علي" والآخر مع ابن أخيه "علي باشا" الذي شَقَّ عصى الطاعة ضدَّ عَمِه وعلية تمَّ تَسْمِيَتُها "بالفتنة الباشية".

وتعود جذورها إلى أَنَّ الباي "حسين بن علي" كان له أخ أكبر منه اسمه "محمد" أنجب ولداً سماه علي وحظي هذا الأخير بتربية خاصة من قِبَلِ عَمِّهِ "حسين بن علي" الذي لم يُرزق أولاداً، فتنبأه و أَعَدَّقَ عليه بالشيء الكثير من النعم و الرعاية و الحنان، وعينه سنة ثمان عشر ومائة ألف هجري (1706م) على قيادة الأحمال<sup>(1)</sup> يخرج بها صيفاً و شتاءً وعمره لم يتجاوز سبع عشرة سنة، وأصبح يُعَدُّه للحكم وولاية العهد من بعده، إلى أن حصل الباي "حسين بن علي" على جارية جنوية تزوج بها وأنجبت له أبناءه (محمد، علي، محمود، مصطفى، و فاطمة)<sup>(2)</sup>.

ولما شَبَّ ابنه "محمد" رَشَحَهُ بعد استشارة عددٍ من العلماء للولاية<sup>(3)</sup> ونصَّبَهُ لجمع الضرائب أي قيادته الأحمال بدل ابن أخيه "علي باشا".

ورغم أَنَّ الباي "حسين بن علي" قد طلب من الباب العالي منصب الباشوية لابن أخيه، وتم له ذلك إلا أَنَّ "علي باشا" قَبِلَ بالأمر الواقع على مَضَضٍ وامتلاً قلبه حِقْداً ضِدَّ عَمِّهِ وأبنائه، وكَبُرَ في نفسه زحزحته عن الحكم وقيادة الأحمال؛ فثار ضِدَّ عَمِّهِ ولجأ إلى جبل وولات<sup>(4)</sup> ومن هناك بدأت الحرب الأهلية الحسينية الباشوية على السُلطة التي انقسمت فصولها إلى قسمين، امتدت الأولى من شهر فبراير 1728م إلى شهر أوت عام 1729م وانتهت بانتصار "حسين بن علي" وفرار ابن أخيه "علي باشا" إلى الجزائر، حيث مكث قرابة السبع سنوات<sup>(5)</sup>، ثم عاود الكَرَّةَ ضِدَّ عَمِّهِ بمساعدة حُكام الجزائر عام 1735م وتجددت الحرب الأهلية مرَّةً أخرى إلى غاية عام 1740م حيث انتصر "علي باشا" في إفتكاك السُلطة من عَمِّهِ والقضاء عليه<sup>(6)</sup>.

(1) جمع محلة و هي الفرقة العسكرية التي تخرج إلى الأرياف في مواسم محددة لجمع الضرائب من الرعية.

(2) حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، مخطوط، الورقة 103، 1.

(3) تعتبر مسألة العهد هي السبب الرئيسي في هذه الفتنة الباشوية لأن حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية عندما خَضَّرَ ابن أخيه علي باشا ليخلفه لأنه لم يكن له أولاد، وحتى عندما رزق بحم يبقى علي باشا هو الأكبر من الأبناء داخل العائلة، فهذه القاعدة كان حسين بن علي هو أول من خرج عنها وهذا ما أشعل فتيل هذه الحرب الأهلية وبالتالي فإن قضية الوراثة على العرش لم يؤسس لها بقاعدة ثابتة خلال القرن 18م بتونس هل تأول للأكبر من أبناء الباي الحاكم أم للأكبر من العائلة الحسينية.

أنظر: محمد عبد العزيز بن عاشور، "المؤسسات السياسية في عهد الدولة الحسينية القرنان 18 و19م"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع6/5 فيفري 1992، تونس، ص14.

(4) هي جبال وعرّة مخصنة طبيعياً تعيش فيها مجموعة من القبائل المتمنعة، تقع إلى الجنوب من الحاضرة تونس ويصفها صاحب المخطوط الباشي قائلاً: "أنها أحصن جبل بإفريقيا وأكثر عمارة وخلقا وأهله أسرع الناس إلى الفتنة وأشدهم نفاقاً. أنظر: حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج2، مخطوط، الورقة 105-1. أنظر كذلك إلى الملحق رقم 6 خريطة موضع عليها جبل وولات و قبائل الحدود .

(5) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج2، ص82.

(6) حمودة بن عبد العزيز، المخطوط الباشي، الورقة 104-1، الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج1، ص44-51.

## 2-2- تدخل حُكام الجزائر لصالح "علي باشا" عام 1148هـ/1735م:

استطاع "علي باشا" عندما استقر في مدينة الجزائر عام 1729م أن يُكوّن صداقاتٍ نافذة تُطلّعه على مجريات الأحداث، واستغلَّ ظرفية توتر العلاقات بين حُكام الجزائر وعمّه الذي إهم بتخاذه في تقديم المساعدة للجزائر من أجل تحرير مدينة وهران أثناء تعرّضها للاحتلال الإسباني ثانيةً عام 1732م، كما توقّف عن دفع المال الذي التزم به سابقاً في عهد الداي "كور عبدي" (الذي حكم بين 1724-1732م) مُقابل إبقاء "علي باشا" ابن أخيه مسجوناً بالجزائر وعدم السّماح له بتنظيم ثورةٍ ضده، علماً أنّ الجزائر حينها كانت تمرُّ بضائقةٍ ماليةٍ كبيرة بسبب تراجع مداخيل بحريتها من جهة وتكاليف حربها ضدّ الاحتلال الإسباني من جهةٍ أخرى<sup>(1)</sup>.

كلُّ هذه الأوضاع و غيرها شجعت "علي باشا" و جعلته يتقدم لحاكم الجزائر "إبراهيم الكبير" (حكم 1732-1745م) بعروضٍ سخيةٍ ومغريةٍ من أجل مُساعدته لإفكّك السلطة من عمّه؛ تمثلت في التزامه بالتبعية للجزائر، ودفع ضريبة سنوية قدرها 200.000 ايكو، ويتكفّل بتقديم تكاليف الحملة التي قُدرت بـ1000 بياستر عن كل مرحلةٍ، ويتعهد بمنح مبلغٍ من المال للداي ولقادة الجند بعد أن يستولي على حكم تونس، إضافةً إلى إلتزامه بدفع كميةٍ من القمح.

ورغم الجهود التي قام بها "حسين بن علي" لمنع هذه الحملة العسكرية الجزائرية الداعمة لابن أخيه؛ حيث عرض عن طريق صديقه باي قسنطينة حسين كليان دفع مبلغٍ ماليٍّ مغري مقداره 50000 بياستر مقابل إحلال السلام بين الإيالتين، كما طلب من الباب العالي التوسط لحل هذه المسألة العويصة، إلا أنّ مجهوداته باءت بالفشل<sup>(2)</sup>.

و بما أنّ علي باشا قد نجح في مسعاه؛ فإن داي الجزائر "إبراهيم الكبير" قد أمر بتوجيه حملةٍ عسكريةٍ نحو تونس لِنصرتِه ضدَّ عمّه "حسين بن علي" بتاريخ ذي الحجة سنة 1147هـ/ماي 1735م تتألف من قرابة 2000 جند نظامي، و1000 رجل من أتباع "علي باشا" كانوا مُتواجدين في الجزائر، وفي طريقهم إلى تونس انضم إليهم باي قسنطينة "حسين كليان" بمحلّة تتألف من 1000 جندي مُرغماً بسبب الصداقة التي كانت تربطه "بحسين بن علي"<sup>(3)</sup> لكن السياسية عندما تلعب ألاعيبها لا تبقى مكاناً لصداقات الرجال.

(1) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج1، ص 286-287. / بن خروف، المرجع السابق، ص 93.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج2، ص 81. / عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 94.

(3) هودة بن عبد العزيز/ الكتاب الباشي، المخطوط، الورقة 111-1.

وكان من حُسن حظ "علي باشا" أن التحالفات التي ربطها مع شيوخ القبائل الكبرى في الشرق الجزائري قد خدمته كثيراً وقت الحاجة، حيث شارك إلى جانبه، في هذه الحملة كل من الشيخ "بوعزيز بن نصير" أحد أهم شيوخ قبيلة الحنانشة بعد توتر علاقته مع "حسين بن علي" وصهره "بُورنان" شيخ عرب الببيان، و"محمد بن أبي الضياف" شيخ عرب الأوراس، والشيخ "فرحات بن رجاجة" شيخ عرب الزاب<sup>(1)</sup>، وكل هؤلاء الشيوخ كان "علي باشا" قد عقد معهم تحالفات أثناء لجوئه إلى الجزائر عام 1729م ربطت من جأشها المصاهرات والمصالح المشتركة التي كانت في صالح "علي باشا" وأحسن إستغلالها وتوجيهها ضد عمه "حسين بن علي".

واستطاعت هذه الحملة العسكرية أن تفتك الحكم بتونس من "حسين بن علي" بعد معركة دارت بين الطرفين قرب مدينة تونس- بموضع يقال له سمنجة بزغوان عند واد مريان-و التي جرت في شهر ربيع الثاني 1148هـ/سبتمبر 1735م وأصيب "حسين بن علي" برصاصة في وركه وتفرقت جموعه، فهرب مع أبنائه إلى القيروان وتحصنوا بها لمدة خمس سنوات، وبعد عدة معارك تمكن يونس ابن علي باشا من القضاء على "حسين بن علي" بالقيروان يوم الجمعة 06 صفر 1153هـ/1740م، أمّا أبنائه فقد فرّوا إلى الجزائر<sup>(2)</sup> وهكذا استقر الحكم في تونس "لعلي باشا".

- والخلاصة التي نخرج بها، أنّ حملة الجزائر عام 1735م على تونس كانت ناجحة في افنكاك الحكم من "حسين بن علي" الذي تغيرت مواقفه مع حكام الجزائر، فدفَع منصب حُكمه ثمناً لذلك و في المقابل أوصَلوا غريمه و ابن أخيه "علي باشا" إلى الحكم مُقابل الالتزام بما تعهد به سابقاً. - عودته الجزائريين بعد نجاح هذه الحملة مُحملين بما غنموا من مُعسكر "حسين بن علي" إضافة إلى الأموال والهدايا التي استلموها من "علي باشا" والتي قُدرت ب(مليون ونصف بياستر تقريباً) وهو مبلغ هائل في ذلك الوقت (مُحوّلة 35 بَغلاً).

- شروع الحملة العسكرية الجزائرية في 6 أكتوبر 1735م بالعودة إلى الجزائر قبل القضاء نهائياً على "حسين بن علي" وأبنائه، حيث عرض عليهم "علي باشا" استعداده لدفع 50000 ريال<sup>(3)</sup> مُقابل

(1) هودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، المخطوط، الورقة 110-2. / بن خروف، المرجع السابق، ص 95-96.

(2) هودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، (المخطوط) الورقة 111-2 والورقة 112-1. / الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 305. / ابن المفتي، المصدر السابق، ص 72-74.

(3) الريال التونسي (عملة فضية) قيمته نحو 0.5 فرنك فرنسي، أما الريال الجزائري (عملة فضية) فقيمته نحو 1.8 فرنك فرنسي. أنظر عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 299.

قَتْلِهِمْ، لَكِنَّ الْجَزَائِرِيِّينَ رَفَضُوا الْعَرْضَ وَرَجَعُوا أَدْرَاجَهُمْ إِلَى الْجَزَائِرِ، أَمَا تُونِسَ فَقَدْ عَرَقَتْ فِي حَرْبٍ أَهْلِيَّةٍ اسْتَمَرَّتْ لِحَمْسِ سَنَوَاتٍ سِجَالاً بَيْنَ "عَلِيِّ بَاشَا" وَعَمِّهِ.

-فَتَحَتْ هَذِهِ الْحَمْلَةُ عَهْداً جَدِيداً مِنَ التَّدْخُلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْجَزَائِرِيَّةِ ضِدَّ تُونِسَ كَانَتْ قَدْ تَوَقَّفَتْ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَي مُنْذُ عَامِ 1705م<sup>(1)</sup>.

-تُثْبِتُ هَذِهِ الْحَمْلَةُ وَمَا سَبَقَهَا أَنَّ تَدْخُلَ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ فِي شُؤُونِ تُونِسَ لَمْ يَكُنْ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى لِفِرْضِ السَّيْطَرَةِ السِّيَاسِيَّةِ، بَلْ كَانَ بِسَبَبِ الْحَاجَةِ الْمَاسَةِ وَ الْمَلِحَّةِ لِلْأَمْوَالِ الَّتِي عَجَزَتْ سِيَاسَتُهُمْ فِي اسْتِحْدَاثِ مَشَارِيعِ قَارَةٍ وَثَابِتَةٍ بِإِمْكَانِهَا تَرْوِيدَ الْخَزِينَةِ بِالْأَمْوَالِ اللَّازِمَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ بَدَلاً مِنْ جَلْبِهَا بِالْقُوَّةِ عَنِ طَرِيقِ الْحَمَلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْمَوْجَهَةِ ضِدَّ تُونِسَ مِنْ حِينَ لآخر حتى ولو كانت بطلبٍ من أَحَدِ الْمُتَصَارِعِينَ عَلَى السُّلْطَةِ، وَالْأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ "إِبْرَاهِيمَ الْكَبِيرَ" دَايِ الْجَزَائِرِ عَجَزَ لِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ فِي اسْتِرْدَادِ وَهْرَانَ الَّتِي أُعِيدَ إِحْتِلَالُهَا عَامَ 1732م، لَكِنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ وَاسِعاً فِي تَوْجِيهِ حَمْلَةٍ ضِدَّ "حَسِينَ بْنِ عَلِيٍّ"؛ الَّذِي تَحَاذَلَ فِي نُصْرَتِهِ ضِدَّ الْإِسْبَانِ.

و السُّؤَالُ الْمَطْرُوحُ أَلَمْ يَكُنْ الْأُولَى مِنْ تَوْجِيهِ السَّلَاحِ ضِدَّ بَعْضِهِمَا الْبَعْضُ هُوَ التَّحَالُفُ ضِدَّ الْخَطَرِ الْأُورُوبِيِّ الْخَارِجِيِّ أَيَّ كَانِ؟.

-اسْتِطَاعَ "عَلِيٌّ بَاشَا" بِذِكَايَتِهِ رِبْطَ تَحَالُفَاتٍ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ الْكُبْرَى الْوَالِقَةِ عَلَى التُّحُومِ الْجَزَائِرِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ مِثْلَ (الْحَنَانِشَةُ، وَقَبَائِلِ الْأُورَاسِ، وَعَرَبِ الزَّابِ) وَالَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَشَدِّ الْمَسَانِدِينَ وَالْمُسَاعِدِينَ لَهُ فِي حَمَلَتِهِ ضِدَّ عَمِّهِ سَنَةَ 1735م، كَمَا كَانَ لَهُ هَذِهِ الْقَبَائِلُ خَاصَّةً الْحَنَانِشَةُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي تَأْجِيجِ الصَّرَاعِ بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ مِنْ حِينَ لآخر خِدْمَةً لِمَصَالِحِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ بِالذَّرَجَةِ الْأُولَى وَ لِيَسَ لِمَصَالِحِ الْإِيَالَتَيْنِ.

-لَعِبَ عَسْكَرُ زَوَارَةِ دَوِي الْأُصُولِ الْجَزَائِرِيَّةِ، دَوْرًا كَبِيرًا خِلَالَ مَعْرَكَةِ عَامِ 1735م إِلَى جَانِبِ "حَسِينَ بْنِ عَلِيٍّ"<sup>(2)</sup>، وَهُؤُلَاءِ الْعَسْكَرُ الَّذِي أَصْبَحُوا ضِمْنَ الْفَرَقِ الْعَسْكَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ فِي الْجَيْشِ التُّونِسِيِّ وَ يَعُودُ تَارِيخُ تَوَاجُدِهِ بِالْجَيْشِ التُّونِسِيِّ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ ضِمْنَ الْفَرَقِ الْعَسْكَرِيَّةِ إِلَى الْعَهْدِ الْحَفْصِيِّ، كَمَا اسْتَعَانَ بِهِمُ الْبَايَاتِ الْمُرَادِيِّينَ وَكَذَا الْحُسَيْنِيِّينَ فِي حُرُوبِهِمْ<sup>(3)</sup>.

(1) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 104-107.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 2، ص 176-177.

(3) حول تاريخ هذا الجيش وكيفية تجنيده والاستعانة به في حروب تونس ارجع إلى الفصل الاجتماعي من هذه الرسالة. /وكذا: ابن المفتي، المصدر السابق، ص 73. /حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، المخطوط، الورقة 111-1.

## 2-3- تدخل حُكّام الجزائر لصالح أولاد حسين بن علي خلال فترتي 1746-1756م: أ- خَطْرَةُ الجزائر الكَذَّابَةِ عام 1159هـ/1746م:

سبق و ذكرنا أنّ حاكم الجزائر "إبراهيم الكبير" قد ساعد "علي باشا" عام 1735م على إفتكّاك الحُكْم من عمّه مُقابل التّزاماتٍ ماليّةٍ كان قد تعهّد بها، لكنّ "علي باشا" لمّا استقرّ له الأمر في حُكْم تونس بدأ يتّصل من وعوده ويتلّكأ في الإلتزام بها وامتنع عن دفع الضّريبة الماليّة المتوجّبة عليه<sup>(1)</sup> مُنذُ سنة 1158هـ/1745م، ونتيجة لذلك ساءت العلاقات مُجدداً بين الإيالتين.

هذا إضافة إلى عوامل أخرى ساهمت في تصعيد الأمر إلى حدّ الحرب وهي:

- أنّ "علي باشا" نشر عُيُونَهُ وجواسيسه في قسنطينة ينفُلون له كلّ صَغِيرَةٍ وكَبِيرَةٍ وتمكّن حتى من إختراق مجلس الباي حسين بواسطة كبير كتابه علي عبود حيث اكتشفه باي قسنطينة وقتله وكذا عن طريق علي الخطاب أحد المقرّبين من باي قسنطينة<sup>(2)</sup>.

- كما طلب "علي باشا" من حاكم الجزائر "إبراهيم الصغير" قتل أبناء عمّه "حسين بن علي" - الذين لجأوا إلى الجزائر بعد انهزام والديهم - لكنّ "إبراهيم الصغير" رفض ذلك واعتبره خيانةً بسبب الصّدّاقة والمودة التي ربطته بأبناء "حسين بن علي"<sup>(3)</sup> (محمد وعلي ومحمود).

ورداً على ذلك قام "علي باشا" بتدبير إنقلاب وثورة ضدّ "إبراهيم الصغير"؛ فاتّصل بالحاج محمد بن كور عبدي الذي كان يُقيم بمصر وحرّضه على ذلك ووعدّه بِنُصْرَتِهِ، لكن حاكم الجزائر عَلِمَ بذلك عن طريق وكلائه بمصر وراسل حاكم طرابلس وأمره بالقضاء على الحاج محمد بن كور عبدي عند مُروره بطرابلس وفعلاً تمّ له ذلك، وقبّل "علي باشا" في تنفيذ خُطّته لزعزعة الاستقرار بالجزائر<sup>(4)</sup>.

- ومن أجل الضّغط على "علي باشا" استمر حُكّام الجزائر يستقبلون كلّ مُناوئٍ له إبتداءً من أبناء عمّه و مروراً بجمع كبير من أتباعهم ومنّ والاهم وانتهاءً بطائفة من الجند التركي التونسي يتقدمهم علي بهلوان كانوا قد ثاروا ضدّ "علي باشا" سنة 1743م بسبب سياسته التّعسُفية ضدّهم والإستكثار

<sup>(1)</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص137. / توفيق بن زردة، الجزائر في القرن الثامن عشر، من خلال دفاتر الأرشيف الوطني التونسي، ط1، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، 2021، هامش ص13.

<sup>(2)</sup> الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج3، ص102. / بن خروف، المرجع السابق، ص127.

<sup>(3)</sup> همودة بن عبد العزيز، التاريخ الباشي، المخطوط، الورقة 136-1.

<sup>(4)</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص127.

من جُند زوارة حَوْلَهُ، فَأَتَّخَذُوا مِنَ الْجَزَائِرِ مَلَاذًا لَهُمْ، وَهَذَا مَا أَرْجَعُ "عَلِي بَاشَا" كَثِيرًا وَجَعَلَ عِلَاقَتَهُ تَتَوَثَّرُ بِحُكَّامِ الْجَزَائِرِ وَتَصِلُ إِلَى حَدِّ الْحَرْبِ<sup>(1)</sup>.

علماً أنَّ أبناء "حسين بن علي" لم يَدَخِرُوا وَسْعًا فِي طَرَقِ جَمِيعِ الْأَبْوَابِ مِنْ أَجْلِ اسْتِمَالَةِ الْقُلُوبِ لِإِدْعَمِ قَضِيَّتِهِمْ وَتَصَادَفِ ذَلِكَ مَعَ رَغْبَةِ دَايِ الْجَزَائِرِ "إِبْرَاهِيمَ الْكَبِيرِ" الَّذِي أَعَاقَهُ الْكَبِيرُ وَالْمَرَضُ عَلَى مُسَاعَدَتِهِمْ<sup>(2)</sup> فِي إِسْتِرْجَاعِ حُكْمِ تُونِسَ، فَأَوْصَى ابْنُ أَخِيهِ وَصِيهِ الَّذِي خَلَفَهُ "إِبْرَاهِيمَ الصَّغِيرِ" (حَكْمَ 1745-1748م) بِمُسَاعَدَتِهِمْ وَفِعْلًا أَمَرَ بِتَوْجِيهِ حَمَلَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ ضَدَّ تُونِسَ عَامَ 1159هـ / 1746م وَ الَّتِي جَمَعَتْ أَبْنَاءَ "حَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ" وَأَتْبَاعَهُمْ رُفْقَةً جُنْدِ الْجَزَائِرِ، وَإِنْصَمَّتْ إِلَيْهِمْ فِي الطَّرِيقِ مَحَلَّةَ قَسَنْطِينَةَ بِقِيَادَةِ الْبَايِ "عَشِي حَسَنٍ" وَقَبِيلَةَ الْحَنَانِشَةَ الَّذِينَ تَرَبَّطُوهُمْ عِلَاقَةً مُصَاهِرَةً بِعَلِيِّ بَايِ بْنِ حَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهَكَذَا وَصَلَتِ الْحَمَلَةُ الْجَزَائِرِيَّةُ رُفْقَةً أَبْنَاءَ "حَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ" إِلَى مَنْطِقَةِ الْكَافِ الْحُدُودِيَّةِ فِي 10 جُمَادَى الْأُولَى 1159هـ / 2 جَوَانِ 1746م<sup>(3)</sup>.

لَكِنَّ هَذِهِ الْحَمَلَةَ اكْتَفَتْ بِمُحَاصِرَةِ مَدِينَةِ الْكَافِ الَّتِي كَانَتْ عَصِيَّةً عَنِ الْاِقْتِحَامِ بِسَبَبِ التَّعْزِيزَاتِ الْحَرَبِيَّةِ الَّتِي زَادَتْ مِنْ قُوَّتِهَا حَيْثُ زُوْدَهَا "عَلِي بَاشَا" بِسِتْمَائَةِ مَقَاتِلِ مِنْ خَيْرَةِ الْجُنْدِ التُّرْكِيِّ وَأَلْفٍ مِنْ عَسْكَرِ زَوَارَةَ وَعَدَدٍ مِنْ أَوْجَاقِ الصَّبَايِحِيَّةِ.

وَرِغْمَ الْمَحَاوَلَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ وَالْقَصْفِ بِالْمَدَافِعِ الَّتِي دَامَ لِحَوَالِي شَهْرَيْنِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ؛ إِلَّا أَنَّ اِقْتِحَامَ مَدِينَةِ الْكَافِ تَعَذَّرَ بِسَبَبِ حِصَانَةِ سُوْرهَا وَفَشَلَ مَحَاوَلَاتِ إِحْدَاثِ ثُقُبٍ بِهِ عَنِ طَرِيقِ زَرْعِ لُغْمٍ. وَمِمَّا زَادَ فِي صَعُوبَةِ الْمَهْمَةِ، هُوَ اِئْتِشَارُ الْوَبَاءِ بَيْنَ صَفُوفِ عَسْكَرِ الْجَزَائِرِ، إِضَافَةً إِلَى الْاِخْتِرَاقِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي أُحْدِثَهُ "عَلِي بَاشَا" فِي صَفُوفِ الْجَزَائِرِيِّينَ حَيْثُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ مَا يَدُورُ فِي خَيْمَةِ الْبَايِ "حَسَنِ عَشِيٍّ" عَنِ طَرِيقِ جَسَّاسِيَّةِ عَلِيِّ الْحَطَّابِ الَّذِي كَانَ أَحَدَ مُقَرَّبِيهِ وَبِالْتَّالِيِ اسْتَعْلَ هَذِهِ الظَّرْفِيَّةِ الصَّعْبَةَ لِصَالِحِهِ وَرَاسَلَ "عَشِي حَسَنًا" يُعْزِيهِ بِالْمَالِ وَالْهَدَايَا مِنْ أَجْلِ رَفْعِ الْحِصَارِ عَلَى الْكَافِ وَعُودَةِ الْحَمَلَةِ إِلَى الْجَزَائِرِ.

(1) الصغیر بن یوسف، المصدر السابق، مج2، ص228/ومج3، ص104، و170.

- ابن أبي الضیاف، المصدر السابق، م1، ج2، ص146.

- روسو ألفونزو، المصدر السابق، ص206.

(2) أحمد الشریف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشریف الزهار نقيب أشرف الجزائر، 1168-1246هـ/1754-1830م، تحقيق أحمد توفيق المدني،

الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص17.

(3) همودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، (المخطوط) الورقة 136-1. 2، والورقة 138-1.

ابن خروف، المرجع السابق، ص132.

كما عمل على استمالة قبيلة الحنانشة إلى صفه لعلمه بثقل وزنها، وفعلاً وُفق في ذلك وراسل الباي "حسن عشي" داي الجزائر ليُقنعه بضرورة إلغاء هذه الحملة مُتخذاً من انتشار الوباء سبباً مُقنعاً، علماً أنّ داي الجزائر كان في أمس الحاجة لهذا الجيش بسبب الأخطار التي كانت تُحيط بالجزائر؛ هُجوم حملة ديماركية بحرية إضافةً إلى قيام كراغلة تلمسان بثورة ضدّ الحكم العثماني، لذلك وافق على إلغاء الحملة و أمر بعودتها؛ فشرع الجيش في مُغادرة منطقة الكاف في شهر رجب 1159هـ/جويلية 1746م و لهذا السبب تنعتُها المصادر التونسية "بِحظرة الجزائر الكدابة".

ولقد كان لهذا الإنسحاب أثرٌ بالغٌ على أبناء "حسين بن علي" وتوفي بسبب ذلك ابنه محمود بقسنطينة-غيضاً وحزناً وكمداً على خيبة الأمل-وبها دُفن<sup>(1)</sup>.

والجدير بالذكر أنّ صاحب الكتاب الباشي حمودة بن عبد العزيز قد فسّر سبب رُجوع هذه الحملة وفشلها في مواصلة زحفها نحو تونس يعودُ إلى إتفاقٍ سرّي جرى بين باي قسنطينة حسين عشي وبين "علي باشا" حاكم تونس على حساب أبناء "حسين بن علي" ولم يذكر أو يتطرق إطلاقاً للظروف الصعبة التي كانت تمرُّ بها الجزائر، ومدى احتياجها لعسكرها لحل مشاكلها الداخلية؛ علماً أنّ هذا التّحيز الواضح في تفسير الأحداث لصالح أبناء الحسين سنجدُه يتكرّر كثيراً بين صفحات الكتاب الباشي، لأنّ صاحبه قلّم بلاطٍ ومن مصلحته الكتابة في صف ومصلحة مخدومه علي باي بن حسين بن علي<sup>(2)</sup>.

#### ب-الحملة الجزائرية الثانية لنصرة أولاد حسين بن علي عام 1169هـ/1756م:

استقرت العلاقات السياسية قليلاً بين الإيالتين في عهد الداي "محمد بن بكير" الذي حكم الجزائر بين (1748م-1754م) و رفض أيّ تدخّل في شؤون تونس وكان ميالاً للسّلام مُجاً للصّالح بين البلدين، وكلّ تطلّعاته كانت نحو تحرير وهران من الاحتلال الإسباني<sup>(3)</sup>، ورغم ذلك هناك جملة من الأحداث جعلت العلاقات بين الشقيقتين تُصبح قاب قوسين أو أدنى من الحرب ومهدت الطريق أمام حملة عام 1756م لنصرة أبناء حسين بن علي وهي:

<sup>(1)</sup>حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي (المخطوط) الورقة 136-2 والورقة 138-2 والورقة 139-1 والورقة 141-2.

و كذا: الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج3، صص 102-106. /ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م1، ج2، صص 129-130.

بن خروف، المرجع السابق، صص 133-139.

<sup>(2)</sup>أنظر: حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق المخطوط، الورقة 139-1 و2.

<sup>(3)</sup>الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج4، ص5.

- قيام حاكم تونس "علي باشا" بشن هجوم على قبيلة النمامشة الحدودية<sup>(1)</sup> بسبب عدم دفعهم للضرائب مقابل تسوقهم بتونس، كما قاموا عام 1164هـ/1750م بالتعرض لركب الحج الفاسي ونهبه، فرفعوا شكواهم إلى "علي باشا" فوعدهم باسترداد أموالهم وراسل النمامشة مع مجموعة من أعيانهم طالباً منهم رد ما سلبوه، فامتنعوا، وقبضوا على المبعوثين، لذلك هاجمهم في حملة عسكرية عظيمة وفرق شملهم وسلب أموالهم.

كما وجّه ابنه سليمان إلى منطقة قمار بوادي سوف وأمره بقطع نخيل "عزوز بن عمارة بن دالية الرزقي" الذي كان من أشياع أولاد الباي "حسين بن علي"<sup>(2)</sup>.

ورغم أنّ هذه العارة قد أثارت استياءً كبيراً لدى داي الجزائر "محمد بن بكير" لکنه لم يُبدي أية ردّة فعلٍ قوية ضدّ هذا الهجوم الذي تعرّضت له قبيلة النمامشة في عُقر دارها، ولعلّ السبب في ذلك هو إنشغالها بتحسين مدينة الجزائر التي كانت مُهدّدةً بحملة صليبية أوروبية طول الفترة (من 1749م إلى 1752م) وهذا ما أثناه عن الرد<sup>(3)</sup>، أو ربما بسبب الفعل المشين الذي ارتكبتّه هذه القبيلة وهو التعرض لركب حجاج بيت الله، فرأى أنّ ذلك عقاباً يستحقونه.

- هذا إضافةً إلى استقبال "علي باشا" على أراضيّه محمّلةً عسكريةً جزائرية يتراوح عددها ما بين ألفين وثلاثمائة كانوا مكلفين بجباية الضرائب في بايلك قسنطينة، فقاموا بقتل قائدهم واستحوذوا على الأموال الكثيرة وهربوا نحو تونس في شهر مارس سنة 1752م، كما فرّت قبيلة الحنانشة سابقة الذكر نحو تونس فراراً هي الأخرى من دفع الضرائب، مما جعل شيخهم ابن أبي عزيز بن نصر يشكو لباي قسنطينة قلة المجابي بسبب هروبهم فشكّل ذلك عجزاً في المداخل المعهودة من الضرائب<sup>(4)</sup>.

ورغم مراسلات باي قسنطينة المتكررة إلى حاكم تونس بشأن ردّ قبيلة الحنانشة ومحلة العسكر أو تسديد مقدار من المال كتعويض على ذلك، إلا أنّ رُود "علي باشا" كانت دائماً سلبيةً واستفزازية بسبب استهتاره بباي قسنطينة "حسن أزرق عينه" الذي كان طباحاً عند خاله "علي بوبصع" في سابق عهده<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> هي إحدى أهم القبائل الجزائرية التي تسببت في إثارة الفتن والصراعات بين الإيالتين الجزائرية والتونسية (استوطنت المناطق الحدودية وهي تنقسم إلى فخذين: الأعشاش من شيعة الباي حسين وأبنائه، وأولاد خيار من شيعة "علي باشا" وكانت عليهم إتاوة من غنمهم يؤدونها لصاحب تونس لأجل تسوقهم ببلاد الجريد والأسواق الأخرى، فمنعوا عليه مدة سنين. نظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص132.

<sup>(2)</sup> همودة بن عبد العزيز، التاريخ الباشي (المخطوط) الورقة 1-146 و2.

<sup>(3)</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص150.

<sup>(4)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، ص147.

<sup>(5)</sup> الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج4، صص 12-16.

كما قام "علي باشا" وابنته محمد بفرض "الكرنينة" (الحجر الصحي)، على التجار الجزائريين الداهيين إلى تونس؛ خوفاً من انتقال الوباء الذي كان منتشرًا بالجزائر عام 1752م وتسبب ذلك في تزدّي أوضاع هؤلاء التجار وآثار استيلاء حاكم الجزائر وقسنطينة معاً<sup>(1)</sup>.

وردًا على ذلك، قام "حسن أزرق عينه" في خريف عام 1754م بهجوم خاطف على قبيلة الحنانشة بالأراضي التونسية فقتل منهم الكثير واستاق ماشيتهم.

ورغم هذه الحملة التأديبية التي كانت بالأراضي التونسية، إلا أنّ "علي باشا" هو الآخر لم يردّ بحملة مشاهمة، بل أرسل في أكتوبر 1754م أحد ضباطه محملاً بالهدايا إلى داي الجزائر "محمد بن بكير" حتى يكسب وده ويثنيه عن شن حملة عسكرية ضدّ تونس<sup>(2)</sup>.

-وفي نفس الوقت كانت الجزائر هي الأخرى مليئةً بالمناوئين "علي باشا" الذين اتخذوها ملجأ لهم ابتداءً من أبناء الحسين (محمد وعلي) مع عدد كبير من أنصارهم، خاصة الذين انضموا إليهم بعد فشل حملة عام 1746م خوفاً على أنفسهم من بطش "علي باشا" ففرّوا إلى الجزائر، وكذلك ابنه يونس الذي شقّ عصى الطاعة وثار ضدّ والده علي باشا عام 1752م رُفقةً بجمع كبير من أنصاره، ولمّا فشل في ثورته نزع إلى قسنطينة واستقرّ بها مع أتباعه طمعاً في مساعدة حكام الجزائر له<sup>(3)</sup>.

ورغم محاولات "علي باشا" الحثيثة لدى حاكم الجزائر "محمد بن بكير" في القضاء على خصومه (ابنه وأبناء عمّه) أو إرسالهم لتونس للقيام هو بذلك، لكنّه لم ينجح في مسعاه رغم الصداقة التي كانت تربطه بباي قسنطينة السابق "عشي حسين المعروف بحسن بوحنك" الذي توفي عام 1753م وحكم قسنطينة لمدة سبع عشرة سنةً و بجزناحي الجزائر علي الذي مناه "علي باشا" بتأسيس حكم وراثي بالجزائر مثل تونس.

وسعى هذا الجزناحي للقيام بتمرد ضدّ الداي "محمد بن بكير" لكنّه فشل وقُتل رُفقةً الداي في يوم واحدٍ أواخر عام 1754م.

ألفونصو روسو، الحوليات التونسية، ص210.

<sup>(1)</sup>الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج4، ص21.

ابن خروف، المرجع السابق، ص158. نقلا عن:

(E) Plantet: *correspondance des deys de tunis et des consuls de France avec la cour de France (1577-1830)*, 2vol, Paris, 1893-1899, t1, p347.

<sup>(2)</sup>بن خروف، المرجع السابق، ص147.

<sup>(3)</sup>همودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، (المخطوط)، الورقة 147-2.

وَمَوْتَهُمَا فَقَدَ "علي باشا" الأمل في إيجاد أصدقاء أو حلفاء له بالجزائر يُعْضُونَ الطَّرْفَ عن تَصْرُفَاتِهِ<sup>(1)</sup>، حيثُ أَمْسَكَ بِرِمَامِ الحُكْمِ بالجزائر "علي بوصبع" (1754-1766م) الذي كان عارفاً بِأحوالِ البلاد، وابنُ أُختِهِ حسين أزرق عينه بآياً على قسنطينة، واستحكمت العداوة بين حُكام الجزائر و"علي باشا"؛ وَقَرَّرَ الدَّاي "علي بوصبع" وَبِتَحْرِيطٍ من باي قسنطينة تَوْجِيهَ حَمَلَةٍ عسكِرِيَةٍ كَبِيرَةٍ نحو تونس بِقِيَادَةِ هذا الأخير لِتُصْرَةِ أبنَاءِ الحسين<sup>(2)</sup> وَفِعْلاً انْطَلَقَتِ الحَمَلَةُ في شهر أبريل من عام 1756م بِقِيَادَةِ "حسن أزرق عينه" بِمَعِيَةِ أبنَاءِ حسين بن علي في جَمْعِ غَفِيرٍ من عسكِرِ الجزائر وَقِيْلَتِي دَرِيدٍ و الحنانشة وغيرهم مِمَّنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ من العربان، وكادت الحَمَلَةُ أن تتوقف لسببين هما:

- انتشار الوباء في عسكِرِ الجزائر، وفي ذلك قال صاحب الإتحاف: "...وساروا من الجزائر ولم يزل الوباء يكثر في العسكِر، وحسن باي يياشر مرضاهم بنفسه، حتى هَمَّ بالرجوع...". ثم انقطع الوباء في اليوم الخامس من سفرهم وواصلوا الحَمَلَةَ<sup>(3)</sup>.

- والسبب الثاني هو أَنَّ حاكم الجزائر قد راسل باي قسنطينة وأمره بإيقاف الحَمَلَةَ خوفاً على العسكِر من الوباء؛ وكذا عدم ضمان نَجَاحِهَا بسبب سعي أنصار "علي باشا" في الجزائر لإيقافها، حيث ذكر صاحب التاريخ الباشي هذه الحادثة قائلاً: "...بدا لصاحب الجزائر في حرب علي باشا ورجع عنه وخاف عاقبته، وأظهر له بعض أكابر دولته [من شيعة علي باشا] النصيحة في ذلك بسبب ما استحکم لعلي باشا من الملك...".

لَكِنَّ "حسن أزرق عينه" استَطَاعَ إقْنَاعَ حاكم الجزائر بِضُرُورَةِ مُواصلةِ الحَمَلَةَ، وَنَجَحَ في ذلك<sup>(4)</sup> وَزَحَفَتِ الحَمَلَةُ؛ حيث وصلت إلى قلعة الكاف في 8 رمضان 1169هـ/6 جوان 1756م واستمر القتال بين الطَّرْفَيْنِ عِدَّةَ أَيَّامٍ.

وَرَعِمَ المقاومة الشديدة التي أبدأها أهل الكاف وجيش زاوية و المخازنية؛ إلا أن عسكِرِ التُّركِ التونسي المحصن بالقلاع والأبراج لم يُطْلِقُوا رصاصةً واحدةً وظَّهَرَتْ تَحَاذُّهُمُ بِسببِ القَطِيعَةِ التي كانت بينه وبين "علي باشا" الذي أساء مُعامَلَتَهُمْ، فَأِنْحَازُوا لِصَفِّ أبنَاءِ "حسين بن علي" وهذا ما سَرَّعَ في سُقُوطِ مَدِينَةِ الكاف<sup>(5)</sup>.

(1) الصغیر بن یوسف، المصدر السابق، مج4، ص11. / بن خروف، المرجع السابق، ص144.

(2) أحمد الشریف الزهار، المصدر السابق، ص15-17.

(3) الصغیر بن یوسف، المصدر السابق، مج4، ص15 و36. وكذا: ابن أبي الضیاف، المصدر السابق، ج2، ص149.

(4) هودة بن عبد العزیز، المصدر السابق، ج1، قسم السیرة، ص277-279.

(5) الصغیر بن یوسف، المصدر السابق، مج4، ص40-41.

ثم واصلت الحملة سيرها نحو الحاضرة تونس واستمر القتال سجّالاً بين الطرفين طيلة شهر أوت إلى أن سقطت الحاضرة في يد "حسين أزرق عينه" وأبناء الحسين في سبتمبر عام 1756م، وألقي القبض على "علي باشا" وابنه "محمد باي" حيث قُتل هذا الأخير بأمير من "علي باي" بن الحسين. أمّا "علي باشا" فسجنه باي قسنطينة قرابة الشهر.

وتذكر المصادر الإخبارية أنّ "حسن أزرق عينه" لمّا تمكّن من تونس واستولى على خزائنها، راسل داي الجزائر يستشيرُه في ضمّ تونس إلى الجزائر وبقيّاه هو حاكماً عليها أو تسليم البلد لأبناء حسين بن علي والعودة إلى الجزائر، فأمره داي الجزائر "علي بوضبع" بقتل "علي باشا" وتسليم البلاد إلى محمد ابن الحسين والعودة إلى الجزائر.

فبدأ باي قسنطينة بقتل "علي باشا" في آخر ذي الحجة 1169هـ / 25 سبتمبر 1753م ثم سلّم الحكم لمحمد بن حسين بن علي ورفع محلّته عائداً إلى الجزائر في 2 أكتوبر من نفس السنة، محملاً بالأموال والذخائر والهدايا التي جمعها؛ ومجرد وصوله إلى قسنطينة توفي أواخر نوفمبر 1756م متأثراً بمرض ألمّ به<sup>(1)</sup>.

وتُجمع المصادر التونسية أنّ عوادة أبناء "حسين بن علي" إلى حكم تونس قد تمّ في ظروف غير مشرّفة بسبب ما لحق البلد من الفوضى وهبّ وسلب وظلم بعد سقوطها في أيدي عسكر الجزائر وباي قسنطينة.

وقد شبّه صاحب المشرع الملكي الذي كان شاهداً ومُعاصراً لهذه الأحداث أنّ سقوط الحاضرة كان أشبه بسقوط حلب في يد الماعول قائلاً: "...وأظن والله أعلم أن هلاك مدينة تونس أكثر هلاكا من مدينة حلب حين أباحها تيمور<sup>(2)</sup>..."، ولم يرحل "حسن أزرق عينه" من تونس إلا بعد إفراغ خزائن أمرائها وهبّ دورها<sup>(3)</sup>.

(1) يقول صاحب تاريخ قسنطينة: "... ورفع حسين باي قسنطينة خزائن علي باشا حتى نزع حلي النساء عليهن، وجمع أموالا لا يقوم بها ملك ثم رجع إلى بلده..." أنظر: أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 66. وكذا:

- الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 4، ص 82-110.

- ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 2، ص 150-153.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 4، ص 85.

(3) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 2، ص 182 حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ج 1، قسم السيرة، ص 291.

- فاطمة بن سليمان، قراءة الأخباريين التونسيين للفتنة الباشية الحسينية، في الكراسات التونسية، ع 164، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 1993، ص 81

- كما أن هناك وثيقة أرشيفية وهي عبارة عن رسالة أرسلها مدير المستشفى الإسباني بتونس الأب مانويل لويت بينتور (Manuel Lopez pintor) إلى المدير العام لمقاطعة قشتالة يروي فيها الأحداث التي شهدتها تونس عندما دخلتها الحملة الجزائرية رفقة أبناء حسين بن علي يوم 2 سبتمبر 1756م

لكن الصغير بن يوسف يُؤكِّدُ في نفس الوقت أنَّ ما حصلَ بتونس من نهبٍ وسلبٍ وفوضى كان على أيدي عسكر التُّرك التونسي والجزائري-أي الجيش الانكشاري العثماني بشكل عام- قائلاً: "...ثم اختلطت الترك مع بعضها تونسي وجزيري، وتفرقوا جماعات في ربطي تونس ومدينتها يقصدون الديار الكبار وينهبون ما فيها"<sup>(1)</sup>...

كما أشار حمودة بن عبد العزيز الذي كان مُعاصراً للأحداث هو الآخر أنَّ داي تونس مصطفى قزدغلي هو المحرِّضُ لهذه الفوضى طمَعاً في الوُصُولِ إلى السُّلطة قائلاً: "...وركب الداوي مصطفى قزدغلي، وأظهر أنه يسكنهم وهو يجرضهم في الباطن-زعموا-ومنته نفسه الأماي..."، كما أكَّـدَ أنَّ علي باي بن حسين بن علي لَمَّا حَضَرَ لِإِحْمَادِ هذه الفوضى أرسلَ إلى رُؤوسِ الثَّورةِ من عسكر تونس وعسكر الجزائر لِيُمَثِّلُوا أَمَامَهُ<sup>(2)</sup> وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ حالة الفوضى التي شَهِدَتْهَا تونس بعد سُقوط حُكم "علي باشا" كان لعسكر الجزائر الانكشاري يَدٌ في ذلك بلا شك وهذا طَبَعُ الجُنْدِ في الغالب، لكنَّ عَمَلِيَةَ النَّهْبِ والسَّلْبِ كانت من طرف الجيشين؛ ومَسْؤُولِيَّةُ ذلك تُلقَى على عَاتِقِ عَسْكَرِ تونس الانكشاري بِالدرَجَةِ الأولى بِاعْتِبَارِهِمْ حُمَاهُ البَلَدِ وليس على عَاتِقِ الجيش الجزائري.

هَذَا إِضَافَةً إِلَى أَنَّ مَسْأَلَةَ فَرَضِ السِّيَادَةِ الجزائرية وَتَبَعِيَّةُ تونس إِلَى الجزائر الَّتِي تَكَلَّمَتْ عَنْهَا المِصَادِرُ التُّونِيسِيَّةُ مُقَابِلَ مُسَاعَدَةِ أَبْنَاءِ حَسِينِ بن علي خِلالِ هذه الحِمْلَةِ تَحْتَاجُ إِلَى بَحْثٍ مُعَمَّقٍ لِأَنَّ داي الجزائر "علي بوضيع" لَمَّا رَاسَلَهُ باي قسنطينة بِشأنِ الحَاقِ تونس بالجزائر وَبِقَائِهِ هُوَ حَاكِمًا عَلَيْهَا رَفَضَ ذلك و رَدَّ عَلَيْهِ داي الجزائر قائلاً: "...إن الأوجاق الثلاثة-تونس والجزائر وطرابلس-من ممالك السلطنة العلية العثمانية ونحن على طاعتها. ولو صحت هذه الضريبة من المال في الإسلام يكون سلطان المسلمين أولى بها"<sup>(3)</sup>...

والنتيجة الَّتِي يُمكنُ إِسْتِحْلَاصُهَا أَنَّهُ بِنِهَايَةِ "علي باشا" وابنه "محمد باي" على يَدِ مَحَلَّةِ الجزائر عام 1756م إِنْتَهَتْ فُصُولُ الحُرْبِ الأَهْلِيَّةِ بتونس الَّتِي أَتَتْ على الأَحْضَرِ واليَابَسِ لِفِتْرَةٍ زَمْنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَإِرْتَاخَتْ تونس وَرُبُوعُهَا وَسُكَّانُهَا مِنَ المِعَارِكِ والفِتَنِ والحُرُوبِ، وَدَخَلَتْ العِلاَقَاتُ السِّيَاسِيَّةُ بَيْنَ

ويذكر فيها أنه حتى القنصليات الأجنبية (الهولندية والفرنسية) تم اقتحامهم ما عدا الإنجليزية لمعرفة المزيد أنظر: الهادي الوسلاطي، المستشفى الترينيتاري الإسباني بتونس وثيقة من أرشيفيه عن حملة "العثمانيين بالجزائر سنة 1756م على تونس، المجلة التاريخية المغربية، ع22/21، أبريل 1981، تونس، صص167-176. علما أن القنصليات التي تعرضت للنهب كانت علاقتها عدائية مع الجزائر ما عدا قنصلية إنجلترا ونفس الرسالة تذكر ذلك.

<sup>(1)</sup> الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج4، ص84.

<sup>(2)</sup> حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ج1، ص292.

<sup>(3)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج2، صص153-154.

الإيالتين (تونس والجزائر) مرحلةً طويلةً من السّلام والاستقرار، وما كان لتونس أن تصل إلى هذه النتيجة و تنعم بالهدوء لولا تدخل حملة الجزائر رغم الحسائر والتضحيات التي قدّمتها مقابل ذلك.

المبحث الثالث: تجدد الصّراع بين الجزائر وتونس في القرن 13هـ/مطلع القرن 19م: خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي أصبحت تونس شبه تابعة إلى الجزائر<sup>(1)</sup> بسبب المساعدة العسكرية التي قدّمتها حكام الجزائر إلى أبناء الحسين باي؛ محمد وعلي لتولي حكم تونس مقابل التزامات تمثلت في دفع أموال وضرائب قارة و إحسانات سنوية على شكل هدايا لباشا الجزائر وأعضاء ديوانه وباي قسنطينة وأعيان محزّنه<sup>(2)</sup>.

ويقال أنّ حاكم تونس "محمد باي" (1756-1759م) هو أول من قبل في تاريخ تونس الحديث الالتزام لداي الجزائر بدفع أموال ضخمة سنوياً، وهو الأمر الذي عجز أخوه "علي باي" (حكم بعده 1759-1782م) من التخلّص منه<sup>(3)</sup>، وكان يوصي ابنه و وليّ عهده حمودة باشا دائماً بأن يُقدّم ثلاثة أرباع مداخيله لحكام الجزائر ويحتفظ لنفسه بالثلث ليتمكّن من العيش معهم بسلام.

لكنّ حمودة باشا كان يمثّل لأوامر أبيه على مفضّ ويسعى منذ توليه الحكم بين (1782-1814م) إلى الخروج عن هذه السيطرة والتبعية وصرّح بذلك عدّة مرّات لرجال دولته عندما كانوا يستفسرون عن مصير هذه الأموال وسبب دفعها للجزائر ولماذا لا يتمّ الإمتناع عن دفعها كان يرُد عليهم "لم أجد من أتحرم به منكم على دفع هذا الضيم"<sup>(4)</sup>.

وكان يتخيّن الفرصة السانحة حتى يقطع هذه الالتزامات المرهقة و تذكر المصادر الإخبارية أنّ هناك مجموعة من الأحداث كانت كافية لإثارة غضب حاكم تونس و ساهمت في جعل العلاقات السياسية بين الإيالتين تؤول إلى التصدع والإنكسار ثمّ الحرب، وهي:

<sup>(1)</sup> محمد بن عثمان حوجة، المرأة، ص 125.

<sup>(2)</sup> أنظر: الملحق رقم 6، تمثّل نموذج للخارج لأهل الجزائر من إحسانات وهدايا سنوية كانت تقدمها تونس للجزائر، كما أن المبحث الثالث من الفصل الاقتصادي يدرس هذا الار بالتفصيل.

<sup>(3)</sup> رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا ، ص 60.

يقول ابن أبي الضياف حول المعاناة التي كان يلاقها "علي باي" من حكام الجزائر ما يلي: "واستقامت المملكة في دولته ومالت إليه قلوب أهلها، إلا أنه عاش منعصاً من مداراة الولاة في الجزائر وقسنطينة يُدبّون عليه بأنهم السبب في رجوعه إلى وطنه، وتحت أيديهم زبون عليه من آل بيته يظهرون لهم العناية والمواعيد، مهما رأوا منه ما يخالف أغراضهم، حتى كادوا يرونه كعمّالهم. وقاس أهل المملكة من جورهم وعسفهم، ما لا تحتمله النفوس البشرية. وقاس هو من غلظه رسلهم..." أنظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 2، ص 176.

<sup>(4)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 2، ج 3، ص 40.

- أنَّ داي الجزائر وبأي قسنطينة كانا يشتريان الأنعام من الجزائر ويُرسَلونها لبُتباع بتونس، ولا يُسَمَّح لأهل تونس بِبَيْع أنعامهم؛ حتَّى تُباع أنعام الجزائر أولاً وبسعر يُحدِّد سابقاً، وإذا نُقصَ عددٌ من الرُّؤوس يُضافُ سعْرُهُ على رُؤوسِ العددِ الباقي (بمعنى أنَّه لا مجال للخسارة).

- كما كان الجزائريون (تجاراً كانوا أو مبعثين) يدعون السَّرقة على أهل تونس، ويطلبون مُعاقبتهم بِمجرد رُفْعِ الدَّعوة ضدهم، و أثناء إقامتهم بمدينة تونس كانوا ينزلون بِقصر باردو ضيوفاً، ويُلَاقِي القَائِمُونَ على خِدْمَتِهِمْ عُنفاً كبيراً وتَعسُفاً، ممَّا يُستَفْز به حِلْمُ هؤلاء ويدخلون معهم في بَعْضاء لا طائل منها سوى إذلال هؤلاء العُمال التونسيين<sup>(1)</sup>.

- ويروي حمدان خوجة أحد أهمَّ تجار و أعيان مدينة الجزائر أنَّه عندما كان عائداً في إحدى رحلاته رُفِّقته خاله من إسطنبول سنة 1801م توقَّف لِمدَّة أسبوعٍ بمدينة تونس أين التقيَ بِحاكمها "بحمودة باشا" وأكرمهما؛ كما اشتكى لهما من تصرفات وكِلا الجزائر وقسنطينة المقيمين بتونس العير مقبولة وأبدى حمدان خوجة وخاله أسفه لهما عن تلك التصرفات المشينة لكن لم يتمكنا من تغيير الوضع لأنَّ الأمر فوق طاقتيهما<sup>(2)</sup>.

ولمَّا طَفَح الكيل؛ شرع "حمودة باشا" في تطبيق خطة شاملة لِتحقيق استقلاله عن الجزائر، حيث التفت إلى تحصين البلاد وبناء الأبراج وتسلحها واعتنى بِالجيش وتسلحه كذلك استعداداً لشن هجوم على قسنطينة؛ وهذا ما ذكره ابن أبي الضياف قائلاً: "...فعزم على حرهم.. بعد أن التفت إلى تحصين البلاد،.. ثم شرع في بناء السور يوم الأحد رابع ربيع الأول سنة 1217،.. (4 جويلية 1802م)، و ابتداءه ببرج باب الخضراء و البرج الملاصق به..، و عمره بالمدافع، و جميع لوازمه.. ثم برج سيدي يحيى السليمانى.. ثم برج سيدي عبد السلام، و برج باب سعدون، و برج باب خالد.. و مهما تم من برج عمره بمدفعه و حماته من العسكر.. و حصن حلق الوادي.. و بنى الطُّبَّخانات<sup>(3)</sup> الأرضية و شحنها بمدافعها.. و أمر ببناء القشل الخمس لسكنى عسكر الترك.. فتتمت في أسرع وقت و عمرها بالجنود." <sup>(4)</sup>، فأصبحت بِذلك قُوته العسكرية قادرةً على تحقيق

<sup>(1)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 2، ج 3، ص 40. أنظر كذلك: أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 48-49.

<sup>(2)</sup> حمدان خوجة، المرأة، ص 126-127.

<sup>(3)</sup> جمع طَبَّخانة و هي دار صناعة المدافع. أنظر: حسان حلاق و عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية و الأيوبية و المملوكية (المصطلحات الإدارية و العسكرية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية و العائلية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2009.

<sup>(4)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 3، ص 38.

النَّصْر؛ فَصَارَ يَتَعَلَّقُ وَيَمْتَنِعُ عَنِ الدَّفْعِ الضَّرَائِبِ وَالهِدَايَا الْمُعْتَادَةَ لِباشَا الجزائر<sup>(1)</sup> وَوَالِي قسنطينة، خَاصَّةً بَعْدَ تَخْلُصِهِ مِنْ مُنَافَسَةِ الأَمِيرِ "يُونُس" الَّذِي كَانَ يُقِيمُ بقسنطينة وَ تُوفِي بِهَا سَنَةَ 1768م وَيَسْتَعْمِلُهُ حُكَّامَ الجزائر كَوَرَقَةَ ضَعُطٍ ضَدَّهُ وَكَذَا تَخْلُصِهِ مِنْ حَفِيدِهِ (أَي حَفِيدِ يُونُس) "حَسِينِ بَاي" بِنِ إِسْمَاعِيلِ الَّذِي كَانَ يُقِيمُ بِمَدِينَةِ الجزائر وَ تَمَّ اسْتِدْرَاجُهُ إِلَى تُونِسٍ ثُمَّ قَتَلَهُ عَامَ 1799م<sup>(2)</sup>، فَقَامَ "حمودة باشا" بِمَنَعَ وَ إِبْطَالِ العُرفِ الَّذِي كَانَ مَعْمُولاً بِهِ وَ هُوَ بَيْعِ المَوَاشِي القَادِمَةِ مِنَ الجزائر قَبْلَ المَوَاشِي التُونِسِيَّةِ. كَمَا اسْتَقْبَلَ بَاي قسنطينة "مصطفى إنقليز" عِنْدَمَا عَزَلَهُ باشَا الجزائر عَامَ 1803م<sup>(3)</sup> وَقَرَّرَ مُسَاعَدَتَهُ وَإِعَادَتَهُ لِوِلَايَتِهِ عَلَى رَأْسِ قسنطينة، مِمَّا أَثَارَ غَضَبَ وَ اسْتِيَاءَ دَايِ الجزائر؛ ثُمَّ تَطَوَّرَتِ الأَوْضَاعُ أَكْثَرَ نَحْوِ التَّأزُّمِ حِينَمَا قَامَ بَاي قسنطينة "عبد الله" (حَكَمَ بَيْنَ 1804م-1806م) بِعَزْوِ أَوْلَادِ بُوعَازِمِ (قَبِيلَةَ حَدُودِيَّة) وَأَخَذَ فِيهِمْ بِالأَخْذِ وَالسَّلْبِ حَتَّى إِقْتَرَبَ مِنْ مَدِينَةِ الكَافِ<sup>(4)</sup>، عِنْدئذٍ قَرَّرَ "حمودة باشا" مُحَارَبَةَ الجزائريين، فَطَرَدَ وَكَيْلَهُمْ بَتُونِسٍ وَبَاقِي الرِّعَايَا الجزائرين هُنَاكَ، فَجَمَعُوا أَمْوَالَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ<sup>(5)</sup>.

وَكَانَتْ رَدَّهُ فِعْلَ دَايِ الجزائر عَلَى مَا قَامَ بِهِ بَاي قسنطينة "عبد الله" مِنْ إِعَارَتِهِ عَلَى قَبِيلَةِ أَوْلَادِ بُوعَازِمِ أَنْ قَامَ بِعَزْلِهِ وَعَيَّنَ مَكَانَهُ "حَسِينِ بِنِ صَالِحِ بَاي" (حَكَمَ بَيْنَ 1806-1807م) وَكَانَ وَلدًا صَغِيرَ السِّنِّ حَضْرِيًّا لَا يُقْدِرُ عَلَى الرُّكُوبِ لِلْعَزْوِ وَليَسَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْحُرُوبِ وَسِيَّاسَةُ المُلْكِ، مُشْتَعِلًا بِاللَّهْوِ وَالطَّرْبِ وَشُرْبِ المَقَطَّرَاتِ مِنَ المُنْكَرَاتِ، فَلَمَّا سَمِعَ "حمودة باشا" بِذَلِكَ وَجَدَهَا أَفْضَلَ فُرْصَةً لِشَنْ حَمَلَةِ حَرْبِيَّةٍ عَلَى قسنطينة<sup>(6)</sup>.

<sup>(1)</sup> يذكر الزهار أنه في فترة حكم أحمد باشا (1805-1808م) بالجزائر حدثت القطيعة في العلاقات مع تونس ثم تطورت إلى حرب ويذكر سبب ذلك قائلا: "...وقد كان ملوك تونس يبعثون مركبا محملا بالزيت، وبعض الهدايا الرقيقة كل سنة فقطعوها في قيامه... ووقع الكلام بينه وبين ملكها حمودة باشا إلى أن اشتعلت نار الفتنة، فبعث أحمد باشا المراكب الجهادية ليأخذوا ما وجدوه من مراكب تونس إلى أن يدفعوا ما عليهم من العادة التي إلتزم بها ملوكهم، ملوك الأتراك بالجزائر". أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 96.

<sup>(2)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 3، ص 33. انظر كذلك:

-Louis (Frank). **Histoire de Tunis**, 2eme Edition, Edition Bouslama, Tunis , 1985, p197.

الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 4، ص 217-219.

<sup>(3)</sup> ويذكر الزهار أن سبب عزل مصطفى انكليز يعود إلى فشله في إخماد فتنة ابن الأحرش التي ظهرت بالشرق الجزائري مطلع القرن 19م. أنظر أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 85-86.

<sup>(4)</sup> أنظر: حول هذه الواقعة السلسلة التاريخية، الحافظة 223، الملف 384، الوثيقة رقم 168، بالأرشيف التونسي، الملحق رقم 5.

<sup>(5)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 3، ص 40-41. مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، تح مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر، (د. ت)، ص 59-61.

<sup>(6)</sup> مجهول، المصدر السابق، ص 64/ ابن العطار، تاريخ قسنطينة، ص 51.

و السؤال الذي لا يمكن إغفاله في خضم هذه الأحداث هو؛ ما علاقة "حمودة باشا" بالثورة الدرقاوية و صاحبها ابن الأحرش، التي هزت استقرار بايلك الشرق الجزائري، و إلى أي مدى ساهمت الاضطرابات التي عرفها بايلك الشرق الجزائري؛ في تمكين و تشجيع باي تونس "حمودة باشا" على تجهيزه و إقدامه لشنّ حملة على قسنطينة؟.

لأن رواية الشريف الزهار الذي كان مُعاصراً للأحداث تثبت تورط "حمودة باشا" حاكم تونس في ذلك؛ حيث قال: "...ثم ان حمودة باشا استدعى..ابن الأحرش ووسوس له قائلا: ان رجلا مثلك شجاع..يجب أن يذهب الى ملك الترك(بالجزائر) و ينزعه من أيديهم و نحن نمدك بما يخصك و العرب يتبعونك..ثم ان ابن الأحرش اتسع في عقله مثل هذا الكلام.. و ذهب لناحية قسنطينة و كاتب الناس و دعاهم لاتباعه و كتب للقبائل، فثار جميع الوطن على الباي الانكليز..."<sup>(1)</sup> ثم لماذا استقبل حاكم تونس باي قسنطينة انكليز الذي طرد من طرف حاكم الجزائر بسبب فشله في اخماد الثورة الدرقاوية و القضاء على زعيمها ابن الأحرش؟.

لاشك أنّ إنشغال القوات الجزائرية باخماد الثورات التي اندلعت في شرق البلاد و غربها قد كانت من الأسباب التي جعلت باي تونس يستغل تلك الظروف لإعداد حملته على قسنطينة، كما تثبت شهادة الزهار أنّ هذه الفتنة التي عرفتها قسنطينة كان "حمودة باشا" يد فيها و لم يعمل بوصية والده التي قال فيها: "العشر و الخراج الذي تقبضه، اعط بعضه للجزائر و بعضه لمصاريف المملكة و بعضه لتعيش به، و اياك أن تجعلهم اعداء."<sup>(2)</sup> لكن المصادر التونسية أغفلت ذلك و لم تذكره لا تصريحاً و لا تلميحاً.

### 3-1- حملة حمودة باشا العسكرية و حصار قسنطينة<sup>(3)</sup> عام 1221هـ/1807م:

نظراً للأسباب السابقة الذكر أعلن "حمودة باشا" رُفقاء رجال دولته الحرب ضدّ الجزائر<sup>(4)</sup>، فجاء سفر المحلّة التونسية نحو قسنطينة منتصف ذي القعدة 1221هـ/24 جانفي 1807م وقد ضمّت خيرة جُنوده، إلى جانب الحاج "مصطفى أنقليز" باي قسنطينة سابقاً وإبنه علي، ومحلّة أخرى من باجة

(1) الزهار المصدر السابق، ص85.

(2) نفسه، ص85.

(3) تعتبر هذه الحملة التونسية هي الثانية ضد قسنطينة وقد سبقتها الحملة الأولى التي قادها مراد باي الثالث (بوبالة) عام 1112هـ/1700م وكلا الحملتين انهزم فيهما الجيش التونسي أمام الجيش الجزائري..

(4) يقول الزهار في هذا الشأن: "...إن حمودة باشا جهز محلة خفية، وبعث بها لأخذ قسنطينة فحاصرها شهراً كاملاً، وهو يرمي البومبة على البلد..." مذكرات الزهار، ص96.

ومَحَلَّةٌ مِنْ فُرْسَانَ الْأَعْرَاضِ، وَقَبِيلَةُ دَرِيدٍ بِنِسَائِهَا وَكَانَ قَائِدُ الْحَمَلَةِ سَلِيمَانَ كَاهِيَةَ الْأَوَّلِ مِنْ أَخْلَصِ رِجَالِ "حَمُودَةَ بَاشَا" عَلَى جَيْشِ قِيَامُهُ عَشْرَةُ أَلْفِ مُقَاتِلٍ وَخَمْسَمِائَةٍ جَمَلِ مُحَمَلَّةٌ بِالذَّخِيرَةِ الْحَرِيَّةِ<sup>(1)</sup>.  
وَبُؤُصُولِ الْمُحَلَّةِ التُّونِسِيَّةِ إِلَى قَسَنْطِينَةَ هَرَبَ الْبَايَ "حَسِينِ بْنِ صَالِحِ بَايَ" إِلَى نَاحِيَةِ جَمِيلَةَ قُرْبَ سَطِيفِ تَارِكًا الْمَدِينَةَ وَ سُكَانَهَا لِوَحْدِهِمْ.

تَقَدَّمَ جَيْشُ الْمُحَلَّةِ وَ عَشَكَرَ جَيْشِ الْعَدُوِّ حَوْلَ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ (قُرْبَ مَدْخَلِ الْمَدِينَةِ الْجَنُوبِ شَرْقِيًّا) وَضَرَبُوا عَلَيْهَا حِصَارًا خَانِقًا مَصْحُوبًا بِرُمِي الْمِدْفَعِيَّةِ وَالْبُونَبَةِ (نَوْعٌ مِنَ الْقَدَائِفِ) وَعَاثَ الْمُحَاصِرُونَ فِي أَرْيَافِ الْمَدِينَةِ وَعُزْبَاتِهَا نَهَبًا وَسَلْبًا، وَعَاثَى سُكَّانُ قَسَنْطِينَةَ مِنَ الْعَطَشِ بِسَبَبِ الْحِصَارِ الَّذِي تَجَاوَزَ الشَّهْرَ<sup>(2)</sup>، لَكِنَّهُمْ صَمَدُوا وَدَافَعُوا عَنِ مَدِينَتِهِمْ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلَتْهُمْ النَّجْدَةُ مِنْ دَايِ الْجَزَائِرِ "أَحْمَدُ بَاشَا" (1805-1808م) مُتَمَثِّلَةً فِي عِمَارَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا لِلْعَسْكَرِ جَاءَتْ مِنْ نَاحِيَةِ بَحْرِ عَنَابَةِ قِيَامِهَا 1440 جَنْدِيًّا؛ وَالثَّانِيَةَ لِلْفُرْسَانَ تَعْدَادُهَا 1680 فَارِسٍ<sup>(3)</sup> جَاءَتْ بَرًّا وَ وَصَلَتْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ إِلَى قَسَنْطِينَةَ.

إِسْتَبَكَ الطَّرْفَانَ فِي مَعْرَكَةٍ عَظِيمَةٍ كَانَتْ الْعَلْبَةُ فِيهَا لِلجَزَائِرِيِّينَ الَّذِينَ عَنَمُوا كُلَّ مَا وَجَدُوهُ فِي مُحَلَّةِ تُونِسَ مِنْ أَمْوَالٍ وَذَخَائِرَ حَرِيْبِيَّةٍ كَبِيرَةٍ (26 مدفعاً وعداداً كبيراً من الجِمال<sup>(4)</sup>) وَفَرَّ الْكَثِيرُ مِنْ جُنْدِ التُّرْكَ التُّونِسِيِّ وَانضَمُّوا إِلَى الْجَيْشِ الْجَزَائِرِيِّ، كَمَا بَقِيَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ قَبِيلَةِ دَرِيدٍ بَعَائِلَاتِهِمْ حَيْثُ أَنْزَلَهُمْ بَايَ قَسَنْطِينَةَ أَرْضًا تُسَمَّى بِحَيْرَةِ دَرِيدٍ أَقَامُوا بِهَا، وَعَادَ مَا بَقِيَ مِنْ مُحَلَّةِ تُونِسَ إِلَى بِلَادِهِمْ يَجْرُونَ أَدْنَابَ الْهَزِيمَةِ حَيْثُ إِعْتَاطَ "حَمُودَةَ بَاشَا" لِذَلِكَ كَثِيرًا وَسَجَنَ كُلَّ أَعْيَانِ الْمُحَلَّةِ مَا عَدَا سَلِيمَانَ كَاهِيَةَ الْأَوَّلِ لِسَابِقِ خِدْمَتِهِ لِوَالِدِهِ، فَعَزَلَهُ عَنِ الْخِدْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ<sup>(5)</sup>.

(1) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص42. صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح رابع بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص37.

(2) ابن العطار، تاريخ قسنطينة، ص52/ مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، ص64.

(3) حول تفاصيل هذه المعركة وعدد محلاتي الجزائر ووصولهما إلى قسنطينة وسبب انهزام الجيش التونسي. أنظر: وثائق السلسلة التاريخية، رقم الصندوق 223، رقم الملف 384، رقم الوثيقة 158 وهي عبارة عن تقرير رفعه قائد المحلة التونسية إلى حمودة باشا يشرح فيها تطورات الحملة التونسية على قسنطينة، إرجع إلى الملحق رقم 4.

(4) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1989، ص56. صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، ص38.

ابن المبارك، تاريخ قسنطينة، ص55. أحمد الشريف الزهار، مذكرات، ص96.

(5) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص42-43.

### 3-2- موقعة سلاطة (معركة وادي سيراط) 1222هـ/1807م:

بعد الانتصار الذي حققه الجزائريون في معركة فك الحصار على قسنطينة، قرّر حسن آغا قائد محلة الجزائر وباي قسنطينة؛ بعد استشارتهما لداي "أحمد باشا" مواصلة الحملة نحو تونس<sup>(1)</sup>، ورغم أنّ داي الجزائر قد راسل "حمودة باشا" بكتاب كتبه الفقيه محمد بن العنابي للعدول عن الحرب وتأديّة ما كان عليه من التزامات مالية مُقابل إقامة الصلح<sup>(2)</sup>، غير أنّ باي تونس لم يقبل بالعرض ومضى في تجهيز حملة عسكرية جديدة بأموال رجال دولته الذين تطوعوا بذلك، فاستطاع أن يحشد حوالي أربعين ألف مقاتل من الفرسان المخازنية و المرآزية والقبائل وسبعة عشر ألف من الراجلين أغلبهم من عسكر زاوة و العناصر المحلية، فضلاً عن رجال المدفعية وسارت محلة تونس تحت قيادة وزيره يوسف صاحب الطابع يوم 12 جوان 1807م ومعه سليمان كاهية الثاني والحاج مصطفى أنقليز و ابنه علي، بالإضافة إلى جماعة ممن اشتهروا بالفضل والصلاح. التقى الجيشان التونسي والجزائري بمكان يُعرف بسلاطة القريبة من وادي سيراط الواقع بين مدينة الكاف والحدود الجزائرية في 13 جويلية من نفس السنة.

وقد أبلى الجزائريون في هذه المعركة البلاء الحسن ممّا جعل الوزير صاحب الطابع يُفضّل الموت على رؤية "حمودة باشا" ثانية بسبب هذه الهزيمة<sup>(3)</sup>.

ثمّ تفرقت معظم المحلّة التونسية هاربة، لكنّ الملفت للانتباه والتساؤل هو أنّ حسين باي قسنطينة لمّا أحرز النصر في بداية المعركة لم يتبّع فلول الهاربين بل ترك ساحة المعركة وعاد إلى قسنطينة، وترك حسن آغا يُقاتل لوحده فاغتاز هذا الأخير من انسحاب الباي و ترك ساحة الحرب هو كذلك وقفل راجعاً إلى قسنطينة ولمّا تفطن التونسيون لعدم ملاحقة الجزائريين لهم، رجعوا لإرض المعركة فوجدوها خاوية إلاّ من الجرحى فنهّبوا كلّ ما وجدوه في محلة الجزائريين من مؤن وعتاد حربي بدون قتال ورجعوا مُستبشرين إلى الحاضرة في 6 أوت 1807م، حيث أعلنت الأفراح بهذا النصر وشعر الجميع باستعادة كرامته وعزّته بعد إهانتها من طرف الجزائريين<sup>(4)</sup>.

(1) أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص 56.

(2) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 97.

(3) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 2، ج 3، ص 44-47.

(4) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 97-98.

ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 2، ج 3، ص 49.

وَتَعُودُ أسباب إنكسار الجزائريين المحقق في هذه الموقعة إلى جُبْنِ حُسينِ باي قسنطينة الذي سَبَقَ وَأَنَّ فَرَّ من عاصمة مُلكِهِ أَثناء حِصَارِهَا من طرف الجيش التونسي، فكان من اللائقِ مُعَاقَبَتَهُ على ذلك وَعَدَمِ إسنَادِ أَيِّ مَهَامٍ عسكِرِيَّةٍ لَهُ، كما أَنَّ قائد المِحَلَّةِ آغا العسکر لم يكن مَوْفِقُهُ مُشْرِفًا فكان بإمكانه الصُّمُودَ ومُؤَاصَلَةَ الحَرْبِ حتى النَّصْرَ، أَضِفْ إلى ذلك أَنَّ الجيش التونسي في هذه الموقعة كان مُشْكَالًا من الفِرْقِ المَحَلِّيَّةِ فقط وتمَّ إِبْعَادُ الفِرْقِ الانكشارية التي كانت تَتَسَبَّبُ دَائِمًا في الهزِيمَةِ، كَمَا لَعِبَ مصطفى أنقليز باي قسنطينة السابق دورًا بارزًا في هذه المعركة حيث صَمَدَ مع فِرْقَتِهِ ولم يَفِرْ والذي كان أدرى بالجزائريين وقِتَالِهِمْ<sup>(1)</sup>.

وَلَمَّا عاد آغا العسکر إلى قسنطينة أَلْقَى القَبْضَ على حسن باي وأُودِعَهُ السِّجْنِ، لِكَوْنِهِ المتسبب الأول في هذه الهزيمة وأرسل إلى داي الجزائر يُخْبِرُهُ بِمَا حَصَلَ فَأَمَرَه بِقَتْلِ حسين بن صالح باي، وولى مَكَانَهُ علي شاوش باياً على قسنطينة<sup>(2)</sup>.

وكان من نتائج هذه الموقعة هو إنتصار "حمودة باشا" في هذه الحرب دون قتال كبير وإستحواذ جيشه على مَحَلَّةِ الجزائريين المليئة بالمؤن والعتاد الحربي<sup>(3)</sup>، والأهم من ذلك هو تَخْلُصِهِ من التَّبَعِيَّةِ للجزائر ومن دفع الضَّرَائِبِ و الأدياءات المالية السنوية لِحُكَّامِ الجزائر وقسنطينة، مِمَّا عَزَزَ مَكَانَتَهُ أَكْثَرَ داخل الأوساط التونسية، وفي المقابل إنهزمت مَحَلَّةُ الجزائريين<sup>(4)</sup> وقُتِلَ حسين باي بن صالح نتيجة جُبْنِهِ وفِرَارِهِ من أرضِ المعركة، كما تَارَ الجيشُ الانكشاري ضِدَّ داي الجزائر "أحمد باشا" وتمَّت تَصْفِيَتُهُ هو الآخر<sup>(5)</sup>.

محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تحقيق محمد الشاذلي، النيفر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص120.

<sup>(1)</sup>رشاد الإمام، المرجع السابق، ص429.

<sup>(2)</sup>ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص49.

<sup>(3)</sup>هناك وثيقة أرشيفية عبارة عن تقرير كتبه حمودة باشا حاكم تونس إلى وكيل الوجود بأزمير يتكلم عن هذه الموقعة "سراط" أنظر: السلسلة التاريخية، الحافظة 223، الملف 384، الوثيقة رقم 168 توجد بالملحق رقم5.

<sup>(4)</sup>هناك من يُرجع سبب الهزيمة إضافة إلى جبن باي قسنطينة إلى تعب الجيش الجزائري الذي شارك في حربين متتاليتين، وكذا إلى خيانة ظهرت في بعض العناصر التي تحيزت للصف التونسي. أنظر: حصام صورية، "نكبات قسنطينة خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر"، مجلة عصور، جامعة وهران، ع24-25، جانفي-جوان 2015، ص165.

<sup>(5)</sup>صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، ص39. / أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص99. ابن أبي الضياف، الإنحاف، مج2، ج3، ص50. / محمد عطية "الصراع بين الإياليين الجزائرية والتونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية والتونسية" 1830-1587م، مذكرة ماجستير، جامعة الجليلي اليابس سيدي بلعباس، السنة الدراسية 2014-2015، غير مطبوعة، ص118.

### 3-3- أوّل حملة بحرية جزائرية ضدّ تونس عام 1226هـ/1811م:

لم تَهْدَأ الأَوْضَاعُ كما لم تَتَحَسَّن العَلاَقَات بين الجزائر وتونس وازداد حُكَام الجزائر حماساً لإذكاء نار الحرب من جديدٍ وَحَوِ آثار هَزِيمَة معركة واد سراط وَتَجْدِيد عُهُودِ التَّبعيةِ التُّونسيةِ لِلجزائر من أجل ضَمَان مَوَارِدٍ مَالِيَةٍ قَارَةٍ، لِذَلِكَ قَامَ الرَيس حميدو في إحدى عَزَوَاتِهِ لِبِرِ النَصَارِي عام 1225هـ/1810م بِأَسْر مَرَكِباً تُونسِيّاً مُحمَلاً بِالشَّاشِيَةِ على إِعْتِبَار أَنَّ الجزائر في حَالَة حَرْبٍ مع تونس.

بعد هذه الحَادِثَة أَمَرَ داي الجزائر "الحاج علي باشا" (1809-1815م) الرَيس حميدو بِتَجهيزِ أُسْطُولٍ من أربع سُفُنٍ من اللَنجُورِ كَبِيرَةٍ وستة مَرَاكِبٍ أُخرى وَبِتَوَجُّهُ صَوْبَ جَزِيرَةِ جَرِينَة التُّونسيةِ لِلإِسْتِيلاءِ عَلَيَّهَا، وَفِعْلاً تَوَجَّهَ الرَيس حميدو صَوْبَ جَزِيرَةِ جَرِينَة وَضَرَبَهَا بِالكُورِ حَتَّى هَرَبَ أَهْلُهَا وَبَقِيَ بِمَرَسَاها أَيَّاماً ثُمَّ غَادَرَهَا<sup>(1)</sup>.

فَلَمَّا عَلِمَ "حمودة باشا" بِالوَأَقَعَتَيْنِ جَهَّزَ أُسْطُولاً حَرِيباً من ثَلَاثَةِ عَشْرٍ مَرَكِباً وَشَحَنَهَا بِالخُودِ وَتَوَلَّى قِيَادَتَهَا القُبطانُ مُحَمَّدُ رَيس المورالي وَخَرَجَتْ هذه المَحَلَّةُ في 14 ربيع الثاني 1226هـ/07 ماي 1811م وَالتَقَى بِالرَيس حميدو على جَزِيرَةِ قَرْقَنَة قُرَابَة ساحل مَدِينَةِ سُوْسَة أَيْنَ إِشْتَبَكَا في مَعْرَكَةٍ بَحْرِيَةٍ أَسْفَرَتْ عَنِ إِنْهزَامِ المَرَاكِبِ التُّونسيةِ وَفِرَارِهَا وَتَحْطُمِ سَفِينَةِ القُبطانِ مُحَمَّدِ رَيس المورالي الَّذِي تَمَّ أَسْرُهُ وَعَادَتِ مَرَاكِبُ الجزائر لِإِلَادِهَا حَيْثُ فَرِحَ بِهِنَّ حَاكِمُهَا وَأَهْدَاهُمْ خُلْعاً ذَهَبِيَّةً وَأَمْوَالاً<sup>(2)</sup>.

أَمَّا مَرَاكِبُ تونس لَمَّا عَادَتْ فَقَدْ قَبَّحَ الباي صَنِيعَهُمْ بِسَبَبِ تَحَاذُلِهِمْ فِي القِتَالِ وَوَصَفَهُمْ بِالخِيَانَةِ وَنَفَاهَهُمْ إِلَى قُرَى تونس<sup>(3)</sup>.

و فِي خِضَمِّ هَاتِهِ الأَحْدَاثِ تَدَخَّلَتِ الدَّوْلَةُ العُثمَانِيَّةُ وَأَرْسَلَتْ مَبْعُوثاً إِلَى الجزائر بِأَمْرِهَا بِالصُّلْحِ مع تونس، فَقَامَ داي الجزائر علي بِإِرسَالِ مَبْعُوثٍ إِلَى تونس طَالِباً الصُّلْحَ بِشَرْطِ قَبُولِ حَاكِمِهَا بِدَفْعِ الضَّرَائِبِ المَعهُودَةِ وَتَحْرِيبِ قَصْرِ الكافِ إِلاَّ أَنَّ "حمودة باشا" رَفَضَ هذه الشُّرُوطَ<sup>(4)</sup>.

(1) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 106. يذكر الزهار أن الرَيس حميدو في إحدى معاركه مع سفينة من جنس النابيطان (نابولي الإيطالية) بعد المعركة لجأ إلى ميناء تونس عام 1217هـ/1802م ومنه رجع إلى الجزائر دلالة على أن الرَيس حميدو لم يدخل في حرب مع تونس لما كانت علاقتها بالجزائر حسنة، ثم لما ساءت العلاقات بين الإيالتين تحرك الأسطول الجزائري بقيادة حميدو بأمر من باشا الجزائر محاربة تونس، وهذا دلالة على أن الحروب يُعلنها الكبار الحكام ويتبعهم الباقي أي الأسطول والجيش، أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 79-80.

(2) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 107. ألبير دوفال، الرَيس حميدو، تع: محمد العربي الزيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، (د. ت)، ص 84-85.

(3) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 2، ج 3، ص 51.

(4) محمد عطية، المرجع السابق، ص 122.

### 3-4- المواجهة البحرية الثانية بين الإيالتين 1227هـ/1812م:

ازدادت الأمور تعقيداً خاصة بعد رفض باي تونس لشروط حاكم الجزائر سابقاً الذكر وهو الأمر الذي جدد الحرب البحرية بين الإيالتين حيث تحرك الأسطول الحربي الجزائري (سنة عشر مركباً) بقيادة الرئيس حميدو ورسا بحلق الواد التونسية في 23 رجب 1227هـ/23 جويلية 1812م ورمها بالكور والبونبة فهرب سكان بلدة حلق الواد<sup>(1)</sup>، وتصدى له الأسطول التونسي (مائة وخمسة وسبعون سفينة) بقيادة يوسف صاحب الطابع وجرى بينهما مناوشات بالمدفعية ثم عاد الأسطول الجزائري ولم تذكر المصادر التاريخية من إنتصر في هذه الواقعة البحرية، لكن ابن أبي الضياف ذكر أن الأسطول الجزائري إنعطب معظم مراكبه في هذه الحادثة، وانسحب خائباً.

وبعد هذه المواجهة أصبح الأسطول الجزائري يعترض مراكب التجار التونسية في عرض البحر ويأخذها، مثل الإستيلاء على مركب الرئيس أبو محمد حسونة بن يوسف المورالي الذي كان يتخذها لكسب معاشه.

وخلال عام 1228هـ/أفريل 1813م توفي الحاج مصطفى أنقليز باي قسنطينة سابقاً، ودُفن بتونس وأسف الباي حمودة على وفاته قبل تنفيذ وعده بإرجاعه إلى حكم قسنطينة، واستمرت العلاقات متوترة بين الإيالتين حتى بعد وفاة "حمودة باشا" نفسه عام 1814م<sup>(2)</sup>.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها أن "حمودة باشا" يُعتبر الحاكم التونسي الوحيد والأكثر قدرة على وضع حدٍ للتدخل الجزائري في شؤون إيالته، كما أنه الوحيد الذي تنصل من التبعية وقطع الإمدادات المالية والضرائب التي كانت مفروضة على تونس وبدون كبير عناء، لأن المتسبب في هذه النتيجة لم تكن قوة جيشه بالدرجة الأولى، بل تعود لضعف باي قسنطينة حسين بن صالح الذي كان يُديرهم بأهلك في ذلك الوقت، كما نلاحظ أن قوة حاكم قسنطينة أو ضعفه لها كبير الأثر على سير العلاقات مع تونس بسبب قُرْبهما، كما أن السلم والهدوء الذي ساد العلاقات بين الإيالتين والذي حافظ عليه والده (علي باي) طوال مدة حكمه قد تلاشى بمجرد وُصول "حمودة باشا" إلى الحكم بتونس<sup>(3)</sup>.

(1) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 107.

(2) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 2، ج 3، ص 58-88.

(3) حصام صورية، "نكبات قسنطينة"، ص 154.

والملاحظة الأخرى والأهم هي أَنَّ أَعْلَبَ الأسباب المؤدية إلى ظُهُورِ خِلافاتٍ بين "حمودة باشا" وحُكَّام الجزائر وكذا بايات قسنطينة تُعود بالدرجّة الأولى إلى القبائل الحُدُودية التونسية كانت أم جزائرية و التي طالَ ما شكَّل هُروبها إلى الجِهَتَيْنِ وتلكُوهَا عن دَفْعِ الضَّرَائِبِ إلى ظُهُورِ نِزَاعَاتٍ بَيْنَهُمَا، أو بِسببِ خِلافاتٍ شَخْصِيَّةِ بَيْنِ حُكَّامِ الإيالاتين تعود إلى تَعَنُّتِهِم فَتَتَطَوَّرُ الأُمُورُ إلى إِعْلَانِ الحَرْبِ وَجَرَّ الجُيُوشِ إلى سَاحاتِ الحَرْبِ وَانْتِزَاعِ الأُمُوالِ مِنَ الرِّعِيَّةِ بِدُونِ وَجْهِ حَقِّ عَلى شَكْلِ ضَرَائِبِ مُتَكَرِّرَةٍ مِنْ أَجْلِ تَجْهِيزِ هَاتِهِ الحَمَلَاتِ.

كما نجد أن كُلَّ من تونس والجزائر خلال مطلع القرن 13هـ/19م قد عانوا من جوائح الطاعون والقحط وكذا ظُهورِ فِتْنَةِ الثَّائِرِ ابْنِ الأَحْرَشِ وَالدَّرَقَاوِيِّ فِي الجزائر وَكُلُّ هَذِهِ التَّحَدِيَّاتِ إِضَافَةً إِلَى حُرُوبِ الجَارَتَيْنِ المُتَكَرِّرَةِ أَضَعَفَتِ البَلَدَيْنِ وَأَرْهَقَتِ كَاهِلَ الشَّعْبَيْنِ، وَأَفْرَعَتِ أُمُوالَ خِزَائِنِهَا عَلَى حُرُوبٍ لَّا طَائِلَ مِنْ وَرَائِهَا إِلاَّ الحَرْابُ وَالدَّمَارُ.

المبحث الرابع: فترات الهدوء والاستقرار (السلام) في العلاقات السياسية بين الإيالاتين (الجزائر وتونس):

من خلال دِرَاسَتِنَا لِفَتَرَاتِ الصِّراعِ الَّتِي كانت بين الجزائر وتونس يَبْدُو لِلوَهْلَةِ الأُولَى أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ عَلاقاتٌ حَسَنَةً طِيلَةَ القَرْنِ 12هـ/18م وَ13هـ/مطلع 19م، وَأَنَّ لُغَةَ السِّلاحِ وَالحَرْبِ هِيَ السِّمَّةُ العَالِيَّةُ وَالسَّلْمُ هُوَ الإِسْتِثْنَاءُ، وَ هَذَا ما صَوَّرْتَهُ وَ جَسَدْتَهُ المِصادرُ التُّونِسيَّةُ، لَكِنَّ فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ العَكْسُ هُوَ الصَّحِيحُ، وَهَذَا ما سَيُثْبِتُهُ العَرَضُ التَّالِي، الَّذِي سَنُقَسِّمُ فِيهِ فَتَرَاتِ الهُدُوءِ فِي العَلاقاتِ السِّياسِيَّةِ وَالسَّلَامِ بَيْنِ الإيالاتين إِلَى ثَلاثِ فَتَرَاتٍ بَارِزَةٍ هِيَ:

#### 4-1- الفترة الأولى تمتد بين (1117هـ-1144هـ/1705-1732م):

حكم تونس خلال هذه الفترة مؤسس الدولة الحُسينِيَّة "حسين بن علي" (1705-1735م) أما

في الجزائر فقد تَدَاوَلَ عَلى السُّلْطَةَ سِتَّةَ دَياتِ هُمْ:

- حسن خوجة: 3 نوفمبر 1705م إلى 4 مارس 1707م.

- محمد بكداش: 4 مارس 1707م إلى 2 مارس 1710م.

- دالي إبراهيم: 2 مارس 1710م إلى 14 أوت 1710م.

- علي شاوش: 14 أوت 1710م إلى 5 أفريل 1718م.

- محمد بن حسن: 5 أفريل 1718م إلى 8 مارس 1724م.

- كورعدي: 8 مارس 1724 إلى 03 سبتمبر 1732م<sup>(1)</sup>.

وما يُلاحظ أن العلاقات خلال هذه الفترة بين الإيالتين مالت إلى السّلام وحسن الجوار لَكِنَّهَا لم تَخْلُو مِنْ بَعْضِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْحَرْبِ بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ لَوْلَا تَعَقُّلُ الْحُكَّامِ وَحِجْكَتِهِمْ فِي تَسْيِيرِ الشُّؤُونِ السِّيَاسِيَةِ، وَسَنَكْتَفِي بِذِكْرِ أَهَمِّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي كَانَ لَهَا تَأْثِيرٌ عَلَى الْجَزَائِرِ، أَوْ دَخَلَتْ لَهَا فِي شُؤُونِ تُونِسَ حَسَبَ وُجُودِهَا فِي الْمَصَادِرِ الْإِخْبَارِيَةِ.

أ- العلاقات بين الإيالتين في عهد "حسن خوجة الشريف" (1705-1707م):

عندما تولى "حسين بن علي" الحكم بتونس أواخر عام 1117هـ/1705م صادف مُعَارَضَةً مِنْ طَرَفِ الدَّايِ مُحَمَّدِ خَوْجَةَ الْأَشْقَرِ (الأصفر)<sup>(2)</sup> الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَنْفَرِدَ بِحُكْمِ تُونِسَ وَيَتَخَلَّصَ مِنَ الْبَايِ "حسين بن علي" لِذَلِكَ رَاسَلَ أَحَدَ مُعَارِضِيهِ وَهُوَ "إِبْرَاهِيمَ الشَّرِيفِ" الَّذِي كَانَ مَسْجُونًا بِالْجَزَائِرِ وَ أُطْلِقَ سَرَاحَهُ، مِنْ أَجْلِ الْعَوْدَةِ إِلَى تُونِسَ وَاسْتِرْجَاعِ الْحُكْمِ، وَفِعْلًا تَحَرَّكَ "إِبْرَاهِيمَ الشَّرِيفِ" نَحْوَ تُونِسَ لِتَنْفِيذِ الْخُطَّةِ، لَكِنْ دَايِ تُونِسَ "مُحَمَّدُ خَوْجَةَ" الْأَصْفَرُ قُتِلَ مِنْ طَرَفِ الْجُنْدِ بِسَبَبِ عَدَمِ اسْتِلامِ رِوَابَتِهِمْ، قَبْلَ وَصُولِ "إِبْرَاهِيمَ الشَّرِيفِ" الَّذِي تَمَّ التَّخَلُّصُ مِنْهُ بِأَمْرِ مِنْ "حسين بن علي" قُبَالَةَ السَّوَاحِلِ التُّونِسِيَةِ لَمَّا عَلِمَ بِقُدُومِهِ وَالِاتِّفَاقِ الْحَاصِلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّايِ الْأَشْقَرِ<sup>(3)</sup>.

لَكِنْ أَحَدُ الْمَصَادِرِ الْأَجْنِبِيَةِ ذَكَرَ أَنَّ حَاكِمَ الْجَزَائِرِ "حسين خوجة" اسْتَعْلَلَ النِّزَاعَ الْقَائِمَ بَتُونِسَ بَيْنَ الْبَايِ "حسين بن علي" وَالدَّايِ "مُحَمَّدِ خَوْجَةَ الْأَصْفَرِ" وَبَادَرَ إِلَى إِطْلَاقِ سِرَاحِ "إِبْرَاهِيمَ الشَّرِيفِ" أَوَّلَ شَهْرِ نَوْفَمْبَرٍ مِنْ عَامِ 1705م وَاتَّفَقَ مَعَهُ فِي حَالَةِ نَجَاحِهِ بِاسْتِرْدَادِ حُكْمِ تُونِسَ عَلَى مَا يَلِي:

- على دفع ما قدره 200000 بياستر.

- دفع ضريبة سنوية للجزائر.

- إبقاء عائلته بالجزائر لِضَمَانِ الْوَفَاءِ بِمَا اِلْتَزَمَ بِهِ لِحَاكِمِ الْجَزَائِرِ.

لَكِنَّ الْمِهْمَةَ لَمْ تُكَلَّلْ بِالنَّجَاحِ بِسَبَبِ مَقْتَلِ "إِبْرَاهِيمَ الشَّرِيفِ" قُرْبَ السَّوَاحِلِ التُّونِسِيَةِ وَبِمَوْتِهِ خَسِرَتِ الْجَزَائِرُ مَوْرَدًا مَالِيًّا هَامًا<sup>(4)</sup>، غَيْرَ أَنَّ الْمَوْرِخَ التُّونِسِيَّ الْوَزِيرَ السَّرَاجَ الَّذِي عَاصَرَ الْأَحْدَاثَ وَكَانَ

<sup>(1)</sup> أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا، ص 47-49. / وكذا: بن خروف، المرجع السابق، ص 65.

<sup>(2)</sup> حسين خوجة، ذيل كتاب بشار أهل الأيمان، ص 16.

<sup>(3)</sup> الوزير السراج، المصدر السابق، مج 3، ص 66/ حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي (المخطوط) الورقة 99-1/ أحمد بن أبي الضياف، المصدر

السابق، 1م، ج 2، ص 93-94.

3 (P) LUCAS: voyage du sieur paul lucas , paris 1712 tomes 2, p40.

أنظر كذلك: بن خروف، المرجع السابق، ص 66-67. / أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا، ص 47.

مُلازماً "الحسين بن علي" أورد الخبر ولم يذكر علاقته بحُكام الجزائر إطلاقاً، قائلاً: "فبينما هو... معتدلاً بموازين أحكامه إذ وَرَدَ عليه خبر إبراهيم الشريف... بأنه قدم في مركب من الجزائر لتونس بسبب ما كان أرسل له محمد خوجة... إلى الجزائر يستدعيه فأمر في الحين بمركب سُحنت... وخرجوا تلقوه... فوقع عليه رصاصة وحزوا رأسه... وكان ذلك... سنة سبعة عشر ومائة وألف" [24 رمضان 1117هـ/9 جانفي 1706م<sup>(1)</sup>].

وهنا يتبادرُ إلى الذهن سؤالٌ مُهمٌ، وهو هل فعلاً كان حاكم الجزائر وراء إطلاق سراح إبراهيم الشريف" والاتفاق معه على إسترجاع الحكم بتونس مُقابل عروضٍ ماليةٍ سخيةٍ هي في أمس الحاجة لها، أم أنّ رجوعه إلى تونس كان بطلبٍ من دايها "محمد خوجة" الذي كان يُخِطُّ لِلتَّحَالُفِ معه ضدّ الباي "حسين بن علي"، ولا نستطيع الجزم بتدخل حاكم الجزائر في هذا الأمر من عدمه لأنّ المصادر سكّنت عن ذلك.

#### ب- العلاقات بين الايالتين في عهد "مُحمَّد بكداش" (1707-1710م):

بقيت العلاقات في عهده حسنةً والتفت كل حاكم إلى شؤون إيلته لإنجاز أعمالٍ داخليةٍ في غاية الأهمية، و لكن خلال هذه الفترة حدثت أمورٌ مُهمّةٌ بالجزائر ولم تذكرها معظم المصادر التونسية وهي:

-بجّاح مُحمَّد بكداش<sup>(2)</sup> في العودّة من منفاه بطرابلس حيث إنتقل إلى تونس والتقى برفقائه ودعمهم "حسين بن علي" بالزّاد والرّاحلة ودخلوا الجزائر واقتكوا الحكم من الدّاي "حسن خوجة"<sup>(3)</sup>، ولا شك أنّ صنيعاً مثل هذا سيكون له أثراً طيباً في إبقاء العلاقات حسنةً بينهما.

-والحدث- الآخر الأهمّ هو فتح وهران الأول عام 1119هـ/1708م فلم تُشر له المصادر التونسية رغم أهميته ما عدا الصغير بن يوسف الذي أفرد له شرحاً مُطولاً.

والملفتُ لِلاِتِّبَاهِ أنّ هذا المؤرخ كان بعيداً عن دوائر السُّلطة؛ فلم يكن كاتباً ولا وزيراً ورغم ذلك تكلم عن فتح وهران بدافع الغيرة الإسلامية حيال تعرض ثغرٍ من ثغور الإسلام للاحتلال

(1) الوزير السراج، المصدر السابق، م3، ص97.

(2) محمد بكداش: سُمّاهُ والده بكداش و معناه الحجر الصلب، قدم من تركيا إلى الجزائر عام 1086هـ/1675م و انتقل إلى بونة و لازم الشيخ قاسم بن ساسي البوني فسماه مُحمَّد، ثم انخرط في الجيش الانكشاري و بقي يعتلي المناصب حتى أصبح رئيس ديوان الانشاء(دفتر دار) سنة 1705م و حدث خِلاف بينه و بين داي الجزائر "حسن خوجة شريف" فنفاه إلى طرابلس الغرب، ثم عاد إلى الجزائر عام 1707م مع رفقائه بمساعدة حاكم تونس و افتك الحكم من حسن خوجة و أصبح هو حاكماً للجزائر. أنظر: محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، صص87، 112، 139.

(3) محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص138.

الاسباني مُدَّةً زمنيةً طويلةً<sup>(1)</sup>، في حين بَجَّدَ المقربين من الحُكْمِ مثل المؤرخين حسين خوجة والوزير السَّرَاجِ المعاصرين للحدث سَكَّتَا.

والشيء الآخر أنَّ تونس لم تُساعد الجزائر في هذه الحرب ضِدَّ الإسبان مُعتبرةً ذلك شأن داخلي يخص الجزائر؛ خلاف المغرب الأقصى التي قَدَمَ سُلْطَانُهُ "إسماعيل" ما مقداره 200 قنطار من البارود أثناء حصار وهران<sup>(2)</sup>. فهل مَرَدُ ذلك إلى أنَّ الإحتلال الإسباني كان بعيداً عن تونس وبالتالي لا يُشكل خطراً على سواحلها عكس المغرب الذي كان يعاني من نفس الإحتلال لأهم مدينتين ساحليتين هما (سبتة، مليلة) أمَّ أنَّ مسألة مُساعدة الجزائر في طرد الإسبان سيُقوي جانبها ويجعلها تَتَفَرَّغُ أَكْثَرَ وَيُمْكِنُ أَنْ تُشْكَلَ خَطراً على تونس إذا دخلت معها في حربٍ مُستقبلاً.

وما يَهْمُنَا هو ليس الإجابة على هذا السؤال، بل التَّطَرُّقُ لِمَا ذَكَرَهُ صاحب المشرع الملكي حول مدينة وهران وفتحها الأول، فيستهل حديثه عن موقع وهران الاستراتيجي قائلاً: "...أعلم أنَّ وهران قرية على ساحل البحر قريبا من مستغانم في شطِّ المسلمين وكان في قديم الزمان بناها سلطان مسلم وجعل مرستين كبيرة وصغيرة، ولها رعية وأعراش كثيرة... مثل بني عامر وغيرهم<sup>(3)</sup>..." فَهنا يُشير إلى أنَّ وهران مُجرد قرية حَصِينَةٌ تملك ميناء كبيراً - وهو المرسى الكبير - وميناء صغيراً.

في حين بَجَّدَ المؤرخ المغربي التَّمَكْرُوتِي الذي تَكَلَّمَ عَنْهَا في رحلته أواخر القرن 16م ولم يدخلها بسبب الإحتلال الإسباني يَصِفُهَا قائلاً: "...مدينة حصينة بناها محمد بن أبي عون وجماعة من الأندلسيين سنة 290هـ<sup>(4)</sup>..." ومَرَدُ ذلك يَعُودُ إلى أنَّ المؤرخ التونسي لم يَزِرْ وهران بل سَمِعَ عنها فقط عكس التَّمَكْرُوتِي الذي له دِرَايَةٌ بالمدينة بسبب قُرْبِهَا من المغرب و كذا مُرُورِهِ إلى جَوَارِهَا أثناء سَفَرِهِ إلى استانبول أواخر القرن 16م.

- ثم يُشير المؤرخ التونسي إلى معلومة أخرى لَكِنَّ بِشْكَلٍ خَاطِئٍ قائلاً: "...ولما ملكت التُّركُ الجزائر وتلمسان أطاعتهم وهران، ثم أخذتها النصارى السبنيور الذين أخذوا جزيرة الأندلس... وفكَّوها من أيدي المسلمين وعمَّروها وشحنوها بالأبراج والرجال والمدافع<sup>(5)</sup>"، فهو يَظُنُّ أنَّ وهران مثل تلمسان دَخَلَتْ فِي طَاعَةِ الأتْرَاقِ العُثمانيين الذين حَكَمُوا الجزائر مُنْذُ 1519م، ثُمَّ تَمَّ إِحْتِلَالُهَا من طرف

(1) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 244.

(2) بن خروف، المرجع السابق، ص 70.

(3) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 244.

(4) محمد الجزولي التمجوتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقدم سليمان الصيد، ط 1، دار بوسلامة، تونس، 1988، ص 17.

(5) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، ص 244.

الإسبان وفي الحقيقة وهران تم احتلالها عام 1509م وقبلها المرسى الكبير عام 1505م أي قبل دخول العثمانيين إلى الجزائر؛ ورغم محاولاتهم المتكررة من أجل تحريرها لكنهم لم ينجحوا في ذلك<sup>(1)</sup>.  
- ثم يتكلم عن فتحها الأول وعن سير المعركة وحصار وهران ثم فتحها وخلال سيره لهذه المحطات المهمة بجده يُصيب في بعضها ويُخطئ في بعضها الآخر والسبب في ذلك يعود إلى أنه لم يخصر هذه الوقائع بل سمعها مُشافهةً ممن يثق به، فمثلاً يُورد عملية الفتح أنها كانت على عهد باشا الجزائر شُعْبَان حُوجَة الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ حَكَمَ سَنَةَ 1090هـ/1679م أو ما يقرب منها<sup>(2)</sup>، علماً أن شعبان حوجة حاكم الجزائر بين (1689/1695م) والمصادر لم تذكر أنه حاول فتح وهران، بل ما ذكرته هو أنه خاض حربين، في وقتٍ مُتقاربٍ الأولى ضدَّ سلطان المغرب إسماعيل عام 1694م الذي كانت تغيير جيوستراتيجته المرة بعد الأخرى على الحدود الجزائرية فأعلنها حرباً ضده وانتصر عليه وأمضى معه إتفاقية صلح بشروطٍ جزائرية، ثم التفت إلى تونس في نفس السنة وخاض ضدها حرباً وانتصر عليها وبعد مدةٍ ثار الجيش ضده وقتلوه عام 1695م بسبب رغبته في معاودة حرب تونس ولم يمهلهم بعض الوقت للراحة ثم الخروج للحرب<sup>(3)</sup>.

ويبدو أن الأمر قد اختلط عليه لأن هناك عدّة محاولات لفتح وهران وأقربها إلى هذه الفترة كانت على يد باي مازونة<sup>(4)</sup> "شعبان الزتافي" أو الزتافي (1679-1686م) الذي جهز حملة عام 1098هـ/1686م ونجح في بداية المعركة وأحرز نصراً على الإسبان لكنه قتل على يد أحد الحوثة من العرب الداخلين في سلك الكفر<sup>(5)</sup> عام 1686م وقطع الإسبان رأسه وعلقوه على أبواب المدينة وباستشهاده فشل الجيش و المجاهدون وعادوا أذراجهم وبقيت وهران تحت الاحتلال الإسباني<sup>(6)</sup>.

(1) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص 86، و 100.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 244.

(3) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 23-25.

(4) كان مقر الباي لبابك الغرب الجزائري أيام احتلال الإسبان لوهران بين مستغانم و مازونة ثم معسكر إلى غاية فتح وهران الأول عام 1708م انتقل الباي مصطفى بوشلاغم إليها. أنظر: ابن ميمون، المصدر السابق، هامش ص 30.

(5) قبائل بني عامر: تُعد من القبائل المتحالفة مع الإسبان أثناء احتلالهم لوهران، تتكون من ثلاثة بطون و تنفرع إلى 79 قبيلة. أنظر: عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من الاعراب كبن عامر، تح محمد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص 15.

(6) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 21-22. أنظر كذلك: أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الرّاشدي، القول الوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص 68-69.

لَكِنَّ عَمَلِيَّةَ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ<sup>(1)</sup> كَانَتْ عَامَ 1119هـ/1708م فِي عَهْدِ بَاشَا الْجَزَائِرِ "مُحَمَّدَ بَكَدَاشَ"<sup>(2)</sup> الَّذِي جَهَّزَ حَمَلَةً عَظِيمَةً بِقِيَادَةِ صِهْرِهِ أَوْزَنْ حَسَنَ وَالَّذِي تَطَاوَرَتْ جُهُودُهُ مَعَ جُهُودِ بَايِ الْغَرْبِ (مَازُونَةَ) "مُصْطَفَى بُوْشَلَاغَمِ"<sup>(3)</sup> الَّذِي يَصِفُهُ صَاحِبُ الْقَوْلِ الْوَسْطِ قَائِلاً: "... وَقَدْ شَوَّهَدَ مِنْ هَذَا الْبَايِ... فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ أُمُورٌ عَجِيبَةٌ... وَمَا زَالَتْ جِيُوشُ الْمُسْلِمِينَ تَحَارِبُ وَهْرَانَ حَتَّى فَتَحُوْهَا عَنُودَ وَقَهْرًا... " وَقَدْ تَمَّ الْفَتْحُ الْأَوَّلُ لَوْهْرَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ 26 شَوَّالٍ 1119هـ/20 جَانَفِي 1708م ثُمَّ آخَرَ فَتَحَ لِبْرَجِ الْمَرْسَى الْكَبِيرِ كَانَتْ فِي يَوْمِ 13 مَحْرَمِ 1120هـ/4 أَفْرِيلِ 1708م<sup>(4)</sup>.

أَمَّا حَوْلَ تَحْصِينِ الْمَدِينَةِ، وَأَبْرَاجِهَا الْخَمْسَةِ<sup>(5)</sup> وَعَنْ تَجْهِيزِ الْحَمَلَةِ فِي الْجَزَائِرِ وَسَيْرِهَا نَحْوَ وَهْرَانَ وَالْمَعَارِكِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ وَطُولِ فَتْرَةِ الْحِصَارِ لِأَشْهُرٍ إِلَى غَايَةِ فَتَحِهَا (دَامَتْ عَمَلِيَّةُ الْحِصَارِ وَالْحَرْبِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ 1119هـ/جَوَّانِ 1707م إِلَى إِسْتِكْمَالِ الْفَتْحِ فِي 13 مَحْرَمِ 1120هـ/4 أَفْرِيلِ 1708م أَيْ حَوَالِي سَنَةِ كَامِلَةٍ مِنَ الْحِصَارِ وَالْمَرَابِطَةِ وَالْمَعَارِكِ لِتَحْرِيرِ وَهْرَانَ).

فَالْأَخْبَارُ الَّتِي يُورِدُهَا صَحِيحَةٌ تَارِيخِيًّا وَذَكَرَهَا خَاصَّةً عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَامِعِي<sup>(6)</sup> فِي شَرْحِهِ لِلْأَرْجُوزَةِ الْخَلْفَاوِيِّ<sup>(1)</sup>، لَكِنَّ صَاحِبَ الْمَشْرَعِ أَغْفَلَ ذِكْرَ جُهُودَاتِ دَايِ الْغَرْبِ "مُصْطَفَى بُوْشَلَاغَمِ" وَقَائِدِ مَحَلَّةِ الْجَزَائِرِ أَوْزَنْ حَسَنَ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ، وَنَسَبَ كُلَّ الْجُهُودَاتِ "لِشُعْبَانِ خُوجَةَ" خَطَأً.

<sup>(1)</sup> حول عملية الفتح الأولى هناك أرجوزة للخلفاوي ألفها وكان معاصراً للحدث وشرحها تلميذه الجامعي. أنظر: عبد الرحمن الجامعي، شرح أرجوزة الخلفاوي، رقم المخطوط 2521، المكتبة الوطنية الجزائرية.

<sup>(2)</sup> بكداش كلمة تركية معناها الحجر الصلب وسماه بهذا الاسم أبوه لما وُلد تولى منصب داي الجزائر بين 1707-1710م عرف بالصلاح وحب الخير، وجه كل جهوده لطرد الإسبان من وهران ونجح في ذلك حيث تعاون مع باي الغرب مصطفى بوشلاغم من استرجاعها للمرة الأولى عام 1708م. أنظر: ابن ميمون، التحفة المرضية، هامش ص112. وقال الجامعي "كان محمد بكداش عالماً فقيهاً مشاركاً في عدة فنون من المعارف و العلوم ماهراً في علم اللسان، له ممارسة بالصوفية تصدّر للإقراء مراراً، تولى خطابة بعض جوامع الجزائر سنة 1104هـ. ينظر: ابن ميمون، المصدر السابق، ص121.

<sup>(3)</sup> تولى شؤون بابلك الغرب، وانصبت جهوده على محاربة الإسبان بوهران و أبلى حسناً، كما عانى أثناء حصارها لمدة أشهرٍ حيث بدأ مع المجاهدين حصار برج العيون أهم برج بحصن وهران في النصف من الربيع النبوي وافتتحه في العاشر من جمادى الآخرة واستمر القتال وفتح بقية الأبراج إلى أن فتحوها في شهر شوال من عام 1119هـ. حول ذلك أنظر: عبد الرحمن الجامعي، شرح أرجوزة الخلفاوي، الورقة 36-1 إلى الورقة 38-1.

<sup>(4)</sup> الجامعي، المصدر السابق، الورقة 46-1. ابن ميمون، المصدر السابق، ص90 وهامش ص203، وص94.

<sup>(5)</sup> أبراجها الخمسة: تقع وهران في منحدر تحيط به الجبال من كل جانب، و هذا يمثّل نقطة ضعف للمدينة إذا هوجمت من تلك المرتفعات، لذا جاء مشروع الإسبان لحمايتها بتطويقها بسلسلة من الحصون تقام على تلك المرتفعات في نظام دفاعي يجعل من كل حصن مكمل للآخر و عددها خمسة و هي (سانتاروز، سانت قريقر، سانت فليب، سانت أندري، و روزا الكازار "البرج الأحمر") يضاف لها حصن القصبه الذي يشرف على المدينة. أنظر: نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية و ردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر الهجري 10هـ السادس ميلادي 16م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص34.

<sup>(6)</sup> عبد الرحمن الجامعي الفاسي: أديب و علامة مغربي رحل من المغرب أواخر دولة إسماعيل (أوائل القرن 12هـ) و استقرّ بتونس و عمِل مُدرّساً بالزيتونة، كما زار الجزائر خلال القرن 17م و تتلمذ على بعض علمائها مثل الخلفاوي الذي شرح أرجوزته المخصصة لتخليد فتح وهران الأول عام 1708م، فشرحها و أضاف إليها معلومات أخرى اعتماداً على الرواية الشفوية. أنظر: عبد الهادي التازي، جامع القرويين، مج3، دار الكتاب اللبناني، بيروت،

كما يُلاحظ إشادة الصغير بن يوسف بشجاعة الجيش الانكشاري الجزائري في القتال واستعماله للمدافع أكثر من مرةٍ ونَسْتَدُلُّ بِمِثَالٍ وَاحِدٍ حَيْثُ قَالَ: "... لا يعرفون قتال النصارى إلا الترك ولا يخافون إلا منهم عند القتال والعرك<sup>(2)</sup>...".

كما يَذكرُ بأنَّه قُتِلَ في هذه الحُرْبِ عشرة من أكابر وأُمراء الإسبان أو أكثر، ثُمَّ يَصِفُ فَرَحَ المسلمين بفتح وهران والإحتفالات التي أُقيمت سِوَاءَ في الجزائر أو خَارِجَهَا حيثُ أُرْسِلَ باشا الجزائر بكداش بِشَائِرِ الفَتْحِ إلى سُلْطَانِ المغرب إسماعيل و إلى تونس وطرابلس<sup>(3)</sup>.

-والحدث الثالثُ الَّذِي سَكَّتْ عَنْهُ المصادر<sup>(4)</sup> هو هُرُوبُ باي قسنطينة "حسين شاوش" عام 1709م إلى تونس آخذاً مَعَهُ ثَرَوَتَهُ وَأَمْوَالُ الصَّرَائِبِ المَسْتَخْلَصَةِ من إقْلِيمِهِ رَغْمَ أَنَّ الجزائر كانت بِحَاجَةِ مَاسِيَةٍ إلى الأَمْوَالِ؛ وَالتِّي بِسَبَبِهَا قَتَلَ الجُنْدُ الدَّاي "محمد بكداش" عام 1710م لِعَدَمِ حُصُولِهِمْ عَلَى رِوَايَتِهِمْ<sup>(5)</sup>، وَلَمْ يَشْفَعْ لَهُ عِلْمُهُ وَوَرَعُهُ وَفَتْحُهُ لِهَرَانِ فِي ثَنِيهِمْ عَن قَتْلِهِ<sup>(6)</sup>.

وهذا يَقُودُنَا إلى مَسْأَلَةٍ أَهْمٌ وَهِيَ قِضِيَّةُ العَجْزِ المَالِي الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَائِقًا أَمَامَ عِدَّةِ حُكَّامِ طَمُوحِينَ بِالجزائر أمثال بكداش ومن سَبَقَهُ وَتَسَبَّبَ فِي مَقْتَلِهِمْ؛ وَلاشَكَّ أَنَّ مَرْدُ ذَلِكَ كَانَ عَائِدًا إلى تَرَاوِجِ مَدَاخِيلِ البَحْرِيَّةِ<sup>(7)</sup> خِلالَ هذه الفَتْرَةِ من جِهَةٍ، وَعَدَمِ الإِعْتِمَادِ عَلَى مَوَارِدِ حَيَوِيَّةٍ وَثَابِتَةٍ من جِهَةٍ أُخْرَى، إِضَافَةً إلى تَكَاثُفِ الحُرُوبِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ لِأَكْثَرِ من عَشْرِينَ سَنَةً (1684-1708م) ضِدَّ تونس والمغرب والإسبان وكل ذلك كان يَتَطَلَّبُ إِمدَادَاتٍ مَالِيَّةً كَبِيرَةً، كَمَا يُؤَسِّفُ عَلَى فَقْدِ حَاكِمِ

1972، صص 222-223. وكذا: سعدية رقاد، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2018-2019م، ص 61

<sup>(1)</sup> أَرْجُوْةُ الحِلفَاوِي: هِيَ قِصِيْدَةٌ من بَحْرِ الرِّجْزِ لِصَاحِبِهَا مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدِ الحِلفَاوِي التَّلْمَسَانِي (ت 1711م) من عِلْمَاءِ تَلْمَسَانَ وَ لَقَدْ نَظَمَ هَذِهِ الأَرْجُوْةَ لِتَخْلِيْدِ فَتْحِ وِهْرَانَ الأَوَّلِ، وَ تَحْتَوِي عَلَى 72 بَيْتًا وَ خَمْسَةَ فِصُولٍ، الفِصَلُ الأَوَّلُ فِي ذِكْرِ دَوْلَةِ مُحَمَّدِ بَكْدَاشِ، الفِصَلُ الثَّانِي فِي وَصْفِ تَجْهِيزِ الجَيْشِ وَ تَوَجُّهِهِ إِلَى وِهْرَانَ، الفِصَلُ الثَّالِثُ فِي كَيْفِيَّةِ مَحَاصِرِ المَدِينَةِ وَ بَرُوجِهَا، الفِصَلُ الرَّابِعُ فِي وَصْفِ مَا آلَ إِلَيْهِ المَسْلُومُونَ الفَاتِحُونَ، وَ الإسْبَانِ المَطْرُودِينَ وَ مَا افْتَرَقَتْ عَلَيْهِ كَلَا الطَّائِفَتَيْنِ، الفِصَلُ الخَامِسُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُوْلِهِ. وَ قَدْ نَظَمَ الجَامِعِي -شَارِحُ الأَرْجُوْةِ- خَمْسَةَ أَيْبَاتٍ من نَفْسِ البَحْرِ فِي آخِرِ القِصِيْدَةِ. أَنْظَر: مُحَمَّدُ بنِ مِيْمُونِ الجَزَائِرِي، المَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 249.

<sup>(2)</sup> الصغیر بن یوسف، المَصْدَرُ السَّابِقُ، مَج 1، ص 246.

<sup>(3)</sup> الصغیر بن یوسف، المَصْدَرُ السَّابِقُ، مَج 1، ص ص 253-255. /هناك دراسة قيمة طبعت أخيراً للأستاذة رقية شارف حول فتح وهران الأول يمكن الرجوع إليها بعنوان: المصادر الجزائرية المعاصرة لفتح وهران الأول 1118هـ/1708م والثاني 1206هـ/1792م، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020.

<sup>(4)</sup> صالح العتري في كتابه تاريخ قسنطينة تكلم عنه بإيجاز ولم يذكر مسألة هروبه إلى قسنطينة، ص 53.

<sup>(5)</sup> عزيز سامح آلتر، المَرَجْعُ السَّابِقُ، ص 461.

<sup>(6)</sup> ابن ميمون، المَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 112. / أحمد بن عبد الرحمن الشقراني، المَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 70.

<sup>(7)</sup> Moulay Belhamissi: *marine et marins d'Alger (1518-1830)*, Tome III, Grandeur et Decadence, Bibliotheque Nationale d'Algérie, 1996, p74.

مثل بكداش وقبله شعبان خوجحة و مثل هؤلاء لو قُدر لهم الإستمرار في الحكم فلربما كانت الجزائر ستعرف نهضة كبيرة<sup>(1)</sup>.

### ج- العلاقات في عهد "علي شاوش" (1710-1718م):

حكّم الجزائر قبله الدّاي "دالي إبراهيم" لِمُدَّةٍ وَجِيذَةٍ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ "علي شاوش" واستمرت العلاقات بين الإيالتين حَسَنَةً رَغْمَ بعض المعكِرَاتِ مثل خَبَرِ المركبِ الجَنُويِّ الَّذِي كان يُقَالُ أُسْرَى جَنُوييَنَ (مائي نصرانيا) و الدّين كانوا في الجزائر وَتَمَّ إِطْلَاقُ سَرَاحِهِمْ بعد إِفْتِدَاءِ أَنفُسِهِمْ عام 1123هـ/1712م، وكان من بَيْنِهِمْ قَسَاوِسَةٌ، و أَثناء رُجُوعِهِمْ، إِعْتَرَضَتْهُمُ سفينة تونسية ووقَعُوا في أُسْرِهِا مَرَّةً أُخرى، فَرَأَسَلُوا قَنَاصِلَهُمْ بِالجزائر لِذَلِكَ تَدخُلُ الدّاي "علي شاوش" وطلب من باي تونس إِطْلَاقَ سَرَاحِهِمْ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، لَكِنَّهُ رَفَضَ، فَرَفَعَ داي الجزائر هذه القَضِيَّةَ إلى البابِ العالِي، وَهنا تَمَّ إِصْدَارُ فرمانٍ يَأْمُرُ "حسين بن علي" بإطلاق سَرَاحِ الأَسْرَى الجَنُوييَنَ، فَتَعَقَّلَ وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُمْ وَأَعَادَهُمْ إلى الجزائر<sup>(2)</sup>. فَمِثْلُ هذا الحادِثِ كان بإمكانه أَنْ يَنحُوَ بالعلاقات بين الإيالتين إلى الحرب والنِزاع لولا تَعَقُّلُ داي الجزائر وتونس الَّذِي أَدَّى إلى حَلِّ المشكِلة بِطُرُقٍ سَلِمَةٍ.

-والأمر الثاني هو بعض الفِتَنِ والمناوشات الَّتِي كانت تُثِيرُها من حينٍ لآخر بعض القبائل الجزائرية الحُدُودِيَّة؛ ففي سنة 1125هـ/1713م ظَهَرَ عِنْدَ قَبِيْلَةِ الحنانِشةِ شَخْصٌ زَعَمَ أَنَّهُ "ابنُ علي باي بن مُراد" أَيُّ من نَسَلَ بَنِي مُراد، فَقام شَيْخُ الحنانِشةِ "بوعزيرُ بنُ نصر" بِإِغْراءِ هذا الشَّخْصِ لِلْمُطالَبَةِ بِالمُلكِ وَأرْسَلَهُ إلى أَوْلادِ سَعِيدِ<sup>(3)</sup> ومن هناك بدأ يُكَاتِبُ القبائلِ التونسية و يَسْتَفِرِّزُهُمُ لِلثَّورانِ ضِدَّ "حسين بن علي" لَكِنَّ هذا الأَخِيرَ قَضَى عَلَيْهِ وعلى دَعْوَتِهِ مُبَكِّراً<sup>(4)</sup>.

ولقد كان لِمِثْلِ تَصْرِفاتِ قَبِيْلَةِ الحنانِشةِ وشَيْخِها بوعزيرُ أَنْ يُثِيرَ ثائِرَةً حاكِمِ تونس وَيَشُنُّ ضِدَّ هذه القبيلة حَمَلَةً تَأديبِيَّةً أو يَدخُلُ في مُشاداتٍ مع حاكِمِ قسنطينة المسؤول عَن هذه القبيلة، بسبب

(1) يتكلم ابن ميمون في كتابه التحفة المرضية عن كل هذه الحروب سواء الغارات الأجنبية الأوروبية، أو حرب تونس وهران مطلع القرن 18م أو فتح وهران الأول. /أنظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج2، القرصنة الأساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 374-376.

(2) الوزير السراج، المصدر السابق، م3، ص ص 161-165. /حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، (المخطوط)، الورقة 100-2.

عزيز سامح أتر، الأتراك العثمانيون، ص 464 نقلا عن دفتر مهمات الديوان الهمايوني، نمرة 119، ص 57.

(3) هي من القبائل الحدودية التي كانت تستوطن المناطق الواقعة بين الكاف وباجة بالحدود الغربية لتونس.

(4) حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي (المخطوط) الورقة 101-1. / ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج2، ص 98.

إِحَاكَيْهَا الْفِتْنِ لِرِعْزَعَةِ اسْتِقْرَارِ تُونِسٍ لَكِنَّ "حَسِينَ بْنَ عَلِيٍّ" كَانَ أَعْقَلَ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَفْتَى بِالْقَضَاءِ عَلَى هَذَا الدَّعِي وَأَتْبَاعِهِ.

-والأمر الثالث هو ظهور متمردين عن السلطة بتونس وهما: "محمد بن مصطفى" المدعو "بن فطيمة" كان من كبار الدولة زمن "إبراهيم الشريف" نازضاً "حسين بن علي" عام 1127هـ/1715م ثم رحل إلى المشرق، وبعد مدة عاد سنة 1717م يطالب بالحكم مثيراً الفتن والقلاقل؛ وتقلب بين صحراء طرابلس وتونس والجزائر وكاتب "حسين بن علي" صاحب ثغرت بالقبض عليه، ثم تمكن منه في مكان قريب من تيسة وقتله، وبذلك هدأت الأوضاع بتونس<sup>(1)</sup>.

والثالث الآخر هو "حسن" المعروف بـ"جوزيف" أحد المماليك الأوروبيين، فر إلى قسنطينة بسبب جنابة إرتكبتها وهناك التقى بـ"رجب بن حمودة الحناشي" الذي كان فاراً أيضاً من الباي، وشخصاً آخر يدعى "محمد خوجة" وانفقوا (الثلاثة) على شق عصا الطاعة وانتزاع السلطة من "حسين بن علي" فتوجهوا إلى الزاب ومعهم أربعين فارساً وهناك التفت حولهم جمع من عرب الزاب وانطلقوا نحو تونس، ولما سمع الباي بقُدومهم جهّز لهم حملة وقضى على "جوزيف"، أمّا "رجب بن حمودة الحناشي" فطلب الأمان وبقي في طاعة الباي إلى نهاية عهد "علي باشا" الذي قتله<sup>(2)</sup>.

ونلاحظ من خلال هاذين الحدثين أنه كان للجزائر دخل غير مباشر في ذلك لأن كلاً المتمردين اتخذوا من الأراضي الجزائرية مقراً وملجأً لهم، وبسببهما أرسل "حسين بن علي" من يتابع أمرهما ويترصد تحركاتهما على الثراب الجزائري (تقرت، الزاب، الخنقة...) ورغم ذلك لم ينزعج باي قسنطينة ولا حاكم الجزائر من ذلك، وبقيت العلاقات حسنة لأن السلطة في الجزائر هي الأخرى كانت منشغلة بمشاكل داخلية متنوعة جراء الزلزلة العظيمة التي أصابت مدينة الجزائر عام 1128هـ/1715م<sup>(3)</sup>، إضافة إلى الوباء والقحط والضائقة المالية<sup>(4)</sup> وبالتالي لم يكن في وسعها تتبع هؤلاء المتمردين على أراضيها.

<sup>(1)</sup> الوزير السراج، المصدر السابق، م3، ص257. الصغير بن يوسف، المصدر السابق، ص33-37. حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، (المخطوط) الورقتين 1-101 و 102-2.

ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م1، ج2، ص98.

<sup>(2)</sup> حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، (المخطوط) الورقة 102-2.

<sup>(3)</sup> ابن المفتي، المصدر السابق، ص36.

<sup>(4)</sup> أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص48. عزيز سامح آتو، المرجع السابق، ص466.

#### د-العلاقات بين الايالتين في عهد "محمد بن حسن" (1718/1724م):

كان عهده عهد سلام و حُسن جوارٍ مع المغرب و تونس؛ والشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي عَكَّرَ الْأَجْوَاءَ هُوَ نَشَاطُ قَبِيلَةِ الْحَنَانِشَةِ الْحُدُودِيَّةِ وَشَيْخِهَا "بوعزيز بن نصر" الَّذِي لَمْ يَنْبُتْ عَلَى طَاعَةِ بَايَاتِ قَسَنْطِينَةِ وَحُكَّامِ الْجَزَائِرِ كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَحْتَرَمْ مُجَاوِرَةَ الْأَرْضِ التُّونِسِيَّةِ وَفِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَحْيَانِ كَانَ يَقُومُ بِغَارَاتٍ نَهَبٍ وَسَلْبٍ ضِدَّ الْقَبَائِلِ التُّونِسِيَّةِ الْحُدُودِيَّةِ<sup>(1)</sup> أَمْثَالِ إِغَارَتِهِ عَلَى عَرْشِ زَوَاعِغَةِ الَّتِي حَطَّتْ رِحَالَهَا بِالْقُرْبِ مِنْ بَاجَّةٍ وَكَانَتْ مِنْ أَعْنَى الْقَبَائِلِ، فَفَرَّقَ سَمْلَهُمْ وَنَهَبَ أَرْزَاقَهُمْ.

وكان المؤرخ الصغير بن يوسف من بين الذين سلبوا في هذه النكبة؛ وقد أَرخ لها قائلاً: "...وقد رفعوا لي في هذا اليوم خمسين ثورا وخمسة أبقال وعشرين من الخيل ما بين ذكور وإناث وزوج مراكيب وبهيمة مصرية في جرتها من الأولاد اثنين أو ثلاثة وغضارة وحوالة وجدعان وبقرة منيحة"<sup>(2)</sup>.

والشَّيْءُ الثَّانِي الَّذِي لَمْ تَتَعَرَّضْ لَهُ الْمَصَادِرُ بِالِدَّرَاسَةِ هُوَ ثَوْرَةٌ "علي خوجة" قَائِدٌ مِتِيحَةٌ الَّذِي تَزَعَّمْ ثَوْرَةَ الْقَبَائِلِيِّينَ ضِدَّ دَايِ الْجَزَائِرِ "مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ" وَ الَّتِي دَامَتْ لِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ وَلَمَّا فَشِلَ لِحَا إِلَى تُونِسٍ وَاتَّخَذَ مِنْهَا مَسْكَنًا<sup>(3)</sup>.

أَمَّا خِلَافَ ذَلِكَ فَأَجْوَاءُ الْعِلَاقَاتِ بَقِيَتْ سَلْمِيَّةً بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ وَهَادِيَّةً.

#### ذ-العلاقات بين الايالتين في عهد "كور عبدي" (1724-1732م):

يذكر صاحب المشرع الملكي أنَّ حاكم تونس "حسين بن علي" كانت تربطه علاقات حسنة بباشا الجزائر "كور عبدي" قائلاً: "...تولى الدولاتلي المرحوم كور عبدي بمدينة الجزائر في حدود عشرين أو ما يقرب في دولة المرحوم حسين باي، وصارا كأنهما إخوة وعلى كلمة واحدة و وجق واحد"<sup>(4)</sup> "...و يُؤكِّدُ صَاحِبُ الْكِتَابِ الْبَاشِي هَذِهِ الْمَوْدَّةَ كَذَلِكَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ حُكَّامِ الْإِيَالَتَيْنِ<sup>(5)</sup>، لَكِنَّ الْأُسْتَاذَ عِمَارَ بْنَ خُرُوفٍ يَصِفُ الْعِلَاقَاتِ فِي عَهْدِهِمَا بِأَنَّهُ غَلَبَ عَلَيْهَا السَّلَامُ الْحَذِرُ بِسَبَبِ اسْتِقْبَالِ الْقَارِينِ وَالْمُجَارِضِينَ لِلْحَكْمِ فِي كِلَا الْبَلَدَيْنِ، لِذَلِكَ لَمْ تُكُنْ بَيْنَهُمَا ثِقَةٌ كَبِيرَةٌ وَهَذَا مَا جَعَلَ الْعِلَاقَاتِ فِي عَهْدِهِمَا لَا تَرْقَى إِلَى التَّعَاوُنِ الْفَعَّالِ وَالْحَقِيقِيِّ لِلتَّغْلِبِ عَلَى الْمَصَاعِبِ الَّتِي إِعْتَرَضَتْ

(1) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص 109.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 153.

(3) بن خروف، المرجع السابق، ص 79-82.

(4) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 276.

(5) همودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، (المخطوط)، الورقة 1-110.

البلدین مثل الحرب الأهلية بتونس التي بدأت عام 1728م، وعودة الاحتلال الإسباني لوهراں والمرسی الكبير عام 1732م<sup>(1)</sup>.

كما تكلم الصغیر بن یوسف عن عودة الاحتلال الإسباني لوهراں عام 1144هـ/1732م بإسهابٍ مُفرداً له عدّة صفحاتٍ (15 صفحة) وسنحاول ذکر أهمّ المحطات التي تناولها بالدراسة، حيث ذكر أنّ وهران بقيت أربعين سنةً بيد حاكم الجزائر بعد فتحها عام 1708م إلى غاية إعادة احتلالها، وفي حقيقة الأمر بقيت لأربع وعشرين سنةً فقط، ثمّ أعيد احتلالها مجدداً، وأهمّ العوامل التي ساهمت في ذلك هي:

- أنّ باي وهران أبو شلاغم<sup>(2)</sup> اهتمّ بالبرج الكبير (برج المرسی) الذي شحّنه بالأسلحة وعددٍ كبيرٍ من الجيش (500 أو 600) مُلازمين مُحافظين لذلك البرج.

أما بقية الأبراج؛ فكانت حاميّاتهم قليلة العدد والدّخيرة وهذا ما سهّل سقوط المدينة.

- ثمّ يذكر أنّ الباي أبو شلاغم لمّا علّم بعمارة الإسبان قادمةً لاحتلال وهران أرسل إلى باشا الجزائر "كور عبدي" وطلب منه إرسال حملة عسكرية تُعينه على ردّ العدو فلم يرسل له المدد.

ويقول صاحب المشرع: "...فاشتغل عنه لأمر قدره الله..." لذلك لم يتّمكن من ردّ العدو لوحده ونجا بنفسه وأهله وثروته خارج وهران وقصد إحدى القبائل التي صاهرها فلمّا شاهد السُكّان أنّ حاكمهم سلم في البلد، وتركها وخرج، وهرب كل من هو ساكن في البلد<sup>(3)</sup>... لذلك سقطت المدينة بسرعة.

<sup>(1)</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص 81-82.

<sup>(2)</sup> يصفه الصغیر بن یوسف بأنه رجلاً ظلوماً غشوماً، نجده تحامل عليه كثيراً وهذا الباي عُرف بصلاحه ووجهه للعلماء وخذلت مآثره الكتابات المحلية مثل أرجوزة الحلفاوي سابقة الذكر، لكن الحقيقة التي أغفلها صاحب المشرع الملكي وربما لم يسمعها ممن نقل له هذه الوقائع أنّ الباي مصطفى بوشلاغم قد جهّز حملة تضم حوالي 2500 جندي انكشاري و 20000 من المجاهدين المتطوعين وطلب فعلاً من حاكم الجزائر "كور عبدي" إرسال المدد والعون لمؤازرته، لكن هذا المدد تأخر وصوله إلى وهران في حين نجد الحملة الإسبانية المتكونة من 525 سفينة محملة بـ 30000 جندي و 720 مدفعاً عدى الذخائر الحربية الأخرى. وكان نزول الحملة الإسبانية يوم 28 جوان 1732م بساحة عين الترك غربي وهران وجرت المعركة الأولى يوم 30 جوان لكن الباي بوشلاغم لم يتمكن من الصمود رفقة جيشه ضد هذا الهجوم القوي والكاسح. لذلك قرر الانسحاب رفقة رجاله إلى خارج المدينة واقتدى بين السكان وسقطت المدينة، وصل مدد كور عبدي (2000 جندي) تحت قيادة ابنه الحاج محمد متأخراً لكنه حاصر المدينة ولما سمع كور عبدي بسقوط وهران حزن لذلك وشعر بالذنب ومرض ثم توفى. أما مقاومة بوشلاغم فاستمرت إلى سنة 1734م وحاض عدة حروب استشهد في إحداها ابنه وانتقم له بقتل عدد من قادة الجيش الإسباني، لكن المقاومة لم تكن متكافئة لذلك فشل في استرجاع وهران. أنظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، ص 443-448.

<sup>(3)</sup> الصغیر بن یوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 277.

- كما يورد خبر خيانة قبيلة بني عامر وتعاملهم مع العدو؛ قائلاً: "فلما سمعوا بقدم النصارى وحطّهم المرسي هرعوا إليهم حتى وصلوهم وأخبروهم أن الباي أبو الشلاغم هرب وتركها وخرج من المدينة كلّ من فيها<sup>(1)</sup>...". ويذكر أنّهم كانوا يَتَمَنُونَ رَدَّ وهران إلى النصارى<sup>(2)</sup>.

- ثمّ يشرح كيف دخل الإسبان إلى المدينة واستولوا عليها وتفاوضوا مع حامية البرج الكبير من الانكشارية وأمّنوهم على أنفسهم فسلموا لهم البرج دون مقاومة، فلما علم باشا الجزائر "كور عبدي" بخبر سقوط وهران وبدون قتالٍ حزن لذلك كثيراً، وجَهَزَ حملةً تحت قيادة ابنه الحاج محمد وأرسلها لإسترداد وهران، وعندما وصل إليها حاصرها وجرت بينهم معارك كانت الغلبة فيها بدايةً للمسلمين وقتلوا خمساً وثلاثين من كبار قادة الإسبان وبقي الحاج محمد وجيشه يُحاصرون وهران والإسبان بداخلها مُحَصَّنُونَ. مُدَّةً من الزّمن تفوق السنة<sup>(3)</sup>.

أمّا والدّه "كور عبدي" فتوفي بسبب الحزن والحسرة على احتلال وهران، وحزن لفقدان سكان مدينة الجزائر كثيراً، ثمّ تمّ اختيار "إبراهيم خوجة" خلفاً له، وأرسل هذا الأخير إلى الحاج محمد يستقدمه إلى الجزائر فلما حضر بين يديه أخبره بعدم جدوى قتال الإسبان لأنّ هذه الحرب تسببت في خسائر كبيرة من الرجال والأموال وبدون فائدة، وأشار "إبراهيم خوجة" على الحاج محمد بجمع عياله وماله والذهاب إلى برّ التُّرك أرضَ أجداده؛ لأنّه علم أنّ الجيش الانكشاري خذّل الحاج محمد في حرب الإسبان بوهران. فامتثل لأمره وخرج من الجزائر رُفقة أهله، ثمّ أرسل "إبراهيم خوجة" إلى الجيش المرابط على حصار وهران وأمره بالرجوع، وقرّر رُفقة خواصه على تحويل الحرب ضدّ تونس إنقِصاً لما أصابهم من فشلٍ في وهران وِقْتالِ الإسبان<sup>(4)</sup>.

وهناك رواية ثانية حول فشل مقاومة الحاج محمد بن "كور عبدي" في مقاومة الإسبان يذكرها صاحب المشرع ويؤكد أنّه سمعها من ينسب إلى الصّلاح ورُبما يكون أحد الطلبة أو رجال الدّين التونسيين ممن شارك في حرب وهران عام 1732م طلباً للأجر أو الشّهادة.

فذكر أنّ هناك فتنة حدثت بين طلبة العلم المجاهدين في قتال وهران-ربما ضمن جيش مصطفى بوشلاغم- وبين الجيش الانكشاري الدّي كان بمعية الحاج محمد، هذه الفتنة سببها أنّ جزءاً من الجيش الانكشاري خان المقاومة، حيث ترصدوا في أحد المرات مجموعة من الطلبة (حوالي 90) الدّين

(1) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 278.

(2) حول تعامل هذه القبيلة مع الإسبان أنظر: ابن ميمون، المصدر السابق، ص 203.

(3) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص ص 279-283.

(4) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص ص 284-287.

كانوا يَصْطَادُونَ الإسبان وَيَأْسِرُوهُمْ، فقامت هذه الفرقة الانكشارية بقتل الطلبة وإطلاق سراح الأسرى، فلَمَّا عَلِمَ الحاج مُحَمَّدٌ بذلك أَمَرَ الطَّلَبَةَ بِقَتْلِ هؤُلاءِ الخونة من الجيش فَقُتِلُوا، و عَلِمَ بَقِيَّةُ الجيش الانكشاري بالأمر فَعَضِبُوا وَتَوَعَّدُوا الحاج مُحَمَّدَ بِالْقَتْلِ وَاشْتَكَوْهُ إِلَى حَاكِمِ الجزائر "إبراهيم خوجة"، فيقول صاحب المشرع في ذلك "...وتحقق عند الحاج مُحَمَّدٍ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْدُوهُ فَانْحَلَّتْ حُزْمَتُهُ وَتَغَيَّرَتْ نِيَّتُهُ وَأَخَذَ مِنْهُمْ حِذْرَهُ لِأَمْرِ قَدَرَهُ اللهُ... على مدينة وهران أن يملكوها... أعداء الدين"، وهذا ما جعل حاكم الجزائر يُرْسِلُ إِلَى الحاج مُحَمَّدٍ وَأَمَرَهُ بِالْقُدُومِ إِلَى الجزائر، ثُمَّ أَمَرَ لِأَحَقًّا الجيش بِالْعُودَةِ، أَمَّا طلبة العلم فبعد هذه الحادثة غادروا ساحات القتال ورجعوا إلى أهلهم وديارهم وهذا ما جعل المقاومة تفشل في نظر الصغير بن يوسف؛ خيانة في البداية من طَرَفِ بَنِي عَامِرٍ وَخِيَانَةٌ فِي النَّهَائِيَةِ مِنْ طَرَفِ بَعْضِ الْجَيْشِ الْانْكَشَارِيِّ<sup>(1)</sup>.

و الملاحظة المهمة التي يجب أن لا تَمَرَّ عَلَيْهَا هُوَ أَنَّهَ جَاءَ ذِكْرَ مَدِينَةِ وهران فِي الْمَشْرَعِ الْمَلِكِيِّ فِي صِيَاغِ الْكَلَامِ عَنْ "علي باشا" الَّذِي فَزَّ إِلَى الجزائر عام 1729م وهناك تَمَّ سَجْنُهُ مِنْ طَرَفِ "كور عدي" بِسَبَبِ الصَّدَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُهُ بِحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ<sup>(2)</sup>، وَلَمَّا خَلَفَ "كور عدي" "إبراهيم باشا" المعروف بإبراهيم الخزناجي الكبير وحكم (1723-1745م) أطلق سراح "علي باشا" ووعده بِإَرْجَاعِهِ إِلَى تُونِسَ وَإِزَاحَةِ عَمِّهِ عَنِ الْعَرْشِ، لَكِنْ طَلَبَ مِنْهُ الْإِنْتِظَارَ لِأَنَّ الْجَزَائِرَ حِينَهَا كَانَتْ مُنْشَغَلَةً بِقِتَالِ الْإِسْبَانِ فِي وهران عام 1732م، لَكِنْ الْمَوْخُ التُّونِسِيُّ أَخْطَأَ ثَانِيَةً فِي إِسْمِ بَاشَا الْجَزَائِرِ وَنَسَبَ الْكَلَامَ إِلَى "إبراهيم خوجة" المعروف "بإبراهيم الصغير" حكم (1745-1748م) الَّذِي وَعَدَ "علي باشا" عَلَى حَدِّ قَوْلِ الصَّغِيرِ بْنِ يَوْسُفٍ قَائِلًا: "...ولكن نحن الآن في قتال النصارى الذي... غلبوا وهران، وإذا نصرنا الله عليهم فكينا وهران، ننصرك بالعسكر والقومان، ونرسلك إلى مدينة تونس، أنت وولد يونس<sup>(3)</sup>".

<sup>(1)</sup> الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 289-290. هذه الفتنة التي تكلم عنها المؤرخ التونسي الصغير بن يوسف لم تُشر لها المصادر المحلية، فهناك مقال لخليفة حماش، حول دور طلبة العلم في قتال وهران اعتمادا على مصادر معاصرة لم يُشر لذلك. أنظر: خليفة حماش، "دور الطلبة الجزائريين في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني عامي 1118هـ/1706-1707م و 1205هـ/1791م" (مقاربة تاريخية في تأصيل الحركة الطلابية الجزائرية)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 16، العدد 3، 2001، ص 204-222. / وكذلك كتاب رقية شارف

<sup>(2)</sup> همودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، (المخطوط) الورقة 110-1.

<sup>(3)</sup> الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 243.

فهذا الوعد في الحقيقة قَدَّمَهُ "إبراهيم الكبير" "علي باشا" والتزم بتطبيقه "إبراهيم الصغير لاحقاً" عندما حكم الجزائر. لِأَنَّعُمَهُ و صِهْرَهُ (إبراهيم الكبير) أوصاه بذلك (1).

4-2- الفترة الثانية تَمَتَّدُ من (1161-1167هـ/1748 إلى 1754م) عهد الدَّاي "مُحَمَّد بن بَكِير" في الجزائر:

لَمَّا توفى داي الجزائر "إبراهيم الصغير" خَلَفَهُ "محمد بن بكير" (فيفري 1748/ديسمبر 1754م) المعروف بـ بَابَا مُحَمَّد، تَنَعَّثَهُ المصادر التونسية أَنَّهُ رَجُلٌ مُسَامٌ وَيُحِبُّ العَافِيَةَ وكان يَشْغَلُهُ أمرُ إِسْتِرْجَاعِ وهران فَكُلَّمَا ذُكِرَ له أمرُ تونس وطُلبَ منه توجيه حَمَلَةٍ ضَدَّهَا كان يَرْفُضُ و يقول: "عليكم بوهران، الَّتِي أَخَذُوهَا النصارى غصبا عبادة الأوتان. ويضرب عن هذا الكلام صفحا ويقول: ما أحب للوجقين إلا صلحا(2)..."

وكان لا يُحِبُّ سَفْكَ الدِّمَاءِ في مثل هذه الحروب، ورَغِمَ سَعْيُ أبنَاءِ "حُسين بن علي" وَخَاصَّةً مُحَمَّد باي لِتَوْجِيهِ حَمَلَةٍ ثَانِيَةٍ نحو تونس لِمُحُو هَزِيمَةِ الحَمَلَةِ السَّابِقَةِ سنة 1746م وَالَّتِي رَسَخَتْ عِنْدَ العَامَةِ وَالخَاصَّةِ بِاسْمِ العَيْطَةِ الجزائرية الكَذَّابَةِ، إِلَّا أَنَّ الدَّاي "مُحَمَّد بن بكير" كان يقول هُؤَم: "قبل إزالة معرة وهران لا نلتفت إلى شيء" لذلك إِسْتَكَانَ و صَبَرَ "مُحَمَّد باي" بن حسين بِدَارِهِ الَّتِي كانت بِفَحْصِ مَدِينَةِ الجزائر يَنْتَظِرُ الفُرْصَةَ المَوَاتِيَةَ لِإِعَادَةِ الكَرَّةِ على تونس من أجل إِسْتِرْجَاعِ الحُكْمِ (3).  
وعليه فَإِنَّ فِتْرَةَ "مُحَمَّد بن بَكِير" رَغِمَ أَنَّهُا كانت قَصِيرَةً (سَبْعُ سَنَوَاتٍ) إِلَّا أَنَّ العَلاقاتِ بين الإيَالَتَيْنِ إِسْتَقَرَّتْ وَهَدَأَتْ (4)؛ رَغِمَ العَارَاتِ الَّتِي كان يقوم بها كل من باي قسنطينة وحاكم تونس "علي باشا" على المناطق الحُدُودِيَّةِ (5).

(1) بن خروف، المرجع السابق، ص 126.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 4، ص 5. في حين يرى الأستاذ ناصر الدين سعيدوني أن الداي "محمد بن بكير" كان مبدراً و أنفق كل ما في الخزينة حتى أفرغها على زفاهية أولاده و زوجته و هذه الشهادة في حق بن بكير في الحقيقة ذكرها فانتور دي برادي. حول ذلك أنظر:

- Venture de paradis; A lger au XVIIIe siècle ( 1788-1790), présentation et notes par abderrahmane rebahi, édition grand Alger livres, p101.

وكذا: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 26.

(3) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 1، ج 2، ص 146.

(4) بن خروف، المرجع السابق، ص 142.

(5) بن خروف، نفسه، ص 151.

#### 4-3- الفترّة الثالِثة بين (1169-1221هـ/1756-1806م):

تُعتبر هذه المرحلة هي فترة السّلام الطّويل الّذي استمرَّ خمسَونَ سنةً تعاقبَ خلالها على حُكم تونس أبناء الحسين (مُحمَّد باي الملقب بالرّشيد وعلي باي) بين 1756 و1782م، ثمَّ حُموّدة باشا بين 1782 و1814م والّذي بحدّدات الحُرُوب مرّةً أُخرى في عهده بين الإيالتيّين عام 1707م.

وتعاقب على حُكم الجزائر كُل من الدّايات الآتية أسماؤهم:

- علي بوضيع<sup>(1)</sup> الّذي يُسميه ابن أبي الضّياف بـ علي برمق سز<sup>(2)</sup> حُكم (1754-1766م) وفي عهده تمَّ توجّيه حملة عام 1756م نحو تونس لمُساعدة أبناء الحسين ضدّ ابن عمّهم "علي باشا"، والّتي نجحت في استرجاع الحُكم من طرف أبناء الحسين.

- ثمَّ مُحمَّد بن عُثمان باشا: (1766-1791م).

- حسين باشا: (1791-1798م).

- مصطفى باشا: (1798-1805م).

#### أ- العلاقات في عهد "علي بوضيع" (1754-1766م):

يُعتبر الدّاي علي هو الّذي أمرَ بحملة عام 1756م لمُساعدة أبناء الحسين وبعد بُحاجها وتُنصيب "مُحمَّد باي الرّشيد" بن حسين بن علي على حُكم تونس، فتّح صفحَةً جديدةً في علاقته مع الجزائر سمّتها البارزة السّلام والإستقرار، وبقيَ وفيّاً بجميع الإلتزامات المطّوَّبة منه سواءً كانت نفقات مالية أو إحساناتٍ وهدايا مُقدّمة لحُكام الجزائر وبايات قسنطينة ورجالها ومجموعة كبيرة من الشّخصيات الدّينية والقبليّة<sup>(3)</sup>، وكذا إستقبال وإكرام جميع مبعوثي ووُكلاء<sup>(4)</sup> حُكام الجزائر، وبايات قسنطينة بتونس، وكذا إحترام مراكب الجزائر وقادتها عند رُسوها بموانئ تونس<sup>(5)</sup>، مع الاعتراف بسيادة داي الجزائر على تونس وهدم كُلّ التّخصّصات التّونسية الموجودة على الحدود خاصّة الكاف، وخفض

(1) يلقب بـ بقسيس أو ناكسيس، وبوصاع لأنه تبارز مع تركي في شبابه فقطع أصبعه. أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، هامش ص 19.

(2) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 1، ج 2، ص 147.

(3) سيأتي تفصيل حول هذه الشخصيات الدينية والقبيلة التي نالها نصيب من هدايا وإحسانات حُكام تونس في مبحث خاص في الفصل الاقتصادي من هذه الرسالة.

(4) حول مهام هؤلاء الوكلاء والمبعوثين إلى تونس. أنظر الفصل الاقتصادي من هذه الرسالة هناك مبحث خاص بهم.

(5) ذكر الزهار أن أسطول حربي صغير كان يقوده الرايس حميدو تحارب في عرض البحر مع سفينة نابوليّانية (نابولي) عام 1217هـ/1802م. ثم رسي بميناء تونس ثم عاد إلى الجزائر. أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 79.

والمقصود بنابوليطان هي مدينة نابولي البحرية التجارية وكانت دولة قوية مهابة الجانب في البحر الأبيض قبل انضمامها إلى إيطاليا بعد الوحدة الإيطالية عام 1871م. أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، التعاليق، ص 20.

العَلَم التونسي إلى نَصْفِ السَّارِيَةِ<sup>(1)</sup>، حتى قِيلَ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقِ لِحَاكِمٍ مِنْ حُكَّامِ تُونِسِ رُضُوحَهُ لِبَاشَوَاتِ الْجَزَائِرِ وَالْتِزَامِهِ بِتَجَاهُهُمْ بِأَمْوَالٍ كَبِيرَةٍ مِثْلَ "مُحَمَّدِ بَاي" <sup>(2)</sup>.

وهو الأمر الذي أَرْهَقَ أَخُوهُ "عَلِي بَاي" لَمَّا حَكَمَ بَعْدَهُ (1759-1782م)، وَرَغِمَ ذَلِكَ إِسْتَمَرَّ بِقَبُولِ تِلْكَ الشُّرُوطِ وَالِاتِّزَامِ بِتَنْفِيذِهَا مِنْ أَجْلِ كَسْبِ وَدَهُمْ وَإِبْعَادِ شَبَحِ الْحَرْبِ عَنِ بِلَادِهِ الَّتِي عَانَتْ كَثِيرًا.

وبَفَضْلِ حِنَاكَتِهِ السِّيَاسِيَةِ إِسْتَقَرَّتِ الْأَوْضَاعُ بِتُونِسِ وَإِطْمَأَنَّتِ الرَّعِيَّةُ وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ صَاحِبُ الْإِتِّخَافِ قَائِلًا: "...وَاسْتَقَامَتِ الْمَمْلَكَةُ فِي دَوْلَتِهِ وَمَالَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُ أَهْلِهَا، إِلَّا أَنَّهُ عَاشَ مَنْعَصًا مِنْ مَدَارَةِ الْوَلَاةِ فِي الْجَزَائِرِ وَقَسَنْطِينَةَ، يُدَلُّونَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُمْ السَّبَبُ فِي رَجُوعِهِ إِلَى وَطَنِهِ... وَتَحْتَ أَيْدِيهِمْ رُبُونٌ عَلَيْهِ مِنْ آلِ بَيْتِهِ يَظْهَرُونَ لَهُمُ الْعِنَايَةَ وَالْمَوَاعِيدَ، مَهْمَا رَأَوْا مِنْهُ مَا يُخَالِفُ أَغْرَاضَهُمْ حَتَّى كَادُوا يَرُونَهُ كَعَمَّالِهِمْ <sup>(3)</sup>..."

لَكِنَّهُ رَغِمَ ذَلِكَ ظَلَّ وَفِيًّا بِتَنْفِيذِ جَمِيعِ الْإِلْتِزَامَاتِ فَتَرَةً حُكْمِهِ وَمَ يُخَالِفُهَا، وَتَحَمَّلَ تَجَاوُزَاتٍ <sup>(4)</sup> الْجَزَائِرِيِّينَ رَغْبَةً مِنْهُ فِي إِسْتِقْرَارِ الْعِلَاقَاتِ، وَفِي الْمَقَابِلِ كَانَ حَاكِمُ الْجَزَائِرِ "عَلِي بَوَصْبَع" فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ هُوَ الْآخِرُ لِإِسْتِقْرَارِ الْعِلَاقَاتِ مَعَ تُونِسِ حَتَّى يَتَفَرَّغَ لِحَرَكَاتِ التَّمَرِّدِ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَظْهَرُ مِنْ حِينٍ لِآخَرٍ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَعَرَبِيَّهَا.

كَمَا شَهِدَتِ الْجَزَائِرُ عِدَّةَ تَحْرُشَاتٍ خَارِجِيَّةٍ؛ خَاصَّةً مِنْ طَرَفِ فَرَنْسَا، وَعَوْدَةَ الْإِحْتِلَالِ الْإِسْبَانِي إِلَى وَهْرَانَ عَامَ 1732م <sup>(5)</sup>.

### ب-العلاقات في عهد "محمد بن عثمان باشا" (1766-1791م):

إِسْتَمَرَّتِ الْعِلَاقَاتُ حَسَنَةً بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ فِي عَهْدِ "مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بَاشَا" الَّذِي حَكَمَ أَطْوَلَ فِتْرَةٍ؛ وَكَانَ "عَلِي بَاي" حَاكِمَ تُونِسِ سَبَاقًا لِتَهْنِئَتِهِ بِتَوَلِّي الْحُكْمِ حَيْثُ أَرْسَلَ لَهُ هَدِيَّةً قِيَمَةً فِي نَفْسِ الشَّهْرِ

<sup>(1)</sup> عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 200-201.

<sup>(2)</sup> رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 60.

<sup>(3)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 1، ج 2، ص 176.

<sup>(4)</sup> كانت هذه التجاوزات أنواعا، فقد تكون تدخلا من طرف حكام الجزائر في شؤون تونس وإرغامها مثلا على توقيع معاهدة سلام مع دولة أجنبية، أو تصرفات غير لائقة من طرف الوكلاء والمبعوثين وتجاوز رياس البحر عندما يرسون بالموانئ التونسية. حول هذه التصرفات أنظر:

- ابن العطار، تاريخ قسنطينة، ص 48-49.

- عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 222-223.

<sup>(5)</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 18-19. / وكذا: أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، داي الجزائر، ص 50-51.

الذي اعتلى فيه الحكم أبريل 1766م، عُربوناً على نواياه الحسنة<sup>(1)</sup>، ومن أجل إبقاء العلاقات مُستقرّة وطبيّة في عهد داي الجزائر الجديد رَغِمَ التَّحَدِيَّاتِ التي وَاجَهَتْهُ مثل الإِسْتِمْرَارِ فِي دَفْعِ الضَّرْبِيَّةِ المَالِيَّةِ السَّنَوِيَّةِ وَتَسْدِيدِ مُسْتَحَقَّاتِ حَمَلَةِ 1756م.

وَحَدَّثَ أَنَّ تَأَخَّرَ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي تَسْدِيدِ أَقْسَاطِهَا، فَقَامَ "أحمد باي" قسنطينة بإذنٍ مِنَ الدَّايِ "مُحَمَّدِ بنِ عثمان باشا" بِإِطْلَاقِ سَرَّاحِ "يونس" بن علي باشا مِنْ سِجْنِهِ عام 1768م، الَّذِي تُوفِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَا أَصَابَهُ مِنْ ضَيْقِ الحَبْسِ<sup>(2)</sup> - لِأَنَّهُ لَجَأَ إِلَى قسنطينة بَعْدَ فَشَلِّ ثَوْرَتِهِ ضِدَّ وَالِدِهِ وَ هُنَاكَ تَمَّ سِجْنُهُ مِنْ أَجْلِ إِعَاضَةِ "علي باي" والضَّغَطِ عَلَيْهِ.

وَرَغِمَ وَفَاةِ "يونس" إِلَّا أَنَّ حَاكِمَ تونِسَ لَمْ يَتَوَانَ فِي إِكْمَالِ مَا بَقِيَ مِنَ الأَقْسَاطِ المَالِيَّةِ؛ وَتَحْصَلَ مِنْ بَايِ قسنطينة عَلَى وَثِيْقَةٍ تُثَبِّتُ بَرَاءَةَ ذِمَّتِهِ عام 1182هـ/1769م مِنْ ذَلِكَ الدَّيْنِ الَّذِي أَرْهَقَهُ تَسْدِيدُ أَقْسَاطِهِ مُنْذُ عام 1756 إِلَى 1769م<sup>(3)</sup>.

- كما ظلَّ حريصاً عَلَى اسْتِقْبَالِ وَإِكْرَامِ مَبْعُوثِي وَرُسُلِ حُكَّامِ الجزائرِ وقسنطينة وحتى مُرَافِقِيهِمُ الَّذِيْنَ تَصِلُ إِقَامَتُهُ بَعْضُهُمْ شَهْرًا كَامِلًا أحياناً، مَعَ إِتْحَافِهِمْ بِالهُدَايَا وَ الإِحْسَانَاتِ المَالِيَّةِ المَكْلُفَةَ جِدًّا لِخَزِينَةِ تونِسَ، فَمَثَلًا خِلالَ عام 1179هـ/1766م بَلَغَ عَدْدُ المَبْعُوثِيْنَ 16، وَ99 مُرَافِقًا لَّهُمْ وَتَحْصَلَ جَمِيعُهُمْ عَلَى إِحْسَانَاتٍ بَلَغَتْ قِيَمَتُهَا 12020 رِيَالًا<sup>(4)</sup>؛ وَبِحُدِّ الدَّفَاتِرِ التُّونِسِيَّةِ الأَرشيفِيَّةِ تَزَخَّرُ بِمِثْلِ هَذِهِ الإِحْسَانَاتِ المَقْدَمَةِ لِلْمَبْعُوثِيْنَ<sup>(5)</sup>.

هَذَا إِضَافَةً إِلَى تَعَاضِيهِ عَنْ تَصَرُّفَاتِ هَؤُلَاءِ المَبْعُوثِيْنَ المَرعِجَةِ فِي الكَثِيرِ مِنَ الأَحْيَانِ سِوَاءَ كَانُوا ضُيُوفًا أَوْ جَاؤُوا فِي مَهَمَّاتٍ سِيَاسِيَّةٍ وَأحياناً بُحَارًا أَوْ رِيَاسَ بَحْرٍ؛ وَكَانَتْ إِسَاءَاتُهُمْ تَمَسُّ التُّونِسِيَّيْنَ وَكَذَلِكَ الرِّعَايَا الأَجَانِبَ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ؛ وَ فِي مُخْتَلَفِ المَوَانِيِ التُّونِسِيَّةِ، لَكِنَّهُ -علي باي- كَانَ يُقَابِلُ تِلْكَ الإِسَاءَاتِ بِصَبْرٍ وَيُحَاوِلُ حَلَّهَا بِحِكْمَةٍ دُونَ إِثَارَةِ غَضَبِ حُكَّامِ الجزائرِ<sup>(6)</sup>. وَعِنْدَمَا تُوفِّيَ "علي باي" خَلَفَهُ ابْنُهُ "حَمُودَةُ باشا" الَّذِي بَدَوْرِهِ حَاوَلَ الحِفَاظَ عَلَى العِلاَقَاتِ سَلْمِيَّةٍ بَيْنَ البَلَدَيْنِ رَغِمَ وَجُودِ بَعْضِ المَشَاكِلِ مِثْلَ:

(1) الزهار، المصدر السابق، ص 23. / عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 236.

(2) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 1، ج 2، ص 142.

(3) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 241.

(4) نفسه، ص 237.

(5) يزخر الدفتر الأرشيفي التونسي رقم 2144 و 2145 بأخبار متنوعة حول الإحسانات التي كانت تقدم لهؤلاء المبعوثين والمهمات التي أوكلت لهم.

(6) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 243.

-هُرُوبَ بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْحُدُودِيَّةِ مِنْ تُونِسِ نَحْوِ الْأَرْضِي الْجَزَائِرِيَّةِ وَالِاسْتِيْطَانِ بِهَا أَوْ الْعَكْسِ، هُرُوبًا مِنْ دَفْعِ الصَّرَائِبِ وَمَا يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْحَمَلَاتِ التَّادِيْبِيَّةِ وَالْمَطَالِبَةِ بِتَعْوِيضَاتٍ مَالِيَّةٍ، فَمَثَلًا اقْتَحَمَتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْحُدُودِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ مَنْطِقَةَ تَبْسَةَ عَامَ 1783م فَلَا حَقَّهَا "حَمُودَةَ بَاشَا" مِنْ أَجْلِ تَأْدِيْبِهَا وَطَالِبَهُ "صَالِحُ بَاي" بِدَفْعِ تَعْوِيضَاتٍ مَالِيَّةٍ كَبِيْرَةٍ (40ألف سكوين<sup>(1)</sup>) لَكِنَّ "حَمُودَةَ بَاشَا" دَفَعَ 25ألف سكوين عَامَ 1784م وَانْتَهَتْ الْمَشْكَلَةُ.

وَفِي عَامَ 1787م هَاجَرَ عَدَدٌ مِنْ سُكَّانِ قَسَنْطِينَةِ فَجَاءَهُ إِلَى تُونِسِ، فَأَتَتْهُمْ "صَالِحُ بَاي" حَاكِمُ تُونِسِ بِتَحْرِيبِهِمْ وَطَالِبَهُ بِتَعْوِيضَاتٍ فَدَفَعَهَا مُرْعَمًا مِنْ أَجْلِ عَوْدَةِ السَّلْمِ لِلْعَلَاَقَاتِ لِأَنَّهُ كَانَ مُنْشَغَلًا بِتَهْدِيْدَاتِ الْبِنَادِقَةِ عَلَى تُونِسِ<sup>(2)</sup>.

كَمَا بَجِدُ أَنَّ مَسْأَلَةَ الْوُكَلَاءِ تَتَجَدَّدُ مَرَّةً أُخْرَى حَيْثُ ذَكَرْتُ الْمَصَادِرَ الْإِخْبَارِيَّةَ: "أَنَّ وَكَلَاءَ الْجَزَائِرِ بِتُونِسِ كَانُوا يَغْلُظُونَ عَلَى رَعِيَّةِ تُونِسِ وَيُظَلْمُوْنَهُمْ فِي طَرِيْقِهِمْ كَأَهْلِ الْكَافِ، وَيَبْلِغُ ذَلِكَ إِلَى حَمُودَةِ بَاشَا وَيَتَحَمَّلُ لَهُمْ ذَلِكَ، وَكَانَ صَاحِبَ عَقْلِ وَسِيَاسَةِ مَلِكٍ"<sup>(3)</sup>...". وَكَانَ "حَمُودَةَ بَاشَا" لَا يَتَوَانَ عَنْ رَفْعِ شِكْوَاهِ عَنْ تَصَرُّفَاتِ هَؤُلَاءِ الْوُكَلَاءِ لِكُلِّ مَنْ يَمُرُّ بِتُونِسِ مِنَ الْجَزَائِرِيِّينَ، فَهَذَا حَمْدَانُ خَوْجَةَ فِي إِحْدَى سَفَرِيَّاتِهِ إِلَى إِسْطَنْبُولِ مَرَّ بِتُونِسِ فِي رِحْلَةِ الْعَوْدَةِ وَنَزَلَ ضَيْفًا عِنْدَ "حَمُودَةَ بَاشَا" فَأَكْرَمَهُ رُفْقَةً خَالِهِ وَاشْتَكَى لَهُمَا مِنْ تَصَرُّفَاتِ وَكِيْلِي الْجَزَائِرِ وَقَسَنْطِينَةَ بِتُونِسِ<sup>(4)</sup>.

وَلَكِنَّ رَعْمَ كُلِّ هَذِهِ الْفِتَنِ وَالْمِشَاكِلِ اسْتَطَاعَ "حَمُودَةَ بَاشَا" وَ"مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ بَاشَا" بِنَجَاوَزِهَا وَالْحِفَاظَ عَلَى السَّلَامِ الَّذِي لَمْ يَزَقْ إِلَى التَّعَاوُنِ الْحَقِيْقِيِّ حَسَبِ الْأَسْتَاذِ بْنِ خُرُوفِ، حَيْثُ لَمْ تُقَدِّمِ الْجَزَائِرُ أَيَّْةَ مُسَاعَدَةٍ "لِحَمُودَةَ بَاشَا" الَّذِي تَصَدَّى لِحَرْبِ الْبِنَادِقَةِ طَوِيلًا، كَمَا أَنَّ الْجَزَائِرَ لَمْ تَتَلَقَّ أَيَّْةَ مُسَاعَدَاتٍ مِنْ "حَمُودَةَ بَاشَا" أُنْثَاءَ تَصَدِّيْهَا لِهَجْمَاتِ الْأَسْطُولِ الْإِسْبَانِيِّ خِلَالَ عَامِي 1783و1784م<sup>(5)</sup>.

(1) السكين أو السوكان أو السكوين: عملة فينيسية(فينيسية هي جمهورية البندقية الايطالية سابقاً) تساوي 2 بياستر و 6بال،أنظر:

Laugier De Tassy, H istoire du royaume d'Alger un diplomate Français à Alger en 1724,Ed. loysel, Normandie, p150.

(2) صالح العنزي، فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة و استلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة و تقديم و تعليق يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ت)، هامش ص63.

(3) ابن المبارك، تاريخ قسنطينة، ص48.

(4) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، ص127.

(5) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص255.

بِمَعْنَى أَنَّ كِلَا الْبَلَدَيْنِ كَانَ يُوَاجِه مَشَاكِلَهُ<sup>(1)</sup> لِوَحْدِهِ وَطَبْعاً عَدَم التَّعَاوُن لِرَدِّ الإِعْتِدَاءَاتِ الحَارِجِيَّةِ كَانَ دَائِماً فِي صَالِحِ هَذِهِ الدُّوَلِ الأوروپِيَّةِ الَّتِي يَرُوقُ لَهَا عَدَمُ تَوْحُّدِ الوَجَّعَيْنِ ضِدَّهَا وَ يَحْلُو لَهَا مُشَاهَدَتُهُمْ فِي حَرْبٍ مُسْتَمِرَّةٍ تَسْتَنْزِفِ رِجَالَهُمْ وَخَزَائِنَهُمْ.

كَمَا أَنَّ حَالَةَ الإِسْتِقْرَارِ الَّتِي طَبَعَتِ العِلَاقَاتِ طَيْلَةَ هَذِهِ المِدَّةِ سَمَّحَتْ لِحُكَامِ تُونِسٍ خَاصَّةً "حمودة باشا" بِالإِلْتِفَاتِ إِلَى التُّهُوضِ بِالجَانِبِ الإِقْتِصَادِي والعَسْكَرِي لِلبِلَادِ.

### ج-العلاقات في "عهد حسن باشا"<sup>(2)</sup> (1791-1798م):

إِسْتَمَرَّتِ العِلَاقَاتُ حَسَنَةً بَيْنَ البَلَدَيْنِ وَكَانَ، "حمودة باشا" حَرِيصاً عَلَى هُدُوءِهَا؛ لِأَنَّهُ بِمُجَرَّدِ خُرُوجِهِ مِنْ حَرْبِ البِنَادِقَةِ سَنَةَ 1792م، حَتَّى دَخَلَ فِي حَرْبِ طَرَابَلِسِ بَيْنَ 1794-1795م<sup>(3)</sup>، وَبَقِيَ مُلْتَرِماً ب:

-دفع الهدية (الضريبة السنوية) للحكومة الجزائرية<sup>(4)</sup>.

-تقديم الهدايا و الإحسانات لكبار المسؤولين والأعيان الجزائريين<sup>(5)</sup>.

-عدم تحصين مدينة الكاف الحدودية.

-تسهيل عمل التجار القادمين من بايلك قسنطينة نحو أسواق تونس ليبيح حيواناتهم.

-قُبُولُهُ لِطَلَبَاتِ دَايِ الجَزَائِرِ مِثْلِ الحُمْلَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا ضِدَّ عَلِي بَرِغَلِ الذِّي كَانَ وَكِيْلَ خَرَجِ فِي الجَزَائِرِ وَلَمَّا تَخَاصَمَ مَعَ الدَّايِ "مُحَمَّدِ بْنِ عِثْمَانَ بَاشَا" فَرَّ إِلَى الدَّوْلَةِ العِثْمَانِيَّةِ أَيْنَ تَمَّ تَعْيِينُهُ حَاكِمًا عَلَى طَرَابَلِسِ العَرَبِ حَيْثُ إِفْتَتَكَ الحُكْمَ مِنْ "عَلِي العَرْمَانَلِي" الذِّي بِدَوْرِهِ جَاءَ إِلَى تُونِسِ، وَخَشِي حَاكِمَ الجَزَائِرِ مِنْ إِسْتِحْكَامِ "عَلِي بُرْغُل" وَقُوَّتِهِ فِي طَرَابَلِسِ، وَفِعْلاً تَحَرَّكَ وَدَخَلَ "حمودة باشا" فِي حَرْبٍ ضِدَّ

<sup>(1)</sup> حول المصاعب التي كانت تمر بها الجزائر خلال هذه الفترة. أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 23-51.

وحول الحملات الأوروبية ضد الجزائر (الداغماركية عام 1184هـ/1770م والحملة الإسبانية عام 1189هـ/1775م). أنظر: محمد بن رقية التلمساني، الزهرة النائرة، فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تعليق خير الدين سعدي الجزائري، ط1، 2017، أوراق ثقافية، جيجل، 2017، ص 134-157.

وحول ظروف تونس خلال هذه الفترة أنظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م2، ج3، ص 14 و 24 و 28 و 32 و 33.

<sup>(2)</sup> في عهده تم فتح وهران الثاني عام 1792م لكن المصادر التونسية لم تتكلم عن هذا الحدث المهم.

<sup>(3)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م2، ج3، ص 20، 22.

<sup>(4)</sup> جيمس لندر كاتكارت، مذكرات أسير الداوي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر. تع. تق إسماعيل العربي، د. م. ج، الجزائر، 1982، ص 221. وكذا:

Jean-Michel Venture de Paradis, Alger au XVIII Siècle (1788-1790), P195.

<sup>(5)</sup> يحتوي الدفتر رقم 2144 من الأرشيف التونسي على تفاصيل متنوعة حول الأعيان الذين كانوا يتلقون الإحسانات ومضبوطة بالقيمة والسنة.

أنظر: توفيق بن زردة، الجزائر في القرن الثامن عشر، ص 245-300.

"علي برغل" الذي احتل جزيرة جربة التونسية عام 1794م وإنهزم هذا الآخر عام 1795م وفر من طرابلس باتجاه الحجاز أين توفي هناك، وبذلك تحققت رغبة حاكم الجزائر دون عناءٍ يُذكر أو مُساعدةٍ مَلْمُوسَةٍ<sup>(1)</sup>.

وكذا التّدخل لعقد مُعاهدة سَلامٍ بين الولايات المتّحدة الأمريكية وتونس عام 1797م<sup>(2)</sup>، مع إِملاءٍ شُرُوط ذلك السَلام نيابةً عن حاكم تونس؛ و قد كان لوكيل الجزائر بتونس الحاج علي دوز كبيرٍ في ذلك نظرًا لِلعلاقة والتّفوذ الكبير الذي كان يتمتع به لدى "حمودة باشا"<sup>(3)</sup> كما دَكَرَ رُوسُو أنّ "حمودة باشا" لم يقبل عام 1791م برُفع العَلم الفِرَنسيّ الجَدِيد (الجمهوري) على القنصلية الفِرَنسية بتونس حتى علم بِقبُول الجزائر رُفَعَهُ على مَبْنَى القنصلية الفِرَنسية بالجزائر فَحَدَا حَدُوهَا<sup>(4)</sup>. وإن دَلَّ هذا على شيءٍ فإِنَّمَا يَدُلُّ على مِقْدَار التَّبعية التي كان يَفْرِضُهَا حُكّام الجزائر على حُكّام تونس والتي سوف يَنْتَفِضُ عَنْهَا وَيُبْطَلُهَا "حمودة باشا" لَاحِقًا.

#### د-العلاقات في عهد "الدّاي مصطفى" (1798-1805م):

إِتَسَمَت بِاستمَرّار حالة السّلم بين الايالتين وخلال هذه الفترة كانت الجزائر تَمُرُّ بِظُرُوفٍ دَاخِلِيَّةٍ صَعْبَةٍ حيثُ وَاجَهَ "الدّاي مصطفى" عِدَّةَ تَحْدِيّاتٍ مِثْلَ اِنْتِشَارِ الأوبئة والمُجَاعَاتِ سَنَةَ 1804م، كما اِنْتَشَرَت ثُورَاتٌ دَاخِلِيَّةٌ مَعَ مَطْلَعِ القَرْنِ 19م مِثْلَ اِبْنِ الأَحْرَشِ فِي بايَلِكِ الشَّرْقِ عام 1803م والتي يَدُكُرُ الرّهّار نَقِيْب الأَشْرَافِ بِمَدِينَةِ الجزائر أَنَّ "حمودة باشا" حاكم تونس كان له يَدٌ فِي إِشْعَالِهَا بِتَشْجِيعِ اِبْنِ الأَحْرَشِ على شق عصا الطاعة عن حاكم الجزائر؛ قائلاً: "إن رجلا مثلك شجاع... يجب أن يذهب إلى ملك الترك (بالجزائر) وينزعه من أيديهم ونحن نمذك بما يخصك والعرب يتبعونك"<sup>(5)</sup> كما تَزَامَنَت مع ثورة ابن عبد الله ابن الشّريف الدَّرَقَاوِي التي ظَهَرَت عام 1804م بِبَايَلِكِ العَرَبِ الجزائري.

<sup>(1)</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 62.

ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 2، ج 3، ص 23-27.

<sup>(2)</sup> رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 313.

<sup>(3)</sup> كاتكارت، المصدر السابق، ص 219-223.

<sup>(4)</sup> روسو ألفونزو، المصدر السابق ص 263.

<sup>(5)</sup> أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 85. / العنزي، مجاعات قسنطينة، ص 29 و 33. / أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص 56.

ولقد أَرَّخَ أبو رأس النَّاصِر هذه المَلَمَّات التي عَاصَرَهَا قَائِلًا: "ثم عَمَّتْنا فتنة "دردقاوة"... مع ما دَهَمْنَا من الطاعون... فاتصلت علينا صراصر النكبات والبلبات من الخوف والجوع والروع، الذي في الفؤاد مودوع<sup>(1)</sup>".

وتُحِيطُنَا عِلْمًا هذه الكِتَابَات التَّارِيخِيَّة أَنَّ هذه الثَّوْرَةَ كانت بِإِيْعَازٍ من المَغْرِبِ العَلَوِيِّ بسبب أَطْمَاعِهِ التَّارِيخِيَّةِ في الغَرْبِ الجَزَائِرِيِّ، وبعْدِ فَشْلِ مُحَاوَلَاتِهِمْ في ضَمِّ تلمسان وأحوازها إلى المَغْرِبِ عَسْكَرِيًّا، جُأُوا إلى طُرُقٍ أُخْرَى مِثْلَ دَعْمِ الطَّرِيقَةِ الدَّرْقَاوِيَّةِ ذاتِ الإِنْتِشَارِ الوَاسِعِ في المَغْرِبِ والغَرْبِ الجَزَائِرِيِّ والتي يَنْتَمِي إليها زعيم الثَّوْرَةِ الدَّرْقَاوِيَّةِ، ووظفوها لتحقيق مآربهم في زَعْرَعَةِ الإِسْتِقْرَارِ بِالْجَزَائِرِ<sup>(2)</sup>.

وفي المَقَابِلِ كان "حمودة باشا" مُلتَمِّزًا بتطبيق جميع الالتزامات سَابِقَةَ الذِّكْرِ كسبًا للوقت فقط، لِأَنَّهُ مَضَى في إِعْدَادِ بِلَادِهِ عَسْكَرِيًّا تحسبًا لوقوع حربٍ مع الجزائر؛ حسبما أشار إليه ابن أبي الضياف قائلًا: "...فعزم على حربهم.. بعد أن التفت الى تحصين البلاد،... ثم شرع في بناء السور يوم الاحد رابع ربيع الأول سنة 1217، سبع عشرة و مائتين و ألف (4جويلية 1802م)،.. و أمر ببناء القشتل الخمس لسكنى عسكر الترك.. فتتمت في أسرع وقت و عمرها بالجنود".

كَمَا وَطَّدَ عِلَاقَتَهُ بِسُلْطَانِ المَغْرِبِ "المولى سليمان" من أجل كسب حليفٍ إِسْتِرَاطِيَّيْ يُسَاعِدُهُ في أَوْقَاتِ الحَاجَةِ؛ حيث أرسل إبراهيم الرِّياحي أحد علماء تونس عام 1803م، إلى المَغْرِبِ الأَقْصَى لجلب المعونة المادية و الغذائية لمواجهة القحط و المجاعة التي اجتاحت البلاد مطلع القرن 19م<sup>(3)</sup>، أو ضَمَانِ حِيَادِهِ في حَالِ ما إِذَا اِنْدَلَعَتْ حَرْبًا بين تونس و الجزائر؛ علما أن حكام المَغْرِبِ لم يَكُونُوا على وِفَاقٍ دَائِمٍ مع حُكَّامِ الجَزَائِرِ الأتراك و كان لهم أَطْمَاعٌ في تلمسان و أحوازها كما سبق الإشارة إليه. كما كانت للأطماع الخارجية في الجزائر (خاصة فرنسا وبريطانيا) دَخْلٌ في زَعْرَعَةِ الإِسْتِقْرَارِ في الجَزَائِرِ وإشغال فتيال الثَّوْرَاتِ والفِئَنِ التي ظَهَرَتْ في وَقْتٍ وَاحِدٍ من أجل إضْعَافِ الجَزَائِرِ وإِنْهَاقِهَا دَاحِلِيًّا<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> محمد أبو رأس الجزائري، فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي راس الذاتية والعلمية، تح محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ت)، ص 24. / أو كذا: الزهار، المصدر السابق، ص 84. / العنتري، فريدة منسية، ص 70-73.

<sup>(2)</sup> مبارك شودار، "لمحة عن الأوضاع السياسية للجزائر في أواخر العهد العثماني"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة العدد 4، ديسمبر 2016، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر، ص 234.

<sup>(3)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 2، ج 3، ص 21، 35، 38-39.

<sup>(4)</sup> أنظر أيضا: مبارك شوار، المرجع السابق، ص 236.

واستمرت العلاقات في عهد داي الجزائر مصطفى تَبْدُو مُسْتَقَرَّةً ولو كانت في الحقيقة تَتَّجِهْ عكس ذلك، لأنه بمجرد مَقْتَل "الدَّاي مصطفى" عام 1805م<sup>(1)</sup> مَا لَبِثَتْ أَنْ سَاءَتْ العلاقات مع خَلْفِهِ "أحمد باشا" (1805-1808م).

ويقول الزَّهَار في ذلك: "وقد كان ملوك تونس، يبعثون مركبا محملا بالزيت، وبعض الهدايا الرقيقة كل سنة فقطعوها في قيامه... ووقع الكلام بينه وبين ملكها حمودة باشا إلى أن اشتغلت نار الفتنة، فبعث أحمد باشا المراكب الجهادية ليأخذوا ما وجدوه من مراكب تونس إلى أن يدفعوا ما عليهم من العادة التي التزم بها ملوكهم، لملوك الأتراك بالجزائر... ثم إن حمودة باشا جهز محلة خفية، وبعث بها لأخذ قسنطينة فحاصرها شهرا كاملا، وهو يرمي البومبة على البلد<sup>(2)</sup>..."، وهكذا فَإِنَّهُ بِاعْتِبَاءِ "أحمد باشا" الحكم في الجزائر يعلن "حمودة باشا" الحرب على قسنطينة عام 1807م<sup>(3)</sup> وتَنَقَّطُ فِتْرَةَ السَّلَام الطويل بين الايالتين.

ومن هُنَا نَسْتَسْتَجِ أَنْ أَبْنَاءَ الْحُسَيْن (محمد وعلي) رَبَطَا عَلاَقَاتٍ حَسَنَةً مع حُكَّامِ الْجَزَائِر وَمَرَدُّ ذَلِكَ أَنَّهُمَا اسْتَقَرَّا بِالْجَزَائِرِ قُرَابَةَ الْعِشْرِينَ سَنَةً كَلَاجَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ (1735-1756م)، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ عَوَدَتَهُمْ إِلَى تُونِسْ كَانَتْ بِفَضْلِ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ.

فَهَذَا الْجَمِيلُ بَقِيَ مِثْلَ الدَّيْنِ يُسَدَّدُ عَلَى شَكْلِ ضَرْبِيَّةٍ سَنَوِيَّةٍ مَالِيَّةٍ قَارَّةٍ؛ مع مجموعة من الهدايا و الإحسانات، وَتَحَوَّلَتْ بِمُرُورِ الْوَقْتِ إِلَى التِّزَامَاتِ مُرَهَقَةً وَمُكَلَّفَةً لِحَزِينَةِ تُونِسْ.

وَمِمَّا زَادَ الطَّيْنَ بَلَّةً؛ التَّدْخُلَاتِ الْمَدَّلَّةِ لِحُكَّامِ الْجَزَائِرِ فِي شُؤُونِ تُونِسْ وَالضَّغْطِ عَلَى حُكَّامِهَا. كَمَا شَكَّلَتْ تَصَرُّفَاتِ الْمَبْعُوثِينَ هِيَ الْأُخْرَى وَالْوُكَلَاءِ اسْتِنْفَازًا وَاضِحًا لِحُكَّامِ تُونِسْ اسْتِطَاعَ مُحَمَّد بَاي وَأَخُوهُ عَلِي تَحْمُلَهَا، لَكِنَّ "حَمُودَةَ بَاشَا" تَحَمَّلَ لِأَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ أَعْلَنَّا حَرْبًا اِنْتِقَامِيَّةً عَلَى قَسَنْطِينَةَ وَحُكَّامِ الْجَزَائِرِ.

وَفِي الْمَقَابِلِ اسْتِفَادَ حُكَّامُ الْجَزَائِرِ مِنْ مَوَارِدَ مَالِيَّةٍ ثَابِتَةٍ وَمُسْتَمَرَّةٍ لِأَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً وَرَغْمَ أَنَّ تِلْكَ الْهَدَايَا وَالْأَمْوَالَ الَّتِي كَانَتْ تَدْفَعُهَا تُونِسْ لِحُكَّامِ الْجَزَائِرِ تَذَهَبُ لِحِسَابِهِمْ وَلَمْ تَسْتَفِدْ مِنْهَا حَزِينَةُ

(1) تعليق عن أسباب مقتل داي مصطفى ينقل إلى الهامش. (يصفه الزهار الذي كان معاصراً له بأنه كان شجاعاً و له اعتناء بالجهاد و ببناء الأبراج، و يولي اهتماماً للفقراء و ساهم في تختيم أبنائهم و أجزل الصدقات لأهل المدارس و الزوايا و قضى دين المدينين من الفقراء، و أطلق سراح جميع المساجين من عماله إلا من لا يجيز الشرع اطلاقه، و رغم ذلك تعرض لأربع محاولات اغتيال فشل الثلاثة و نجحت الرابعة حيث ثار العسكر ضده و قتلوه مع الخزانجي عام 1222هـ/1807م، و ربما يكون لفتنة اليهود التي حدثت في عهده علاقة كبيرة بقتلها لأن كبيرهم ولد بوجناح كان مقرباً جداً من الخزانجي و الداي مصطفى؛ و تعتبر هذه المسألة من القضايا التي تحتاج إلى بحث معمق لإزالة اللبس الذي يلفها. أنظر: الزهار، المصدر السابق، صص 80-89.

(2) الزهار، المصدر السابق، ص ص 89-96.

(3) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 1، ج 2، ص 37 وما بعدها.

الجزائر، لَكِنَّهَا سَدَّتْ رَمَقَهُمْ فِي فِتْرَةٍ كَانَتْ الْمَدَاخِيلُ الْجَزَائِرِيَّةُ الْمَالِيَّةُ شَحِيحَةً بِفِعْلِ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا الْجَزَائِرُ أَوَّخِرَ الْقَرْنِ 18 وَمَطْلَعِ 19 م مِنْ جَوَائِحِ وَتَوَرَّاتٍ دَاخِلِيَّةٍ وَإِعْتِدَاءَاتٍ خَارِجِيَّةٍ.

### خاتمة الفصل الأول:

- وفي الختام نَسْتَنْتِجُ أَنَّ الْعِلَاقَاتِ السِّيَاسِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ بَيْنَ الْجَزَائِرِ وَتُونِسَ طِيلَةُ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ وَمَطْلَعِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِيلَادِيَّيْنِ تَأْرَجَحَتْ بَيْنَ الصَّرَاعِ وَالسَّلَامِ رَغْمَ أَنَّ الْحُرُوبَ وَالتَّدْخُلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةَ طَعَّتْ عَلَى الْمَشْهَدِ السِّيَاسِيِّ خِلَالَ هَذِهِ الْفِتْرَةِ، إِلَّا أَنَّ فِتْرَاتِ السَّلَامِ وَالهُدُوءِ كَانَتْ الْأَطُولَ.

- كَمَا نُنَوِّهُ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوبَ غَالِبًا ؛ كَانَتْ سَبَبًا طَلَبَ أَطْرَافِ الصَّرَاعِ بِنُونِسَ عَلَى السُّلْطَةِ، النَّجْدَةَ مِنْ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ مُقَابِلَ الْإِتِّزَامِ بِتَعَهَّدَاتٍ مَالِيَّةٍ وَ إِحْسَانَاتٍ، كَانَتْ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ فِي أَمْسٍ الْحَاجَةَ لَهَا، وَمُبْجَرَدَ قَطْعِهَا تَتَجَدَّدُ الصَّرَاعَاتُ وَالْحُرُوبُ، كَمَا كَانَتْ لِلْمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ دَخْلٌ كَبِيرٌ فِي هَذِهِ الْحُرُوبِ الْمَكْلِفَةِ بَشْرِيًّا وَمَادِيًّا.

- أَمَّا شُعُوبُ الْإِيَالَتَيْنِ فَلَمْ تَكُنْ هَاتِهِ الْحُرُوبُ تَعْنِي لِهِنَّ الْكَثِيرَ إِلَّا إِذَا أُفْحِمُوا فِيهَا عُنُودَهُ، وَاسْتَمَرَّتْ بِتَجَارِئِهِمْ وَتَنَقُّلَاتِهِمْ وَقَوَائِلِ الْحَجِيحِ تَمُرُّ بِنُونِسَ ذَهَابًا وَإِيَابًا، وَاسْتَمَرَّتْ الْمَرَكَزِ الْعِلْمِيَّةُ فِي كِلَا الْبَلَدَيْنِ تَسْتَقْبِلُ الطَّلَبَةَ وَالشُّيُوخَ وَالزَّائِرِينَ بِصَدْرٍ رَحْبٍ، وَهَذَا مَا سَبَّبَتْهُ بَقِيَّةُ الْفُصُولِ مِنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ.

- أَمَّا مَسْأَلَةُ التَّبَعِيَّةِ الْمَفْرُوضَةِ مِنْ قَبْلِ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ عَلَى حُكَّامِ تُونِسَ فَتَحْتَاجُ إِلَى دَرَاةٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ مَعْمَقَةٍ جَدًّا بِنَاءً عَلَى الْوَتَائِقِ الْأَرْشِيفِيَّةِ إِضَافَةً إِلَى الْكُتَابَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَحَلِيَّةِ لِكِلَا الْإِيَالَتَيْنِ مِنْ أَجْلِ الْخُرُوجِ بِإِجَابَةِ وَافِيَّةٍ وَمَقْنَعَةٍ.

- كَمَا أَنَّ مَسْأَلَةَ تَدْخُلِ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ الْمُتَكَرِّرَةِ فِي شُؤُونِ تُونِسَ السِّيَاسِيَّةِ كَانَتْ وَ لِلْأَمَانَةِ بِنَاءً عَلَى طَلَبٍ مِنْ أَحَدِ أَطْرَافِ الصَّرَاعِ دَاخِلِ الْبَيْتِ الْحُسَيْنِيِّ الْحَاكِمِ بِنُونِسَ، وَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا نَادِرًا بِمَحْضِ إِرَادَةِ دَايَاتِ الْجَزَائِرِ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي كَانَتْ يَقُومُ بِهَا هَذَا الْجَيْشُ مِنْ نَهْبٍ وَ سَلْبٍ فِعْلًا مُخْزِيَّةً لَكِنَّ الْمَتَّبِعَ لِلْأَحْدَاثِ يَجِدُ أَنَّ الْجَيْشَ التُّونِسِيَّ الْإِنْكَشَارِيَّ هُوَ الْآخِرُ كَانَتْ يَسْتَبِيحُ الْحَاضِرَةَ أَوْ مَدِينَةَ الْقَيْرَوَانَ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ الْمَدَائِنِ عَقِبَ كُلِّ جَوْلَةٍ مِنَ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ الَّتِي طَحَنَتْ تُونِسَ وَ شَعَبَهَا لِسِنُونِاتٍ، لِذَلِكَ فَمِثْلُ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِهَا هَذَا الْجَيْشُ سِوَاءً بِتُونِسَ أَوْ الْجَزَائِرِ أَوْ مَنَاطِقٍ أُخْرَى مِنَ الْأَرَاةِ الْعُثْمَانِيَّةِ هِيَ الْأُخْرَى تَحْتَاجُ إِلَى دَرَاةٍ مَعْمَقَةٍ لِأَنَّ نَوْعِيَّةَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا يُجْنَدُونَ مِنْ أَرْمِيرِ لِتَغْذِيَةِ الْجَيْشِ الْعَسْكَرِيَّةِ عَرَفَتْ ضَعْفًا وَ تَقَهْقُرًا عَلَى مُسْتَوَى الْمَوْسَسَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ بِالْبَابِ الْعَالِيِ مَرْكَزِ الْخِلَافَةِ فَمَا بِالْكَ بِالْأَطْرَافِ فَقَدْ إِنْتَشَرَتْ ظَاهِرَةُ الرِّشْوَى وَ شَرَاءِ الْمَنَاصِبِ وَ ضَعْفِ الْمَوْهَلِينَ لِمَنَاصِبِ الْقِيَادَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ

و مثل هذا الضعف حتماً سينعكس على أداءات هاته الجيوش عندما تصل إلى الإيالات ، فالدافع للعمل كان الحصول على غنائم إضافية و لم يكن للدفاع عن المدن و الحواضر. و ككلمة تقييمية للمصادر التونسية؛ حول تناؤلها للأحداث التي ذكرت في الجانب السياسي و العسكري فلاحظنا:

- أن بعض المصادر قد التزم أصحابها الحياد في ذكرهم لبعض الأحداث مثل الصغير بن يوسف في "كتابه المشرع الملكي" الذي نقل الأحداث التي عايشها و كان أحد أطرافها خاصة الحملات العسكرية و المعارك التي كانت تونس ميداناً لها، باعتباره أحد المجندين فيها؛ هذا من جهة و من جهة أخرى حياده كان بسبب بعده عن دوائر السُلطة الحاكمة بتونس؛ فهو فلاحٌ بسيط تَصَرَّرَ مثل عامة الناس من تلك الحروب المتكررة بين الشقيقتين الجزائر و تونس و نُكِبَ في رزقه و ماشيته و رغم ذلك نقل الأحداث بكل حيادية .

- و المصدر الثاني هو "الكتاب الباشي"، لصاحبه الوزير حمودة بن عبد العزيز؛ فرغم قربه من دوائر صنع القرار إلا أن كتابه خاصة الجزء الثاني؛ "المخطوط" فقد أطلعنا على تفاصيل بعض الأحداث و الظروف المصاحبة لتلك الحملات العسكرية القادمة من الجزائر نحو تونس؛ خاصة حروب "الفتنة الباشية- الحسينية"، و علاقة حكام الجزائر بها؛ و أخباراً امتدت حتى للحوارات التي حدثت في قصر الحكم و جناح الحريم به، و مثل هذه الأخبار ما كان لها أن تصلنا خاصة ما تعلق بالجزائر منها (إيجابيا كان أو سلبياً) لولا هذا المصدر.

- كما أن "حمودة بن عبد العزيز"، قد أضاف لتاريخ التواصل الثقافي بين الجزائر و تونس فصلاً مُشرقاً، خاصة عندما نقل لنا في الجزء الأول من كتابه "الباشي"، تفاصيل عن تجسس "علي باي" ابن الحسين عقارات لصالح زاوية خنقة سيدي الناجي المتواجدة بالتراب الجزائري، معلومات ما كان لها أن تصلنا لولا روايته لها<sup>(1)</sup>.

- بينما كان البعض الآخر مُتحيذاً للطرف التونسي بشكل واضح؛ مثل "إتحاف أهل الزمان..." لابن أبي الضياف فنلمس فيه عدم الحيادية أثناء نقله للأحداث؛ و كان متحاملاً بشكل واضح على الجزائر و حكامها، خاصة أحداث مطلع القرن 19م/13هـ، التي عاصرها.

- أما من حيث الصواب و الخطأ في نقل الأحداث؛ فبعض المعلومات التاريخية نُقلت بطريقة خاطئة؛ مثل فتح وهران الأول عام (1119هـ/1708م)، الذي نقله الصغير بن يوسف مُشافهةً عمَّن يتقُّ بهم و لم

(1) هناك مبحث خاص بهذا التجسس و أسبابه في الفصل الثقافي من هذه الرسالة.

يحضر بنفسه هذه الوقائع، كما تمّ اغفال الكثير من الحقائق حول محاولة بعض حكام تونس خاصةً "حمودة باشا" زعزعة استقرار الجزائر و إستمّالته للشّائر "ابن الأحرش"، و إستقبّاله لباي قسنطينة "انكليز" الذي فرّ منها بسبب فشله في إخماد هذه الفتنّة (الدّرقاوية).

## الفصل الثاني: صور من العلاقات

الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و13هـ / 18 ومطلع 19 م

المبحث الأول: ممثلي ووكلاء حكام الجزائر وقسنطينة بتونس (المهام و الأدوار)

المبحث الثاني: المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس

المبحث الثالث: الإحسانات و الضرائب المقدمة من طرف حكام تونس إلى الجزائر

يتناول هذا الفصل مجموعة من القضايا التاريخية ذات الطابع الاقتصادي؛ و التي شكّلت من زاوية أو من أخرى إحدى أهم المحطات في العلاقات الاقتصادية التي ربطت إيالة الجزائر بتونس خلال الفترة المعينة بالدراسة و بناءً على ما صورته المصادر التاريخية التونسية، و تتمثل هذه القضايا في دور الممثلين و الوكلاء الذين عينتهم السلطة الجزائرية بتونس، و رغم أنّ الطابع السياسي و الدبلوماسية هو الغالب لهذه الوظائف إلا أنّ المهام الموكلة لهم كانت أكثرها اقتصادية، لذلك تمّ إدراج هذا المبحث ضمن الفصل الاقتصادي.

و الشيء الآخر و المهم الذي سلطنا عليه الضوء كذلك في هذا الفصل؛ هو مسألة المبادلات التجارية بين الايالتين و خاصةً بين أهم و أغنى إقليم في الجزائر حينها و هو بالك الشرق الجزائري و بين الجارة تونس؛ و ما تضمنه من معطيات مسّت التجارة الخارجية و العلاقات البيئية بين إيالات المغرب الإسلامي خلال العهد العثماني بما له و ما عليه من مزايا و سلبيات.

هذا إضافة إلى مبحث آخر يميّط اللثام عن مسألة الهدايا و الإحسانات التي كانت تُقدّم من طرف حكام تونس خاصةً أبناء الحسين في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي، و التي أخذت أشكالاً متنوعةً من المسميات و اعتبرت لدى الكتابات المحلية الجزائرية تقليدًا دبلوماسيةً درجت عليه العلاقات البيئية للإيالتين؛ في حين اعتبرت المصادر الإخبارية التونسية ذلك عبئاً اقتصادياً أثقل كاهل حكام تونس و كذا الرعية معاً، هذه القضايا و غيرها تُحاول الإجابة عليها في هذا الفصل.

### المبحث الأول: ممثلي ووكلاء حكام الجزائر وقسنطينة بتونس (المهام والأدوار)

تناولت الكتابات الإخبارية أثناء حديثها عن العلاقات السياسية للجزائر مع تونس خلال القرنين 12/13هـ والثامن عشر ومطلع التاسع عشر ميلادي؛ مسألة التمثيل الدبلوماسي لحكام الجزائر وبايات قسنطينة بتونس، والذي كان على يد وكلاء<sup>(1)</sup> لعبوا دور الوسيط وهمزة الوصل في

(1) الوكلاء: هم أشخاص تقوم السلطة الجزائرية (الدايات) بتعيينهم في مختلف المدن والموانئ المتوسطية العثمانية ليقوموا بتمثيل المصالح السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعملهم يماثل ما يقوم به القناصل الأوروبيون في العديد من المدن العربية والعثمانية، وكان أهمهم وكيلها في اسطنبول (بأزمير) ويطلق عليه "قبوكداسي" أو "قبو كاهية سي" أي وكيل الباشا لدى الباب العالي، تتمثل مهامه في العناية بأمر التجنيد وتنفيذ طلبات الدايات إضافة إلى إدارة مصالح إيالة التجارة وحمايتها والإشراف على الشؤون المتعلقة بما إلى جانب نقل الأخبار من الدولة العلية وغيرها من إيالات العثمانية للجزائر، كما يرسل هؤلاء الوكلاء برسائل وتقارير من أزمير وغيرها من المدن الأخرى إلى الجزائر بشكل دوري. أنظر: خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، مذكرة لنيل درجة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، 1977، ص 194 / وكذا: فلوح عبد القادر، "دور وكلاء الجزائر في تجنيد المتطوعين لصالح إيالة"، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، مج 1، ع 2، جويلية 2019، ص 87. وكذا: صرهودة يوسف، "وكلاء إيالة الجزائر في أزمير أواخر الحكم العثماني، دراسة في الآثار والمهام"،

تَسْوِيَةٌ بَعْضُ الْقَضَايَا الدَّبْلُومَاسِيَّةِ الْعَالِقَةِ وَإِيصَالِ الرَّسَائِلِ بَيْنَ حُكُومِ الْإِيَالَتَيْنِ وَ كَذَا الْهَدَايَا؛ إِضَافَةً إِلَى دَوْرِهِمُ الْإِسْتِخْبَارَاتِي فِي نَقْلِ الْمَعْلُومَةِ حَوْلَ أَوْضَاعِ تُونِسَ وَعِلَاقَاتِهَا الْخَارِجِيَّةِ؛ خَاصَّةً بِالذُّوْلِ الْأَوْرُوبِيَّةِ وَإِسْتِعْدَادَاتِهَا الْعَسْكَرِيَّةِ، هَذَا فَضْلاً عَنِ مَهَامِهِمُ التَّجَارِيَّةِ الْمَتَمَثِّلَةِ فِي بَيْعِ قُطْعَانِ الْبَقَرِ وَالْإِبِلِ فِي أَسْوَاقِ تُونِسَ لِحِسَابِ حُكُومِ الْجَزَائِرِ وَبَايَاتِ قَسَنْطِينَةَ.

وَجَدَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْوُكَلَاءِ قَدْ بَلَغَ شَأْنًا كَبِيرًا وَمَكَانَةً رَفِيْعَةً فِي الْبِلَادِ التُّونِسِيَّةِ مِنْ جِلَالِ نَسْجِ شَبَكَةِ مِنَ الْعِلَاقَاتِ الْوِدِيَّةِ مَعَ حُكُومِ تُونِسَ وَوُزَرَائِهَا؛ مِثْلَ الْوَكِيلِ الْحَاجِّ مُحَمَّدِ الْبِرَادِعِيِّ الَّذِي تَوَاطَأَ مَعَ "حَمُودَةَ بَاشَا" (1782-1814م) وَاسْتَدْرَجَ حَسِينَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ يُونِسَ الَّذِي كَانَ مُقِيمًا بِالْجَزَائِرِ مَعَ أُمِّهِ وَ يُعْتَبَرُ وَرَقَةً ضَغْطِ مُهْمَةٍ فِي أَيِّدِي حُكُومِ الْجَزَائِرِ، فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَى تُونِسَ قَامَ "حَمُودَةَ بَاشَا" بِقَتْلِهِ عَامَ 1799م، وَعِنْدَمَا عَلِمَ ذَاي الْجَزَائِرِ بِذَلِكَ رَاسَلَ "حَمُودَةَ بَاشَا" فِي طَلْبِ وَكَيْلِهِ مُحَمَّدِ الْبِرَادِعِيِّ، فَلَمَّا إِمْتَنَعَ عَنِ تَسْلِيمِهِ، أَرْسَلَ الدَّايَ مَنْ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فِي تُونِسَ<sup>(1)</sup>.

كَمَا نَوَّهَ أَسِيرُ الدَّايِ كَاتِكَارْتِ بِالذُّوْرِ الَّذِي لَعِبَهُ الْحَاجُّ عَلِيٌّ وَكَيْلُ الْجَزَائِرِ بَتُونِسَ، وَتَوَسُّطِهِ لَدَى "حَمُودَةَ بَاشَا" فِي شَأْنِ عَقْدِ مُعَاهَدَةِ سَلَامٍ مَعَ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ أَوَاخِرَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِيلَادِي بِأَمْرِ مِنْ ذَاي الْجَزَائِرِ حَسَنِ (1791-1798م) وَيَشِيرُ إِلَى مَكَانَتِهِ فِي الْبَلَاطِ التُّونِسِيِّ<sup>(2)</sup> قَائِلًا: "... حَيْثُ أَنَّ لِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ نَفُوزًا كَبِيرًا فِي الْبَلَاطِ التُّونِسِيِّ...".

عِلْمًا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْوُكَلَاءِ وَالْمَبْعُوثِينَ لَمْ تَكُنْ دَائِمًا عِلَاقَاتُهُمْ حَسَنَةً بِحُكُومِ تُونِسَ، وَتَصَرُّفَاتُهُمْ كَانَتْ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَحْيَانِ تُثِيرُ حَفِيظَةَ التُّونِسِيِّينَ، حَيْثُ بَجْرًا سَاعِي بَرِيدِ قَسَنْطِينَةَ مَرَّةً وَقَامَ بِشَتْمِ التُّونِسِيِّينَ فِي بِلَادِهِمْ وَأَرَادَ الْإِسْتِيْلَاءَ عَلَى بَضَاعَتِهِمْ، فَلَمْ يَتَحَمَّلْ آغَا قَصَبَةَ تُونِسَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِضَرْبِ هَذَا السَّاعِي حَتَّى الْمَوْتِ؛ وَنَتَجَ عَنِ ذَلِكَ تَدَخُّلُ دَايِ الْجَزَائِرِ لَمَّا عَلِمَ بِالْأَمْرِ حَيْثُ أَمَرَ "مُحَمَّدُ بَايُ الرَّشِيدِ" حَاكِمُ تُونِسَ (1756-1759م) بِخُنُقِ آغَا قَصَبَةَ تُونِسَ<sup>(3)</sup>.

كَمَا نَجَدُ الْمُوَرِّخَ التُّونِسِيِّ الصَّغِيرِ بْنِ يُوسُفَ؛ يَمْدُحُ خِصَالَ وَأَخْلَاقَ حَاكِمِ تُونِسَ "عَلِيِّ بَاي" بْنِ الْحَسَنِ (حَكَمَ 1759-1782م) وَ يُنَوِّهُ بِسَعَةِ صَدْرِهِ وَ قُدْرَةِ تَحْمُلِهِ لِتَصَرُّفَاتِ مَبْعُوثِي الْجَزَائِرِ قَائِلًا: "... وَمِنْ قُوَّةِ وَسْعِ بَالِهِ أَنَّهُ مِنْ حَيْنِ تَوَلَّى... مَا أَوْحَشَ قَادِمًا مِنْ وَجْهِ الْجَزَائِرِ، وَلَا قَصَرَ فِيمَا يَطْلُبُونَهُ

المجلة الاجتماعية والإنسانية، المجلد 21، ع 2، جامعة باتنة 1، 2020، ص 263.

(1) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م 2، ج 3، ص 33-34.

(2) جيمس كاتيكارت، المصدر السابق، ص 221.

(3) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 208 و 230.

من قضاء حوايجهم<sup>(1)</sup>. وسار "حمودة باشا" مسيرة أبيه هو الآخر؛ حيث كان يُعامل كل قادم من الجزائر بحفاوة كبيرة ويتحامل فظاظمة مبعوثي ووكلاء قسنطينة بتونس الذين كانوا يُغلظون على رعية تونس ويظلمونهم لكن "حمودة باشا" كان يتصرف بحكمة في معالجة ما ينجر عليهم من مظالم إلقاء لعصب حكام الجزائر<sup>(2)</sup>.

ونفس الإنطباع ذكره المؤرخ دورنو حول تصرفات هؤلاء الوكلاء بتونس قائلاً "مثل الداي الجزائري في تونس الذي سمح لنفسه بالإساءة للرعية، كما تمتع بكل الصلاحيات دون أن يتدخل "حمودة باشا" في شؤونه مع أنه كان يعلم بظلمه<sup>(3)</sup>".

وفي المقابل نجد أنه لم يكن هناك وكلاء لتونس في الجزائر، لكن حكامها اعتمدوا على مجموعة من الجواسيس الموثوقين بمدينة الجزائر وبايلك قسنطينة.

وبلغ الأمر بـ "علي باشا" (1735-1756م) إلى الإطلاع على كل ما كان يدور في مجالس داي الجزائر "إبراهيم باشا الكبير" (1732-1745م) وباي قسنطينة حسين عشي وشيوخ القبائل؛ ومن بين هؤلاء الأعيان التي تعمل لصالح باي تونس علي الخطاب الذي كان مقرباً من باي قسنطينة<sup>(4)</sup>.

وهذا الإختراق التونسي للدوائر السياسية الجزائرية من طرف "علي باشا" إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا الأخير قد تمكن من استمالة عدد كبير من الشخصيات النافذة عبر نسج شبكة من العلاقات معهم أثناء تواجده بالجزائر عندما كان لأجماً (بين 1729-1735م) أو عن طريق دفع الهدايا والأموال إلى الشخصيات النافذة لكسبها إلى صفه.

كما قام "حمودة باشا" بتأسيس مركزاً للتجسس على الجزائريين في سانية المرناقية وهذا ما أوردته صاحب الخلاصة النقية قائلاً: "وأعلن بما كان يخفيه من حرب الجزائريين لما عيل صبره في مداراتهم وأحيا سانية المرناقية للتطلع على أحوال رسلهم واستكشاف سرائر جواسيسهم"<sup>(5)</sup>.

(1) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج4، ص216.

(2) ابن المبارك، المصدر السابق، ص48-49. / كما اشتكى يوسف صاحب الطابع لحمدان خوجة أثناء مروره بتونس عام 1801م من وكلاء الجزائر قائلاً: "... وأثناء الحديث اشتكى بشدة من التجاوزات التي يقوم بها في تونس وكيل الجزائر ووكيل قسنطينة والرجال المحيطون بما ولاحظ لنا أنه يخشى أن تؤدي تلك التجاوزات وتهاون حكومة الجزائر... إلى ثورة تشتعل... بين الحكومتين". أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص127-128.

1- Dournon, *kitab tarikh quosantina*, par El hadj Ahmed et Moubarek, in R.A, N°57,1913 , P265

(4) بن خروف، المرجع السابق، ص113 وص123.

(5) الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تق وتحم محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2013، ص261.

ولم يكتفِ "حمودة باشا" بمركز التَّجسُّسِ هذا، بل قام بإرسالِ هَدِيَّةٍ إلى وكيِّلِ الجزائر بتونس تَمَثُّلٌ في جاريةٍ حَسَنَاءَ لِيَتَبَيَّنَ فيما بعد أنَّها جاسوسةٌ تَعْمَلُ على إختلاسِ المراسلاتِ بين حكومة الجزائر و وكيِّلِهَا بِنُؤُسِ لِصَالِحِ "حمودة باشا"<sup>(1)</sup>.

علماً أنَّ هذا النوع من الهدايا قد سبقه بها عمه "مُحَمَّدُ باي الرِّشيد" الَّذِي أَرْسَلَ جَارِيَتَيْنِ غَايَةً فِي الحُسْنِ والجَمَالِ أَعَدَّهُمَا إِعْدَادًا جَيِّدًا وَأَرْسَلَهُمَا كَهَدِيَّةٍ إِلَى دَايِ الجزائر "علي بوصبع" (1754-1766م) عَرَفَانَا لَهُ بِالْجَمِيلِ<sup>(2)</sup> بِسَبَبِ بُحَاكِ الحَمَلَةِ الجزائرية عام 1756م؛ وَالَّتِي قَضَتْ عَلَى حُكْمِ "علي باشا"، وَفَسَحَتْ الجَمَالَ لِأَبْنَاءِ الحُسَيْنِ (محمد وعلي) بِاسْتِزَادِ حُكْمِ أَبِيهِمْ عَلَى تونس، وَرغم أَنَّ هذه الهدية ظاهرياً رُدُّ الجَمِيلِ، إِلَّا أَنَّ بَاطِنَهَا يُعْتَقَدُ أَنَّهَا وَسَلَةٌ ذَكِيَّةٌ لِإِخْتِرَاقِ الدَّوَائِرِ الحُكُومِيَّةِ بِالجزائر.

واللَّافِتُ لِإِلْتِبَاهِ أَنَّ المَهَامَ الموكَّلةَ لهؤلاء المبعوثين والوكلاء قد تنوعت بين السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حيث صادف أسير الداي كاتكارت أثناء عمله بقصر داي الجزائر حسن عام 1795م حُضُورَ وكيِّلِ الجزائر بِنُؤُسِ الحَاجِ عَلِيِّ الَّذِي أَرْسَلَتْ مَعَهُ الضَّرِيْبَةَ السَّنَوِيَّةَ مِنَ الزَيْتِ المَدْفُوعَةِ مِنْ طَرَفِ حُكُومَةِ تُونسِ إِلَى الجزائر، وَنَعْتَهُ بِسَفِيرِ الجزائر بتونس<sup>(3)</sup>.

كَمَا رَاسَلَ "حُسَيْن" باشا الجزائر (1818-1830م) "محمود" باشا تونس يُخْبِرُهُ بِإِعْلَانِ الحَرْبِ بَيْنَ الجزائر وإنجلترا وَطَلَبَ مِنْهُ إِفَادَهُمْ بِأَخْبَارِ الإنجليزِ عَنْ طَرِيقِ وَكيِّلِهِمْ بتونس قائلاً: "ثم المراد منكم والمؤكد به منا على حضرتمكم أن كل ما يطرق مسامعكم من أمورهم وأحوالهم وحركاتهم وسكوئهم... فاعلموا بجميعها وكيلنا السيد محمود<sup>(4)</sup> بن أمين السكة<sup>(5)</sup>".

(1) رشاد الإمام، المرجع السابق، ص 413-414.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 4، ص 116.

(3) كاتكارت، المصدر السابق، ص 221.

(4) محمود بن أمين السكة ينحدر من عائلة عريقة من حضر مدينة الجزائر عرفت بالتجارة وتكونت لديها ثروة من مزاولتها لها، فقد اشتغل وكيلا لداي الجزائر حسين باشا بتونس ويعتبر محمد جدُّه من كبار تجار الجزائر واشتغل وظيفة أمين السكة بمدينة الجزائر ويعتبر محمود خال حمدان بن عثمان خوجة الذي رافقه لدار السلطان بالدولة العثمانية لتسلم هدية داي الجزائر للسلطان العثماني عام 1801م. ولقد مرَّ كلاهما بمدينة تونس أثناء عودتهما وبقيا بها أسبوعاً كاملاً و إلتقيا بمحمودة باشا، ولقد ذكر حمدان بن عثمان خوجة فضل حاله عليه حتى أصبح تاجراً عظيماً ورافقه في زيارته إلى اسطنبول وتونس ومدن أخرى أوروبية مثل مارسيليا، و ليفورنيا ولندن. ولقد ورد اسم محمود بن أمين السكة، ووكيل الجزائر بتونس عدة مرات في دفاتر التجار وأرشييف القنصلية الفرنسية بدار السلطان (الجزائر) ووصف بأنه من كبار تجار الجزائر العاملين بينها وبين مالطا سنة 1812م. أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 127 / سيد أحمد بن نعماني، "وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال وثائق الرصيديين العثمانيين الموجودين في الجزائر"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 1، العدد 1، جانفي 2013، ص 206.

(5) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 43-44.

وَفَضْلاً عن أدوار هؤلاء الوُكلاء والمبعوثين الدبلوماسية المتمثلة في تسوية القضايا السياسية بين الايالتين ونقل الهدايا المتبادلة أو التحسس على أوضاع بعضهما البعض، أو التعاون في مجال نقل المعلومة عن الدول الأوربية التي كانت تستهدف منطقة المغرب الاسلامي بهجمات البحرية المتكررة؛ فإنه أُوكِلَ لهؤلاء الوُكلاء أدوار أخرى اقتصادية تمثلت في السهر على تسهيل مختلف عمليات المبادلات التجارية بين الإيالتين ونقل فطعان البقر والإبل من بايلك الشرق نحو الأسواق التونسية القريبة منه وتولي عملية بيعها وقبض مستحقاتها ثم دفعها لباي قسنطينة، وخير دليل على ذلك سجلات دفاتر الأرشيف التونسي خاصة الدفاتر رقم (108، 100، 94، 36) المليئة بتفاصيل هاته الصفقات التجارية وأسماء المبعوثين والأسعار التي تم البيع بها<sup>(1)</sup>.

كما يُعتبر الدفتر رقم 2144<sup>(2)</sup> زاخراً هو الآخر بتفاصيل الإحسانات التي قُدمت لسيارة (حاملي البريد) ومبعوثي حكام الجزائر وبايات قسنطينة ووُكلائهما بتونس، وكذا إشارات متكررة لعمليات بيع فطعان البقر والإبل والعنم بتونس وبأسماء القائمين بذلك من مبعوثين. والجدول التالي يوضح ذلك<sup>(3)</sup>:

(1) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 209.

(2) احتوى هذا الدفتر على الإحسانات التي قدمها أبناء حسين بن علي منذ عودتهم إلى حكم تونس عام 1756م إلى سنة 1779م إلى مجموعة كبيرة ومتنوعة من الشخصيات الجزائرية النافذة السياسية والدينية وحتى القبيلة مثل الدايات والوزراء وأعيان الجزائر وبايات قسنطينة وشيوخ بعض القبائل وحتى بعض الزوايا والعلماء كنوع من الاعتراف بالجميل كونهم قضوا أكثر من عشرين سنة لاجئين مع أتباعهم وأهاليهم بالجزائر، وكذا بسبب مساعدة حكام الجزائر لهم من أجل استرجاع الحكم بتونس عام 1756م.

(3) الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر رقم 2144 يمثل الجزء المخصص للخارج إلى قسنطينة وعملها من إحسانات متنوعة من ص 176 إلى غاية ص 203. ولقد قام الأستاذ توفيق بن زرّة مشكوراً بنقل وتحقيق هذا الدفتر تحت عنوان "الجزائر في القرن الثامن عشر" وجاءت الإحسانات المقدمة إلى قسنطينة وعملها من ص 26 إلى ص 130.

الجدول رقم 01: الإحسانات المقدمة إلى مبعوثي و وكلاء السّلطة الجزائرية بتونس أثناء أدائهم للمهام التجارية بتونس:

مَبْلَغُ الإِحْسَانَاتِ بِالرِّيَالِ <sup>(1)</sup>	عَيْنَةٌ مِنَ المُسْتَفِيدِينَ مِنْ هَذِهِ الإِحْسَانَاتِ
100	إحسان لعلي فريكح سيار باي الغرب في ربيع الأول سنة 1170هـ/1756م
200	إحسان لإبراهيم التركي الذي جاب الخيل من عند باي الغرب سنة 1170هـ/1756م
300	إحسان لسيارات باي الغرب سنة 1170هـ/1756م
200	إحسان لخمسة أنفار سيارات باي قسنطينة
1000	إحسان لسي محمد بن نعمون كاتب باي الغرب في ربيع الأول 1171هـ/1757م
300	إحسان لبن زكري ومن معه سيارات دار السلطان في ربيع الأول سنة 1171هـ
100	إحسان للحاج سليمان بن الحاج محمد الصفاقسي للوكيل في جمادى الأول 1171هـ
400	إحسان لثلاثة أنفار سيارات دار السلطان في رجب 1171هـ
150	إحسان لأربعة عشر نفر دواير <sup>(2)</sup> جابوا بقر باي قسنطينة مع فريكح في محرم 1172هـ/1758م
255	إحسان لتسعة أنفار سيارات باي الغرب الذين جابوا الإبل بزمام عليه طابع سيدي علي باي في ربيع الأول 1172هـ.
230	إحسان لاثنتين وعشرين نفر دواير قدموا مع علي فريكح جابوا البقر من باي الغرب في شوال 1173هـ

(1) الريال التونسي عملة نقدية ظهر منذ القرن 17م، و ظلّ مقتبساً من الريال الإسباني لأكثر من قرن، ثمّ تخلص من تبعية الريال الإسباني عندما تمكنت تونس من سلك ريع ريال سنة 1725م بنسبة 65% من وزنه فضة، و يعتبر الريال التونسي العملة الرائجة بالنواحي الشرقية من الجزائر، أنظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، صص 198-199. كما شاع استعمالها بتونس خلال القرن 18 و19م، والريال التونسي الواحد يعادل 36 صودي، و 748 ريال تونسي يعادل 1348 فرنك فرنسي للمزيد أنظر: علي الزواري، دفتر حسابات خاص حول تجارة التونسيين مع مرسليليا خلال سنتي 1187-1188هـ/1773-1774م، المجلة التاريخية المغربية، العدد 37-38، تونس، جوان 1985، ص 23. / و الدرهم أو ريال درهم بلجزائر: هو قطعة نقدية من الفضة (البوتون) تعرف عادة بالبوغو او الريال بوجو، ضربت بالجزائر وكانت شائعة في الاستعمال اليومي حتى اعتبرت الوحدة النقدية الأساسية، وزنها 10 غ، قيمتها كانت تقدر عند الاحتلال الفرنسي (1830م) بـ 24 موزية أو 1,883 فرنك فرنسي، لها مضاعف: زوج بوجو أو دورو في الجزائر (3,72ف) وعند تغيير وزن العملة وإعادة ضربها أواخر العهد العثماني أصبح لها أجزاء: ربع بوجو (0,47ف) و ثمن بوجو (0,23ف) تعرف بالدرهم الصغار لدى العامة. أنظر: عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)، تحقيق وتق وتغ ناصر الدين سعيدوني، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006، هامش ص 39.

(2) الدواير: هي تنظيم عسكري و إداري أنشأه الأتراك من أجل مراقبة السكان و قمع الثورات بمعنى قبائل مخزنية تنشط خاصة في المناطق الريفية القبلية، لكن استعمالها هنا يقصد به فرق عسكرية مهمتها مراقبة قطعان البقر أو الغنم المتوجهة إلى تونس من أجل بيعها بهدف حمايتها من قطاع الطرق و اللصوص أي السرقة. أنظر: أحمد سوساوي، النظام الإداري ببايلك الشرق 1771-1830، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1988، ص 43

إحسان لعلي فريكح لما جاب 1496 رأس بقر وقبض حقهم 13464 من سعر الرأس 09 ريبالات في حجة سنة 1173هـ	100
إحسان لسعيد بن البرج للأسيار والدواير الذين معه لما قدموا من قسنطينة مبشرين بولاية صالح باي في 2 شعبان 1185هـ	1000

هذه أمثلة إقتبسناها لبعض الإحسانات الممنوحة لمبعوثي ووكلاء باي قسنطينة وكذا داي الجزائر من طرف الحكومة التونسية، والتي استمرت بشكل متواتر طيلة الفترة الممتدة بين 1170 إلى 1190هـ [1776/1756م] وما يلاحظ من خلال هذه الإحسانات - التي سيتم التوسع فيها أكثر في مبحث قادم من هذا الفصل - ما يلي:

- أن زيارات هؤلاء المبعوثين والوكلاء كانت تقريباً على مدار السنة وقصدوا تونس لمختلف الأغراض تجارية أو سياسية أو مهمات أخرى مختلفة وكل هؤلاء كانوا يحصلون على إحسانات مالية وإقامات تصل إلى الشهر أو أكثر في بعض الأحيان.

- أن أغلب هؤلاء المبعوثين كانوا في مهمات تجارية لبيع البقر أو الإبل وأحياناً الخيل والعنم، ويغلب على هذه الصفقات التجارية الصفة الرسمية لأن هذه الأبقار أو الإبل مرسلة من طرف باي قسنطينة وهذا ما كان يشكل ضغطاً كبيراً سبق الإشارة إليه على عاتق حكام تونس بسبب تحديد الأسعار مسبقاً واشتراط بيع هذه الحيوانات أولاً في أسواق تونس قبل أبقار التونسيين أنفسهم.

- الشيء الآخر الملفت للانتباه أن هناك أسماء تكرر ذكرها في أغلب الصفقات مثل "علي فريكح" الذي كانت تتم على يده أغلب هذه الصفقات التجارية وذكّر على أنه سيار باي الغرب - أي باي قسنطينة - في ربيع الأول سنة 1170هـ - 1756م، إلا أن اسمه أصبح مقروناً بكل عمليات بيع البقر والإبل لعشرات المرات خلال السنوات اللاحقة مما يدل على أنه كان المكلف و وكيل باي قسنطينة بتونس، ويشرف بنفسه على بيع هذه الثروة الحيوانية ومتابعة مختلف العمليات التجارية من هذا النوع.

### المبحث الثاني: المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس

لا يمكن الحديث عن المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ميلادي ومطلع التاسع عشر دون الرجوع إلى مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق الجزائري أغنى وأخصب بايلكات الجزائر خلال العهد العثماني، وذلك بسبب الدور الذي لعبته هذه المدينة في عملية المبادلات التجارية مع الشقيقة تونس بسبب موقعها الاستراتيجي والمنفتح على البحر الأبيض شمالاً

عَبَرَ مَوَائِئِهَا عَنَابَةَ وَالْقُلَّ وَالْمَمْتَدَّةَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ إِلَى أَعْمَاقِ الصَّحْرَاءِ (الْوَادِي، مِنْطَقَةُ الزَّابِ، تُقِرْت... ) وَهَذَا مَا أَهْلَهَا لِتَكُونَ مُلْتَقَى طُرُقِ الْقَوَافِلِ التَّجَارِيَةِ سِوَاءَ الْقَادِمَةِ مِنَ الشَّمَالِ نَحْوِ الْجَنُوبِ أَوْ مِنَ الْعَرَبِ بِاتِّجَاهِ الشَّرْقِ أَوْ الْعَكْسِ، ثُمَّ تَأْتِي مَدِينَةَ الْجَزَائِرِ وَعَاصِمَةَ الْإِيَالَةِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ حَيْثُ الْمَعَامَلَاتِ التَّجَارِيَةِ مَعَ تُونِسَ، وَفِي الْمَقَابِلِ شَكَّلَتْ أَسْوَاقُ تُونِسَ خَاصَّةً مَنَاطِقَهَا الْعَرَبِيَّةَ مَرَاكِزَ اسْتِقْطَابٍ كَبِيرَى لِلتَّجَارِ الْقَادِمِينَ مِنَ الشَّرْقِ الْجَزَائِرِيِّ بِسَبَبِ الْقُرْبِ الْجُغْرَافِيِّ؛ وَهَذَا مَا شَجَّعَ عَمَلِيَّاتِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ بَيْنَ الْمَنْطِقَتَيْنِ وَفِيمَا يَلِي عَرْضٌ لِأَهَمِّ هَذِهِ الْمَعَامَلَاتِ التَّجَارِيَةِ:

## 2-1- صادرات الجزائر نحو تونس:

تُشِيرُ الْكَثِيرُ مِنَ الدَّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ إِلَى وُجُودِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْقَوَافِلِ التَّجَارِيَةِ كَانَتْ تَتَحَرَّكُ يَوْمِيًّا وَبِشَكْلِ مُسْتَمِرٍّ مِنْ مَدِينَةِ قَسَنْطِينَةِ وَالوَاحَاتِ الْجَزَائِرِيَّةِ مِثْلَ وَرْقَلَةَ، تَقِرْتِ، وَوَادِي سَوْفِ نَحْوِ الْمَدِينِ التُّونِسِيَّةِ<sup>(1)</sup>، وَأَبْرَزُهَا قَافِلَةُ مَدِينَةِ قَسَنْطِينَةِ الشَّهِيرَةِ الْمَتَكُونَةِ مِنْ 200 إِلَى 300 بَعْلٍ مُحْمَلَةٌ بِمُخْتَلَفِ الْبَضَائِعِ الَّتِي تَصِلُ قِيَمَتُهَا إِلَى حَوَالِي مِيلْيُونِ فِرَنْكًا وَالَّتِي كَانَتْ تُبَاعُ فِي تُونِسَ بِمِيلْيُونِ وَنِصْفِ فِرَنْكًا<sup>(2)</sup>، وَلَقَدْ تَكَلَّمَ الْوَزِيرُ حَمُودَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنِ تَعَرُّضِ قَافِلَةِ قَسَنْطِينَةِ الشَّهِيرَةِ إِلَى إِعْتِدَاءٍ مِنْ طَرَفِ إِحْدَى الْقَبَائِلِ التُّونِسِيَّةِ قَائِلًا: "... وَفِي أَوَائِلِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ [1173هـ/1760م] خَرَجَتْ قَافِلَةُ عَظِيمَةٍ لِلتَّجَارِ مِنْ قَسَنْطِينَةِ تَرِيدُ مَحْرُوسَةَ تُونِسَ بِالتَّجَارَةِ، وَبِهَا أَمْوَالٌ فَلَمَّا كَانُوا حَوْلَ تَسْتُورِ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ تُونِسَ أَغَارَ عَلَيْهِمْ أَوْلَادُ مَنَاَعٍ<sup>(3)</sup>، فَأَخَذُوا الْقَافِلَةَ بِمَا فِيهَا" ثُمَّ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ عَلِيَّ بَايَ (1759-1782م) لَمَّا عَلِمَ بِالْحَادِثِ تَدَخَّلَ لِاسْتِرْدَادِ مَا نُحِبُّ مِنَ الْقَافِلَةِ وَغَطَّى مِنْ مَالِهِ الْخَاصِّ مَا قُدِّدَ مِنَ الْبَضَائِعِ مَا قِيَمَتُهُ سِتُونَ أَلْفَ رِيَالٍ<sup>(4)</sup>.

كَمَا يُشِيرُ الْمُؤَرِّخُ الصَّغِيرُ بْنُ يَوْسُفٍ لِنَفْسِ الْحَادِثَةِ قَائِلًا: "فُورِدَتْ قَافِلَةٌ مِنْ قَوَافِلِ قَسَنْطِينَةِ كَعَوَايِدِهِمْ، وَنَزَلَتْ الْقَافِلَةُ قَرِبَ نَجْعِ أَوْلَادِ مَنَاَعٍ وَحَطُّوا شِدَايِدِهِمْ وَأَحْمَالِهِمْ، وَهُوَ قَفْلٌ كَبِيرٌ فِيهِ مَالٌ

(1) أَرْزُقِي شُوَيْتَامَ ، الْمَجْمَعُ الْجَزَائِرِيُّ وَفَعَالِيَّاتِهِ فِي الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ 1519-1830م ، رِسَالَةٌ مَقْدَمَةٌ لِنَيْلِ دَرَجَةِ دَكْتُورَاهُ فِي التَّارِيخِ الْحَدِيثِ وَ الْمَعَاوِرِ ، جَامِعَةُ الْجَزَائِرِ، 2005-2006م، ص 248.

(2) عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجِيَالِي، تَارِيخُ الْجَزَائِرِ الْعَامِ، ج 4، دَارُ الْأُمَمَةِ، الْجَزَائِرِ، 2010م، ص 129.

(3) أَوْلَادُ مَنَاَعٍ: هُمُ إِحْدَى فُرُوعِ قَبِيلَةِ دَرِيدِ الْمَشْهُورَةِ بِتُونِسَ الْأَرْبَعَةِ هُمُ (بَنُو رِزْقٍ، وَأَوْلَادُ جَوِينِ، وَأَوْلَادُ عَرْفَةَ) أَصُولُهَا عَرَبِيَّةٌ وَصَلَتْ إِلَى تُونِسَ عِبْرَ الْهَجْرَةِ الْهَلَالِيَّةِ الْكَبِيرَى، وَتَمْتَعُ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ بِمَكَانَةٍ خَاصَّةٍ وَامْتِيَازَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنْ طَرَفِ حُكُومَةِ تُونِسَ خِلَالَ الْقَرْنِ 18م حَيْثُ يَقُولُ حَمُودَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "وَدَرِيدُ هُمُ عُمُودُ السُّلْطَنَةِ بِإِفْرِيْقِيَّةِ، وَعَلَيْهِمْ مَدَارٌ جَلُّهَا وَارْتِحَالُهَا ، وَلَهُمْ دِيْوَانٌ وَأَرْزَاقٌ عَظِيمَةٌ تَخْرُجُ إِلَيْهِمْ كُلِّ سَنَةٍ.. وَلِلْمَلُوكِ بِهْمُ اعْتِنَاءٌ عَظِيمٌ لَيْسَ لغيرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ..". أَنْظَرُ: حَمُودَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، الْكِتَابُ الْبَاشِي، ج 1، ص 68.

(4) حَمُودَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 69. وَوَرَدَ فِي الدَّفْتَرِ الْجَبَائِي رَقْمَ 2144 بِالْأَرْشِيفِ التُّونِسِيِّ، ص 181: أَنَّهُ مَنَحَ 4000 رِيَالٍ إِحْسَانًا لِقَسْمَطِينِيَّةٍ لَمَّا أَخَذَتْ قَافِلَةَ الْغُرَابَةِ الَّتِي أَخَذُوهَا أَوْلَادُ مَنَاَعٍ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ رِيَالًا. وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقَافِلَةَ الْمَنْكُوبَةَ كَانَتْ قَافِلَةَ الْغُرَابَةِ.

غزير فلما رأهم أولاد مناع،... تكلموا... على أخذ القافلة... فاتفقوا كلهم وصدموا على القافلة... وأخذوا تلك الشدايد والحمول والخيل والأبغال، وكل ما لهم من الأموال<sup>(1)</sup>...".  
يُستنتج من هذه الإفادات أنّ تونس كانت تستقبل عدداً معتبراً من القوافل التجارية (بين الثماني والعشر) سنوياً قادمةً من قسنطينة محملةً بالبضائع والسلع خلال القرن الثامن عشر ميلادي وابتداءً من سنة 1809م إزدادت هذه الحركة التجارية نشاطاً وأصبح ما يقرب من ذلك العدد من القوافل يصل إلى أسواق تونس خلال الشهر الواحد وليس خلال السنة والفضل في ذلك يرجع إلى حمودة باشا (1782-1814م) الذي شجع التجارة البيئية مع الجزائر على الرغم من التوترات السياسية والعسكرية بين الإيالتين<sup>(2)</sup>، كما شجع صالح باي<sup>(3)</sup> قسنطينة (1771-1792م) التجارة الخارجية على مستوى بايلكها وتحوّلت قسنطينة إلى ملتقى للقوافل التجارية الكبرى القادمة من مختلف المناطق وخاصةً التونسية<sup>(4)</sup>.

وتتمثل صادرات الجزائر نحو تونس فيما يلي:

#### أ- الثروة الحيوانية:

يزودنا الدفتر الجبائي التونسي رقم 2144 بمعلومات هامة جداً حول الثروة الحيوانية من بقر وإبل وخيل وأحياناً غنم التي كانت تُخرج من قسنطينة نحو أسواق تونس ليتم بيعها هناك ورغم أنّها معروضة على شكل أرقام جافة غير مفهومة إلا أنّها عظيمة الفائدة عند تحليلها ودراستها بشكل متأنّ و تمكّننا كدارسين من الخروج بمجموعة من الاستنتاجات حول حجم المبادلات التجارية بين قسنطينة وتونس والجدول التالي يوضح قائمة بأهمّ عمليات بيع الحيوانات من بايلك والشرق الجزائري نحو الأسواق التونسية في الفترة الممتدة بين (1170-1190هـ/1756-1776م) بناءً على ما ورد في الدفتر الأرشيفي رقم 2144<sup>(5)</sup>.

(1) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م4، ص180.

(2) رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا، ص319.

(3) ذكر ابن مبارك أن صالح باي حكم قسنطينة بلغ مكانة رفيعة قائلا: "مات أحمد باي وتولى مكانه خليفته صالح باي، وحسنت أيامه وبلغ ما لم يبلغه من هو أكبر منه من ولاية الجزائر، وولاية تونس، وجمع ما لم يجمعه غيره.. وكانت له اليد العليا على صاحب تونس...". وفي هذه الشهادة دلالة واضحة للمكانة المرموقة التي بلغها صالح باي قسنطينة داخل الجزائر وحتى بتونس خلال حكم علي باي وابنه حمودة باشا، وقد انعكس ذلك إيجاباً على بايلك قسنطينة في جميع النواحي وخاصة الاقتصادية والتجارية. أنظر: أحمد بن مبارك بن العطار، المصدر السابق، ص69. وذكرت الأستاذة فاطمة الزهراء قشي، أن صالح باي "امتلك عقارات كثيرة بداخل قسنطينة وخارجها بتونس بناءً على وثائق أرشيفية ذكرت ذلك". أنظر: فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص122.

(4) صالح العنزي، تاريخ قسنطينة، هامش ص65.

(5) هذا الجدول من إعداد الطالبة من خلال: أ و ت، الدفتر الجبائي رقم 2144، ص176-203، وكذلك: توفيق بن زردة، ص26-130.

الفصل الثاني: صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و13هـ/ 18 ومطلع 19م

التاريخ	المستفيد من الإحسانات	مبلغ الإحسان بالريال
سنة 1170هـ/1756م	إحسان إبراهيم التركي الذي جاب الخيل من عند باي الغرب	200
صفر 1171هـ/1757م	إحسان لأحد عشر نفر جابوا البقر مع الحاج محمد الصفاقسي القسنطيني	120
محرم 1172هـ/1758م	إحسان لأربعة عشر نفر دواير جابوا بقر باي قسنطينة	150
ربيع الأول 1172هـ/1758م	إحسان لتسعة أنفار سيارات باي الغرب الذين جابوا الإبل بزمام عليه طابع سيدي علي باي	255
شوال 1173هـ/1759م	إحسان لإثنين وعشرين نفر دواير قدموا مع علي فريكح وجابوا البقر من باي الغرب	230
حجة 1173هـ/1759م	إحسان لعلي فريكح لما جاب 1496 رأس بقر وقبض حقهم 13464 من سعر الرأس 09 ريالات	100
1174هـ/1760م	إحسان لثلاثة أنفار دواير قدموا بالإبل من قسنطينة	60
بعد عيد الفطر 1176هـ/1762م	إحسان للحاج علي شاوش الدايرة الذي قدم بالبقر مع علي فريكح	25
قعدة 1176هـ/1762م	إحسان لإثني عشر تراس سواقة البقر المذكور	12
قعدة 1176هـ/1762م	إحسان لخمس عشرة نفر دواير جابوا البقر المذكور	260
قعدة 1177هـ/1763م	إحسان للمبروك قايد غريب البقر الذي جاب بقر باي الغرب	50
قعدة 1177هـ	إحسان لعشرة أنفار سراح مع المذكورين	150
قعدة 1177هـ/1763م	إحسان للخير بوسمين القايد بو خضرة الذين قدما بالإبل	60
	إحسان لأربعة دواير قدموا معهما في قعدة	80
	إحسان لأربعة سراح إبل في قعدة	04
ربيع الأول 1178/1764م	إحسان لعلي فريكح لما رفع الستة وعشرين ألف وأربعة وستين ريال حق بقر وإبل سيلين	150
1178هـ/1764م	إحسان لعمار الجليلي لما قدم مع الذين جابوا غنم الفراشيش بدار القيروان	490
	إحسان لأربعة أنفار سراح الغنم	20

الفصل الثاني: صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و13هـ/ 18 ومطلع 19م

قعدة 1178هـ/1764م	إحسان المبروك قايد غريب البقر خمسين ريال ولثمانية عشر دايرة معه لكل منهم 15 ولسته لكل منهم ريال في قعدة لما جابوا ألف وخمسمائة رأس بقر من قسنطينة	336
ربيع الثاني 1179هـ/1765م	إحسان لسته أنفار دواير قدموا بالبقر على يد علي فريكح كل منهم 15 ومعهم ستة سراح إحسان لخمسة أنفار جابوا الإبل معهم لكل واحد أربعة ريالات إحسان حق غلة وخضرة لهم عن الإقامة شهرين وزيادة الأطعمة	96 20 250
سنة 1179هـ/1765م	إحسان لأحمد بن عباشة قايد البقر في حجة قدم مع فريكح وهذه الكرة فيها بقر إحسان لعشرين نفر رعيان البقر المذكور في حجة إحسان لقايد البقر	50 20 50
سنة 1180هـ/1766م	إحسان لسايس ولخزناجي جابوا الخيل من أحمد باي في قعدة	30
حجة 1180هـ/1766م	إحسان لأحد بن علية الذي قدم بالبقر مع علي فريكح في حجة وهو قايد بقر إحسان لخمسة وعشرين دايرة قدموا معهم إحسان لخمسة عشر سراح بقر معهم إحسان لبو خضرة ونوكاسه قياد الإبل قدموا معهم بالإبل إحسان لخمسة عشر دايرة معهم إحسان لأربعة سراح بالإبل معهم	50 375 15 60 300 04
سنة 1181هـ/1767م	إحسان للدائرة الذين قدموا بالبقر مع فريكح ومن معهم في 25 من ربيع الثاني	312
سنة 1181هـ/1767م	إحسان لزوج أنفار قواد الإبل لكل منهم ثلاثين ريال ولسته أنفار معهم دواير لكل منهم أربعين	184
سنة 1182هـ/1768م	إحسان لقايد البقر 50 ولسته عشر نفر دواير معه 240 ولسبعة أنفار سراح ساقوا لماية رأس بقر وراس واحد صحبة على فريح إحسان لقايد البقر الذي قدم مع علي فريكح في 25 من ربيع الأول إحسان لسبعة عشر نفر دواير جابوا البقر لكل منهم 15 في 25 من ربيع الأول	304 50 255

الفصل الثاني: صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و13هـ/ 18 ومطلع 19م)

	إحسان أنفار رعيان البقر معهم	10
سنة 1182هـ/1768م	إحسان لقايد غريب البقر الذي قدم صحبة علي فريكح في 28 من حجة	50
	إحسان لستة وعشرين دايرة معه لكل منهم 15	390
	إحسان لعشرين سراح معهم	20
	إحسان لزوج أنفار قياد الإبل قدموا مع المذكورين	60
	إحسان لثمانية دواير معهم لكل منهم 20	160
	إحسان لأربعة سراح الإبل معهم	04
سنة 1182هـ/1768م	إحسان للصبي بن بو علاق قايد البقر الذي جاب علي فريكح في غرت رجب	50
	إحسان لإثني عشر نفر دواير معه لكل منه 15	180
	إحسان لثمانية أنفار سراح البقر معهم	08
سنة 1184هـ/1770م	إحسان لقايد البقر الذي جاب علي فريكح في 15 من صفر	50
	إحسان لخمسة وعشرين دايرة نفر معه لكل منهم خمسة عشر ريال	375
	إحسان لأحد عشر نفر سراح البقر للواحد ريال	11
	إحسان لأربعة أنفار دايرة قدموا مع علي فريكح لكل منهم عشرين ريال	80
سنة 1184هـ/1770م	إحسان لقايد الإبل قدم مع فريكح في 18 رمضان	30
	إحسان لخدم قايد الإبل	05
سنة 1186هـ/1772م سفر	لأربعة دواير قدموا بزواج مراكيب من السيد صالح باي قسنطينة على يد فريكح	160
	إحسان للسراج الذي قدم مع الزوج مراكيب المذكورين على يد المذكور(فريكح)	60
	إحسان ليحي بوسهمين قايد الإبل	30
	إحسان لستة أنفار دواير الإبل معهم لكل منهم 20 ريال	120
	إحسان لأربعة أنفار سراح الإبل	04
	إحسان لمحمد بن احمد قايد البقر	50
	احسان لخمسة وعشرين نفر دواير البقر لكل منهم 15 ريال	375
	إحسان لثلاثة عشر نفر سراح البقر لكل منهم ريال	13

الفصل الثاني: صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و13هـ/ 18 ومطلع 19م)

	إحسان لزوج أنفار دواير قدموا مع علي فريكح لكل منهم 20ريال	40
20 صفر 1187هـ/1773م	إحسان لثمانية وعشرين نفر دايرة البقر معه	420
	إحسان لعشرين بقر رعيان البقر	20
	إحسان لستة أنفار دواير جابو الخيل	240
	إحسان لزوج أنفار قياد الإبل	60
	إحسان لسبعة أنفار دواير الإبل	140
	إحسان لأربعة رعيان دواير الإبل	04
	إحسان لسراج قدم مع الخيل	60
23 جمادى الأولى سنة 1187هـ/1773م	إحسان لمسعي السيار لما قدم بالإبل	490
	إحسان لزوج قياد ابل	60
	إحسان لخمسة عشر نفر دواير الإبل معهم	300
	إحسان لمثلهم رعيان للواحد ريال	15
25 ربيع الأول 1188هـ/1774م	إحسان لبلقاسم قايد البقر	50
	إحسان لخمسة وعشرين نفر دواير البقر	375
	إحسان لثمانية عشر نفر رعيان	18
	إحسان لستة دواير جابو زوج من الخيل من عند باي قسنطينة على يد فريكح	240
	إحسان لسراج قدم مع الزوج من الخيل المذكورين مع فريكح	60
	إحسان لقايد البقر على يد فريكح	50
	إحسان لستة وعشرين دواير البقر معه	390
	إحسان لعشرين نفر رعيان معهم	20
24 شعبان سنة 1190هـ/1776م	إحسان لستة دواير جابوا الخيل مع فريكح	240
	إحسان بحق السكيمة لسراج قدم معهم	60
	إحسان لقايد الغريب البقر معهم	50
	إحسان لستة وعشرين دايرة قدموا معهم بالبقر	390
حجة 1190هـ/1776م	إحسان للمسعي مع 22 نفر دايرة مع 3 عزارة جابوا عشرة من الخيل وثلاثين بغلة	1460

نلاحظ من خلال الجدول:

- أن حجم الحيوانات التي كانت تخرج من بايلك الشرق الجزائري وتدخل إلى الأسواق التونسية كان كثيراً ومتنوعاً من أبقار وإبل وأحياناً أغنام وفي فترات متقاربة من السنة وعلى مدار الفترة الممتدة بين 1756م و1776م أي عشرين سنة؛ هذا فيما يخص السجل رقم 2144، وهناك تكملة لهذه العمليات مسجلة في السجل رقم 2145 والذي يعطي الفترة الأخرى أي بعد 1776م.

- نلاحظ بأن هناك شخصيات يتكرر اسمها باستمرار مع معظم عمليات نقل وبيع هذه الحيوانات بتونس مثل علي فريخ الذي أخبرنا السجل بأنه سيار باي الغرب أي ساعي البريد المكلف بهذا النوع من المعاملات التجارية.

- إلى جانب هاته الشخصيات كان هناك عدد آخر يتلقى إحسانات ذكرهم السجل وهم عبارة عن رعاة (رعيان) أو حراس أو دواير أو سراح لهذه الحيوانات وعددهم أحياناً يفوق العشرين نقرأ مما يدل على أن رؤوس الحيوانات كانت أعدادها كبيرة.

- ذكر لنا هذا السجل نماذج لعدد الأبقار التي كانت ترد أسواق تونس فمثلاً خلال شهر ذي الحجة سنة 1173هـ/[1759م] قدم علي فريخ برفقة 1496 رأس بقر وقبض حقههم 13464 ريال وبيعت البقرة الواحدة ب: 9 ريالات؛ فمثل هذه المقطعات القليلة تزودنا بعدد رؤوس الأبقار التي كانت ترد تونس من قسنطينة وسعورها، وبجد بأن قرابة 1500 رأس بقر ليس بالعدد القليل فمسيرتها براً كان يستغرق وقتاً حتى تصل إلى وجهتها وتباع، وتحتاج لعدد كبير من الرعاة والسراح والدواير الذين تكرر ذكرهم في معظم هذه العمليات التجارية مما يدل على أن هذه القوافل التجارية كانت كبيرة.

كما جاء في الدفتر رقم 94 الورقة 13<sup>(1)</sup> ما يلي:

\* 100.000 ريال دُفعت إلى علي كُو في حق الإبل لما توجه مع الباش كاتب (أحمد الأصرم) للجزائر مع الهدية في خريف عام 1171هـ/سبتمبر 1758م.

\* دُفع لعلي فريخ 13500 ريال في حق 1500 رأس بقر التي أرسلها باي قسنطينة بسعر 9 ريالات للرأس الواحد، و12960 في حق 432 بعيراً أرسلها باي الغرب (قسنطينة).

\* ودُفع 198 ريالاً لأحمد بن حمزة خليم الشيخ إبراهيم بوعزيز (شيخ الحنانشة) في حق البقر الذي بعته إليه بوعزيز<sup>(2)</sup>.

(1) حول هذا الدفتر أنظر: عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 209.

(2) عمار بن خروف، نفسه، ص 209.

\* وخلال شهر صفر سنة 1186هـ/1772م هناك زوج مراكيب قديموا من طرف "صالح باي" قسنطينة أي قافلتين إحداهما للبقر والأخرى للإبل مما يدل على أن بايات قسنطينة الذين ورد ذكرهم أحياناً بالاسم مثل (صالح باي، أحمد باي...) كان لهم نصيب وافر من هذه العمليات أي كان يجوزهم قطعان إبل وبقر وترسل لتونس لتباع هناك، ولقد تدمر حكام تونس عدة مرات وذاقوا ذرعا من هذه المعاملات التجارية؛ والتي كان حكام قسنطينة يحدّدون سعر حيواناتهم مسبقاً ويشترطون بيعها قبل بيع الحيوانات التونسيين ويتحمل بايات تونس تعويض ما ينفق منها أو يضيع أو ينهب<sup>(1)</sup>.

- وما يلاحظه كذلك أن عمليات البيع هذه (البقر والإبل والخيل وحتى الأغنام) كانت تتم لحساب بايات قسنطينة و كذا لصالح مشايخ بعض القبائل المعروفة مثل الفراشيش بتونس و الحنانشة بالجزائر كل هؤلاء كانوا يستفيدون من هذه التجارة البينية لرؤوس الحيوانات مما يدل على أن منطقة الشرق الجزائري كانت غنية بالحيوانات بسبب المراعي الكثيرة المنتشرة حول قسنطينة وأرباضها؛ كما أن عمليات النهب والسلب التي كان يقوم بها شيوخ قبيلة الحنانشة (بو عزيز) ضد المواشي والأغنام التي ترعى بالقرب من حصن القالة وتزود الشركة الفرنسية المتواجدة به بمختلف الاحتياجات من اللحوم والجلود والأصواف، فبعض عائدات هذه الغارات وعمليات السلب كان يسوق نحو تونس وعائدات ذلك تُدفع إلى باي قسنطينة مقابل إبقائه قائداً أو شيخاً على قبيلة الحنانشة<sup>(2)</sup>.

كما أنه لم يُشر السجل رقم 2144 إلى عمليات بيع المواشي والأغنام إلا عابراً، لكن ابتداءً من عامي 1795 و1796م بدأ دايات الجزائر يرسلون عدداً وفيراً من المواشي لتباع بتونس وبيعت بتمنيتها إلى حكام الجزائر<sup>(3)</sup> وكثيراً ما كانت مثيل هذه العمليات تؤثر العلاقات بين الإيالتين بسبب تعهد حكام الجزائر تحديد الثمن مسبقاً.

\* كل هؤلاء المكلفين بمتابعة هاته القطعان من الإبل والبقر أو الخيل أو الأغنام، ابتداءً من قايدهم القطيع إلى السراح والرعاة ومن يقوم على خدمتهم من طهي الطعام وشراء احتياجاتهم كان عددهم يفوق الثلاثين ويقون أحياناً بتونس إلى أن تتم عملية البيع، فتصل أحياناً إقامتهم الشهر والشهرين، وطيلة هاته الفترة كانت دار الضياف بتونس لا تخلوا من هؤلاء السيارات والمبعوثين لحساب بايات

(1) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج3، ص40.

(2) هابنسترايت، مذكرات العالم الألماني، ج. أو هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م) ترجمة وتقديم وتعليق: د. ناصر

الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، دون تاريخ، ص95.

(3) عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال، منشورات بتر الزمان، ط5، تونس، 2012م، ص194.

قسنطينة، وأحياناً لدايات الجزائر مما كان يُكَلَّفُ خَزِينَةَ تونس الكثير من الإحسانات إضافةً إلى المأكَل والمشرب والإقامة وما السَّجِل رقم 2144 لِحَيِّرٍ دَلِيلٍ على ذلك.

### ب- الجلود:

سَبَقَ الإِشَارَةَ إلى مِقْدَارِ رُؤُوسِ البَقَرِ والإِبِلِ الَّتِي كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ بَايَلِكِ الشَّرْقِ الجَزَائِرِيِّ نَحْوَ الأَسْوَاقِ التُّونِسِيَّةِ ؛ وَ إِنْ دَلَّ هَذَا عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى إِزْدِهَارِ الثَّرْوَةِ الحَيَوَانِيَّةِ بِهَذَا البَايَلِكِ خَاصَّةً الأَبْقَارِ فِي شَمَالِهِ والإِبِلِ فِي جَنُوبِهِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ المَرَاعِي وَخُصُوبَةِ الأَرْضِ، وَتُعْتَبَرُ الجُلُودُ المَسْتَخْلَصَةُ مِنْ هَذِهِ الحَيَوَانَاتِ مَادَّةً أَوْلِيَّةً بِالْعَاقِبَةِ الأَهْمِيَّةِ بِسَبَبِ اسْتِعْمَالِهَا فِي مُخْتَلَفِ الصَّنَاعَاتِ الجِلْدِيَّةِ وَخَاصَّةً مِنْ طَرَفِ المَوْسِمَاتِ الفَرَنْسِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَكِرُ بِتِجَارَةِ هَذِهِ المَادَّةِ الحَيَوِيَّةِ إِلَى نَهَايَةِ القَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِيلَادِي حَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ المَوْسِمَاتِ تُزَوِّدُ مَدَايِعَ مَرَسِيْلِيَا بِشَمَانِيَّةِ أَلْفِ جِلْدٍ كُلِّ سَنَةٍ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الشَّرَكَاتِ قَدْ فَعَدَّتْ هَذَا الإِخْتِكَارَ مُنْذُ سَنَةِ 1793م بِقَرَارٍ مِنْ بَايِ قَسَنْطِينَةَ الَّذِي أَمَرَ بِبِنَاءِ مَدَايِعَ بِعُنَابَةِ مِنْ أَجْلِ تَلْبِيَةِ حَاجِيَّاتِ الأَهَالِي وَكَذَا تَرْوِيدِ تُونِسَ بِحَوَالِي 12 أَلْفِ جِلْدٍ سَنَوِيًّا<sup>(1)</sup>.

### ج- الشموع:

تُعْتَبَرُ الشَّمُوعُ مَادَّةً مُهِمَّةً جِدًّا خِلَالَ القَرْنِ 18 و19م بِسَبَبِ اعْتِمَادِ الإِنَارَةِ اللَّيْلِيَّةِ عَلَيْهِ، وَعُرِفَتْ مَنطِقَةُ الشَّرْقِ الجَزَائِرِيِّ بِصِنَاعَةِ أَحْسَنِهَا وَ خَاصَّةً مَدِينَةُ القُلِّ الَّتِي كَانَتْ تُزَوِّدُ تُونِسَ بِأَجُودِهَا بِسَبَبِ قُرْبِ أَسْوَاقِهَا وَإِرْتِفَاعِ أَسْعَارِهَا، وَهَذَا مَا أَنَارَ حَفِيظَةَ التُّجَّارِ الفَرَنْسِيِّينَ الدِّينِ إِحْتِجُوا عَنْ ذَلِكَ وَطَالَبُوا بِبَيْعِهَا لَهُمْ بِدَلِّ تَوْجِيهِهَا إِلَى تُونِسَ، مِنْ أَجْلِ اسْتِعْمَالِهَا فِي الكَنَائِسِ والأَدْيِرَةِ، لَكِنْ طَلَبَهُمْ لَمْ يَلْقَ تَرْجِيحًا لِأَنَّ مِنْ طَرَفِ الشُّلُطَاتِ وَلا السُّكَّانِ بِالجَزَائِرِ وَبَقِيَّتِ تُونِسَ تَسْتَفِيدُ مِنْ هَذَا المَنْتُوجِ الجَزَائِرِيِّ<sup>(2)</sup>.

### د- الأقمشة الحريرية والصوفية:

إِشْتَهَرَتْ مَدِينَةُ قَسَنْطِينَةَ بِالمَنْسُوجَاتِ الحَرِيرِيَّةِ ؛ وَكَانَتْ حَوَالِي ثَمَانِيَّةِ قَوَافِلِ تِجَارِيَّةٍ تَنْطَلِقُ مِنْهَا بِاتِّجَاهِ تُونِسَ مُحْمَلَةً بِالبَضَائِعِ المِخْلِيَّةِ كَالْحُبُوبِ وَالجُلُودِ والأَصْوَافِ وَالمَاشِيَةِ<sup>(3)</sup> وَالأَنْسِجَةَ بِأَنْوَاعِهَا وَخَاصَّةً الأَقْمِشَةَ الحَرِيرِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ يُقْبَلُ عَلَى اسْتِهْلَاقِهَا البَايَاتِ الحُسَيْنِيِّينَ<sup>(4)</sup> بِسَبَبِ جُودَتِهَا وَجَمَالِ صُنْعِهَا

(1) محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش.و.ن.ت. (شبكة وطنية للنشر و توزيع) الجزائر، 1972م، ص99.

(2) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص100.

(3) رفيق شلابي، عامر شرقي، "الأقمشة الجزائرية الوافدة للإيالة التونسية خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية،

المجلد6، العدد1، 2021، ص61.

(4) القنوني سكيته، الأقمشة والأغذية بالإيالة التونسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مذكرة شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة العالم المتوسطي، اختصاص تراث وعلوم متحفية، جامعة منوبة، تونس، السنة الجامعية 2005-2006م، ص91.

وهذا بشهادة الفُنصُل الأمريكي "وليام شالر" الذي وصفها بـ: "وهذه المنتجات الحريرية تُباع بأسعارٍ أعلى قليلاً من مثيلاتها من المنتجات الفرنسية والإيطالية، ولكن المنتجات الجزائرية أجمل وأمتن، وألوانها جميلة ودائمة"<sup>(1)</sup>..

كما عُرِفَت قسنطينة بمنتجات نسيجية أخرى كالبُرانس والألبسة النسائية المطرزة بالذهب والفضة والسفساري<sup>(2)</sup> القسنطيني الذي قُدِرَ سِعْرُهُ بـ: 260 ريال في حين لم يتعدَّ السفساري الجريدي التونسي 60 ريالاً<sup>(3)</sup>؛ وهذا يدلُّ على إتقان وجودة المنتج القسنطيني، أمَّا مدينة الجزائر فقد كانت صِناعَةُ الحرير بها من أهمِّ الحِرَفِ وأزفأها وأكثرها إزدهاراً ورَواجاً خلال القرن الثامن عشر ميلادي<sup>(4)</sup>، حيث كانت حُمُولَاتُ المراكب من الحرير القادمة من بيروت أو إزمير تُزوَّدُ الحرفيين بالحرير الذي تُصنَعُ منه الأقمشة ومنسوجات أخرى<sup>(5)</sup> كالحارم والحياك والشالات والمناديل ونوع من العمائم والقماش المطرز بالذهب من الحواشي، وهذه المنتجات إجمالاً كانت تفوق نظيراتها الأوربية في الجودة والإتقان<sup>(6)</sup> ويُصدَّرُ منها إلى مملكة المغرب وتونس وطرابلس وتركيا ومصر وحتى سوريا وهذا ما أكَّده ابن أبي الضياف في تونس قائلاً: "...وهذه المملكة متأخرة عن غيرها في إجادة الصناعة، حتى إن غالب ثياب أهلها، شعارا وثارا، من غيرها"<sup>(7)</sup>

هذا عن المنسوجات الحريرية أمَّا الصُوفية فقد كانت مصانِعُها (ورشاتها) موجودة في جميع مُدن الجزائر وقراها الكبيرة التي كانت تُنتج البرانس والحياك والشالات والسجاد بكميات كبيرة<sup>(8)</sup> وأجودها كانت الأقمشة الصوفية التلمسانية التي يُصدَّرُ منها إلى تونس كما تُعتبر من أهمِّ مكونات الهدايا التي كانت تقدم إلى البايات التونسيين، فمثلا خلال سنة 1800م حمل محمد البرادعي وكيل الجزائر بتونس إلى "حمودة باشا باي" زوج برانص تلمساني كهدية<sup>(9)</sup>.

(1) وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824]، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص93.

(2) السفساري: هو لباس تلتحف به النساء عند خروجهن من منازلهن وهو أنواع الحريري الخالص، والحريري الممزوج بخيوط الصوف أو الفضة أو القطن. أنظر: القنوبي سكينه، المرجع السابق، ص91.

(3) القنوبي سكينه، نفسه، ص91.

(4) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية-اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص229.

(5) حمدان بن عثمان حوجة، المصدر السابق، ص246.

(6) وليام شالر، المصدر السابق، ص93.

(7) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص224.

(8) وليام شالر، المصدر السابق، ص93-94.

(9) القنوبي سكينه، المرجع السابق، ص32-33.

### ذ-التبغ:

يُوجد بالقرب من مدينة الجزائر وكذا نواحي عنابة؛ وأُعْتَبِرَ من أرقى الأنواع في العالم وكان يُصَدَّرُ منه إلى تونس<sup>(1)</sup>.

### ل/الأساور:

هي ما يُلبَسُ في الأيدي وكانت تُصَنَعُ من قُرُونِ البقر(الجواميس) تُستعمل لِلزَّيْنَةِ خَاصَّةً من طرفِ الفِئَاتِ العَادِيَةِ مثل نساء العرب والقبائل، وكانت هذه الصِّنَاعَةُ من الحِرَفِ الرَّائِجَةِ والمنتشرة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ويُصَدَّرُ منها إلى تونس وطرابلس وحتى مصر<sup>(2)</sup>.

### م/الجوز والعسل:

وَرَدَتْ إِشَارَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الدَّفْتَرِ الجِبَائِيِّ رقم 2144 إلى عَدَدٍ من الشَّخْصِيَّاتِ التِّسْبِيَّةِ خَاصَّةً الَّتِي عبرت الحدود إلى تونس مُحْمَلَةً بِالْجُوزِ والعسل وَرَغْمَ أَنَّ هَذِهِ الإِشَارَاتِ يَعْزُزُّهَا التَّفْصِيلُ وتَبْدُو غَامِضَةً لِأَنَّهَا لم تُفَصِّلِ فِي كَمِيَّةِ المَادَّتَيْنِ أو سِعْرَهُمَا أو الوِجْهَةَ الَّتِي اسْتَفَادَتْ من هذه المَوَادِّ الثَّمِينَةِ و المِهْمَةُ خَاصَّةً لَدَى الطَّبَقَةِ الإِجْتِمَاعِيَةِ المَرْفَهَةِ؛ إِلاَّ أَنَّهُ يُمَكِّنُ اسْتِنْتِاجَ أَنَّ إِحْتِيَاجَاتِ الحَاضِرَةِ من الجُوزِ والعسل كانت تَصِلُهَا من المَدَنِ الجَزَائِرِيَّةِ الحُدُودِيَّةِ مثل تبسة والقل<sup>(3)</sup>.

وإِضَافَةً إِلَى البَضَائِعِ سَابِقَةَ الذِّكْرِ كان تُجَارُ الجزائر يَحْمِلُونَ إِلَى تونس ريش النَّعَامِ والتَّبَرُّ<sup>(4)</sup>، وكذا التُّمُورِ المَمْتَاذَةِ من وادي سوف ومنطقة الزاب والقُبَعَاتِ المَصنُوعَةِ من سَعْفِ النَّخِيلِ، وَنَبَاتِ الفَوِّهِ المعروف بِعُرُوقِ الصَّبَاغِينَ من تُقِرْتِ<sup>(5)</sup>.

### 2-2- واردات الجزائر من تونس:

إِعْتَمَدَتْ تِجَارَةُ الجزائر مع تونس بِصِفَةِ عَامَّةٍ عَلَى الكَمَالِيَّاتِ والحَاجِيَّاتِ التَّرْفِيهِيَّةِ<sup>(6)</sup>، وَالَّتِي كان يُقْبَلُ عَلَيْهَا خَاصَّةً الطَّبَقَةُ الأَرِسْتُوقْرَاطِيَّةِ و مَيْسُورَةُ الحَالِ مثل الحُكَّامِ ورجالِ الدَّوْلَةِ وَأَعْيَانِ البِلَادِ كالتُّجَّارِ والحِرَفِيِّينَ، ومن أَهمِّ هذه الواردات:

(1) نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص148.

(2) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص245.

(3) أ.و.ت، الدفتر البائي رقم 2144، ص206، وص209.

(4) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص103.

(5) أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري، ص249.

(6) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ص39.

أ- الشاشية التونسية:

مثّلت حِرْفَةُ "الشاشية" خلال القرن الثامن عشر ميلادي بتونس الحِرْفَةَ الأَكْثَرَ إِزْدِهَاراً وَرَوَاجاً دُونَ مُنَازِعٍ، وكانت أهمُّ صادراتها بعد المواد الفلاحية، وذلك بسبب إعتِمَادِهَا على الأصواف الإسبانية<sup>(1)</sup>، لذلك كانت جُودَتُهَا عَالِيَةً مُقَارَنَةً بِالشاشية التي كانت تُصنَعُ بالجزائر خلال نفس الفترة فهي أقلُّ منها جُودَةً، لإعتِمَادِهَا على الأصواف المحلية والتي إفتَصَرَ إستِعْمَالُهَا على الطَبَقَاتِ الشَّعْبِيَّةِ لِرُخْصِ ثَمَمِهَا مِنْ جِهَةٍ وَمُنَافَسَةِ الشَّاشِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ لَهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى<sup>(2)</sup>، كما كان المجتمع القسنطيني يُقبِلُ على إرتداء الشاشية التونسية وَيَقْتَنِيهَا مِنْ أسواق تونس القريبة<sup>(3)</sup>.

ولقد أشار الدَفْتَرُ الجِبَائِي التونسي رقم 2144 عِدَّةَ مَرَاتٍ إِلَى أَنَّ الشاشية التونسية كانت تحظى بنصيب الأسد دائماً من الهدايا المُقدَّمة من طَرَفِ حُكَّامِ تونس إلى بايات قسنطينة وحُكَّامِ الجزائر ورجال دَوْلَتِهَا، وهذا ما تُثَبِّتُهُ العِيَنَاتُ الثَّانِيَّةُ على سبيل المثال فقط.

فمثلاً بَجِدَ فِي الهَدِيَّةِ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَى باي قسنطينة عام 1170هـ/1756م (تسعة عشر طزينة شواشي)<sup>(4)</sup>

أما هدية الجزائر فقد تضمنت على سبيل المثال خلال السنوات التالية:

\* عام 1170هـ/1756م (تسعين طزينة شاشية)<sup>(5)</sup>.

\* عام 1171هـ/1757م (أربعة وستين طزينة شواشي)<sup>(6)</sup>.

\* عام 1190هـ/1776م دفعتين من الشواشي إحداهما عشرة طزينات والأخرى سبعة وأربعين طزينة شاشية أي ما مجموعه سبعة وخمسين طزينة من الشاشية<sup>(7)</sup>.

وفي العام الموالي 1191هـ/1777م (عشرة طزينات شواشي للدولاي أي الداي) و(أربعة وخمسين طزينة شواشي للعمال)<sup>(1)</sup>.

(1) الإسبانية: كريم بن يدر، الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18 و19، مركز النشر الجامعي، تونس، 2007، ص26.

(2) *venture de paradis, Alger au XVIII<sup>e</sup> Siècle (1788-1790)*, p37.

أنظر كذلك: كريستيان فردنالد إيفالد، رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835م (مروراً بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنستير والمهدية وصفاقس وقابس وجربة) تر وت: منير الفندري، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991م، ص133.

(3) يوسف صرهودة، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الدراسية 2004-2005م، ص82.

(4) أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 2144، ص178.

(5) المصدر السابق، ص252.

(6) نفسه، ص154.

(7) نفسه، ص273.

## ب- المنسوجات الحريرية والقطنية والصوفية:

اشتهرت إيالة تونس بإنتاج الحرير الخام وكذا منسوجاته الفاخرة إضافة إلى مختلف المنسوجات القطنية والصوفية التي كان يُصدّر منها نحو الخارج<sup>(2)</sup> وكانت أسواق قسنطينة أقرب المناطق التي تصلها هذه المنسوجات عبر قوافلها التي ترد أسواق تونس محملة بمختلف البضائع المحلية، وعند بيعها تعود محملة بالأقمشة المطرزة<sup>(3)</sup> وكميات معتبرة من الحرير الخام ومنسوجاته؛ إضافة إلى أنواع مختلفة من الأقمشة والألبسة القطنية والصوفية<sup>(4)</sup>.

كما كان سكان قسنطينة يستوردون من تونس منسوجات المشرق مثل أقمشة إسطنبول الثمينة، وزرابي آسيا الصغرى، وحرير سوريا، والأحزمة الحريرية والصوفية والجوخ الذي تُصنع منه الألبسة الفاخرة<sup>(5)</sup>. هذا فضلاً عن التجار والأهالي في المناطق الشرقية الجزائرية الحدودية الذين كانوا يلجئون إلى تونس لاقتناء ما يحتاجونه من مواد أوروبية لتجارتهم المحلية أو من أجل تسويقها إلى بلاد السودان كالأقمشة والكتان والحلي والخردوات والكاغط<sup>(6)</sup>.

علماً أنّ دفتر الإحسانات سابق الذكر (2144) مليء بالنماذج لهذه المنسوجات، فقد تضمنت الهدايا المقدمة إلى الجزائر باستمرار عدداً من البرنوس الجزيري و برنوس الحرير و برنوس جريدي الصوفي، والأحزمة والشالات الحريرية والسفاسير والمحارم والسروج المطرزة وكلها منسوجات تونسية محلية الصنع يدخل الحرير أو القطن أو الصوف في إنتاجها؛ ويقول ابن أبي الضياف في هذا الشأن: "والخارج من مصنوعاتها قليل، كالشاشية... ونسج جرية والجريد ونحوها"<sup>(7)</sup>.

(1) أ.و.ت، المصدر السابق، ص255.

(2) محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج2، دار صادر، بيروت، 1303هـ، ص120.

(3) يوسف صرهودة، معاملات و مبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، ص82.

(4) القنوبي سكين، المرجع السابق، ص91.

(5) رفيق شلابي، عامر شرقي، المرجع السابق، ص58.

(6) محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص102-103.

(7) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج2، ج4، ص224.

### ج- بعض المواد الغذائية:

كان سكان قسنطينة والتخوم الحدودية يتزودون بالقهوة والشكر والتوابل التي يستعملونها في حياتهم اليومية من الأسواق التونسية؛ علماً أنّ هذه المواد لم تكن تُنتج بتونس بل تصلها من الخارج، ويُفضّل سكان الشرق الجزائري إقتنائها من تونس لقرّبها وأحياناً يستوردونها من أوروبا مباشرة<sup>(1)</sup>.

### د- العطور:

اشتهرت تونس بصناعة العطور خلال العهد العثماني والتي كانت تُستخلص من الزرود والياسمين وبرعت في هذه الصناعة بعض العائلات الأندلسية العريقة في مثل هذه الحرف وما يُشبهها مثل (الشواشية، والحريّة، والسراجين<sup>(2)</sup>)، وطبعاً كانت العائلات البلدية والعريقة والثريّة من قسنطينة أو سكان الشرق الجزائري تفتني هذه المنتوجات من تونس<sup>(3)</sup>، كما أشار الدفتر الجبائي رقم 2144، إلى وجود قنينات العطور ضمن الهدايا المرسلّة إلى الجزائر<sup>(4)</sup>.

\* هذه إجمالاً مختلف المنتوجات التونسية التي كانت تستوردّها الجزائر أو تصلها على شكل هدايا للحكام وكبار الشخصيات، وبجد أنّه في مجملها كانت بضائع كمالية يُقبل عليها الأثرياء والشخصيات النافذة في السُلطة وليس عامّة الشعب.

### المبحث الثالث: الهدايا الإحسانات و الضرائب المقدمة من طرف حكام تونس إلى الجزائر

سكّنت المصادر الإخبارية التونسية عن موضوع الهدايا والإحسانات المقدمة من طرف بايات تونس "محمد باي الرشيد" و"علي باي" خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي، ولم تُشر إلى ذلك إلاّ نزرأً يسيراً في إشارات عابرة وغير مُفصّلة في الغالب.

غير أنّ "السجلات الجبائية المودعة بالأرشفيف الوطني التونسي؛ خاصة الدفاتر رقم (1046، 2145، 2144) قد فصّلت في هذا الموضوع وكشفت عن قوائم طويلة من الإحسانات والهدايا التي درج أبناء الحسين على تقدّمها وأخذت صبغة دبلوماسية بهدف ربط أواصر المحبة والأخوة بين الإيالتين، وكذا

(1) محمد العربي الزبير، المرجع السابق، ص 102-103. حول واردات تونس من فرنسا وخاصة القهوة والسكر أنظر: علي الزواري، المرجع السابق، ص 22-23.

(2) كريم بن يدر، المرجع السابق، ص 76.

(3) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ط 1، دار الأملعة، الجزائر، 2012، ص 522.

(4) أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 2144، ص 273.

عِزْفَانًا - من أبناء الحسين - بالجميل تجاه حُكَّام الجزائر لِقُوفِهِمْ إلى جانِبِهِمْ ومُساعدَتِهِمْ في العُودَةِ إلى تونس<sup>(1)</sup> وإفْتِكَاكِ الحُكْمِ مِنْ إِبْنِ عَمِهِمْ "علي باشا" (1735-1756م).

وعَلَبَ على هذه الهدايا الطابع الاقتصادي؛ فهي في مجملها منتوجات زراعية وحرفية جادت بها أيادي تونسية.

ورغم أن المصادر التونسية لم تتكلم عن فحوى هذه الهدايا؛ إلا أنها أشارت إلى الضغط الذي أصبحت تُشكِّله على الحزينة التونسية خاصة في أوقات الشدة والأزمات مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، حيث أشار أكثر من مرة وزراء<sup>(2)</sup> "حمودة باشا" (1782-1814م) بقطع هذه الهدايا، وفعلاً قام بقطعها واحتج على ذلك ذاي الجزائر<sup>(3)</sup> "أحمد باشا" (1805-1808م)، واعتبر ذلك سبباً لإنهاء حالة السلام التي كانت بين الإيالتين والدخول في حرب، نظراً للضائقة الاقتصادية التي كانت تعيشها الجزائر مطلع القرن 19م.

وفيما يلي نحاول التعرف على أهم الهدايا التي كانت تصل إلى حُكَّام الجزائر.

### 3-1- الخارج لأهل الجزائر وقرصانها<sup>(4)</sup>:

يحتوي الدفتر الجبائي رقم 1046<sup>(5)</sup> على قوائم طويلة من مختلف المواد التي تم صرفها لصالح بحارة و شخصيات جزائرية وجاءت تحت عنوان "الخارج لأهل الجزائر وقرصانها".

ويظن القارئ لأول وهلة لهذا العنوان أنها عبارة عن ضرائب كانت تونس ملزمة بدفعها إلى الجزائر، إلا أنه تبين لنا بعد دراسة هذه القوائم عدة مرات أنها عبارة عن مصروفات غذائية كانت تُقدَّم لِفِئَمَاتِ جزائرية مُتعلِّقة أثناء مُرورِهِمْ بتونس -مِميناء خلق الواد، خاصة- أثناء سفرهم إما إلى الباب العالي لجلب المجندين أو الذين اضطرتهم الرياح القوية للمكوث بالتراب التونسي ريثما تتحسن أحوال الطقس ويهدأ البحر ليتمكنوا من معاودة السفر مجدداً.

(1) لقد وحب على أبناء الحسين (محمد باي وعلي باي) دفع مستحقات حملة عام 1756م التي أرجعهم إلى حكم تونس، إلى حُكَّام الجزائر إضافة إلى دفع ضريبة مالية سنوية وكذا الزيت، واستمر الأخوان خاصة علي باي (1759-1782م) في دفع أفساط هذه الضريبة طيلة الفترة الممتدة بين (1756 إلى 1769م) حيث استلم وثيقة براءة الذمة من تسليد هذا الدين من باي قسنطينة أحمد باي. أنظر: عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 241.

(2) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م، الجزء 3، ص 40.

(3) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 96.

(4) الدفتر الجبائي، رقم 1046، مداخيل الدولة ومصاريفها تاريخه 1170-1178هـ، الأرشيف الوطني التونسي، ص 11-12-13-14-15.

(5) هذا الدفتر يغطي الفترة 1170-1178هـ [1756-1764م] أي منذ عودة أبناء الحسين من الجزائر، وهي فترة حكم الأخوين محمد باي الرشيد (1756-1759م) وجزء من حكم أخيه من بعده علي باي (1759-1782م).

وهناك من قَصَدَ تونس لِأَعْرَاضٍ أُخْرَى، بِمَعْنَى أَنَّ هُنَاكَ مَجْمُوعَةً مِنَ الظُّرُوفِ إِضْطَرَّتْ شَخْصِيَّاتٍ جَزَائِرِيَّةٍ مُتَنَفِّذَةً لِلْمُكُوثِ بِتُونِسٍ أَثْنَاءَ سَفَرِهِمْ، وَقَدَّمَتْ لَهُمْ وَجَبَاتٍ غِذَائِيَّةً عَلَى مَدَارِ مُدَّةٍ بِقَائِمِهِمْ وَتَنَوَّعَتْ هَذِهِ الْمَصْرُوفَاتُ كَمَا تَشَابَهَتْ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَوَادِّ الْعَالِيَةِ عَلَيْهَا وَبَعْدَ تَحْلِيلِهَا خَرَجْنَا بِمَا يَلِي:

#### أ- الأَطْرَافُ الْمُسْتَفِيدَةُ مِنْ هَذَا الْخَارِجِ:

يَتَبَيَّنُ مِنَ الْعُنْوَانِ أَنَّ هُنَاكَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِمَّنْ إِسْتَفَادَ مِنْ هَذَا الْخَارِجِ، هُمْ زِيَّاسُ بَحْرٍ وَجَاءَتْ تَسْمِيَّتُهُمْ بِفُرْصَانِهَا إِضَافَةً إِلَى فِئَاتٍ أُخْرَى وَجَاءَ ذِكْرُهُمْ كَالآتِي:

\* خلال 1170هـ/1756م تعيين للرايس القربي<sup>(1)</sup> المقيم سنة 1170هـ ومعه حسين بن الترجمان وشاريف رايس.

\* الخارج للرايس محمد والرايس المكمرى واحمد رايس النازلين عند قميم عن إقامتهم. بتونس خلال عام 1170هـ/1756م؛ ولم تُفْصِحِ الْوِثَاقُ كَمْ دَامَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِمْ.

\* خلال منتصف ربيع الأول سنة 1171هـ/1757م أقام العشي إبراهيم الجزيري بتونس فترَةً زَمًا شَهْرَيْنِ حَسَبَمَا إِسْتَنْتَجَنَاهُ بِنَاءً عَلَى مَا صُرِفَ لَهُ مُقَارَنَةً بِمَا صُرِفَ لِمِثْلِهِ خِلالَ إِقَامَتِهِ لِشَهْرَيْنِ، لِأَنَّ الْوِثَاقَ أَحْيَانًا تُصْرِحُ بِمُدَّةِ الْإِقَامَةِ وَأَحْيَانًا تَسْكُتُ.

كما أقام مصطفى رايس الجزيري بتونس خلال نفس الفترة لمُدَّةِ شَهْرَيْنِ.

\* خلال سنوات 1172 و 1173 و 1177هـ/1758 و 1759 و 1763م ظهرت هذه السنوات في الوثائق شَاغِرَةً وَلَمْ تُسَجَّلْ أَيُّ جَزَائِرِيٍّ أَوْ فُرْصَانٍ أَقَامَ بِتُونِسٍ، عَلِمًا أَنَّ هَذِهِ الْفَتْرَةَ هِيَ الَّتِي أَعْقَبَتْ وَصُولَ أَبْنَاءِ الْحُسَيْنِ (محمد وعلي باي) إِلَى حُكْمِ تُونِسٍ بِمُسَاعَدَةِ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ خِلالَ حَمَلَةِ 1756م وَأَعْقَبَتْهَا عِلَاقَاتٌ حَسَنَةٌ طَوِيلَةٌ بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ إِلَى مَطْلَعِ الْقَرْنِ 19م، لِذَلِكَ لَا نَعْرِفُ لِمَاذَا تَوَقَّفَ تَدْفُقُ الْجَزَائِرِيِّينَ عَلَى تُونِسٍ خِلالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ.

- الْحَاجُّ عَلِيُّ الْمَتَهْنِيُّ: خَرَجَ لِلْحَاجِّ عَلِيِّ بْنِ الْمَتَهْنِيِّ عَنْ سَفَرِهِ إِلَى الْجَزَائِرِ مِثْلَ مَا ذَكَرَ عَلِيُّ الْوَحِيشِيِّ (غَيْرِ وَاضِحَةٍ) هَذَا لَمَّا سَافَرَ إِلَيْهَا بِالْهَدِيَّةِ سَابِقًا (غ.و)، مَا يُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ الْحَاجَّ عَلِيَّ بْنَ الْمَتَهْنِيِّ مَكَثَ مُدَّةً بِتُونِسٍ فَصُرِفَتْ لَهُ قَائِمَةٌ بِمَوَادِّ غِذَائِيَّةٍ أَوْ هِيَ مَصْرُوفَاتٌ أُرْسِلَتْ لِلْجَزَائِرِ كَهَدِيَّةٍ.

<sup>(1)</sup>نسبة إلى قرفة وهي قبيلة عربية استوطنت عند وفودها مع الحجرات الهلالية الأوراس الشرقي، ثم انتقلت خلال القرن الحادي عشر هجري، السابع عشر ميلادي إلى سهول قلمة. أنظر: توفيق بن زرعة، الجزائر في القرن الثامن عشر، هامش ص 195.

\* **عسكر جزاير:** قَدِمَتْ مَرْكَبٌ بِهَا 4000 نَفْرٍ (غ.و) وَمَعَهُمْ قُبْطَانٌ (غ.و) الْجَزَايِرِ مُتَوَجِّهُونَ إِلَى (غ.و) شَهْرِ جَمَادِ الْأَوَّلِ سَنَةِ 1178هـ [1764م] وَخَرَجَ لَهُمْ حِينَ دَخَلُوا مَرَسَى حَلْقِ الْوَادِ مَا يُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّهٗ خَلَالَ شَهْرِ جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ 1764م مَرَّتْ بَتُونَسِ مَرْكَبًا مُحْمَلَةً بِعَسْكَرٍ تَمَّ جَلْبُهُمْ مِنْ أَرْمِيرٍ فِي إِطَارِ التَّجْنِيدِ، وَتَوَقَّفُوا بِمَرَسَى حَلْقِ الْوَادِ بَتُونَسِ لِشَهْرِ أَوْ أَكْثَرَ، وَسَبَبُ ذَلِكَ رِيَاخٌ قَوِيَّةٌ أَعَاقَتْ إِجَارَهُمْ وَتَمَّ تَزْوِيدُهُمْ بِاحْتِيَاجَاتٍ غَذَائِيَّةٍ لِثَلَاثِ مَرَاتٍ تَبَاعًا، وَحَتَّى عَدَدُ الْجُنْدِيِّينَ هَلْ كَانَ فِعْلًا 4000 مُجَنَّدٍ، يَبْدُو الْعَدَدُ كَبِيرًا رَغْمَ أَنَّ الْوَنَائِقَ ذَكَرَتْهُ.

\* **الحاج أحمد بن سماية:** مَرَّتْ مَرْكَبُ الْحَاجِّ أَحْمَدِ بْنِ سَمَايَةَ (غ.و) وَجَابَتْ الْعَسْكَرَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْجَزَايِرِ وَخَرَجَ لَهُ غُرَّتْ رَجَبِ سَنَةِ 1178هـ.

هذه العبارة تدل على أن الحاج أحمد بن سماية توقف بتونس أثناء قدومه من الباب العالي محملاً بالعسكر المجندين وصرفت له مؤونة بقائه خلال شهر رجب عام 1764م، ثم أكمل طريقه إلى الجزائر أفرغ العسكر هناك وعاد إلى تونس أثناء رجوعه؛ وكذلك توقف وصرفت له مؤونة أخرى.

\* **شعبان خوجة:** يَوْمَ 07 مِنْ قَعْدَةِ الْحَرَامِ قَدِمَ شَعْبَانُ خَوْجَةَ الْجَزَايِرِ وَمَعَهُ "150" يَلْضَاشَ مِنْ بَرِّ الثَّرِكِ مَارًا إِلَى الْجَزَايِرِ وَقُدِمَ لَهُمْ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَوَادِّ الْغَذَائِيَّةِ.

\* **قُرْصَانُ الْجَزَايِرِ:** يَوْمَ 21 مِنْ رَبِيعِ الثَّانِي سَنَةِ 1178هـ قَدِمَ شَبَاكُ قُرْصَانَ الْجَزَايِرِ إِلَى حَلْقِ الْوَادِ وَخَرَجَ لَهُ، بِمَعْنَى صُرْفَ لَهُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَوَادِّ الْغَذَائِيَّةِ.

ويوم 09 جماد الأول سنة 1178هـ رجع الشباك المذكور بعد سفره ردة الريح وأخذ عدة مصروفات.

\* **رايس المرسا:** يَوْمَ 09 مِنْ حِجَّةِ قَدَمِ رَايِسِ مَرَسَا الْجَزَايِرِ وَمَعَهُ شَبَاكٌ لِلْبَيْعِ وَخَرَجَ لَهُ، ثُمَّ يَتِمُّ تَعْدَادُ مَا صُرِفَ لَهُ.

\* **قطارمه:** يَوْمَ 15 مِنْ حِجَّةِ سَنَةِ 1178هـ قَدِمَتْ قَرْمَاطَةُ الْجَزَايِرِ عَلَى أَقْلِيْبِيَّةٍ وَأَخَذَتْ بَعْدَ إِقَامَتِهَا لِإِخْرَاجِهَا مِنْ تَحْرِيبِهَا (غ.و).

**وكيل حرج:** يَوْمَ 15 مِنْ حِجَّةِ سَنَةِ 1178هـ [1764م] قَدِمَ الْحَاجُّ حَسِينُ وَكَيْلُ الْجَزَايِرِ وَدَخَلَ حَلْقَ الْوَادِ.

ويُفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ وَكَيْلَ الْحَرْجِ<sup>(1)</sup> قَدِمَ بَتُونَسَ وَتَوَقَّفَ بِمِيْنَاءِ حَلْقِ الْوَادِ أَتْنَاءَ سَفَرِهِ وَلَمْ تُفْصِحِ الْوَنَائِقُ عَنْ وَجْهَتِهِ، وَتَمَّ تَعْيِينُ لَهُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَصْرُوفَاتِ.

(1) وكيل الحرج: هو أحد وزراء إيالة الجزائر العثمانية والمكلف بكل الأمور البحرية، أنظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 68.

\*الحاج إسماعيل خوجة: يوم 21 من محرم سنة 1179هـ [1765م] قدمت مركب فيها خدم الحاج إسماعيل خوجا الذي جاب [بيدو العسكر] (غ.و) الجزائر وتعين لهم.

لم تُفصح الوثائق عن وظيفته الحاج إسماعيل سوى بكلمة خوجة فلا ندري من هو، لكن عبارة مركب فيها خدم الحاج إسماعيل والتي أتت بالعسكر، فهو على علاقة وثيقة بالسلطة في الجزائر وذكر العسكر زبما يقصد بها مجندين؛ لأن قائمة المصروفات الغذائية التي تجهزت لهم كانت طويلة ومتنوعة.

\*إسماعيل ولد عمر خوجة: يوم 09 من ربيع الأول بل من جماد الثاني سنة 1179هـ قدم إسماعيل الاصطنوبيا ولد عمر خوجة الذي قدم من إسطنبول بالعسكر للجزائر وتعين له مصروفات غذائية. السؤال هنا هل إسماعيل هذا نفسه الذي سبق ذكره والذي مر بتونس بمركب بها خدمه خلال شهر محرم وسافرت هذه المركب إلى إسطنبول لإحضار المجندين.

ويبدو أن إسماعيل هذا كان ممثلا أو مبعوث الجزائر إلى أزمير وقتها للتكفل بجمع المتطوعين للعمل في الجندية بإيالة الجزائر.

\*حفيد باي تيطري: يوم 17 من جماد الثاني سنة 1179هـ [1765م] خرجت مونة لحفيد باي تيطري المتوجه إلى [كلمة غير واضحة].

\*قرصان: يوم 03 من قعدة سنة 1179هـ [1765م] قدم برقنته قرصان الجزائر ومعه غنيمته [كلمة غير واضحة].

\*سي محمد ابن علال: في محرم سنة 1179هـ [1765م] قيدت مونة محمد بن علال وسفرته بالدار الكبيرة كما يذكر.

يلاحظ أن هذه الشخصية "محمد بن علال" استفاد أكثر من غيره و تضمنت قائمته مصروفاته مواد كثيرة وأدرجت بها حتى "حلاوات" أي حلويات، ولا ندري من هو ولا طبيعة عمله ولا سبب مجيئه إلى تونس لأن الوثائق الأرشيفية لم تُفصح عن ذلك؛ و يُعتبر هذا من بين المصاعب التي تصادف الباحث و الدارس لهذه السجلات، فهي في الأصل سجلات جبائية وضعت لضبط الداخل والخارج من مصاريف إيالة تونس ولم تُكتب بقصد دراستها؛ لذلك نجدها أحيانا توضح عمل الشخصية الجزائرية التي قصدت تونس ومدة بقائها وسبب توفيقها بها عرضاً فقط وبدون قصد وأحيانا لا تذكر ذلك.

ويتبين من قائمة المصروفات؛ أنه شخصية مهمة ونافذة؛ فقد يكون مبعوث باي قسنطينة أو مكلف بمهمة رسمية أو شخصية قبلية لها وزن.

وَحَسَبَ مَا صُرِفَ لَهُ، فَيَبْدُو أَنَّهُ بَقِيَ بِتُونِسٍ لِشَهْرٍ أَوْ أَكْثَرَ.

\***شعبان سفطة:** خرج لشعبان سفطة لما توجه بالزيت إلى الجزائر سنة 1180هـ [1766م]. قائمة صغيرة من المصروفات.

\***مسعود بن زكري:** يوم 13 من شوال سنة 1180هـ [1766م] قدم الحاج مسعود بن زكري وجاب الخيل وصحبته ثلاثين نفر وتعين لهم على يد علي بن الحاج على إقامتهم كل يوم أربعة سفرات وفيهم ستة مشاوء وزوج معاجن يومي، ثم يسرد مجموعة كبيرة من المصروفات و سيبين فيما بعد (في مبحث قادم من هذا الفصل) أنه أي مسعود بن زكري هو الآخر شخصية نافذة لأن قائمة المصروفات طويلة و متنوعة.

\***القبطان:** يوم 17 من شعبان سنة 1180هـ [1766م] قدمت مركب بها قبطان الجزائر في رياست المكمرت (كلمة غير واضحة) الميمن إلى مصر للحاج محمد وكيل الحرج وتعين لهم. يبدو أنها مصروفات خرجت لأحد قباطنة الجزائر كان متوجهاً إلى مصر بغرض الحج زماً ومراً بتونس.

إبراهيم راييس الصورة ملتقطة بشكل غير واضحة.

\***الفليكون:** في غرت ربيع سنة 1191هـ [1777م] خرجت مونة الفليكون الجديد رياست (عبارتان محبتان) على يد الكاهية.

\***خديم محمد خوجة:** يوم محرم سنة 1191هـ [1777م] خرجت مونة لخديم محمد خوجة على يد كاهية غار الملح المسافر إلى بر الترك.

\***بوشعرة:** يوم غرت ربيع الأول سنة 1191هـ [1777م] خرجت مونة (هذه الورقة من السجل جزؤها السفلي وعلى اليسار ممحاة).

\***الفرقيني:** يوم 9 من رجب سنة 1191هـ [1777م] خرجت مونة فرقتي رياست عمر الفرقيني المسافر قرصان.

\***أحمد بن عبد الله:** يوم 30 في شعبان سنة 1991هـ [1777م] سافر احمد بن عبد الله بالبرقتي التي في رياسته وخرجت مونته ولم تغير إلا أنه عنده حق الفرمينته مايه ريال بزمام المصروف.

\***المغراوي:** يوم 09 من حجة سنة 1991هـ [1777م] خرجت مونة الفرقاطة المغراوية التي في رياست الحاج محمد المقرات.

\***سنة 1192هـ / 1778م:** ورقها فارغة أي لا يوجد فيها بيانات غير السنة.

\*المَغْرَاوِيَّة: يوم 24 من جماد الأول سنة 1193هـ [1779م] خرجت مونة الفرقاطة المغراوية في رياست الحاج محمد بن عبد الله البليدي.

\*بن عبد الله: يوم 03 جماد الثاني سنة 1193هـ [1779م] خرجت عمارت برقنتي (حوالي ثلاث عبارات محمات) على يد سي مصطفى خوجة.

\*فليكوُن: يوم 25 من رجب سنة 1193هـ خرجت عمارات فليكون في رياست إبراهيم ريس خلاف لما خرج له في ربيع الأول سنة 1191هـ.

\*العبارة الأولى ممحاة يوم 13 رمضان سنة 1193هـ [1779م] خرجت عمارات الفليكون في رياست أحمد بن عبد الله على يد سي مصطفى خوجة

\*العبارة الأولى محمات يوم 16 من رمضان سنة 1193هـ [1779م] خرجت مونت برقنتي رياست مصطفى (عبارة غير واضحة) على يد مصطفى خوجة(غ.و)

نَسْتَتِج من خلال عَرْضِنَا لِهَذِهِ الْعَيِّنَاتِ الَّتِي اسْتَفَادَت من هذا الحَارِجِ، أَنَّ هَذِهِ الْمَصْرُوفَاتِ (مواد غذائية) قُدِّمَتْ لِغَنَاتِ جَزَائِرِيَّةٍ، مُعْظَمُهُمْ رِيَّاسَ بَحْرِ مَرُّوَا بَتُونِسَ وَالزَّمْتَهُمْ ظُرُوفَ مُعَيَّنَةٍ وَخَاصَّةً هَيَجَانِ الْبَحْرِ بِسَبَبِ قُوَّةِ الرِّيَّاحِ عَلَى الْبَقَاءِ مُدَّةً بِمَرَّسَى حَلْقِ الْوَادِ أَوْ بِدَارِ الضِّيَّافِ، كَمَا قَدْ تَكُونُ عِبَارَةٌ عَنْ مُؤْنٍ حَمَلَتْهَا سُفُنٌ جَزَائِرِيَّةٌ إِلَى مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ عَلَى شَكْلِ ضَرَائِبِ سَنَوِيَّةٍ، وَقَدْ تَكُونُ مُؤْنًا قُدِّمَتْ لِسُفُنِ جَزَائِرِيَّةٍ أَتْنَاءَ سَفَرِهِمْ وَعَالِيَا نَحْوِ الْبَابِ الْعَالِيِ مِنْ أَجْلِ جَلْبِ الْجَنْدِيِّينَ، وَعَلَيْهِ فَهِيَ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي قُدِّمَتْ مِنْ طَرَفِ تُونِسَ إِلَى شَخْصِيَّاتِ جَزَائِرِيَّةٍ مُعْظَمُهُمْ رِيَّاسَ بَحْرِ أَوْ لَهُمْ صِلَةٌ رَسْمِيَّةٌ بِالْحُكْمِ (مُقَرَّرِينَ) أَيِ شَخْصِيَّاتِ مَرْمُوقَةٍ وَنَافِذَةٍ وَليْسَ مِنْ عَامَةِ النَّاسِ مِثْلَ وَكَيْلِ خَرَجِ الْجَزَائِرِ وَحَفِيدِ دَايِ التَّيْطَرِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي أَفْصَحَتْ الْوَتَائِقُ عَنْ طَبِيعَةِ عَمَلِهِمْ.

ب- نَمَادِجٌ وَعَيِّنَاتٌ مِنَ الْمَوَادِّ الَّتِي صُرِفَتْ لِأَصْحَابِهَا:

سَنُورِدُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْعَيِّنَاتِ الَّتِي تَمَّ صَرْفُهَا تَبَاعًا حَسَبِ السَّنَوَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا، ثُمَّ نُقَارِنُ بَيْنَهَا وَنُعَلِّقُ عَلَيْهَا وَنُحَلِّلُهَا:

\*عَسْكَرُ جَزَائِرِ<sup>(1)</sup> قَدِمَتْ مَرْكَبٌ بِهَا 4000 نَفْرٍ (غ.و) وَمَعَهُمْ قِبْطَانٌ (غ.و) الْجَزَائِرِ مُتَوَجِّهُونَ إِلَى (غ.و) شَهْرِ جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ 1178هـ [1764م] وَخَرَجَ لَهُمْ حِينَ دَخَلُوا مَرَسَا حَلْقِ الْوَادِ أَرْبَعِينَ قَنْطَارًا<sup>(1)</sup> بِشِمَاطٍ بِزِيَادَةِ عَشْرَةِ قَنْطَارٍ بَعْدَ أَيَّامٍ.

(1) ص 11 من السجل الجبائي رقم 1046.

ثمانية أمصار<sup>(2)</sup> زيت منهم الزيادة مصرين

أربعة قلال<sup>(3)</sup> سمن منهم قلة زبدة لهم

خمسة أمصار نخل بالمصر المزيد لهم

ثلاثة قناطر زيتون بالقنطار المزيد لهم

قنطار واحد روز

قفيز<sup>(4)</sup> ونصف قمح برغل بالنصف الذي زادوهم

ألف فرد خبز

راسين بقر

ثمانية كباش

أربعة حمول خضره

أربعة حمول رمان

عشرة حمول حطب

خمسة حمول بياض

زيادة ثلاثة لهم بعد أن ردهم الريح

عشرين قنطار بشماط

مطرين زيت

قلة واحد سمن

قنطار زيتون

مصر نخل

(1) قنطار: يشتمل على 100 كغ أي مائتي رطل وكل رطل يزن خمسمائة غرام.

(2) أمطار: المطر وحدة تستعمل للمكاييل وكان هناك اختلاف من جهة لأخرى في المطر حسب قريها أو بعدها من جهة الإنتاج الرئيسية للمادة الموزونة، فمطر الزيت بسوسة يزن 40 رطلا (20 كغ) في حين أنه في منطقة الوطن القبلي وبنزرت وتونس العاصمة يتراوح وزنه بين 16 و17.5 كغ. أنظر: الصادق بوبكر، إيالة تونس في القرن السابع عشر وعلاقتها التجارية مع موانئ البحر الأبيض المتوسط مرسيليا وليفورنة، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والأندلسية، الموريسكية، زغوان، 1987، ص ص6-7.

(3) قلال: القلة تستعمل للزيت وتساوي أكثر بقليل من عشر لترا. أنظر: محمود فودة، "المقاييس والموازين والمكاييل في تونس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع7، 8، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية و الموريسكية والتوثيق و المعلومات، تونس، 1993، ص ص250-258.

(4) قفيز القمح: خلال سنة 1698م كان قفيز القمح المعمول به في المبادلات يزن 320 كغ/ وفي السوائل 7 لترا. أنظر: الصادق بوبكر، المرجع السابق، ص ص6-7.

نصف قفيز برغل

\*قرصان الجزائر يوم 21 من ربيع الثاني سنة 1178هـ [1764م] قدم شباك قرصان الجزائر إلى حلق

الواد وخرج له

ثلاثين قنطار بشماط

خمسة أمطار زيت

خمسة أمطار خل

قنطارين زيتون

قلتین سمن

عشرة كباش

راسين بقر

ألف فرد خبز

حملين رمان

حملين خضرة

عشرة حمول جبالي حطب

خمسة حمول بياض

يوم 09 جمادى الأول سنة 1178هـ رجع الشباك المذكور بعد سفره رده الريح وأخذ

ثلاثين قنطار بشماط

خمسة أمطار زيت

خمسة أمطار خل

قلتین سمين

قنطارين زيتون

\*رايس المرسا<sup>(1)</sup> يوم 09 من حجة سنة 1178هـ [1764م] قدم رايس مرسا الجزائر ومعه شباك للبيع

وخرج له

خمسين خبزة

ستة قناطر بشماط

(1) أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 1046، ص12.

مصر واحد زيت

قنطار زيتون

مصر خل

كباش واحد

حمل خضرة

سنة حصر حلقة لوضع البشماط

\*وكيل حرج يوم 15 من حجة سنة 1178هـ [1764م] قدم الحاج حسين وكيل الجزائر ودخل حلق

الواد

مايتين خبزة

ثلاثة كباش

حملين خضرة

زوج قراطل مشماش

زوج قراطل (ربما بيض)

وقه قهوة

(كلمة غير واضحة)

\*حفيد باي تيطري<sup>(1)</sup> يوم 17 من جماد الثاني سنة 1179هـ [1765م] خرجت مونة لحفيد باي

تيطري المتوجه إلى (غ.و)

قنطارين بشماط

نصف المصر زيت

قصيرة سمن

ربع قنطار روز

ربع قنطار زيتون

نصف مصر خل

\*قرصان: يوم 03 قعدة سنة 1179هـ [1765م] قدم برقنته قرصان الجزائر ومعه غنيمته بالزيت

ثلاثين قنطار بشماط مونه

(1) أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 1046، ص13.

خمسة أمصار زيت

خمسة أمصار خل

قنطارين زيتون

قلتين سمن

(كلمة غير واضحة)

سته كباش

راسين بقر

ألف فرد خبز

حملين فيهم حلو

حملين خضرة

عشرة حمول جبالي حطب

خمسة حمول بياض

\*سي محمد بن علاّل<sup>(1)</sup> في محرم سنة 1179هـ [1765م] قيدت مونة محمد بن علاّل وسفرته بالدار

الكبيرة كما يذكر

قفيز واحد قمع شهرية

مصر ونصف زيت شهرية

قلة ونصف سمن شهرية

اليومية

سبعين رطل لحم يومي للسفرة فطور وعشا

أربع أرطال روز يومي

عشرة أرطال سمن يومي

أربعة طيور دجاج

أربعة فروخ حمام

نصف ريال خضرة

خمسة وعشرين (غ.و) دجاج

(1) أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 1046، ص14.

رطل قلب اللوز  
خمسة أرطال زبيب  
(غ.و) عسل  
نصف صاع خل  
خمسة عشر ليمونة  
اثني عشر زوج خبز سميد من الصغير  
أربعة أزواج خبز سفرة  
ستة حمول حطب في كل جمعة  
أوقيتين فلفل  
(غ.و) زعفران  
أربعة أواق قهوة  
شمعة واحدة  
رسم ربع قمح وما تبعه حلالات  
تفسيره  
ربع قمح ومصر ونصف زيت  
ربع قنطار عسل  
قلة تمر  
قلة قلب اللوز  
خمسة وعشرين (غ.و) دجاج  
ثلاثة أرطال (غ.و)  
ثلاثة أواق (غ.و)  
أوقيه سكوكر ورد  
ثلاثة أواق سكنجبين  
كمال الحلالات  
اثنين وعشرين رطل ونصف سكر  
ثلاثة غرابل بياض

قلة ونصف سمين

(هناك سطرين في آخر الورقة غير واضحين).

\*بن زكري<sup>(1)</sup> يوم 13 من شوال سنة 1180هـ [1766م] قدم الحاج مسعود بن زكري وجاب الخيل

وصحبه ثلاثين نفر وتعين لهم على يد علي بن الحاج على إقامتهم كل يوم أربعة سفرات وفيهم ستة مشاوء وزوج معاجن يومي

سبعين رطل فحم للمشاوء والسفرات والمعاجن

زوجين خبز سميد كبير يومي

سنة عشر زوج خبز سميد أبيض صغير

عشرين رطل سمن يومي

ثمانية أرطال روز يومي

مثلهم زيت يومي

ثمانية طيور دجاج

أربعة أزواج حمام

رطلين قلب لوز

صاغ واحد خل يومي

أربعين عظم دجاج يومي

خمسين ليم يومي

ريال خضر يومي

ريال ونصف غلة يومي

وبلتين سميد يومي

حملين حطب يومي

حمل بياض للقهوة وإذا فرغ يتجدد

خمسة أصواع زيت يومي

سنة أواق فلفل يومي

(1) أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 1046، ص 14. حول شخصية الحاج مسعود بن زكري: لم يذكر هذا السجل طبيعة عمل هاته الشخصية ، ولفت انتباهنا ما صرف له أثناء إقامته بتونس، لكن الدفتر الجبائي رقم 2144 ذكر أنّ "الحاج مسعود بن زكري" كان سيار دار السلطان إلى تونس والمقصود هنا بدار السلطان الجزائر وحاكمها وقد استفاد من إحسانات وهدايا كثيرة أثناء أدائه لمهامه وسنتعرض له بشيء من التفصيل في المبحث اللاحق حول الهدايا و الإحسانات المقدمة من طرف حكام تونس إلى الجزائر.

ستة أثمان زجران يومي  
ثلاثة أرطال سكر دقيق يومي  
رطل قهوة يومي  
ثلاثة شمعات منهم واحد للحممان  
عشرة حصر سجاد عن المدة  
ربع قم وما تبع حلاوات على ثمانية أيام ومبداهم الجمعة  
ثلاثة عوايل بياض عن المدة  
\*الفليكون<sup>(1)</sup> في غرت ربيع سنة 1191هـ [1777م] خرجت مونة الفليكون الجزائر رياست (غ.و)  
على يد الكاهية مائة قنطار بشماط.  
خمسة عشر مطر زيت  
ثمانية قلال سمن  
أربعة اقفزه ونصف قمح برغل  
تسعة قناطر زيتون  
خمسة عشر مطر نخل  
ثمانية كباش  
ثلاثة وقات قهوة  
اثنى عشر رطل ونصف شمع  
ثلاثة جلود بقر  
مائة واحدة وعشرين حصيرة حلفه  
قنطارين روز  
\*فليكون<sup>(2)</sup> يوم 25 من رجب سنة 1193هـ [1779م] خرجت عمارت فليكون في رياست إبراهيم  
رايس (غ.و) خلال (غ.و) كما خرج له في ربيع الأول سنة 1191هـ.  
مائة قنطار بشماط  
أربعة قلال سمن كون السمن قليل  
أربعة اقفزة ونصف قمح برغل

(1) أ.و.ت، الدفتر الجبائي رقم 1046، ص 14.

(2) أ.و.ت، الدفتر رقم 1046، ص 15.

تسعة قناطر زيتون  
خمسة عشر مطر خل  
ثمانية كباش  
ثلاثة وقات قهوة  
اثني عشر رطل ونصف شمع  
ثلاثة جلود بقري إحداهم مدبوغ  
قنطار واحد روز كونه قليل  
ماية واحدة وعشرين حصيرة حلفه  
ثمانية أمتار زيت  
ماية واحدة وثلاثين ريال فرمنتيه.

### ج- تحليل هذه التماذج والمعطيات:

إنَّ الدَّارِسَ والمُتَمَلِّمَ بِرَوِيَّةٍ فِي هَذِهِ القَوَائِمِ الَّتِي صُرِفَتْ لِصَالِحِ جَزَائِرِيِّينَ قَرَّاصِنَةَ (بَحَارَةً) كَانُوا أَوْ وَكَلَاءَ وَ شَخْصِيَّاتٍ نَافِذَةٍ تَكْشِفُ لَنَا عَن مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَعْطِيَّاتِ؛ أَهْمُهَا الغِذَاءُ الغَالِبُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ وَأَهْمُ العَنَاصِرِ المَكُونَةِ لَهُ، كَمَا تَكْشِفُ لَنَا عَن مَكَانَةٍ وَأَهْمِيَّةِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ فَحَجْمِ العَطَاءِ والحَارِجِ هُمْ يَخْتَلِفُ مِنَ شَخْصٍ لِآخَرَ؛ كَمَا يَسْتَطِيعُ الدَّارِسُ أَنْ يَعْرِفَ حَالَةَ الأَوْضَاعِ الزَّرَاعِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ لَتُونِسِ هَلْ كَانَتْ جَيِّدَةً وَالغِذَاءُ وَافِرٌ أَمْ شَحِيحَةً وَالغِذَاءُ قَاتِرٌ وَ قَلِيلٌ.

وهناك فعلاً إشارات تُثَبِّتُ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ قَوَائِمٌ مِنَ هَذَا الحَارِجِ يُحْتَمَلُ أَنَّه قُدِّمَ إِلَى الجَزَائِرِ كالتزامات؛ وهو المعروف باسم "ضريبة الزيت السنوية" التي كانت تونس مُلْزَمَةً بِتَقْدِيمِهَا إِلَى حُكَّامِ الجَزَائِرِ مُنْذُ تَوَلَّى أبنَاءُ الحُسينِ الحُكْمَ بتونس عام 1756م<sup>(1)</sup>.

فمجموع ما صُرفَ لِعَسْكَرِ الجَزَائِرِ (المُجَنِّدِينَ) عام 1178هـ/1764م وَالبَالِغُ عَدَدُهُمْ 4000 نَفْرٍ (أَوْ 400) قَائِمَةٌ غِذَائِيَّةٌ الغَالِبُ عَلَيْهَا الوُفْرَةُ وَالتَّنَوُّعُ وَعَلَى ثَلَاثِ فَتَرَاتٍ وَهِيَ تَتَلَخَّصُ بِمُجْمَلٍ فِيمَا يَلِي:

\* حبوب (بشماط، برغل، أرز) 70 قنطار بشماط وقفزين برغل، وقنطار أرز وألف فرد خبز

\* لحوم (رأسين بقر، وثمانية كباش)

(1) .. عام 1756م: أشار كل من الشريف الزهار وأسير الداوي كاثكارت إلى هذه الضريبة التي كانت تتلقاها الجزائر سنويا من تونس وهي عبارة عن مجموعة من المواد وعلى رأسها الزيت وبدأت هذه الضريبة مع وصول أبناء حسين بن علي إلى الحكم ابتداء من عام 1756م. أنظر: الزهار، المصدر السابق، ص 97. وكذا: كاثكارت، المصدر السابق، ص 221.

\* الدسم (12 مطر زيت، 4 قلال سمن وقلة زبدة)

\* زيتون 4 قناطر.

\* خل 6 أمطار.

\* خضر وفواكه (4 حمول خضرة + 4 حمول رمان).

\* حليب أو لبن (5 حمول بياض).

\* حطبٌ بِعَرَضِ الطَّهْيِ والتَّدْفِئَةِ 10 حُمُول حَطَب.

هذه الوثيقة تُثَبِّتُ أَنَّهُ فِي حَرِيفِ عَامِ 1764م مَرَّ بِنُتُونِسِ مَرَكَبٌ مُحَمَّلٌ بِالْمُجَنَّدِينَ الْقَادِمِينَ مِنَ الْبَابِ الْعَالِي بِأَنْجَاهِ إِيَالَةِ جَزَائِرِ الْعَرَبِ؛ وَتَوَقَّفَ الْمَرَكَبُ بِمَرَسِي حَلْقِ الْوَادِ وَقُوْفًا إِضْطِرَّارِيًّا بِسَبَبِ هُبُوبِ الرِّيحِ الْقَوِيَّةِ فِي الْبَحْرِ لِأَنَّ الْوُثِيْقَةَ ذَكَرَتْ ذَلِكَ.

أَمَّا تَوْقِيْتُ مَرُورِ الْمَرَكَبِ الَّذِي كَانَ خِلَالَ فَصْلِ الْحَرِيفِ، فَاسْتَنْتَجَنَاهُ مِنْ مَنْحِهِمْ فَآكِهَةَ الرُّمَانِ وَعَادَةً هَذِهِ الْفَاكِهَةَ تَكُونُ فِي مَوْسِمِ الْحَرِيفِ، لَكِنَّ الْإِشْكَالَ الْمَطْرُوحَ هَلْ فِعْلًا عَدَدُ الْمُجَنَّدِينَ كَانَ 4000 نَفَرًا كَمَا ذَكَرَتْ الْوُثَائِقُ أَمْ هُوَ عَدَدٌ مُبَالِغٌ فِيهِ، وَهَلْ بِاسْتِطَاعَةِ مَرَكَبٍ وَاحِدٍ حَمْلُ هَذَا الْمِقْدَارِ مِنَ الْأَشْخَاصِ فَالرَّاجِحُ هُوَ 400 نَفَرٌ رَغْمَ أَنَّ الْوُثِيْقَةَ أَثْبَتَتْ 4000.

أَمَّا قَائِمَةُ الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ الَّتِي صُرِفَتْ لَهُمْ؛ فَهِيَ مُتَنَوِّعَةٌ بَيْنَ حَبُوبِ وَلَحُومِ، وَخَضِرِ، وَفَوَاكِهِ، وَ دَسْمِ، وَزَيْتُونِ، وَخَلِّ، وَحَلِيبِ وَحَتَّى الْحَطْبِ وَهَذَا كَذَلِكَ يَعْكَسُ لَنَا حَالَةَ الرِّخَاءِ الْاِقْتِصَادِيِّ الَّذِي كَانَتْ تَعِيْشُهُ تُونِسُ<sup>(1)</sup>.

كَمَا نَجِدُ أَنَّ مَا صُرِفَ لِقُرْصَانِ الْجَزَائِرِ فِي 21 رَيْبِعِ الثَّانِي خِلَالَ نَفْسِ السَّنَةِ 1178هـ/1764م نَفْسِ الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ الَّتِي صُرِفَتْ تَقْرِيْبًا لِلْمُجَنَّدِينَ السَّابِقِينَ، إِلَّا إِخْتِلَافٌ طَفِيفٌ فِي بَعْضِ الْمَقَادِيرِ فَقَطْ. وَنَفْسِ السَّبَبِ كَانَ وَرَاءَ قُدُومِ هَذَا الشَّبَاكِ إِلَى تُونِسِ وَهُوَ هُبُوبُ الرِّيحِ الْقَوِيَّةِ بَعْرَضِ الْبَحْرِ لِأَنَّ سَافِرًا ثُمَّ رَدَّهُ الرِّيحُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَرَسِي حَلْقِ الْوَادِ يَوْمَ 09 جَمَادِ الْأَوَّلِ مِنْ نَفْسِ الْفَتْرَةِ أَي خِلَالَ 20 يَوْمًا مِنْ دُخُولِهِ الْأَوَّلِ وَعَوْدَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى بِسَبَبِ الظُّرُوفِ الْجَوِّيَّةِ السَّيِّئَةِ.

(1) تميّزت الظروف الاقتصادية بتونس خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي بنوع من التقلبات والتي تأثرت تباعا بالوضع السياسي للبلاد فنجد أنه: - بين 1752 و1762 عرفت البلاد التونسية ثورة إسماعيل بن يونس باي وهذه الحرب الأهلية على السلطة بتونس كان لها تأثيرا سلبيا على الحياة الاجتماعية بصفة عامة وكذا على النشاطات الاقتصادية الحرفية كانت أو الفلاحية. - أما بين الفترة 1766م و1775م فقد مرت تونس بظروف اقتصادية ملائمة عموما خاصة الظروف الفلاحية فلم تتعرض البلاد لأي كارثة طبيعية ونتج عن ذلك الاستقرار السياسي والاقتصادي وفرة المحاصيل الزراعية. وهي نفس الفترة التي مرت بها مركب المجندين الجزائريين بتونس عام 1764م. حول أوضاع تونس الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن 18م ومطلع القرن 19م أنظر: جمال بن طاهر، الفساد وردعه الردع المالي وأشكال المقاومة والصاع بالبلاد التونسية (1705-1840م)، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1995، ص363.

في حين نجد ما صُرفَ لِكُلِّ من رَيسِ مَرَسَا الجزائر لَمَّا دَخَلَ تونس بِهَدَفِ بَيْعِ الشبَاكِ يومَ 09 من ذي الحجة سنة 1178هـ/1764م، ووكيل حرج الجزائر الحاج حسين الذي دَخَلَ حَلَقَ الوَادِ يومَ 15 من ذي الحجة سنة 1178هـ/1764م وما قُدِّمَ لِحَفِيدِ بَايِ تِيطَرِي الَّذِي مَرَّ بِتُونِسِ يومَ 17 جمادى الثاني سنة 1179هـ/1765م، فَمَا صُرفَ لَهُوَلَاءِ لَمَّا قَصَدُوا تونس يَبْدُو مَعْمُولًا حَسَبِ إِحْتِيَاجَاتِهِمُ الغِدَائِيَّةِ بَيْنَ خُبْزٍ وَبِشْمَاطٍ وَأُرْزٍ وَزَيْتُونٍ وَخُضْرٍ، وَسَمْنٍ، وَخَلٍّ... تَقْرِيْبًا نَفْسِ المَوَادِّ أَوْ تَشَابَهِهِ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ وَبِكَمِيَّاتٍ مَحْدُودَةٍ.

وَأَمَّا مَا خَرَجَ لِقُرْصَانَ الجزائر بِرِقْنَتِهِ يومَ 03 ذي القعدة سنة 1179هـ/1765م الَّذِي قَصَدَ تونس وَمَعَهُ غَنِيمَتُهُ بِالزَّيْتِ فَهَلْ هَذَا القُرْصَانُ مَبْعُوثٌ مِنْ طَرَفِ حَاكِمِ الجزائر لِجَلْبِ غَنِيمَةِ الزَّيْتِ السَّنَوِيَّةِ أَوْ قَصَدَ تُونِسَ لِسَبَبٍ آخَرَ، وَقَدْ صُرِفَتْ لَهُ كَمِيَّاتٌ مُعْتَبَرَةٌ مِنَ المَوَادِّ الغِدَائِيَّةِ وَهِيَ:

\* 30 قنطار بشمات مونة أي مأونة.

\* ألف فرد حبز.

\* رأسين بقر و6 كباش.

\* خمسة أمصار زيت وقلتين سمن.

\* 2 قنطار زيتون.

\* 5 أمصار خل.

\* حملين خضرة وحملين حلو (ربما فاكهة).

\* 5 حمول بياض (حليب أو لبن).

\* 10 حمول حبالى حطب.

فهل هذه المؤنَّة لِإِحْتِيَاجَاتِ هَذَا القُرْصَانِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ بَحَارَةٍ أَوْ هِيَ ضَرْبَةٌ سَنَوِيَّةٌ كُفِّفَ بِجَلْبِهَا مِنْ تونس إِلَى الجزائر، وَهَذَا مَا لَمْ تُفْصَحْ عَلَيْهِ الوثائق.

وَاللَّافِتُ لِلإِتْبَاهِ أَنَّ هُنَاكَ شَخْصِيَّةً مَرْمُوقَةً تُدْعَى "سِي مُحَمَّدَ ابْنِ عَلَالٍ" نَزَلَ ضَيْفًا بِالدَّارِ الكَبِيرَةِ بتونس- المَخْصَصَةِ لِإِسْتِقْبَالِ المَبْعُوثِينَ والقَادِمِينَ مِنْ خَارِجِ تُونِسِ-، خِلَالَ شَهْرِ محرم سنة 1179هـ/1765م قَدْ اسْتَفَادَ مِنْ إِكْرَامِيَّاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ لِمُدَّةِ شَهْرٍ وَ مِنْ مُخْتَلَفِ المَوَادِّ الغِدَائِيَّةِ وَحَلَاوَاتِ وَسَكَكِرٍ وَعَسَلٍ وَزَيْبٍ وَحُومٍ وَدَجَاجٍ وَغَيْرِهِ؛ وَ تَبْدُو مِنْ قَائِمَةِ المؤنَّةِ الَّتِي اسْتَفَادَ مِنْهَا أَنَّهُ شَخْصِيَّةٌ نَافِذَةٌ؛ فَقَدْ يَكُونُ شَيْخَ قَبِيلَةٍ أَوْ مَبْعُوثٍ بَايِ قسنطينة أَوْ شَخْصِيَّةً تِجَارِيَّةً وَإِحْتِمَالٌ كَبِيرٌ أَنَّهُ كَانَ بِرُفْقَةِ

مجموعة من الخدم أو المرافقين لأن سفره الغداء والعشاء كان حجمها كبيراً مما يدل على أنها كانت تقدم لمجموعة من الأشخاص وليس لفرد واحد.

وتحت هذا العرض بتحليل ما ورد في مؤونة الفليكون أي السفينة أو الأسطول الجزائري الذي زار تونس في شهر ربيع الأول سنة 1191هـ/1777م وخرجت مؤونته على يد الكاهية ونفس الفليكون أعاد الكرّة وزار تونس مرّة أخرى في شهر رجب سنة 1193هـ/1779م واستفاد كذلك من مؤونة مطابقة للسابقة إلا بعض النقص في بعض المواد وهي موضحة كالآتي:

مؤونة الفليكون سنة 1193هـ/1779م	مؤونة الفليكون سنة 1191هـ/1777م
100 قنطار بشماط	100 قنطار بشماط
8 أمتار زيت	15 مطر زيت
4 قلال سمن كون السمن قليل	08 قلال سمن
4 أفزة ونصف قمح برغل	4 أفزة ونصف قمح برغل
09 قناطر زيتون	09 قناطر زيتون
15 مطر حل	15 مطر حل
08 كباش	08 كباش
3 وقات قهوة	3 وقات قهوة
12 رطل ونصف شمع	13 رطل ونصف شمع
3 جلود بقري احداهم مدبوغ	3 جلود بقر
120 حصيرة حلفه	120 حصيرة حلفه
قنطار واحد روز كونه قليل	2 قنطار روز
وفي الأخير يوجد حساب مقداره 130 ريال فرمنتيه	

عند المقارنة للمصروفات بجدها نفوسها ومعظمها بنفس المقادير مما يدل على أنها ضريبة الرّيت السنوية التي كانت تُقدّمها تونس للجزائر أو هي مؤونة تُقدّم للأسطول الجزائري كما يُمّر بتونس؛ والإختلاف الطّيف في حجم بعض المواد التي تناقصت فقط مثل الرّيت والسمن والأرز ويرجع ذلك إلى تناقص هذه المواد خلال سنة 1193هـ/1779م مقارنةً بما كانت عليه خلال سنة 1191هـ/1777م، علماً أنّ الكتابات تُشير إلى أنّ تونس ابتداءً من الفترة 1777 إلى 1780م تعرّضت إلى مجاعة بسبب رداءة المحاصيل الزراعيّة.

- وخلال سنتين 1785/84م إنتشر بتونس وباء الطاعون والجفاف وأثر ذلك كثيراً وبشكلٍ سلبي على نوعية وكمية المحاصيل الزراعية التي تناقصت.

- واستمرّ الوضع في الانكماش الاقتصادي خلال الفترة الممتدة بين 1784 و1800م بسبب الطاعون وانخفاض المحاصيل الزراعية<sup>(1)</sup>؛ و الدليل على ذلك أنّ الدفتر الجبائي رقم 1046 ينتهي عند سنة 1193هـ/1779م؛ كما أنّ باي تونس أرسل خلال عام 1218هـ/(1803-1804م)، إبراهيم الرياحي إلى المغرب الأقصى لطلب المساعدة والإغاثة.

وفي الأخير يجب الأخذ بعين الاعتبار أنّ السجل الجبائي أدرج مجموعة من السنوات شاغرة لم يسجل فيها أيّ خارج للجزائر وقرصاتها وهي (1172 و 1173 و 1177هـ/1758 و 1759 و 1763م) وكذا سنة 1192هـ/1778م، فهل هذا مرّده أنّ تونس كانت تعيش خلال هذه الفترات سنواتٍ شحّ وقحطٍ وتحدي في المحاصيل الزراعية وبالتالي لم يكن في استطاعتها استقبال أيّ جزائري أو تخصيص أيّ خارج لهم؛ أو أنّ بحارة الجزائر خلال هذه الفترة لم يتوقفوا بمرسى حلق الواد بتونس فالدفتر الجبائي للأسف لم يشير إلى أسباب ذلك.

3-2- نماذج من الهدايا و الإحسانات المقدمة من طرف حكام تونس إلى دايات الجزائر ورجال الديوان وبعض الشخصيات النافذة:

خصّصَ بايات تونس الحسينيين (محمد الرشيد وعلي باي) خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي مقداراً معتبراً من الهدايا و الإحسانات والتي قُدمت إلى أفراد السّلطة الحاكمة بمدينة الجزائر (الداي ورجال الدولة) وبايات قسنطينة.

كما استفادت من هذه الإحسانات مدن أخرى (تبسة، وعنابة، والقل، وبجاية، وسكيكدة، وتلمسان ومعسكر ومستغانم) وبعض المجموعات القبلية والعلماء والزوايا، و شرائح اجتماعية أخرى متنوعة.

والواضح أن الهدف من هذه الإحسانات كان الإرتقاء بالعلاقات الجوارية والأخوية بين الإيالتين من جهة؛ لطبي صفحة الحروب المريرة التي أنهكت الطرفين.

ومن جهة أخرى كان من باب الاعتراف بالجميل لمكوئتهما الطويل بالجزائر ومساعدة حكامها لهما على استعادة حكم أبيهما من ابن عمهما علي باشا عام 1170هـ/1756م.

(1) جمال بن طاهر، المرجع السابق، ص363.

ونحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على مجموعة من النماذج لهذه الإحسانات لأنه لا يمكن الإلمام بها وحصرها جميعا لكثرتها، وبعد عرضها نحاول تحليلها والخروج بجملة من الاستنتاجات.

أ- دايات الجزائر ورجال الدولة<sup>(1)</sup>:

النموذج 1: إحسانات أهل الجزائر سنة 1170هـ/1756م:

السنة	الإحسان المقدم لأهل الجزائر	قيمة الإحسان بالريال
1170هـ/1756م	<ul style="list-style-type: none"> <li>- ألف واحدة وأربعمائة وثلاثة وستين [1463] مطر زيت سوسي</li> <li>- سرج ممتوم.</li> <li>- جارية تفضل بها المعظم [محمد باي الرشيد]</li> <li>- كسوة للجارية</li> <li>- ثلاثة قناطر زيتون وأمور أخرى</li> <li>- لأخ دولاتي الجزائر</li> <li>- معروف على هدية الجزائر المتمثلة في:</li> </ul>	<p>4754</p> <p>500</p> <p>90</p> <p>536</p> <p>6094</p> <p>447,11</p> <p>3918,02</p>
	<ul style="list-style-type: none"> <li>- 2 برانس حرير وسبحة بها الجواهر.</li> <li>- طرابش</li> <li>- 10 طزينات شوالي</li> <li>- 5 برانس جريدي وثلاثة برانس حرير</li> <li>- 90 طزينة شاشية و12 برنوس عمل جربة لكمال الهدية</li> <li>- نسج عنبر وأربعة محارم رئيسية لعلاجي الدولاتي<sup>(2)</sup></li> </ul>	<p>صرف على تجهيز هذه الهدية</p> <p>14,323,75</p>

من خلال الجدول نلاحظ أن الهدية المقدمة من طرف حكام تونس لأول سنة من استلامهم الحكم 1170هـ/1756م والمقصود بهما أبناء الحسين تمثلت الزيت وسرج وجارية إضافة إلى مجموعة من المنتوجات التونسية الحرفية والمقدمة إلى حاكم الجزائر رغم أن العنوان تحت اسم أهل الجزائر، لأن

<sup>(1)</sup> رجال الدولة هم مجموعة من الموظفين السامين الذين يعتمد عليهم الداوي في تسيير الوظائف الحيوية و هم (الخنزاجي، بيت المالجي، حوجة الخليل، وكيل الحرج، آغا العرب). أنظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، صص 26-28.

<sup>(2)</sup> أ.و.ت، الدفتر الجبائي، رقم 2144، ص 252.

**الفصل الثاني: صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و13هـ/ 18 ومطلع 19م)**

تونس كانت تخرج إحسانات إلى موطن المشرق والترك والسودان وطرابلس والجزائر والمغرب الأقصى. وكان النصيب المقدم إلى موطن الجزائر أوفرهم حظاً<sup>(1)</sup>، علماً أن الهدية لم تنتهي بعد فهناك إحسانات أخرى تمّ منحها لرجال الديوان وتمثل فيما يلي:

**كمال إحسانات أهل الجزائر<sup>(2)</sup>: بقية هدية الجزائر التي توجهت مع الشيخ سي محرز كاتب دار الباشا في شوال سنة 1170هـ/1756م:**

الأطراف المستفيدة منه	قيمة الاحسان بالريال	
للخرناجي	500	
للاغة	} المجموع 1400 ريال	
خوجة الخيل		200
بيت المال		50
محمد خوجة وكيل الحرج		150
العشي علي	100	
العشي سليمان	} 250	
باش مقاطعجي		2000
يوسف خوجة		100
الحاج اسكراري		100
الحاج أحمد خوجة الصغير	50	
ابراهيم خزندار الدولاتي	50	
حفيظ	} 50	
يوسف أخو الباشا		100
حانوت الشواش		80
حانوت الكاهية		50
الحاج مصطفى الصالحي	20	
سي عبد الرحمان بن عبد اللطيف	} 20	
		2454

<sup>(1)</sup> توفيق بن زردة، إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ/1756م-1192هـ/1779م من خلال الدفترين 2144 و

2145 بالأرشيف التونسي، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد 10، العدد 01، قسنطينة، ص 11.

<sup>(2)</sup> هذه التتمة من الهدية عبارة عن أموال منحت إلى رجال الديوان والعمال في قصر الداى وتأخذ عدة تسميات في السجل فأحياناً كمال الاحسانات وكمال الهدية أو معروف هدية الجزائر، أنظر: الدفتر الجبائي رقم 2144، ص 253.

الفصل الثاني: صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و13هـ/ 18 ومطلع 19م)

سي عبد الرحمان السمار		10
لزوج خوجات الديوان بينهما		24
نوباجية دار السلطان	14	40
نوباجية القصبة 60 نفر		30
قلنجية		2570
سلاقات		12
إبراهيم وكيل حرج سيدي الحاج		20
لنصارتة والبساكرة	30	06
لورديان باشي		20
باش آغة الصبايحية		2648
باش شاوش المذكور الصغير		14
خوجة المذكور		08
للسراج	25	10
موسى وكيل الحرج		06
قارة محمد		06
خوجة النوباجية		3735
باش سايس أول يوم يعطوه خفية		12
وله احسان عن شكايح الخيل		12
وللعزارة الذين معه		06
باش أولاد عرب		04
ولباقيهم على عددهم سلطاني لكل واحد	24	
جراح باشي	}	2785
الترجمان		06
مقدم العزارة		10
مقدم العزارة		04
ولاثني عشر عزري		12

رايس المرسا	08	10
القبطان		12
بوا لكباشي		28333
شريف شاوش اللاغة		08
التلميذ		10
نصاري الصراية	}	40
بساكرة الصراية		10
نصاري المطبخة		2937
		12
بساكرة المطبخة		10
زرناجية الترك		14
زرناجية العرب		08
المزوار وقايد؟ وغيرهم	04	04
حفاف سيدنا		06
الخرناجية		2947
الفراقة		04
عصمان مملوك دولاتلي لما طلب برنوس		02
في جنان الباشا	04	07
في جنات		02
في جنان الأغة		2970
لطبأخا		06
لنصاري يخدموا فيه		04
شواش شيخ البلد	02	04
بساكرة المذكور		2980
قايد الزبل		03
للحواتي وقايد الرسل عند الخروج من الجزائر		01

للبسكرة الذين جابوا بشاكش الأغة	06	01
للذين جابو شاكش سيدنا		02
لزوج شواش الأغة		2992
حق برونوس زغداني لسي أحمد الوارقلي		01
للذي جاب بشاكش الخزناجي		01
في زيارة سيدي عبد الرحمان	04	01
للحاج أحمد عشي مصطفى		50
للمرابط على يد سيدي محمد بن علال		3051
للمهاترية		03
سقاسي		01
للحاج محمد واسماعيل في المبيطة	04	07
إحسان للحماراة التي كريت عندهم من قسنطينة		01
لوكيل حوش باي قسنطينة		3063
حق شواري من الخميس وفضلات		04
في أولاد منصور ريال وثلاثة أثمان حق كبش وثلاثة أرباع حق شعير وربع؟ ومثله للذي جاب التفاح في الجزائر		01
إحسان للذين جابوا الدلاع بحوش الباي	01	01
حق مفتاح للفنيق المربع		01
للذي جاب الدلاع من سيدي أحمد زروق		3065
إحسان للذين جابوا سفرت؟ وسفرت؟		01
إحسان لتركي كفيف جاء للدار		01
المداحة والمرابطين في عمرو	01	02
؟الناقة		02
لثلاثة أنقار سيارات الحنانشة ساروا معنا		3072
لفرحات وبلقاسم بن يعيش يوم؟		01
لفرحات المذكور وبلقاسم بن يعيش يوم قسنطينة		01

لقهواجي سي عومار	}	01
لرومة المذكور		01
لمرجان قايد الدار		01
لباش سايس متاع سي عومار رباط؟		01 3088
لفروة المرحوم على يد الحاج عبد الرحمان بن ابراهيم		04
صدقة على المرحوم يوم زرنه		04
حق؟ للصريح على يد بلعيد <sup>(1)</sup> ؟		01

النموذج رقم 02: هدية الجزائر عام 1175هـ/1761م

- عشرة دزينات شاشية للسيد الدولاتي	}	قيمة هذه البضائع 16700 ريال
- أربعة برانس جربي له		
- أربعة برانس جريدي له		
- أربعة سفاسر جريدي له		
- أربعة قزازات عطره شاه بزيادة زوج؟ آخرين		
- ألفين مطر زين		
- أربعة محازم للخزناجي والآغة وخوجة الخيل وحسين وكيل الحرج؟		
ثلاثة برانس معميرين بالذهب للخزناجي والآغة وحسين وكيل الحرج		

<sup>(1)</sup> الدفتر الجبائي، رقم 2144، صص 251-260.

\* توزيع الشواشي والبرانس<sup>(1)</sup>:

برانس جربي	شواشي دزينات	المستفيد
2	3	للخرناحي
2	3	للاغة
2	3	خوجة الخيل
2	3	بيت المالجي
2	3	حسين وكيل الحرج
2	3	الحاج محمد خوجة
2	3	باش دفتار
3	3	الخوجات الثلاثة
2	2	العشية الاثنين
1	2	خزندار الحرير
1	2	الكاتب بن السمان
1	1	الكاتب الثاني
1	1	الترجمان
1	1	القبطان
1	1	رايس المرسا
1	1	؟
1	1	ورديان باشي
1	1	وكيل حرج دار السلطان الكبير
1	1	وكيل الحرج الصغير
1	1	خوجة النوبة بدار السلطان

<sup>(1)</sup> الدفتر الجبائي، رقم 2144، ص ص 260.

النموذج رقم 03: هدية الجزائر في شعبان 1176هـ/1762م:

مكونات الهدية (التي شحنت بالمركب)	القيمة بالريال + العدد
إحسان لأحمد بن شقرون عن سفره بمركب الزيت للجزائر	100 ريال
قدر الزيت المذكور واحد وسبعين جره [170 جرة]	163 ريال
قدر الزيتون الأبيض ثمانين أزيار	80
قدر الزيتون الأكل أربعين زير	40
قدر العراجن مائة واحدة وعشرين عرجون تمر ارهاط	120
قدر خوابي الفستق أربعة خوابي	04
قدر حناء وعظم الحوت أربع صنادق مملوءة	04

تفسير هذه الهدية والتي توجهت إلى الجزائر في شعبان 1176هـ:

للخرناجي

للدولاتي

16 ستة عشر جرة زيت	50 خمسين جرة زيت
15 خمسة عشر زير زيتون	20 عشرين زير زيتون والبيض [أبيض]
20 عشرين عرجون	10 عشرة أزيار زيتون أكحل
01 صندوق طريف حوت	40 أربعين عرجون تمر
	04 أربعة جوابي خراف فسق [فستق]
	300 صندوق به ثلاثين؟ عظم حوت

لدار عيال الدولاتي

سي الحاج محمد وكيل الحرج

33 ثلاثة وثلاثين جرة زيت	16 جرة زيت
20 عشرين زير زيتون أبيض وأكحل	15 خمسة عشر زير زيتون
20 عشرين عرجون تمر	20 عشرين عرجون
01 صندوق واحد عظم حوت	01 صندوق طريف عظم حوت

الآغة	للسيد الحاج محمد خوجة باش مقاطعجي
13 ثلاثة عشر جرة زيت	03 ثلاثة جرار زيت
15 خمسة عشر زير زيتون	05 خمسة أزيار زيتون
20 عرجون تمر	
لخوجة الخيل	
08 ثمانية جرار زيت	
05 خمسة أزيار زيتون	

ومنع لخوجة وكيل الحرج وللسيد ابراهيم أخ الباشا والسيد يوسف أخيه مثل ما منح لخوجة الخيل.  
هدية أخرا [أخرى] تفسيرها سنة 1176هـ:

أربعة سفاسر جريدي مثلهم برانس جريدي، طزينات شواشي؟ بها سبعة قزازات عطر الجميع للدولاتي في صندوق وثاني به سبعة وأربعين طزينة شاشية لأربابها؟، ثلاثة وثلاثين برنوس جزبي؟ بها ثلاثة برانص حرير بالفضة، أربعة محازم بلاسكتهم للخزناجي، أصحابه سقطه فضة برنوس جريدي.

هدية باش؟ الجزائر سنة 1176هـ:

زوج برانس جزبي سفاسري جزبي بأجرين، عشرة طزينات شواشي، أربعة سفاسر جريدي، محزمة وبلاسكتهم، أربعة سفاسر ركي، زوج؟ مرجان سبحة واحدة غير معمرين؟ صندوق؟ جلود؟

كمال إحسانات الجزائر:

7083.03 ريات خرج معروف على هدية الجزائر للدولاتي وأصحابه ولباي قسنطينة في شوال سنة 1176هـ.<sup>(1)</sup>

ب- تحليل نماذج الهدية:

هناك مجموعة من الملاحظات استوقفتنا أثناء العمل على هذه الهدايا أهمها:

- كثرة الأخطاء وتداخل المعلومات واستعمال التعابير العامة في هذه السجلات الجبائية، فهي عبارة عن سجلات إدارية المعلومات فيها غير منتظمة ومتداخلة فلا يوجد نسقٌ واحدٌ للكتابة، وهذا كله يتعب الباحث والدارس لها، ويجعل الاستفادة منها ليست سهلة المنال، علماً أنّ مثل هذه السجلات الإدارية إعدادها رأساً كان لخدمة الإدارة وضبط المداخل والمصروفات، وليس معداً للدراسة، وهذا

<sup>(1)</sup> الدفتر الجبائي رقم 2144، صص 261-262.

يقودنا إلى استنتاج أهم؛ وهو أنّ موظفي الإدارة بتونس خلال الفترة المدروسة لم يحظوا بتكوين متين ومستواهم كان ضعيفاً وأغلبهم كان من المماليك الذين نشأوا في خدمة البايات فثقافتهم غير كافية. هذا فضلاً عن استخدام الأجانب واليهود خاصةً في مصالح الحسابات المالية<sup>(1)</sup>.

- لا يوجد نظام واحترام لترتيب الأشهر أثناء الكتابة، فيبدو أنّ هدية الجزائر كان يتمّ تحضيرها على فترات من أشهر السنة، فهدية عام 1170هـ/1756م (التمّوزج الأول) جاءت مقسمة على رجب وشوال وذي القعدة وذي الحجة ودون مراعاة هذا الترتيب؛ بل هناك تقديم وتأخير، ولاحظنا أن ذلك يتكرر مع بقية السنوات ومثل هذه الأمور التنظيمية إذا غابت تتعب الباحث وتضيع الوقت كثيراً أثناء العمل.

- مكونات الهدية كانت تتكون من مواد فلاحية أي غذائية مثل الزيت، الزيتون الأبيض والأسود، والتّمور، وأحياناً فستق وأعظام الحوت، هذا إضافةً إلى مجموعة من المنتجات الحرفية والتي جادت بها أيادي الحرفيين التونسيين؛ من برانس وسفساري وشواشي، وسبح، وعطور، ومحازم. وتدخل ضمن الهدية أحياناً حتىّ الجوّاري مثل هدية عام 1170هـ/1756م؛ وهذا ما أشارت إليه الكتابات التاريخية، مثل الصغير بن يوسف في كتابة المشرع الملكي.

- إضافة إلى الهدية العينية سابقة الذكر، كانت هناك هدايا مالية وعطايا توزع على موظفي الدولة وتكبر هذه المنح أو تقل حسب المنصب، فمثلاً الخزناجي ووكيل الخرج وأمثالهم يستفيدون من مبالغ معتبرة إضافة إلى حصولهم على البرانس والشواشي وحتىّ الزيت والزيتون والمحازم، في حين نجد أن الموظفين البسطاء كانت منحهم قليلة، ويطلق على هذه المنح تسمية معروف هدية الجزائر.

- في البداية كان الشخص المكلف بحمل الهدية من تونس إلى الجزائر ولمدة طويلة هو الشيخ سي أحمد الأصرم وهو أديب وفقه ورئيس ديوان الإنشاء في فترة حكم محمد باي الرشيد (1756-1759م) وصديقه ورافقه إلى الجزائر أثناء محنته؛ فهو إذن على دراية كبيرة بمدينة الجزائر وبرجال الحكم فيها لذلك، يعتبر أفضل ممثل لباي تونس أثناء تقديمه للهدية، ثم نجد فيما بعد هناك شخصيات أخرى تولت جلب الهدية وأحياناً قد يكون وكيل حرج الجزائر أثناء قدومه من اسطنبول لجلب الجندين فعندما يتوقف بتونس إذا صادف ذلك وقت إخراج الهدية، فتمنح له لشحنها في المركب المتوجهة للجزائر، وأحياناً تمنح الهدية لوكيل الجزائر بتونس فيحضرها إلى الجزائر.

(1) المنصف الفخاخ، موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي، منشورات الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 1990، ص27.

-لاحظنا أنه إضافة إلى ذكر مكونات الهدية، كان دائماً يقيد بجانبها مقدار تكاليف هذه المصنوعات سواء كانت ألبسة أو برانس أو جوهر لصناعة السبحة وحتى المواد الغذائية (مثلا سعر الجرة من الزيت، وحق خياطات السفاسر والبرانس أو الخياطين، و حق تغليف الصناديق التي توضع بها الهدية وحتى عدد الصناديق).

ففي إحدى الهدايا ذكر أنه يوجد تسعة صناديق تم تجهيزها من أجل هدية الجزائر، مثل هذه التقيدات تقودنا لمعرفة ثمن الزيت وغيره من المصنوعات الحرفية التي كانت رائجة كالشاشية والبرنوس وهذا يسمح بمقارنة الأسعار بما كان يباع عندنا بالجزائر في نفس الفترة.

-ورد في النموذج رقم 1 لهدية عام 1170هـ/1756م: جدول خاص بكمال إحسانات أهل الجزائر وهي عبارة عن المنح المالية التي تم توزيعها على رجال الديوان وعمال القصر، فلاحظنا أن المنح كانت ضئيلة خاصة للعمال البسطاء لكن المبلغ الاجمالي كبير ولا يتناسب مع ما تم صرفه على المنح إذا قسمت عليه، وهنا وجب التساؤل هل هناك خطأ ارتكبه الكاتب أم أن له دلالة أخرى وقراءة لم نعرفها.

-في النموذج رقم 02 هدية الجزائر لعام 1175هـ/1761م: ورد جدول لتوزيع الشواشي والبرانس ولاحظنا بأنّ التّصيب الأوفر كان لرجال الديوان الخزناسي والآغة، وخوجة الخيل، وبيت المالجي، ووكيل الحرج، وباش دفتار.

و كذا الحاج محمد خوجة (الذي لا نعرف منصبه لكنّه سيتين فيما بعد أنّه خال دولاتي الجزائر) فكل واحد تحصل على ثلاث طزينات شاشية وبرنوسين من حياكة جربة، وهذا يدلّ على الخطوة التي كان يتمتع بها هؤلاء الرجال؛ لأنّه تكرر تكريمهم في كل هدية، بخلاف بقية المناصب الأخرى التي تحصل أصحابها على مقدار أقل.

كما تبين أنّ إقبال حُكام الجزائر ورجال ديوانها على الشاشية التونسية الحمراء. قد أضّر كثيراً بالشاشية الجزائرية التي انحط نوعها وسعرها وأصبحت تلبسها الطبقات الشعبية الفقيرة من عامة الجزائريين وهذا نتج عنه إضرار كبير بالصناعة الحرفية لهذا النوع من اللباس الذي كان رائج الاستعمال وقتها<sup>(1)</sup>.

(1) انظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، ص37.

علماء أنّ تفوق الشاشية التونسية على الشاشية الجزائرية من حيث الجودة، يعود إلى كون حكام الجزائر كانوا يصدّرون الأصواف الجيدة إلى الخارج، و يتكون الأصواف الخشنة الأقل جودة للصناعة المحلية.

كما أنّ الشاشية التونسية دخلت في مرحلة الصناعة الرأسمالية، فكانت صناعتها تمر بعدة مراحل، كما تمّ توزيعها على عدد من الصناعيين؛ أي تقسيم العمل، بينما صناعة الشاشية في الجزائر كانت مقصورة على إلى صانع واحد، وهذا ما جعلها غير متطورة مثل مثيلتها التونسية<sup>(1)</sup>.

النموذج رقم 3 لهدية عام 1176هـ/1762م: في تفسير الهدية لاحظنا أنهم تمتعوا بنصيب وافر من الزيت والزيتون والتمر وحتى من عظام الحوت التي كانت على ما يبدو تستعمل لطهي الأرز وهي الوجبة الرئيسية عند العنصر التركي.

كما لاحظنا أنّ الحاكم أو الداي والذي أشار له السجل باسم الدولاقي كان له النصيب الأكبر لوحده، ولدار عيال الدولاقي أي أهله نصيب آخر كذلك وافر.

- أثناء ذكرنا لهدية عام 1170هـ/1756م وهي النموذج الأول، في عنوان تفسير الهدية، ذكرنا مكونات الهدية البارزة والرئيسية دون الدخول في بعض التفاصيل لأنها طويلة وغير مفهومة لذلك تجنبناها واكتفينا بالسعر الاجمالي وأهم الأمور التي جاءت مع السعر.

- والخلاصة التي نخرج بها أن هذه الهدايا كانت موجهة من حكام تونس إلى حكام الجزائر ورجال الديوان؛ وكل من له علاقة بالحكم ولو كان عيشي أي طباعاً عند الداي وفي هذا إشارة واضحة إلى أن هذه الهدايا التي طالما اشتكى حكام تونس من تكاليفها لم تكن موجهة لعامة الناس، بل لنخب الدولة وعمالها، فإذا تأخرت أو انقطعت تجهز الحملات العسكرية من أجل استرجاعها وهذا يقودنا إلى سؤال آخر، وهو هل كل الحروب التي خاضها حكام الجزائر نحو تونس خاصة الحملات التأديبية كانت مشروعة؟ وهل فعلاً كان الدافع إليها هو انقطاع تلك الهدايا؟ .

ألم تكن الهدايا التي يقدمها حكام تونس تستفيد منها عدة فئات اجتماعية؛ من المرموقة إلى البسيطة بين سياسية و قبلية ودينية و غيرهم كثر، كما أن مثل هذه الهدايا لم تكن مقصورة على حكام الجزائر فقط، بل استفادت منها شخصيات أخرى، من المغرب الأقصى و طرابلس الغرب و غيرهم؛ ممّن عجت بذكرهم السجلات الأرشيفية؟.

(1) أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 229.

علماً أنّ تقليد منح و تبادل الهدايا لم يكن مقصوداً على التونسيين فقط، بل حتى على الأهالي الجزائريين كانوا مُطالبين هم أيضاً بدفع الهدايا المتنوعة لكبار الدولة بما فيهم البايات أثناء قدومهم إلى الجزائر (دار السلطان)، لتسليم الدّانوش (مداخيل البايك)؛ كانوا يمنحون الهدايا للحكام و أعوانهم و أفراد عائلاتهم، لذلك فحكام الجزائر هم أدرى بأبعاد تلك الهدايا و ذلك التقليد الذي كان متبعاً وقتها، و لا يمكن اعتبارها هي السّبب الرئيسي للحملات العسكرية الجزائرية ضدّ تونس.

أما الهدايا التي كانت تدفعها الدول الأوربية عن طريق قناصلها و مبعوثيها، فهي في الواقع عبارة عن رشاوى تقدم لحكام الجزائر و كبار موظفيها للفرز ببعض المواد الأساسية التي كانوا في أمسّ الحاجة إليها؛ مثل الحبوب<sup>(1)</sup>.

-والخلاصة الأخرى أنّ العمل على هذه السّجلات صعب للغاية فبقدر ما هي مهمة، في المقابل هي غير منتظمة فهناك قوائم تحت عنوان الهدية ثم قوائم أخرى باسم كمال الهدية أو معروف الهدية أو كمال إحسانات أهل الجزائر، فيجد الباحث نفسه أمام قوائم طويلة غير منظمة يصعب فرزها والخروج بأرقام وإحصائيات نهائية.

### ج- نماذج لهدايا ومنح صرفت لشخصيات جزائرية سياسية نافذة:

الأمثلة في هذا الصدد كثيرة وسنكتفي بمثالين فقط الأول هو شخصية وكيل الحرج<sup>(2)</sup> والشخصية الثانية هو الحاج مسعود بن زكري الذي كان سيار دار السلطان أي مبعوث الدّاي إلى تونس، وكذا سيار باي قسنطينة.

المعروف علي قدوم الحاج محمد وكيل الحرج من اسطانبول سنة 1176هـ/1762م:

القيمة بالريال	مكونات المعروف (الهدية)
334	حق ستة وعشرون طزينة شاشية منها عشرين لدولاتي الجزائر وستة للحاج محمد وكيل الحرج.
9000	إحسان للحاج محمد وكيل الحرج لما قدم من اسطانبول
500	حق أربعة أرطال أو أربعة أواق ثلاثة أتمام ونصف مجرة لسقط دير وعزار صارمة

<sup>(1)</sup> أرزقي، شويتام، المصطلحات و المفاهيم الواردة في المصادر الغربية حول تاريخ الجزائر(الفترة العثمانية 1519-1830م)، مجلّة قضايا تاريخية، ع14، 2021، صص13-14.

<sup>(2)</sup> كان من ضمن مهامه الذهاب إلى اسطانبول لطلب المخبدين وهذا ما ذكرته الوثائق الأرشيفية التونسية سواءً السجل الجبائي رقم 2144، أو السجل رقم 1046 الذي سبق وأن درسنا منه "الخارج لأهل الجزائر وقرصانها" وكان وكيل الحرج يكرّم بتونس أثناء رحلة العودة من التجنيد.

لوكيل الحرج	
خرج بزمام في خياطة زوج برانص وخرج لخلق أملس وحق ستة أعلمه وخرج قواطين صوف وتسعة جلود وخياطتهم وقنطار ونصف نشاف وطاسه نحاس وكسوت نصراني تفضل به سيدنا دام علاه [يقصد حاكم تونس على باي]	284.03
إحسان للحاج محمد خوجة خال دولاتي الجزائر قدم مع وكيل الحرج	100
احسن للحاج مسعود بن زكري لما قدم ليرفع الحاج محمد وكيل الحرج	450
إحسان لإبراهيم التركي تابع الحاج محمد وكيل الحرج	225
إحسان لمهدي تابع المذكور	135
حق سرج جديد لابراهيم التركي المذكور	65
حق سبعين؟ كوسالين لتجليد عشرين حمل كواربوا معينين لهدية الجزائر	268
حق أجرة المعلمين الذين خيطوا الجلود المذكورة على الكواربوا <sup>(1)</sup> .	16

إحسانات صرفت للحاج مسعود بن زكري سيار دار السلطان وباي الغرب بين (1171-

1189هـ/1757-1775م):

السنة	المستفيد الحاج مسعود بن زكري ومن معه	قيمة الاحسان بالريال
ربيع الأول	- لبن زكري ومن معه سيارات دار السلطان كل منهم مائة ريال.	300
ربيع الثاني	- زيادة إحسان لبن زكري لما عزم على المراوح	496
شوال عام 1171هـ- 1757م	- للحاج مسعود بن زكري وزوج سيارة من دار السلطان	400
ربيع الثاني	- الحاج مسعود بن زكري ومن معه	400
رجب	- الحاج مسعود بن زكري وصاحبه سيارات السلطان	400
شعبان	- للحاج مسعود بن زكري على توجهه للجزائر ورجوعه	133

<sup>(1)</sup> الدفتر الجبائي رقم 2144 ، ص 261.

رمضان	- للحاج مسعود بن زكري وأصحابه عن مسيره للجزائر في إقامة الحاج محمد وكيل الحرج	400
رمضان	- الحاج مسعود بن زكري وابن المسعي وعبد الله بن رابح سيارات دار السلطان وقت المهرج	400
عام 1172هـ/ 1758م	زيادة إحسان للحاج مسعود بن زكري في خاصيته	100
محرم	مسعود بن زكري وعبد الله بن رابح وابن المسعي	400
رجب	للحاج مسعود بن زكري لما رفع دارهم القسنطينة الذين أخذوا لهم أولاد مناع	450
ربيع الأول	عبد الله أخ الحاج مسعود بن زكري وعبد الله بن رابح وسعدي بن أحمد المسعي.	400
ربيع الثاني	مسعود بن زكري ولسعدي بن المتسعي	90
شوال	لعبد الله بن رابح وسعيد بن المسعي وعبد الله بن زكري سيارات دار السلطان	400
جماد الثاني	للحاج مسعود بن زكري سيارته على العادة أربعماية وتسعين ريال	490
جماد الثاني	زيادة إحسان للمذكور [يقصد مسعود بن زكري] من غير عادة له خمسين محبوب	225
جماد الثاني	إحسان لاثني عشر نفر دواير معه كل منهم أربعين ريال	480
رمضان	للحاج مسعود بن زكري بحق أربعة وعشرين أوقية 996 مجرة عمارة مكحلة وأجرة الصايغ 17 وحق سبعة أواق مرجان 236	1390
حجة 1173هـ/ 1759م	سيارات دار السلطان بن زكري ومن معه	400
صفر	للحاج مسعود بن زكري بحق ركاب	250
ربيع الثاني	لعبد الله بن زكري ومن معه سيارات دار السلطان وزيادة له.	490

ربيع الثاني	لعشرة أنفار دواير مع عبد الله بن زكري	400
ربيع الثاني	لزوج دواير لحقوا من الحاج مسعود بورقة لعبد الله أخيه	40
ربيع الثاني	لخدم مع بن زكري	05
جماد الأول	للحاج مسعود بن زكري لما قدم ليرفع الحاج محمد وكيل الحرج لما قدم من اسطنبول	450
محرم	للحاج مسعود بن زكري بحق مكحلة مشتريات	25
	للحطاب الدايرة صاحب الحاج مسعود بن زكري	40
	للحاج مسعود بن زكري بقيطون قماش بني زريقي ب200 ذراع تماش وقطن وسروال وأجر الخياطة مع حق القيطون للمذكور	760
	للحاج مسعود بن زكري	120
	لعبد الله بن زكري وأصحابه سيارات دار السلطان	490
	لسبعة أنفار دواير معهم لكل منهم أربعين ريال	280
	لأخ الحاج مسعود بن زكري وهو عبد الله ولمن معه سيارات الغرب.	490
	لاثني عشر نفر دواير قدموا مع المذكور ولهم خدم أخذ خمسة ريالات	485
	لعبد الله بن زكري سيار باي الغرب	490
	للحاج مسعود بن زكري سيار باي الغرب	500
ربيع الثاني ربيع الثاني سنة 1176هـ/1762م	لثلاثة خدام الحاج مسعود بن زكري	15
	حق لوازم منحت للحاج مسعود بن زكري	497.10
	حق أغراض لمسعود بن زكري	125
	حق غلة وخضرة لهم عن الاقامة شهرين وزيادة لأطعمته	250
حجة حجة حجة سنة 1177هـ/1763م		
رجب		
رمضان 1179هـ/1765م		

شوال	لواحد وعشرين دايرة صحبة الحاج مسعود بن زكري	840
قعدة	للحاج مسعود بن زكري	490
قعدة	للحاج مسعود بن زكري بحق بغلة وسلاح بن زكري	220
قعدة	خدامي وزوج مكاحل	196
قعدة	حق أغراض لمسعود بن زكري	98
سنة 1180هـ/1766م	حق غلة للمذكور [يعني بن زكري] عن اقامته في 12 من شوال إلى 21 من قعدة أربعين يوما	52.10
جماد	حق أغراض لمسعود بن زكري وحق برتقال وحليب وزيدة في المدة	635
الثاني 1181هـ/1767م	لعبد الله بن زكري سيار الغرب	
صفر	لعبد الله بن زكري سيار باي الغرب	490
جماد	لعبد الله بن زكري سيار باي الغرب	490
الثاني 1182هـ/1768م	للحاج مسعود بن زكري ألف ريال	1000
لم يذكر الشهر احتمال رمضان	للمذكور مسيرة على العادة [يعني مسعود بن زكري]	490
سنة 1185هـ/1771م	لخدمته	05
	لسبعة أنفار دواير قدموا معه لكل منهم 40	280
	للمذكور [يعني مسعود بن زكري]	192
شوال	للحاج مسعود بن زكري لما جاب الكواكيب والبغال	1350
	له على المسير في شوال	490
شوال	لتسعة عشر نفر دواير قدموا معه لكل منهم 40 مع ثلاثة خدام لهم لكل منهم 5	775
سنة 1185هـ/1771م	لزوج دواير قدموا مع المذكور في شوال متوجهين إلى الغرب مع الفرس [أي إلى قسنطينة]	80

695	لعبد الله بن زكري سيار باي الغرب وخمسة دواير معه ولخدم <sup>(1)</sup> .	رجب 1186هـ/1772م
-----	--	------------------

هدية على يد الحاج مسعود بن زكري سنة 1187هـ/1773م: سرج متموم سقطه مجره ومخزومة وبلاسكة سقطهم فضة وزوج برانس حرير وعشرين برنوس جزبي وعشرين برنوس جريدي وأربعة سفساري جريدي وحكة بها ثلاثة للا نبات زبد ونصرا؟ سلسليان وخاتم فضة منقالة أصلية ومنقالة كبيرة فيها فيل وزوج مضافي مذهب.

### حلة بن زكري

جبة معهودة وبرنوس ناري فضة لابن زكري قفطان وكباية كمنخة وسروال كاتلان وفر؟ وصردية كمنخة لابن المذكور ستارة موبر عكري ودير وعزار وركاب<sup>(2)</sup>.

د- تحليل ما صرف لوكيل الحرج ومسعود بن زكري:

### وكيل الحرج:

- نلاحظ بأن المحطة الأولى لوكيل الحرج لما يقوم بتجنيد الجيش من تركيا كانت ميناء حلق الواد بتونس إما ليرتاح ويكمل بعد ذلك السير نحو الجزائر بحرا أو الدخول برا نحو قسنطينة.

- كما أشارت وثائق الخارج لأهل الجزائر وقرصانها التي سبق دراستها من السجل رقم 1046 أن ظروف البحر في الكثير من الأحيان كانت تضطرّ سفن الجزائر إلى التوقف بميناء حلق الواد ومكوّتهم بتونس إلى أن يهدأ البحر، وأحيانا لإصلاح ما لحق من عطب بالسفن، وعليه فإن ميناء حلق الواد كان حلقة مهمّة جداً في المعاملات الجزائرية نحو الباب العالي وحتى نحو المشرق للحج وغيره ويعتبر منطقة إستراتيجية في علاقات الجزائر السياسية والاقتصادية وأي توتر في العلاقات بين الإيالتين كان سينعكس سلباً بالدرجة الأولى على مصالح الجزائر، وبالتالي فالحفاظ على العلاقات هادئة وحسنة كان من المفروض أن يكون قاعدة المعاملات بين الجزائر وتونس وليس العكس.

- مجموع ما صرف لوكيل الحرج قدر بـ 11.377.03 ريال تونسي وهو مقدار معتبر كان مقسما بين هدايا عينية ومنحا مالية منحت له ولمن كان معه مثل الحاج محمد خوجة خال داي الجزائر الذي قدم من تركيا وكذا مسعود بن زكري سيار دار السلطان الذي قصد تونس لاستقبال وكيل الحرج والجند الجدد.

(1) هذا الجدول من إعداد الطالبة بناءً لما ورد في الدفتر الجبائي رقم 2144، ص ص 178-200.

(2) المصدر السابق ص 200.

-الكثير من الأمور التي ورد ذكرها في هذا المعروف وفي غيرها من الهدايا والتي كانت تصنع بتونس غير معروفة اليوم واندثر استعمالها وأصبحت من الإرث الماضي لذلك يجب الاستعانة بعلماء الآثار أثناء دراسة مثل هذه السجلات الأرشيفية لتوضيح ما عَسُرَ فَهْمُهُ.

#### سيارات دار السلطان مسعود بن زكري وأخاه:

-لقد شغل وظيفة سيار دار السلطان أو باي قسنطينة العديد من الشخصيات سبق التطرق لها في مبحث ممثلي حكام حكام الجزائر وقسنطينة بتونس، لذلك لن نكرر وظيفة هؤلاء المبعوثين، وسنكتفي هنا بشخصية ملفتة للانتباه، وهو الحاج مسعود بن زكري ومن كان قريبا منه، وذلك من أجل الوقوف على مقدار الهدايا والمنح المالية التي كان يستفيد منها هؤلاء السيارون.

-الشيء الآخر أن سيار دار السلطان أي الداي هو نفسه سيار باي قسنطينة، بل الأصل أنه سيار باي الغرب (أي قسنطينة). ومن ضمن مهامه كانت تسوية المسائل المتعلقة بدار السلطان، لأن هذه الإحصائيات التي سجلناها وردت في الجهة المخصصة للإحسانات المقدمة إلى باي قسنطينة، وهذا يدل على أن الحركة كانت حثيثة لهؤلاء المبعوثين نحو الحاضرة تونس لقرها من جهة ولتداخل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى.

-المهام الموكلة للسيار كانت متنوعة أحيانا عسكرية لاستلام المجندين القادمين من تركيا وأحيانا كثيرة لتسوية أمور سياسية أو اقتصادية تجارية، لكن السجل لا يفصح عن هذه المهام خاصة السياسية، بل ينقل ما أنفق على هذا السيار وأتباعه وخدامه فقط.

-نستنتج أنّ الحاج مسعود بن زكري ورفقائه ابن المسعي وعبد الله بن رابح، قد اشتغلوا بوظيفة السيار لمدة طويلة تقارب العشرين سنة أو أكثر. وكانت تصرف لهم مبالغ كبيرة وضيافات وإكراميات أثناء إقامتهم بتونس وهذا ما أثبتته وثائق الخارج لأهل الجزائر وقرصانها سابقة الذكر. فمكوثهم كان يستمر لشهر أو شهرين بتونس في بعض الأحيان، وطول هذه المدة كانت احتياجاتهم من مأكّل ومشرب وأمور أخرى على حساب تونس، إضافة إلى المنح المالية وأمور أخرى مثل البرنوس والشاشية وأسلحة يدوية الصنع.

-نلاحظ أن مهنة السيار كانت تتقاسم بين أفراد العائلة الواحدة، فأخ الحاج مسعود بن زكري وهو عبد الله كان ينوب أخاه في بعض المهام، كما ورد اسم السعدي ابن المسعي هو الآخر اشتغل سيارا في بعض الأوقات.

-ورد في سنة 1172هـ/1758م أن مسعود بن زكري كان بتونس وقت الهرج أي أنّ الأوضاع بتونس لم تكن على ما يُرام ورغم أنّ السّجل لا يفصح عن فحوى هذا الهرج، لكن يمكن الاستنتاج أنّه خلال هذه المدّة لم تكن الأمور قد استقرت بعد لأبناء الحسين اللذان استلما الحكم عام 1756م بمساعدة حكام الجزائر.

-نلاحظ بأن الإحسان الذي كان يقدم لمسعود بن زكري بدا ب300ريال ثم ارتفع إلى 400 ثم 450 ثم 490 ريال أي كان في زيادة مستمرة، هذا ناهيك عن الألبسة وأمور أخرى.

-الهدية التي منحت لمسعود بن زكري عام 1187هـ/1773م من جزأين الأول منها يبدو أنها هدية أرسلت لباي قسنطينة عن طريق السيار مسعود والجزء الثاني هو لباس منح لمسعود نفسه.

-علما أنّ السّجل يواصل ذكر مسعود بن زكري في مواضيع أخرى لكننا اكتفينا بهذا القدر بسبب الكثرة وتداخل المعلومات وأحيانا تكرارها.

### 3-3- نماذج من الإحسانات المقدمة إلى باي قسنطينة واليطري:

أ/ باي قسنطينة:

-مصروف الوطق<sup>(1)</sup>:

السنة	مكونات الهدية	قيمة الهدية بالريال
هذا المصروف خرج في شوال سنة 1177هـ/1763م	حق ألف واحدة وأربعماية ذراع بن زرتي لوطق بزوج ركائز هدية باي قسنطينة سعر الذراع 601 دون مائة وخمسة وستين مقطع زرق من دار الباشا في شوال التبتنية	392.01
	حق أربعة مقاطع صفاقسي مقصر لبارواز	20
	حق ألف واحدة وأربعماية ذراع بليدة لما ذكر	42
	حق تسعة أرطال قطن مغزولين لخياطة الوطق.	14.06
	حق أربعة وعشرين رطل ونصف سدوال لخياطة (كذا) ما ذكر	15

<sup>(1)</sup> وطاق: كلمة تركية، أوتاغ، أوطاق، أوتاق، يقصد بها الحجر، الغرفة، أطلقت في العهدين المملوكي والعثماني على الخيمة الكبيرة المعدة للعظماء، وكذلك أطلقت على الخيمة أو المعسكر المكون من عدة خيام، وتجمع الكلمة وطاقات، كما تعني أمتعة المعسكر. أنظر: حسان حلاق، عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية، ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية و الأيوبية و المملوكية (المصطلحات الإدارية و العسكرية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية و العائلية)، دار النهضة العربية، بيروت، 2009، ص234.

الفصل الثاني: صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و13هـ/ 18 ومطلع 19م)

		484.07
	حق ثمانية عصفور لما ذكر	05
	أجر ثمانية أطال قرنب للغرافي	04
	أجر ستة قفاطن كتاب للتناملات	09
	أجرت الخياط عشرين ريال	06
		522.07
	حق أربعة عشبي بندقي وزواق وفرق وفضة لطلاه عنق	107.00
	رمانى وترقيع زوج	
	حق اثني عشر مقطع فل لأربعة شكاير لتغليف الركائز	22
	متاع الوطق <sup>(1)</sup> .	

السنة	هدية باي الغرب	قيمة الهدية بالريال
هذه الهدية كانت في ربيع الأول سنة 1178هـ/1764م	حق ستة وستين مثقال ذهب ونصف ذهب سلطاني كما زوج حمايل دون سبيكة أجر الصايغ على مائة وستة ثمانين مثقال للحمايل المذكورة	498
	حق زوج حمايل مطروزين بالصارمة لمن ذكر وانجاصات وشرارب فضة وصارمة وزنهم أربعة عشر أوقية فضة سعر 50 الأوقية	126
	حق زوج حمايل مطروزين بالصارمة لمن ذكر وانجاصات وشرارب فضة وصارمة وزنهم أربعة عشر أوقية فضة سعر 50 الأوقية	180
	حق خمسة وستين مثقال ذهب سلطاني لزنبراك المذكور سعر المثقال 07	945
	حق اثنين وثلاثين حجرة ديامنت سعر الحجرة 13	453
	أجر الصايغ على ذلك	420
	حق سلسلة ذهب للزنبراك	120
		330

<sup>(1)</sup> الدفتر الجبائي رقم 2144، ص 188.

	حق حجار	2269
	[فارغة]	075
	أجر الصايغ	45
	حق زوجين ركاب حديد وأربعة وعشرين بندقي	191
	لتذهيبهم 156 وأجر التهذيب له ولاينه	2580
	حق رطين وستة أواق صارمة لإصلاح ستارة في العالي	369
	لسرج باي قسنطينة	
	حق أوقيتين وخمسة أكمام إلا ربع منه	16.06
	أجر القلفات على الستارة المذكورة	83
	حرجها	19
	حق سبعة أواق وثلاثة أكمام	45
	أجر القلفات عليهم وحرجهم منه	26
	حق رطين غير أوقية وثلاثة أثمان ونصف صارمة	198.06
	لستارت سرج ولد باي قسنطينة.	
	أجر القلفات وحرجها.	73
		3313
	حق ستة أواق ونصف الأربع مع صارمة وعزار	44.11
	للمسرج المذكور بنفس الصنعة	
	أجر القلفات وحرجهم	25
	حق البد لزوج سروج المذكورين	20
	حق زوج تراشح لهم <sup>(1)</sup> .	20
		3422.11

<sup>(1)</sup> الدفتر الجبائي رقم 2144، ص 189.

كمال هدية باي قسنطينة:

السنة	مكونات الهدية	قيمة الهدية بالريال
شعبان	حق ثلاثة أرطال وأحدا عشر أوقية وثمان مجرة سقطت لسرج أحمد باي قسنطينة	223
سنة	حق تسعة بنادق للتذهيب وزوارق وأجر الصايغ	101
1178هـ/1764م	حق أربعة أواق خيط فضة ومثلهم حرير لكسوت الدين والعزاري وتسعة حرير	32
	حق ركاب حديد واثنى عشر بندقي للتذهيب وأجرته لمن ذكر	95.06
	حق تسعة أذرع وثلاثة أكمام مذهب مشترا من محمد التاجوري لتكفال السرج المذكور	515.06
	حق ستة أواق وثمان ونصف فضة لقرايحة المذكور	39
	حق كساتك صارمة عمارت زوج قبور لما ذكر	18
	حق اصراح فضة وحرير للسرج المذكور	25
	حق شريط للقبو والفكارن	10
	حق اصراح حرير بالفضة لسرج ولد السيد أحمد باي قسنطينة	25
		1085
	حق ثلاثة أرطال وسبعة أواق وربع مجرة لسقط كامل السرج لابن المذكور	208.06
	حق تسعة بنادق لتذهيب وزواق وأجر الصايغ	98
	حق ثلاثة أواق فضة ومثلهم حرير كسوة الدين والعزاري للابن المذكور	22
	حق أربعة أرطال وعشرة أواق ونصف مجرة لركاب المذكور	279.06
	أجر الصايغ	51
	حق زوج مقاطع فل لتغليف زوج صناديق للهدية	03

08	حق زوج صرايح حديد وحزام للسرج الكبير <sup>(1)</sup> .
1765.06	

هدية لقسنطينة:

سرج متموم وصندوق به حيطي موبر ومائة وخمسين ذراع معهودة وأربعين سفساري جريدي وعشرين برنوس سنة 1184هـ/1770م<sup>(2)</sup>.

هدية أخرى:

أربعين سفساري، عشرين برنوس، سرج متموم سقطه فضة ستارته كبيرة تكفال مذهب على يد فريكح سنة 1189هـ/1775م<sup>(3)</sup>.

ب- هدية باي التيطري:

السنة	مكونات الهدية	قيمة الهدية بالريال
1171هـ/1757م	سرج متموم مصروف سقطه في حق ثلاثة أرطل وخمسة عشر أوقية وثلاثة أثمان ونصف مجره لل؟	230
	حق ستة بنادق للتذهيب	25.06
	حق زواق وأجر الصايغ	45
	حق أربعة أواق فضة ومثلهم حرير وأجره الذي ركب الفكارن للسرج.	23
	حق أذرع بني زرتي وستة جلود كوساله وحق فضله مسبغة لتبطين وأربعة مقاطع مقصر للباروزة، وحق أذرع بليده، لما ذكر وتسعة أرطال قطن بخياطته وخمسة عشر ذراع مشمع من بني زرتي وهذا كله لاصلاح وطق متموم بعث لباي تيطري <sup>(4)</sup> .	717

(1) الدفتر الجبائي رقم 2144، ص 190.

(2) نفسه، ص 197.

(3) نفسه، ص 202.

(4) نفسه، ص 250.

### ج- تحليل هدية باي قسنطينة واليطري:

يغلب على هدية باي قسنطينة "الوطق" أي الخيمة الكبيرة المصنوعة خصيصا للكراء، أي أن الخيمة التي كان يستعملها الباي أثناء سفره خارج المدينة كانت تصنع يدويا بتونس، وأوضح الدفتر أن كل لوازمها من كتاب خارجي وداخلي وتغليف الركائز أي أوتاد الخيمة، ومختلف التفاصيل الدقيقة والتي تدخل في صناعتها حتى الشكاير أي الأكياس المخصصة حفظ ونقل هذا الوطق كلها تنجز بتونس وتعتبر أهم شيء في الهدية المقدمة للباي.

- كما احتوت الهدية على السرج ولوازمه مثل مخزمة بلاسكة أي حزام جلدي يلف خصص الرجل ويحتوي على جيوب يوضع بها البارود أو الخنجر ولوازم البندقية ويدخل في صناعتها مقدار من الذهب.

- كما يغلب على هدية باي قسنطينة وجود دائما 40 سفساري جريدي والذي تلتحف به المرأة أثناء خروجها من البيت بمعنى أنه هدية مرسله لأهل الباي وربما حتى حاشيته، إضافة إلى 20 برنوس.

- إذا قورنت هدية داي الجزائر بباي قسنطينة، نجد أن هدية الداى الغالب عليها المواد الغذائية وعلى رأسها الزيت والزيتون إضافة إلى البرنوس والشاشية التونسية الفاخرة أي ملبوسات. أما هدية باي قسنطينة، فيغلب عليها ما يحتاجه الباي ويستعمله من خيم وسروج ولوازم أخرى يغلب على صناعتها الذهب والسفساري والبرنوس بمعنى لا يوجد مواد غذائية، لأن قسنطينة كانت من أغنى بايلكات الجزائر حبوبا وحيوانات، وبالتالي الباي ليس في حاجة إلى المواد الغذائية، ولكن يحتاج أموراً أخرى.

- ما كان يصرف من أموال على هدية الجزائر أكثر مما كان ينفق على هدية باي قسنطينة وهذا طبيعي لأن الداى كان يمثل مركز الحكم والحل والعقد بيده.

- ما كان ينفق على هدية باي قسنطينة أكثر بكثير على ما كان ينفق على هدية باي اليطري، فهدية باي المدية كانت ضئيلة ومرد ذلك إلى أن باي قسنطينة تربطه علاقات وطية بحكام تونس سياسية وتجارية بسبب تشابك المحيط الجغرافي والاجتماعي بين قسنطينة وتونس. أما باي المدية، فهو بعيد وعلاقاته بتونس تكاد لا تذكر، لذلك جاءت هديته بسيطة مقارنة بهدية باي قسنطينة.

### 3-4- نماذج من الإحسانات المقدمة إلى أطراف أخرى:

أ/ إلى بعض القبائل "الحنانشة"<sup>(1)</sup> أنموذجا:

استفادت عدة مجموعات قبيلة من الإحسانات المقدمة من طرف بايات تونس مثل أولاد سيدي يحيى بن طالب، وقرفة وأولاد عيسى، وأولاد بورنان ويأتي على رأس هذه القبائل الحنانشة التي حظيت بنصيب وافر من هذه الإحسانات<sup>(2)</sup> والجداول التالية توضح ذلك:

الجدول رقم 01: إحسانات (هدايا) عينية قدمها باي تونس لشيخ الحنانشة محمد بن سلطان عام 1175هـ/1761م<sup>(3)</sup>:

التاريخ	الإحسان (الهدية)	قيمة الإحسان بالريال
ربيع الأول 1175هـ/1761م	سرج وعزار	08
نفس التاريخ	رطلين واثني عشر أوقية ونصف فضة	118
نفس التاريخ	تسعة بنادق للتذهيب وزواق	60
نفس التاريخ	أوقيتين ونصف فضة وثلاثة أواق حرير كسوة الدين والعزار	23
نفس التاريخ	ركاب حرير واثني عشر بندقية للتذهيب	95
		المجموع:

<sup>(1)</sup> الحنانشة: هي من القبائل الحدودية بين الجزائر وتونس وكانت تشرف على 16 قبيلة خلال الحكم العثماني للجزائر وامتد نفوذها من سهول عنابة وقالة وسوق أهراس شمالا إلى منطقة الزيبان ونفطة بالجنوب، وبقيت هذه القبائل تحت سلطة شيخ الحنانشة على مدار ثلاثة قرون خلال الحكم العثماني للجزائر غير أن هذه المشيخة قد شهدت انقساما خلال القرن 17م بعد وفاة أحد شيوخها المدعو "خالد الصغير" بين ولديه البكر "نصّر" والأصغر "منصّر" شيخا على الحنانشة بدل أخيه الأكبر، وبذلك انقسمت مشيخة الحنانشة إلى فرعين متنافسين ولقد استغل كل من بايات قسنطينة وتونس هذا الانقسام ليجعلا من أحد الفرعين تابعا له ضد الآخر. للمزيد حول تاريخ هذه القبيلة أنظر:

-L. CH. Féraud, « les Harar seigneurs des Hanencha », R.A, volume 18, (1874), pp11-32.

وجملة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د. ط، 2015، ص155.

<sup>(2)</sup> هذه الإحسانات قُدمت من طرف أبناء الحسن محمد وعلي باي خلال النصف الثاني من القرن 12هـ/18م إلى شيخين تولا مشيخة الحنانشة وهما محمد بن سلطان من فرع "منصّر" وهو الشيخ العاشر على رأس المشيخة، والشيخ الآخر هو إبراهيم بن بوعزيز من فرع "نصر" وهو الشيخ الرابع عشر على المشيخة. أنظر: توفيق بن زرّة، إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ/1756م-1192هـ/1779م من خلال الدفترين 2144، ص9-10.

<sup>(3)</sup> الدفتر الجبائي رقم 2144، ص ص 221-224.

الجدول 02: إحسانات (هدايا) عينية قدمها باي تونس لشيخ ابراهيم بن بوعزيز بين 1174هـ/1760م-1187هـ/1773م<sup>(1)</sup>:

التاريخ	الإحسان (الهدية)	قيمة الإحسان بالريال
ربيع الأول 1174هـ/1760م	أربعة سروح	503
ذو الحجة 1174هـ/1760م	برنوس	68
ربيع الأول 1175هـ/161م	ركاب للسرج	95
رمضان 1175هـ/1761م	سرج متموم ميزان رطلين وثمانية أواق، وتسع بنادق للتذهيب	249
نفس التاريخ	ركاب حديد وستة بنادق للتذهيب	75
شعبان 1177هـ/1764م	300 حمل تمر ولأصحابه عشرين حمل تمر وسبعة عشر مطرز زيت قفصي وسبعة فناطر صابون	1546
جماد الثاني 1177هـ/1764م	رطل واحد وأوقيتين مجره لزناد	73
جماد الثاني 1184هـ/1768م	زوج صناديق مجلدين، زوج قفاطن موبر، زوج كبايات موبر ومثلهم فرامل ومثلهم حدادي، زوج برانس ملف بالفضة، زوج سراول كمخة، أربع صناديق مجلدين، سرج متموم	لم يذكر الثمن
شوال 1185هـ/1767م	300 حمل تمر من الجديد عادة الشيخ	923.4
ذو الحجة 1187هـ/1773م	سرج متموم، مجزومة، وبلاسكة، قفطان موبر، كباية موبر، سراول كمخة، جرملة صردية كمخة، برنوس ملف	لم يذكر الثمن
		المجموع

<sup>(1)</sup> الدفتر الجبائي رقم 2144، تاريخ 1170-1192هـ/1756-1779م، ص ص 210-220.

الجدول رقم 03: إحسانات (هدايا) عينية قدمها باي تونس لشيخ الحنانشة بوحفص بن إبراهيم بن بوعزيز بين (1191هـ-1194هـ/1777م-1780م)<sup>(1)</sup>

التاريخ	الإحسان (الهدية)	قيمة الإحسان بالريال
1191هـ/1777م	عشرين حمل تمر منهم 300 ريال عادة الشيخ بو حفص، هدية، ستارة موبرة، سقطة، ركاب مذهب.	1108
1192هـ/1778م	عادة الشيخ بوحفص	1099
1194هـ/1780م	أجر الطابع على ضمان طابع للشيخ بوحفص	32
		المجموع: 2239 ريال

ب/ تحليل هذه الإحسانات:

-الملاحظة الأولى والأبرز أنّ الإحسانات المقدمة إلى الشيخ محمد بن سلطان من فرع منصر كانت قليلة وقدرت بـ304 ريال خلال سنة 1175هـ/1761م، أما الإحسانات المقدمة إلى إبراهيم بن بوعزيز من فرع نصر خلال نفس السنة فقدت بـ:419ريال.

-الملاحظة الثانية أن الهدايا العينية المقدمة إلى محمد بن سلطان كانت خلال سنة واحدة فقط وهي عام 1175هـ/1761م، أما الهدايا المقدمة إلى إبراهيم بن بوعزيز فقد استمرت على مدار ثلاثة عشر سنة من 1174هـ/1760م إلى 1187هـ/1773م، وقيمة الهدايا العينية خلال هذه المرحلة قدرت بـ:3532.4ريال هذا عدا الإحسانات التي لم يذكر ثمنها كاتب السجل، وهذا مقدار كبير من الهدايا كان يصلهم، علما أن فرع نصر "الابن الأكبر" من الحنانشة الذي ينحدر منه إبراهيم بن بوعزيز وابنه بوحفص قد توارثا مشيخة القبيلة لأربعين سنة (إبراهيم بين 1755-1772م) وابنه (بوحفص بين 1772-1792م)<sup>(2)</sup> وهذا ما سمح لهم بتكوين شبكة من العلاقات النافذة مع بايات قسنطينة وتونس على حد سواء.

(1) الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر الجبائي رقم 2145، تاريخ 1191-1197هـ/1777-1783م، صص 168-170.

(2) يعقوب خديجة، شيوخ قبيلة الحنانشة خلال القرن الثامن عشر: إبراهيم بن بوعزيز وابنه بوحفص (1755-1795م)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، المجلد 13، ع26، سنة 2021، ص62.

- استفاد الشيخ بو حفص بن إبراهيم من هدايا قدرها 2239 ريال<sup>(1)</sup> في حين لم يتبين أن أبا محمد بن سلطان قد أصبح مسؤولاً على فرعه بعد والده، رغم أنه تحصل على إحسانات عام 1175هـ/1761م قيمتها 198 ريال.<sup>(2)</sup>

- هذا إضافة إلى هدايا عينية وحتى أموالا كان يستفيد منها أتباع وخدام وسيارة ونساء شيخ الحنانشة، عندما يقصدون تونس بغرض التجارة أو العلاج أو للتسوق أو مروراً إلى الحج، لكن المكان لا يتسع إلى مثل هذه الهدايا ذات القوائم الطويلة خاصة في السجل رقم 2144.

- علماً أن الحنانشة تاريخياً قد تقاسموا إدارة بايلك الشرق رفقة الباي وشيخ العرب منذ خروج قسنطينة من حكم الحفصيين واستقرار العثمانيين بها سنة 975هـ/1568م وتعاهدوا على ذلك، ومن حينها جرت العادة أن باي قسنطينة هو أول من يلبس خلعة الولاية (القفطان) عندما يصله من داي الجزائر ثم يبعث به إلى شيخ العرب وبعده إلى شيخ الحنانشة<sup>(3)</sup>. فهذه الشرعية البيانية على إدارة المناطق الحدودية الشرقية للجزائر مكتب قبيلة الحنانشة مبكراً من السيطرة على قبائل التحوم ولعب دور قبيلة المخزن بامتياز.

- كما استطاع الحنانشة مبكراً من ربط علاقات مصاهرة مع بايات تونس منذ العهد المرادي، فعلي باي بن مراد الثاني فر إلى قسنطينة سنة 1086هـ/1676م أثناء الحرب المرادية مع أخيه محمد علي السلطة، ولما استقر به المقام تزوج ابنة شيخ الحنانشة "سلطان بن منصر"، وأنجبت له ولداً مراد باي الثالث المعروف "بيو بالة"<sup>(4)</sup>، ومؤسس الأسرة الحسنية حسن بن علي هو الآخر كانت زوجته الأولى "الغزالية" والتي لم تنجب له أولاداً تنحدر من قبيلة الحنانشة<sup>(5)</sup>. وتزوج ابنه محمد باي الرشيد هو الآخر من ابنة خاله الغزالي، علماً أن الغزالية هذه هي زوجة أبيه ومن باب الاحترام السائد اعتبارها أم الرشيد من طرف المؤرخ الصغير بن يوسف<sup>(6)</sup>، كما تزوج علي باشا عام 1140هـ/1728م - أثناء فراره

(1) الدفتر الجبائي رقم 2144، ص ص 168-170.

(2) توفيق بن زرقة، إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة، ص 19.

(3) أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص ص 20-27.

(4) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص 49.

(5) محمد فوزي المستغامي، بلاط باردو زمن حمودة باشا (1782-1814)، ج 1، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، السنة الجامعية 2006-2007، ص 88.

(6) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 4، ص 144.

إلى الجزائر عندما خَسِرَ الحرب مع عمه حسين بن علي في جولتها الأولى- من ابنة سلطان بن عمار من فرع منصر، لكنه قتله بعدها رفقة أخيه أحمد الصغير<sup>(1)</sup>.

ومن هنا نستنتج أن بايات تونس ربطتهم علاقات مصاهرة قوية مع شيوخ الحنانشة خلال القرن 17م و18م ولم ينشأ ذلك التقارب اعتباطاً، بل لإطلاعهم على قوة ونفوذ ومكانة هذه القبيلة التي استطاعت أن تنسج شبكة من العلاقات السياسية مع بايات قسنطينة وكل ذلك حَوْلها لعب دور قبائل المخزن بامتياز بسبب توزعها على مساحات واسعة من الأراضي الخصبة التي تزود البايك بالحبوب والحيوانات وكذا بجحافل من الفرسان المستعدة دائماً لإخماد الثورات الداخلية وهذا ما أكده الرحالة بيصونال (peyssonnell) عندما زار قسنطينة عام 1724م قائلاً: "...السلطان بو عزيز هو شيخ وطن الحنانشة الذي يقع على الحدود الجزائرية التونسية بنوميديا ويمتد حتى الصحراء، هو من بيت قدس مهاجا في وسطه، وأخضع آخرين، كان دائماً يدفع بقوة الأتراك، وهو غالباً في حرب ضد باي تونس أو باي قسنطينة، وكان قويا ويستطيع تجميع ثمانية آلاف فارس ويلقبه الحنانشة بالسلطان"<sup>(2)</sup>. ولاشك في أن هذه القوة التي كانت تتمتع بها هذه القبيلة هي التي جعلت بايات تونس تخشى سطوتها وتطلب ودها ورضاهها وإغراقها أكثر من غيرها بالهدايا والاحسانات.

-إضافة إلى الدور الجيو سياسي الذي لعبته قبيلة الحنانشة على طول الشريط التخومي لإيالة الجزائر مع تونس. كان لها دور آخر اقتصادي لا يقل أهمية، تمثل في ربط البلدين بمراكز الإنتاج والتسويق للحبوب والحيوانات التي كانت تشرف عليها قبيلة الحنانشة مباشرة، وتمثلت هذه المراكز في ثلاثة محاور رئيسية هي:

1-منطقة الساحل بالشمال حيث شكل الباستيون<sup>(3)</sup> وطبرقة<sup>(4)</sup> جهة تجارية منفتحة على المتوسط. ولقد كان العالم الألماني هابنسترايت (j. E. Hebenstreit) شاهداً أثناء رحلته من الجزائر إلى تونس

(1) L.Ch. Féraud, "les Harar seigneurs des Hanencha", Revue Africaine, volume 18, (1874), pp394-395.

(2) Peyssonnel et Desfontaines, *voyages dans la régence de Tunis et Alger*, publié par M.Dureau de la Malle. Gide, Paris, 1838, p293.

(3) باستيون فرنسا أو حصن فرنسا أو مراكز القالة هو حصن بنيت به مخازن ووضعت به الشركة الإفريقية الفرنسية حاكما معه حامية صغيرة للدفاع عن الحصن وحماية المواشي الموجودة في المراعي المجاورة والحراسة العربات التي تخرج إلى الجهات القريبة من الحصن للبحث عن الحطب وجلب الأقوات. أنظر: ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، هامش ص85.

(4) جزيرة طبرقة تقع قبالة مدينة طبرقة، استولى عليها خير الدين قم قايسى بها الجنوبيين مقابل إطلاق سراح مساعده دارغوث باشا عام 151م ومنذ ذلك التاريخ أصبحت تحت حكم آل لومو لبني إحدى العائلات الكبرى بجنوة لمدة قرنين حيث اهتموا بدفاعات الحصن، وعملوا على صيد المرجان وتصديره مع الحبوب، قام علي باشا باي تونس بطردهم منه عام 1741م، ومنحه للفرنسيون الذين أنشأوا مركز تجاري به سنة 1781م. أنظر: هابنسترايت، المصدر السابق هامش ص97. علماً أنه عندما مر به هذا العالم الألماني عام 1739م كان لا يزال هذا الحصن تحت حكم الجنوبيين.

خلال صائفة 1732م عندما شن شيخ الحنانشة إحدى غاراته على حصن القالة، فصور المشهد قائلاً: "...وفي الوقت الحالي فإن موقع حصن القالة يعيش حالة من التوتر الشديد تسبب فيه العرب البدو بقيادة بوعزيز... فهو يمارس كل أنواع الإجرام في البلاد حتى يستطيع أن يوفر لباي قسنطينة ثلاثين ألف قرش التي تعهد له بها مقابل احتفاظه بمنصبه كقائد لقبيلته، وبالفعل فقد تمكن قبل وصولنا بفترة قصيرة من الاستحواذ على مواشي العرب المتعاملين مع الشركة الإفريقية..."<sup>(1)</sup>.

2- منطقة التل بالوسط التي امتدت من ضواحي قسنطينة إلى تبرسق بتونس وهي منطقة تميزت بنشاط فلاحي قائم على زراعة الحبوب وبمجالات رعوية واسعة تنقلت عبرها مجموعات، وهذا ما أكده كل من بايسونال قائلاً: "...تلك الدول غزيرة وكثيفة الحبوب... وعند حصادها تنتشر الأحصنة والإبل للرعي بين بقايا التين"<sup>(2)</sup> "... وفانتور دي برادي قائلاً: "...أحسن الحبوب والسنبلة التي تحمل أكبر عدد من الحب هو الذي في مقاطعة قسنطينة"<sup>(3)</sup> "... وهذه كلها شهادات لعلماء ورحالة أجانب وقفوا على ثراء بايلك الشرق الجزائري بالحبوب وهي مصدر غذاء مهم ومصدر دخل أهم بعد تصديره.

3- منطقة الواحات بالجنوب حيث الزاب الشرقي ومنطقة الجريد، فهي منطقة تبادل تجاري مهم جدا بسبب مرور القوافل التجارية والحجية بها حيث تُقام أسواقا بها لتبادل التمور والحبوب والقماش. وبحكم سيطرة قبيلة الحنانشة على هذه المحاور الثلاثة استطاعت أن تضم أدوارا اقتصادية أبقتهما ضمن معادلة السلطتين الجزائرية والتونسية، وفتحت لها قنوات لمداخيل مالية معتبرة وشبه قارة كانت تصلها تباعا من بايات تونس تحت مسميات الهدايا والإحسانات<sup>(4)</sup>

### خاتمة الفصل الثاني:

نستنتج أنّ الجزائر كانت حاضرة وبقوة في مختلف المعاملات التجارية التي كان يقوم بها ممثلوها ووكلاؤها على التراب التونسي؛ خاصة بين قسنطينة و أسواق تونس، وهذا ما شهدت به تقديرات السجلات الجبائية التونسية، كما أنّ العلاقات الاقتصادية بين الإيالتين كانت قوية و متداخلة خاصة فيما يخص المبادلات التجارية و عمليات البيع و التسوق اليومية لسكان المدن الحدودية و التي لم تتأثر كثيراً بتوتر العلاقات السياسية بين البلدين.

(1) هابسترايت، المصدر السابق، ص96.

(2) Peyssonnel, op.cit, p276-277.

(3) Venture de paradis, op ,cit , p22.

(4) توفيق بن زردة، إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة، ص 12-13.

و استمرت القوافل التجارية الشهيرة التي كانت تقطع الحدود بين قسنطينة و تونس كل شهرٍ مُحملةً بمختلف البضائع. وشهدت نفس السجلات الأرشيفية عن حجم الإحسانات و الهدايا التي كانت تصل إلى عدّة شخصيات بالجزائر من طرف حكام تونس خلال النصف الثاني من القرن 12هـ/18م، عن متانة العلائق التي جمعت حكام تونس و الجزائر خلال نفس الفترة، لكن تلك الإحسانات توقفت مع مطلع القرن 13هـ/19م، و بتوقفها تتجدد الصراعات بين حكام الإيالتين.

لم تتوسع المصادر التونسية التي اعتمدها إلى حجم الهدايا و الإحسانات، و لا إلى الأطراف المستفيدة منها مثل السجلات الأرشيفية؛ لكن المثبت بين ثنايا تلك المصادر التاريخية هو ذلك الشعور بالسخط و الامتعاض و الاعتراض من حجم و كثرة تلك الهدايا الموجهة نحو الجزائر و خاصة ابن أبي الضياف الذي نقل لنا حواراً دار بين حمودة باشا و رجال ديوانه كان والده أحد الحاضرين به، حيث قال: "... و جمع رجال دولته و كلمهم في هذا الامر، فقال له وزيره.. أبو عبد الله محمد الأصرم: « نساعد أحوالنا و لا نقطع سياستنا، فانها أحسن من الحرب »، فقال له الوزير يوسف صاحب الطابع: « عظم الأمر و اتسع الخرق، و المساعدة هي التي أوصلتنا لهذه الدرجة من المعرة، فإن سيدنا سمسار لصاحب الجزائر، و ليته وقف عند السمسرة، بل هو محكوم عليه بأداء مال معين، و دفعه بظلم رعيته كدفعه من خزانته » .. سمعت ذلك من والدي، و من الوزير أبي الربيع سليمان كاهية الثاني..."<sup>(1)</sup>، فمثل هذا الحوار يكشف عن معارضة السلطة الحاكمة بتونس لتلك الهدايا و الإحسانات، و هي ملاحظة انفراد بها صاحب الإتحاف دون غيره، لأن هذه الهدايا بدأت تمنح للجزائرين خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أي بعد وصول أبناء الحسين إلى الحكم، أما قبل ذلك فلم تكن موجودة.

كما أنّ حمودة باشا هو أول من اعترض عليها، أما والده قبله فكان يمنحها عن طيب خاطر.

<sup>(1)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، صص 4-41.

الفصل الثالث: صور من العلاقات  
الاجتماعية بين الإيالتين خلال القرنين  
(12-13هـ/18- و مطلع 19م)

الفصل الثالث: صور من العلاقات الاجتماعية بين الإيالتين خلال القرنين (12-  
13هـ/18 و مطلع 19م)

المبحث الأول: الهجرة السكانية بين الجزائر وتونس

المبحث الثاني: نماذج لهجرة بعض العائلات المتنفذة بين الإيالتين (آل الرّصاع وآل قدودة)

المبحث الثالث: لجوء أطراف الصراع داخل البيت الحسيني التونسي إلى الجزائر:

المبحث الرابع: نماذج لهروب عكسي من الجزائر نحو تونس (محلة عسكرية و قبيلة حدودية)

المبحث الخامس: كرونولوجيا أوبئة الطاعون في الجزائر خلال القرنين (12 و13هـ/  
18 و مطلع 19م):

شكّل اتّساع رُقعة العالم الإسلامي (الخِلافة العُثمانيّة) التي بلغت أقصاها مع مطلع القرن 17م (حوالي 2 مليون، و500 ألف كم<sup>2</sup>)؛ والتي ضَمّت ثلاثة أرباع مِحيط البحر المتوسط<sup>(1)</sup>، مع تنوعها وسُهولة الانتقال من منطِقة إلى أخرى داخلها عوامل مُشجّعة على ترحال الأفراد وباعدادٍ كبيرة بحثاً عن العمل والرّزق أو رغبةً في إشباع نهم العِلْم والثّقافة أو من أجل أداء فريضة الحجّ، أو هروباً من واقعٍ سياسيٍّ صعب و أوضاعٍ اقتصاديةٍ ضاغطةٍ وكلُّ هذه البواعث دفعت مجموعاتٍ كبيرةٍ من الأفراد إلى الإقامة الطويلة نسبياً أو النهائيّة في ولاياتٍ أخرى<sup>(2)</sup>.

### المبحث الأول: الهجرة السكانية بين الجزائر و تونس

تُعتبر منطقة التحوّم الحدودية بين الجزائر و تونس من أهم المناطق و أكثرها حيويةً لتنقل السُكّان المستمر و بشكلٍ يومي وهذا ما ينطبق على موضوع دراستنا وهو الهجرة السكانية المتبادلة بين الجزائر و تونس.

#### 1-1- هجرة الجزائريين نحو تونس:

بعد التحاق الإيالتين بالدولة العُثمانيّة خلال القرن 10هـ/16م وحتى قبّله، استقرّ العديّد من الجزائريين بتونس العاصمة وكذا بحدودها الغربية، وهي التحوّم التي كان يترادها الكثير من القبائل ذات التّبعيّة المزدوجة للإيالتين؛ مثل الشنانفة والنمامشة و خاصة الحنانشة وبذلك تكوّنت مجموعاتٍ سكانيةٍ قديمةً من الجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران وأهل سُوف و الورقليّة الذين سَكَنُوا الحاضرة تونس وامتّهُنوا حرفاً متنوّعةً. ونفس الشيء حَدَثَ جنوباً على الحدود بالجرید<sup>(3)</sup> التونسي التي كانت مقصداً أهل توات القادِمين بالقوافل التجاريّة بإتجاه تُوُرز أو قفصة أو غدامس.

وقد بلغ عددُ الجزائريين بتونس حوالي الألف نسمة زمن حُسين بن علي مَطَّلَع القرن 12هـ/18م، واشتغل بعضهم في الوظائف العلميّة والدّينيّة؛ مثل الشّيخ عاشور القسنطيني المدرّس بجامع الرّينويّة ومُحمّد الشّريف الحسني المدرّس بالجامع الأعظم بتونس ثمّ القاضي بماطر، وعبدُ الله مُحمّد القسنطيني ومُحمّد العنابي والحامسي بينزرت والدّيزيري بتونس<sup>(4)</sup>.

(1) أندري ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر لطيف فرج، دار الفكر القاهرة، 1991 ص 36.

(2) نفسه، ص 40.

(3) تقع منطقة الجريد على الحدود الجنوبية الغربية لتونس وتحتوي على عدد هام من الواحات أهمها (تورز، نفطة، الحامة، الوديان دقاش...) وهي مناطق ريفية عرفت ازدهارا اقتصاديا خلال العهد الحديث وتواصل إلى منتصف القرن 19م، بسبب غراسة النخيل، وازدهار صناعة النسيج التقليدية وكذا = نشاط التجارة الصحراوية. ينظر: جمال بن الطاهر، المرجع السابق، ص 233. أنظر كذلك: الملحق رقم 6 الذي يتضمن خريطة جغرافية لتونس خلال القرن 18 م.

(4) مختار الباي، حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية، تر البشير بن سلامة، ط 1، دار الأطلسية للنشر، تونس، 2009م، صص 385-386.

كَمَا رَصَدَتْ وَتَأْتِقُ الْأَوْقَافُ<sup>(1)</sup> التُّونِسِيَّةَ الَّتِي تَعُودُ إِلَى الْفَتْرَةِ الْمُمْتَدَّةِ بَيْنَ سَنَتَيْ 1704م إِلَى 1782م مَا يُحْمَلُهُ سِتَّةَ عَشَرَ عَدْلًا<sup>(2)</sup> مِمَّنْ كَانَ يُرَافِقُ الْقَاضِي فِي مَهَامِهِ الْيَوْمِيَّةِ وَالَّتِي حَازَتْ عَائِلَةً الرِّصَاعَ ذَاتَ الْأُصُولِ الْجَزَائِرِيَّةِ فِيهَا عَلَى إِنْنَا عَشْرَةَ إِسْمَاءً وَالْبَاقِي مُوزَعٌ عَلَى عُدُولٍ يَنْحَدِرُونَ مِنْ عَنَابَةِ وَقَسَنْطِينَةِ وَمَنْطِقَةِ الْأُورَاسِ<sup>(3)</sup>.

وَعَيْرُهُمْ كَثِيرٌ مِمَّنْ ذَكَرْتَهُمْ وَتَأْتِقُ الْحُبُوسُ أَوْ الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةَ بِالِاسْمِ أَوْ الْكُنْيَةِ فَقَط. وَلَمْ يَجِدْ لِأَعْلِبِهِمْ تَعْرِيفًا فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ؛ هَذَا إِضَافَةً إِلَى الْخُطَطِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي تَقْلَدُهَا عَدَدٌ مِنَ الْجَزَائِرِيِّينَ بَتُونَسِ. كَمَا بَرَعَ آخَرُونَ فِي مَيَادِينِ أُخْرَى مِنَ الْحِرْفِ مِثْلُ: الْخِيَاطَةِ الَّتِي إِمْتَهَنَهَا الْقَادِمُونَ مِنْ عَنَابَةِ وَقَسَنْطِينَةِ وَعَرَفُوا بِاتِّقَائِهِمْ لَهَا<sup>(4)</sup>، مِثْلُ الشَّيْخِ أَحْمَدِ الْبِرَانِسِيِّ الْجَزَائِرِيِّ، الْعَالِمِ الْجَلِيلِ الَّذِي اسْتَوَظَنَ تُونَسَ وَإِمْتَهَنَ خِيَاطَةَ الْبِرَانِسِيِّ وَتُوِّفِيَ بِهَا عَامَ 1783م<sup>(5)</sup>. كَمَا إِنْحَدَرَ عَدَدٌ آخَرَ مِنْ زَوَاوَةِ وَمِيزَابِ وَالْجَزَائِرِ وَصَنَهَاجَةَ وَوَهْرَانَ وَمُسْتَعَانَمْ وَاشْتَعَلُوا بِحِرْفِ مُنْتَوَعَةٍ دَاخِلِ الْحَاضِرَةِ تُونَسَ وَحَتَّى خَارِجَهَا<sup>(6)</sup>.

هَذَا عَنِ الْحِرْفِيِّينَ، أَمَّا عَنِ فِئَةِ "رِجَالِ الْمَخْزَنِ"<sup>(7)</sup> الَّذِينَ تَحَالَفُوا وَتَعَاوَنُوا مَعَ السُّلْطَةِ التُّونِسِيَّةِ خِلَالَ الْقَرْنِ 12هـ/18م، مُقَابِلِ إِمْتِيَازَاتٍ وَإِعْفَاءَاتٍ ضَرِيْبِيَّةٍ تَمْتَعُوا بِهَا فَقَدْ تَمَّ رِصْدُ مَا نِسْبَتُهُ 10% يَنْحَدِرُونَ مِنْ تِلْمِسَانَ مِنْ أَصْلٍ 71% مِنْ رِجَالِ الْمَخْزَنِ ذَوِي الْأُصُولِ الْحَلِيَّةِ وَ19% مِنَ الْعُنَاصِرِ الْأَجْنِبِيَّةِ

(1) هي مجموعة من وثائق الأوقاف التي حُبست على مؤسسات وقفية دينية وعلمية (مساجد، مدارس...) وهي من إنشاء حسين بن علي وعلي باشا، تغطي النصف الأول من القرن 18م وهي موزعة على ثلاثة دفاتر أرشيفية هي: (الأول غير مرقم ويسمى بدفتر عام 1125هـ/1713م، والثاني كذلك غير مرقم ويسمى بدفتر عام 1143هـ/1730م وكلاهما يشملان فترة حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية. و الدفتر الثالث يحمل رقم 3992 ويحتوي على وقفيات تعود للقرن 17 و 18 و 19م). أنظر: أحمد السعداوي، تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا، ص 3-6.

(2) وهو الشاهد، العدل، الموثق الذي يُساعد القاضي في مهامه ومنها كتابة رسوم الأوقاف، ويشترط فيه أن يكون عالماً بفقهِ الوثائق وتطلب خطة العدالة هذه تكوين متين في الفقه واللغة ثم الجلوس للعمل في خطة عدل الإِشهاد في المعاملات بين الناس وتحرير الحجج والرسوم والوثائق. وهناك من جمع بين خطة عدل ووظائف أخرى كالتدريس والقضاء والإفتاء لأن ذلك يُدْرُ مدخولاً إضافي لا بأس به على صاحبه. أنظر: أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص 108-109.

(3) أنظر الجدول الذي يتضمن أسماء هؤلاء العدول في المبحث القادم من هذا الفصل .

(4) كريم بن بَدْر، المرجع السابق، ص 80.

(5) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 4، ج 7، ص 13. أنظر كذلك: محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف، ج 2، ص 182. وهناك ترجمة وافية للشَّيْخِ أَحْمَدِ الْبِرَانِسِيِّ فِي أَوَّلِ مَبْحَثٍ مِنَ الْفَصْلِ الثَّقَافِيِّ مِنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ.

(6) كريم بن بَدْر، الحرف والحرفيون، ص 81-82.

(7) تعتمد الوثائق الأرشيفية والمصنفات الإِجبارِيَّةُ إِلَى اسْتِعْمَالِ عِبَارَةِ "الْمَخْزَنِ" لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْفَنَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ بِخِدْمَةِ الْبَلَاطِ، فَهُوَ بِمِثَابَةِ جِهَازٍ يَسْهَرُ عَلَى تَوْفِيرِ الْأَمْنِ بِالْمَدَنِ وَالْأَرْيَافِ، فَالْمَخْزَانِيُّ إِذْنُ هُوَ الَّذِي يَقْدَمُ خِدْمَةَ لِلْمَخْزَنِ. أنظر: المهدي جراد، عائلات المخزن بالإيالة التونسية خلال العهد الحسيني (1705-1881)، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، تونس، 2011، ص 55.

(أترك، أعلاج، ممالك)<sup>(1)</sup>. وعليه فقد شكّل التلمسانيون ذوي الأصول الجزائرية جزءاً لا يُستهانُ به من فئة رجال المخزن المتعاونين مع السلطة بتونس ولمدة طويلة.

أما فئة القبائلية فقد شكّلوا ما يُعرف بـ "عسكر زواوة"<sup>(2)</sup> المشهورين ببأسهم، وقوتهم، وكانوا سنداً قوياً شدّ أزر البايات الحسينيين واعتمدوا عليهم في استتباب الأمن<sup>(3)</sup>، وهم كما وصفهم ابن أبي الضياف: "من أعظم قبائل البربر وأشدهم بأساً، حتى أن جبلهم لم تصله يد الترك بالجزائر... شجاعتهم لا يستطيع المنكر جحدها"<sup>(4)</sup>. وأول من طعم الجيش التونسي بعسكر زواوة بشكل دائم ومنظم "حمودة باشا" المرادي (حكم بين 1631-1666م) الذي اتخذ منهم فرساناً كحرس خاص به<sup>(5)</sup>، ومُنذ ذلك الوقت أصبح عسكر زواوة يعتمد عليه في الحروب الداخلية والخارجية، وحراسة قصر باردو وبعض الحصون والقلاع والأبراج مثل (الجبل الأخضر وطبرقة والجريد وجربة) كما شارك في الجباية<sup>(6)</sup>.

واستعان بهم "حمودة باشا الحسيني" (1782-1814م) في عدة حروب، مثل الحرب ضد طرابلس عام 1794م والحرب مع الجزائر عام 1807م<sup>(7)</sup>، وكوّن منهم حرساً شخصياً وأعطاهم أجراً وامتيازاتٍ مُقابل حماية القصر والحصون<sup>(8)</sup>. وازداد نفوذ عسكر زواوة مع مطلع القرن 19م خاصةً، بعد تمرد الجيش الانكشاري بتونس عام 1811م و1816م<sup>(9)</sup>، ثم إنكمش نفوذهم وتضاءل شيئاً فشيئاً أواسط القرن 19م<sup>(10)</sup>.

<sup>(1)</sup> هذه الإحصائيات استنتج خرجت به الطالبة من خلال معطيات احصائية لرجال المخزن المتعاونين مع السلطة حسب الأصل الجغرافي وردت في كتاب عائلات المخزن لمهدي جراد، ص 241.

<sup>(2)</sup> أثناء فتح تونس ترك علي باشا في تونس ثمانمائة من زواوة و مع مرور الوقت نعى هذا الجيش و تكاثر بتونس و أصبح يُعرف بجيش زواوة، أنظر، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 164.

<sup>(3)</sup> المختار باي، المرجع السابق، ص 386.

<sup>(4)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 3، ص 157.

<sup>(5)</sup> ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 222.

<sup>(6)</sup> جمال بن طاهر، المرجع السابق، ص 66.

<sup>(7)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 3، صص 33-34 و 61.

<sup>(8)</sup> نفسه، ج 3، صص 121، 225.

<sup>(9)</sup> نفسه، ج 3، ص 75.

<sup>(10)</sup> جمال بن طاهر، المرجع السابق، ص 67.

## 1-2- هجرة التونسيين نحو الجزائر:

كما استقطبت تونس عدداً معتبراً من الجزائريين؛ جذبت الجزائر هي الأخرى شريحةً معتبرةً من التجار التونسيين خاصةً العنصر الجربي الذي انتظم في جماعة خاصة به وسكنوا منطقةً سميت بزقمة الجرابية بمدينة الجزائر. وكان النشاط الأبرز لهذه الفئة؛ ممارسة التجارة الدولية عبر ميناء الجزائر وتميزوا به كثيراً خاصةً في الفترة الممتدة بين (1686-1791م).

وتم إحصاء خمسة عشر عقداً بأسماء تونسيين<sup>(1)</sup> ضمن وثائق القنصلية الفرنسية<sup>(2)</sup>، وثلاثة وعشرين تاجراً من جزيرة<sup>(3)</sup> ينشطون بميناء مدينة الجزائر. كما شكلوا جماعة يرأسها زعيم يعمل في مجال التجارة بمدينة عنابة القريبة جداً من تونس<sup>(4)</sup>. ولاشك أنه إضافةً إلى فئة العلماء والتجار الذين أشارت لهم المصادر الإخبارية والوثائق الأرشيفية بشكل عابر، هناك شريحة أخرى من عامة الناس التي دفعتها الظروف إلى الترحال بين الجزائر وتونس من أجل لقمة العيش أو المصاهرة لكنها غابت عن الذكر والتصنيف لأنها ليست ذات أهمية كبيرة.

### المبحث الثاني: نماذج لهجرة بعض العائلات المنتفذة بين الإيالتين (آل الرصاع وآل قدورة):

لاشك أن نمة الكثير من العائلات التي نزلت بين الإيالتين في الفترة الحديثة، وأثارت الاستفزاز خارج الوطن، وبرز العديد من أفرادها في مجال العلم (كمدريسين، وقضاة ومفتيين) أو في مجال الطرق الصوفية كتدعيم طريقة بعينها ونشر أوراها وتوسيع دائرة مديها، أو في مجال الحرف والتجارة، لكن لا نستطيع أن نحصيها جميعها لأن ذلك يصلح دراسة قائمة بذاتها هذا من جهة ومن جهة أخرى لأن المصادر الإخبارية لم تتوسع في هذا المجال واكتفت بذكر عدد قليل منها لذلك سنكتفي بذكر

<sup>(1)</sup> من بين هؤلاء التجار على سبيل المثال الحاج سليمان بن التونسي عام 1707م، وصالح بن ثابت الجربي عام 1727م والحاج القاسم بن مشيش عام 1772. حول نشاط هذه الفئة بمدينة الجزائر أنظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، ص 54.

<sup>(2)</sup> نقلا عن عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 34. التي استندت إلى سجلات القنصلية الفرنسية والتي تضم أزيد من أربعين سجلا على شكل ميكروفيلم.

-C.A.O.M . Archives du consulat de France à Alger, 45 MIL à 24.

<sup>(3)</sup> تميزت جزيرة جربة بنشاطها التجاري خلال القرن 18م كما لعبت فئة الجرابية دورا متميزا في النشاط التجاري خاصة مع الزيت والشمع وبرزت في هذا النشاط العديد من العائلات الجربية. حول نشاط هذه الفئة أنظر:

- (A). RAYMOND. « Tunisiens et maghrébins au XVIII Siècle », Les cahiers du Tunisie, N 26-27, 1959.

- وكذا: عبد الرحمن عبد الرحمان، المغاربة في مصر في العهد العثماني 1517-1798، دراسة في تأثير الجالية المغربية، منشورات المجلة التاريخية المغربية، العدد 25-26، ديوان المطبوعات الجزائرية، تونس، 1982. ص 161.

<sup>(4)</sup> (A) , Devoulx, Tachrifat, recueil de note historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger , imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p45.

عَيْنَتَيْنِ لِعَائِلَتَيْنِ لَعَبَتَا أَدْوَارًا بَارِزَةً فِي الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، كَمَا كَانَ لَهُمَا تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ فِي الْجَانِبِ السِّيَاسِيِّ بِسَبَبِ قُرْبِهِمَا مِنَ السُّلْطَةِ وَلِمُدَّةِ طَوِيلَةٍ لِأَنَّ الْوُظَائِفَ كَانَتْ تَتَوَارَثُ دَاخِلَ هَذِهِ الْعَائِلَاتِ بَيْنَ الْأَجْيَالِ.

## 2-1- عَائِلَةُ آلِ الرَّصَاعِ مِنْ تِلْمَسَانَ إِلَى تُونِسَ:

تُعَدُّ عَائِلَةُ الرَّصَاعِ<sup>(1)</sup> مِنْ أَعْرَقِ عَائِلَاتِ مَدِينَةِ تُونِسَ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ وَحَتَّى قَبْلَهُ وَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَحْتَكِرَ مَنَاصِبَ عِلْمِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ رَدْحًا مِنْ الزَّمَنِ؛ وَبِغِ مَنَاهَا نُحْبَةُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَفْذَادِ، وَهِيَ مِنَ الْعَائِلَاتِ الْمَغَارِبِيَّةِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي نَجَحَتْ فِي الْإِنْدِمَاجِ دَاخِلَ الْمَجْتَمَعِ الْمَحَلِّيِّ، وَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَتَبَوَّأَ مَكَانَةً مَرْمُوقَةً حَتَّى أَصْبَحَتْ تُمَثِّلُ نُمُودًا فَرِيدًا مِنْ نَوْعِهِ لِأَهَمِّ "بَيُوتَاتِ الْعِلْمِ" ذَاتِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ وَالَّتِي وُفِّقَتْ وَبِجَدَارَةٍ فِي عَقْدِ تَحَالُفَاتٍ وَرَبِطِ عِلَاقَاتٍ وَوَلَاءٍ مَعَ السُّلْطَةِ الْحَاكِمَةِ بِتُونِسَ وَلِمُدَّةِ قُرُونٍ (مِنْ ق 9هـ / 15م / إِلَى ق 13هـ / 19م) مُتَّصِدِرَةً بِذَلِكَ سِلْكَ الْقَضَاءِ وَالْإِفْتَاءِ وَالتَّدْرِيسِ وَعَلَى مَدَى أَجْيَالٍ مُتَعَاقِبَةٍ.

وَلَمْ تُورِدِ الْمَصَادِرُ الْإِخْبَارِيَّةُ الْأَسْبَابَ الَّتِي دَعَتْ الْعَائِلَةَ إِلَى الْهِجْرَةِ نَحْوِ تُونِسَ وَتَرَكَ الْوَطْنَ وَالْأَهْلَ بِتِلْمَسَانَ هَلْ كَانَ لَطْلُبُ الْعِلْمِ أَمْ لِلْعَمَلِ وَالِاسْتِرْزَاقِ أَوْ لِلْعَامِلِينَ مَعًا، خَاصَّةً وَأَنَّ أَغْلَبَ سَكَانِ تِلْمَسَانَ كَانَتْ وُجْهَتُهُمُ الْمَغْرِبَ الْأَقْصَى فِي الْهِجْرَةِ وَليْسَ تُونِسَ، وَمَا يَهْمُنَا هُوَ تَتَبُّعُ ذَلِكَ الْمَصِيرِ الْمَشْرِفِ وَالْمَزْدَهْرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ هَذِهِ السُّأَلَةَ بِخَاصِرَةِ تُونِسَ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ، وَلِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ يُمْكِنُ تَقْسِيمَ مَسِيرَةِ آلِ الرَّصَاعِ الْعِلْمِيَّةِ إِلَى ثَلَاثِ فِتْرَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ بَارِزَةٍ وَهِيَ:

### أ- الْمَرْحَلَةُ الْأُولَى: التَّحَالُفُ مَعَ السُّلْطَةِ مِنَ الْقَرْنِ 15م إِلَى بَدَايَةِ الْقَرْنِ 18م:

تَمْتَدُّ مِنْ أَوَاخِرِ الْعَهْدِ الْحَفْصِيِّ (الْقَرْنِ 9هـ / 15م) إِلَى غَايَةِ بَدَايَاتِ (الْقَرْنِ 12هـ / 18م) حَيْثُ هَاجَرَ الْجَدُّ الرَّابِعُ لآلِ الرَّصَاعِ الْمَدْعُو قَاسِمٌ عَامَ 1427م مِنْ تِلْمَسَانَ وَاسْتَقَرَّ بِمَدِينَةِ تُونِسَ وَأَنْجَبَ وَوَلَدَيْنِ كَانَ لَهُمَا شَأْنٌ عَظِيمٌ لَدَى الْبَلَاطِ الْحَفْصِيِّ، الْأَوَّلُ يُدْعَى مُحَمَّدٌ (ت 1459م) شَعَلَ خُطَّةَ الْقَضَاءِ ثُمَّ الْإِفْتَاءِ وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ "الْفَهْرَسْتِ". وَالثَّانِي يُسَمَّى كَذَلِكَ مُحَمَّدٌ (ت 1489م) تَوَلَّى هُوَ الْآخِرُ قَضَاءَ الْجَمَاعَةِ الَّذِي يُعْتَبَرُ أَعْلَى مَنْصِبِ قَضَائِيٍّ بِمَدِينَةِ تُونِسَ خِلَالَ الْعَهْدِ الْحَفْصِيِّ، كَمَا يُخَوَّلُ صَاحِبُهُ الْإِمْسَاكَ بِزِمَامِ أَعْلَى هَرَمِ السُّلْطَةِ الدِّيْنِيَّةِ، عِلْمًا أَنَّ الْقَضَاةَ كَانُوا يَلْعَبُونَ دَوْرًا كَبِيرًا فِي بَيْعَةِ السُّلْطَانِ<sup>(2)</sup> وَتَدْعِيمِ

<sup>(1)</sup> تعود تسمية الرّصاع التي عُرفت بها العائلة إلى مهنة الجد الرابع لهذه السلالة، والذي كان بارعا في ترصيع المناير الخشبية وترينها بمسقط رأسه في تلمسان، وهو من زين منبر جامع العباد المدفون فيه الولي الصالح أبو مدين الغوث ولم يأخذ مقابل على هذا اجرا بل طلب أن يدفن بذات المكان قريب من الولي الصالح أبو مدين، وكان دائم الدعاء لذريته ونسله بأن يكونوا من أهل العلم. أنظر: الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 287.

<sup>(2)</sup> حسن خوجة، كتاب ذيل...، ص 78. أنظر كذلك: الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 287 / المهدي جراد، المرجع السابق، ص 274.

شَرَعِيَّةٌ حُكْمِيَّةٌ، وهذا ما تَفَطَّنَ له الحُكَّامُ مُبَكِّرًا و عَمِلُوا على تَقْرِيبِهِمُ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِم لِمُتَمَرِّيرِ قَرَارَاتِهِمْ وَجَعَلَ سِيَّاسَتِهِمْ مُسْتَسَاغَةً بَيْنَ الرَّعِيَّةِ.

وَاسْتَطَاعَتِ الْعَائِلَةُ خِلَالَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْوُصُولَ إِلَى أَوْجٍ نُفُوذِهَا وَذَلِكَ بِإِحْتِكَارِهَا وَظِيْفَتِي الْقَضَاءِ وَالِإِفْتَاءِ وَكَذَا إِنْدِمَاجِ أُنْبَائِهَا فِي خِدْمَةِ الْمَخْرَزَنِ<sup>(1)</sup>، حَيْثُ بَجَدَ قَاسِمُ الْحَفِيدِ ابْنِ صَاحِبِ "الْفَهْرَسْتِ" قَدْ تَرَقَّى إِلَى الْمَرَاتِبِ الْعُلْيَا وَاسْتَوَزَّرَهُ الْأَمِيرُ حَمِيدَةَ الْحَفْصِيِّ<sup>(2)</sup> وَقَرَّبَهُ وَصَاهَرَهُ بِابْنَتَيْهِ لَوْلَدَيْهِ الْعَالِمِينَ أَبِي الْفَضْلِ وَأَبِي يَحْيَى، فَتَزَوَّجَ أَبُو الْفَضْلِ الرَّصَاعَ بِزَوْجَتِهِ، وَأَنْجَبَ مِنْهَا أَوْلَادًا وَتُوْفِي شَهِيدًا بِمُخْلَقِ الْوَادِ عَامَ 1574م لَمَّا كَانَ يُجَارِبُ إِلَى جَانِبِ الْعُثْمَانِيِّينَ، وَتُوْفِيَتْ زَوْجَتُهُ أَبِي يَحْيَى (ت 1624م) قَبْلَ الْبِنَاءِ بِهَا<sup>(3)</sup>. وَلَقَدْ حَرَّصَتِ عَائِلَةُ الرَّصَاعِ عَلَى إِيجَادِ مَوْقِعٍ لَهَا ضِمْنَ عَائِلَاتِ مَدِينَةِ تُونِسِ الْمَرْمُوقَةِ، لِاسِيْمًا وَأَنَّهَا كَانَتْ تُعْتَبَرُ أَجْنَبِيَّةً، وَعَلَيْهَا تَبْرِيرُ انْتِقَالِهَا مِنْ تَلْمَسَانَ إِلَى تُونِسِ، لِذَلِكَ حَرَّصَتِ عَلَى تَرْبِيَةِ وَتَنْشِئَةِ أُنْبَائِهَا تَنْشِئَةً عِلْمِيَّةً وَإِعْدَادِهِمْ لِيشْعَلُوا وَظَائِفًا دِينِيَّةً عَالِيَةً، لِأَنَّ مَدِينَةَ تُونِسِ كَانَتْ تَضُمُّ مَخْتَلِفَ النُّحُبِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَكَانَتِ الْوُظَائِفُ الْعِلْمِيَّةُ وَالِدِينِيَّةُ تُعْتَبَرُ رَسَامِيْلَ بَشَرِيَّةٍ يَسْتَطِيعُ مُتَمَتُّنُهَا اقْتِحَامَ الدَّوَائِرِ السِّيَاسِيَّةِ الْمَتَنَفِّذَةِ بِيسْرٍ وَ سُهولةٍ، وَيَحْظَى صَاحِبُهَا بِوَقَارٍ وَإِحْتِرَامٍ وَهَيْبَةٍ لَدَى الْجَمْعِ<sup>(4)</sup>.

لِذَلِكَ حَفَزَتِ عَائِلَةُ الرَّصَاعِ أُنْبَاءَهَا عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ وَتَدَاوُلُوا رِوَايَةَ جَدِّهِمْ قَاسِمِ الَّذِي هَاجَرَ إِلَى تُونِسِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ حَرِيْفِي مُتَعَطِّشًا لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ لِذَلِكَ كَانَ يَدْعُو بِاسْتِمْرَارٍ، قَائِلًا: "اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ حَرَمْتَنِي أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فَلَا تَحْرِمْنِي مَحَبَّتَهُمُ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْ نَسْلِي مِنْهُمْ وَلَا وَلَدِي، أَنَا فِي رُكُوعِي وَسُجُودِي أَرْغَبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرْحَمَنِي بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ ذُرِّيَّتِي"<sup>(5)</sup>. وَفِعْلًا، فَقَدْ خَرَجَ مِنْهُمْ كَمَا قَالَ الْوَزِيرُ السَّرَاجُ: "رِجَالٌ كَحَبِّ الرَّمَالِ وَأَبْنَاؤُهُمُ الْآنَ لَمْ تَزَالْ يَدُ الْمَقَادِيرِ تُوْزَعُ عَلَيْهِمْ مَرَاتِبٌ مِنَ الْفِتْيَا وَالْقَضَاءِ وَالْخِطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ وَالْعَدَالَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا"<sup>(6)</sup> يَقْصِدُ زَمَنَهُ مَطْلَعُ الْقَرْنِ 18م.

<sup>(1)</sup> هي الفئات الاجتماعية التي تقوم بخدمة البلاط أي السلطة، فالخازني هو الذي يقدم خدمة للمخزن فهو بمثابة جهاز يسهر على توفير الأمن بالمدن و الأرياف. ينظر: المهدي جراد، المرجع السابق، ص 55.

<sup>(2)</sup> حميدة الحفصي : هو أبو العباس أحمد الثاني ابن أبو عبد الله، و حفيد ابو زكرياء يحيى الثاني، حكم الدولة الحفصية في أواخر أيامها بتونس بين (950-977هـ/1543-1569م). أنظر: روبرت برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر، حمادي الساحلي، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 310.

<sup>(3)</sup> حسين حوجة، كتاب الذيل....، ص 78. أنظر أيضا: محمد السنوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 166. وكذلك، الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 285.

<sup>(4)</sup> المهدي جراد، المرجع السابق، ص 275.

<sup>(5)</sup> ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 4، ج 7، ص 64-65.

<sup>(6)</sup> الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 287.

وإضافةً إلى العلم، هناك رَكِيزَةٌ أخرى اعْتَمَدَ عليها آل الرِّصَاعِ واستَطَاعُوا بِوَاسِطَتِهَا إِبْجَادَ مَوْطِئٍ قَدِمَ لَهُمْ ضِمْنُ "مُحَبِّ الحَاضِرَةِ"، وهو النَّسَبُ إلى بعض صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام تَأْسِيًا بِحِطَابِ الأَشْرَافِ الَّذِي يَفْتَحِرُ بِنَسَبِهِ لِآلِ البَيْتِ، وكثيراً ما كانت أَسْمَاءُ علماء العائلة تأتي مَقْرُونَةً بِالألقابِ جمعت الأَصْلَ الجُغْرَافِي والنَّسَبَ والشُّهُرَةَ في آنٍ وَاحِدٍ مثل: الشَّيْخِ أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري نَسَباً التِّلْمَسَانِي مَوْلِداً التُّونِسِي تَرْبِيَةً وَمَنْزِلاً وَمَدْفِناً الرِّصَاعِ شُهْرَةً<sup>(1)</sup>.

وإلى جانب إحتِكَارِ العائلة مَنَاصِبِ القَضَاءِ والإفْتَاءِ والعَدَالَةِ ذَاتِ المَدَاخِيلِ الوَفِيرَةِ، كان بِاسْتِطَاعَةِ أَغْلَبِ أَفْرَادِهَا الجُمُوعَ بين هذه المناصب في نفس الوقت<sup>(2)</sup>، مثل الشيخ أبو يحيى الرِّصَاعِ (ت1624م) الَّذِي أُطْلِقَ عَلَيْهِ لَقَبُ "شَيْخِ الإِسْلَامِ" حيث وُلِيَ الإِمَامَةَ والحِطَابَةَ بالجامع الأعظم سنة 1017هـ/ 1603 في دولة المرحوم عثمان داي، واستمر عليها سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة وولي القُتيا، فسلم فيها لأجل التفرغ للجامع الأعظم<sup>(3)</sup>.

وما يزيد من عراقة هذه العائلة حُضورها في مُعْظَمِ مُتُونِ الإِخْبَارِيِّينَ الَّذِينِ تناولوا مسيرتها الدِّينية والعِلْمِيَّةَ وَخَصَّصُوا تَراجِماً لأفراد العائلة وهو ما أكَسَبَهَا شُهْرَةً إلى جانب المجد الَّذِي تَمَتَّعَ بِهِ مِنْ قَبْلِ، ولا تكاد تخلو وثائق الأحباس خاصة المتعلقة بمدينة تونس من ذكرٍ لأفراد هذه العائلة، فقد كانوا من الفقهاء وعدول الإِشْهَادِ والقَضَاءِ، وبالتالي شاركوا في توثيق مجموعة كبيرة من عقود التَّحْيِيسِ. وَلَعَلَّ هَذَا الدَّورَ الَّذِي لَعِبَتْهُ عَائِلَاتُ العُلَمَاءِ فِي تَكْوِينِ وَتَنْشِئَةِ الأَفْرَادِ وَتَأْهِيلِهِمْ، هُوَ الَّذِي يُفَسِّرُ نَشَأَةَ "الببوتات العلمية" الَّتِي كَانَتْ تَتَوَارَثُ حُطُطَ الإفْتَاءِ والتَّدْرِيسِ والإِمَامَةِ والقَضَاءِ بِمَدِينَةِ تُونِسِ وَهُوَ تَقْلِيدٌ دَرَجَتْ العَائِلَاتُ الكُبْرَى إِتْبَاعَهُ وَالمُحَافَظَةَ عَلَيْهِ سِوَاءَ الحِرْفِيَّةِ أَوِ التِّجَارِيَّةِ أَوِ العِلْمِيَّةِ.

ولم تَكْتَفِ عَائِلَةُ الرِّصَاعِ بِالوِظَائِفِ الدِّينِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ فَقَطْ، بَلْ كَانَتْ أَبْنَاءُهَا يَتَقَلَّدُونَ مِهْنًا إِدَارِيَّةً وَأَنْشِطَةً تِجَارِيَّةً مُوَازِيَةً كصناعة الشَّاشِيَّةِ وَذَلِكَ مَا حَوَّلَ أَفْرَادَهَا أَنْ يُصْبِحُوا مِنْ كِبَارِ المَلَاكِينِ العَقَّارِيِّينَ خِلالَ القَرْنِ 17م داخل مدينة تونس، إضافةً إلى بَسَاتِينِ الزَّيْتُونِ المُنْتَشِرَةِ حَوْلَ الحَاضِرَةِ<sup>(4)</sup>.

ومن أشهر عُلماء آل الرِّصَاعِ خلال القرن 18م نجد:

- أبو العباس أحمد الرِّصَاعِ (ت سنة 1118هـ/1706م):

(1) الوزير السراج، المصدر السابق، ج3، ص287.

(2) أحمد السعداوي، تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا، ص108-109.

(3) الوزير السراج، المصدر السابق، ج3، ص286/ ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج4، ج7، ص66.

(4) المهدي جراد، المرجع السابق، ص281-282.

كان نائباً بالمحكمة الشرعية فقيهاً عالماً بالنحو والحساب والفرائض ماهراً فيها وله في باب القضاء قوة إطلاع على أمهات النوازل خبيراً بالمذهبين وبالمفاصلة بين الخصمين عمل بالنيابة بالمحكمة الشرعية حوالي خمس عشر سنة<sup>(1)</sup>.

- علي الرضا (ت سنة 1132هـ/1720م):

العالم ذو الأصل الأصيل، تفقه في صغره، وخطب بجامع الزيتونة وتصدر للشهادة العادلة وله معرفة بعلم التوثيق والنوازل والأحكام كما تولى مناصب الفتية<sup>(2)</sup>.

- أبو عبد الله محمد حمودة الرضا بن أبي عبد الله محمد الرضا:

ينتمي لدار كبيرة تزاید بمدينة تونس، وتوفي والده وخلقه في حجر جده الشيخ قاسم الرضا، برع خصوصاً في علم التوثيق وتصدر بالنيابة في الأحكام بالمحكمة الشرعية مدة ثم تولى عنها وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم، بارع في علم الأحكام قاطع للنزاع فاصل بين الخصمين<sup>(3)</sup>.

- أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد حمودة الرضا:

قرأ بتونس وأخذ عن الشيخ العناني ودرس بالجامع الأعظم وعين له الأمير حسين بن علي مرتباً وأفاد وأجاد<sup>(4)</sup>.

- الشيخ حمودة الرضا:

القاضي المتصرف في ميدان الأحكام الشرعية، تولى القضاء أيام حسين بن علي وبعد مدة طويلة عزله وألزمه لرواية البخاري بين يديه بمسجد باردو لئلا يبيته هناك؛ ويُدْرَسُ كذلك بجامع الزيتونة، كما تولى خطة الفتيا، وأولاه مشيخة مدرسته الكبرى، توفي على عهد علي باشا<sup>(5)</sup> (1740-1756م).

- أبو الفضل قاسم الرضا:

هو جد الشيخ أبي محمد حمودة الرضا الذي مات أبوه في صغره؛ فتربى في حجر جده الشيخ قاسم، تولى منصب النائب بالمحكمة بالشرعية مدة ثم تولى عنها لحفيده<sup>(6)</sup>.

(1) حسين خوجة، المصدر السابق، ص 94/ الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 126.

(2) حسين خوجة، نفسه، ص 102/ الوزير السراج، المصدر السابق، ج 3، ص 285/ محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 167.

(3) حسين خوجة، المصدر السابق، ص 108.

(4) نفسه، ص 152.

(5) محمد السنوسي، المصدر السابق، ج 2، ص 170.

(6) نفسه، ج 3، ص 64. وكذا: أحمد السعداوي، تونس زمن حسين بن علي و علي باشا، ص 95-96.

### الفصل الثالث: صور من العلاقات الاجتماعية بين الايالتين خلال القرنين (12-13هـ/18م ومطلع 19م)

وإضافة إلى مهنة القضاء والإفتاء، اشتهل أفراد عائلة الرّصاع كعدولٍ حيث تمّ جرد أكثر من عشرة أسماء كلها لآل الرّصاع جلسوا للإشهاد بين معاملات الناس، علماً أنّ حُطّة العَدالة والإشهاد كانت تُعتَبَر الحَاضِنَة الّتي تجمَع مختلف الحُطَط الدّينية والعِلْمِيّة، وكان القَاضِي أو المفتي يَسْتَطِيع الجُمع بين هذه الوظائف ويواصل الجلوس للشهادة وتحرير الحجج والرّسوم من أجل تحقيق مؤرّد إضافي لا يُستَهانُ به. وتُعتَبَر عائلة الرّصاع من العائلات العريقة لمدينة تونس الّتي بقيت ولمدّة طويلة فاعِلَةً في هذا القِطَاع بِفَضْلِ نُحْبَهَا البشريّة<sup>(1)</sup>.

والجدول<sup>(2)</sup> التالي يمثل قائِمة العدول الوارِدة أسْمًا وُهم في وثائق الحبوس بتونس خلال القرن 18م/12هـ وأغلبهم من آل الرّصاع:

اسم العدل	تاريخ اشتغاله بهذه الحطة	الألقاب
الحاج مُحمّد الرّصاع دعي الكبير	أوائل رمضان 1115هـ / 7 جانفي 1704م	الفقيه العدل الحاج
أبو مُحمّد حمودة الرّصاع	غرة قعدة 1117هـ / 13 فيفري 1706م. أواسط محرم 1123هـ / 4 مارس 1711م	الفقيه الأعدل الشيخ الإمام المفتي الفقيه الأعدل المدرّس نائب الأحكام الشرعية
أبو الفضل قاسم الرّصاع	أوائل صفر 1118هـ / 14 ماي 1706م	الفقيه الأعدل الشيخ النائب
أبو عبد الله مُحمّد الرّصاع	أوائل شوال 1122هـ / 22 نوفمبر 1710م	الفقيه العدل الحاج
أبو عبد الله مُحمّد الأوراسي	أوائل شوال 1122هـ / 22 نوفمبر 1710م أواخر قعدة 1143هـ / 5 جوان 1731م	الفقيه العدل الفقيه الأعدل الشريف قاضي المحلة
مُحمّد الرّصاع الأصغر	أواسط محرم 1123هـ / 4 مارس 1711م	الفقيه الأعدل الحاج
أبو العباس أحمد الرّصاع الشهير بالأرخرة	أوائل ربيع الأول 1125هـ / 28 مارس 1713م أواخر رمضان 1130هـ / 26 اوت 1718م	الفقيه الأعدل
أبو عبد الله مُحمّد بن الفقيه عبد الحفيظ المرابط العناني	قبلاً وأواخر حجة 1134هـ / 9 أكتوبر 1722م	الفقيه من عدول رأس الجبل

<sup>(1)</sup> أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص 108-109.

<sup>(2)</sup> أحمد السعداوي، نفسه ص 111/117، بتصرف من الطالبة

الفصل الثالث: صور من العلاقات الاجتماعية بين الايالتين خلال القرنين (12-13هـ/18م ومطلع 19م)

أبو الفضل الرّصاع الأنصاري	أواخر محرم 1146هـ/12 جويلية 1733م	الفقيه الأعدل
إبراهيم بن أبي الحسن علي الرّصاع الأنصاري	أوائل جمادى الأولى 1147هـ/29 سبتمبر 1734	العدل
عبد الكبير بن الحاج أحمد الرّصاع الأنصاري النائب	أوائل جمادى الأولى 1147هـ/29 سبتمبر 1734م	الفقيه الأعدل
أبو عبد الله مُحَمَّد حَمُودَة الرّصاع الشهير بالموفق	أواسط قعدة 1150/6 مارس 1738م	الفقيه الأعدل
أبو إسحاق إبراهيم الرّصاع	أوائل محرم 1159هـ/23 جانفي 1746م	الفقيه الأعدل
أبو عبد الله محمد الرّصاع بن الشيخ المفتي	أوائل محرم 1159/23 جانفي 1746م	الفقيه الأعدل
أبو العباس أحمد الرّصاع	أوائل 1161هـ/1 فيفري 1748م أواخر جمادى الأخرى 1169هـ/30 مارس 1756م	الفقيه الأعدل الفقيه الأعدل الإمام
أبو المحاسن يوسف الأوراسي	أوائل صفر 1161هـ/1 فيفري 1748م	الفقيه الأعدل
أبو عبد الله مُحَمَّد البادسي	ربيع الأول 1196هـ/27 فيفري 1782م	الفقيه النبيه الأعدل المدرس

و من هنا يمكن أن نستنتج أن آل الرّصاع قد خدموا المخزّن فترةً لا تقلُّ عن أربعة قُرُونٍ ووقّروا ما يُقْرَب من تِسْعَةِ أَجْيَالٍ من العُلَمَاءِ لِذَلِكَ بِجُدْهَا تُصَنَّفُ ضِمْنَ العائِلات الكبرى التي كانت تتمتع برصيدٍ وافٍ من الهَيِّبَةِ داخل مدينة تونس. ويصفها حسين خوجة بـ: "دارٌ كَبِيرَةٌ" فهي من العائِلات المخزنية<sup>(1)</sup> التي احتَقَطَت بِبَرِّيقيها و مكانتها على مدى قُرُونٍ ومَوَّلَت الأوساط الحاكمة بما لا يقلُّ عن اثني عشر قاضياً وعدداً من المفتيين والمدرسين؛ فهي تُمثِلُ بِدُونِ مُنَازَعٍ بالنسبة للسلطة وللفاعلين الاجتماعيين "داراً كَبِيرَةً" لآسيما وأنها كانت تُنتسب إلى العلم على مدى أجيال<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> هي العائِلات التي ارتبط مصيرها بالأوساط الحاكمة واستطاعت أن تكون أجيالا اشتغلوا لدى الدولة، كما أن المصادر الإخبارية أحيانا تُوردُ عبارة أخرى ولها نفس الدلالة للتعبير عن الولاء والقرب من البلاط وهي عبارة "الخدمة". أنظر: المهدي جراد، المرجع السابق، ص 55.

<sup>(2)</sup> حسين خوجة، المصدر السابق، ص 108/ المهدي جراد، المرجع السابق، ص 281.

## ب-المرحلة الثانية: الجفاء و القطيعة مع السلطنة خلال النصف الثاني من القرن 18م

تأثرت عائلة الرّصاع مثلها مثل غيرها بالحرب الأهلية (1728/1740م) التي قسمت تونس سياسياً واجتماعياً إلى اثنين حيث جُرِّدَتْ من نُفُوذها الواسع الذي تَمَتَّعت به خلال القرنين 16 و 17م، لأنَّ هذه العائلة كانت من الفئات التي دعمت شرعية حكم حسين بن علي عام 1705م وتحالفوا معه ودعموا سياسته وكان أحمد بن علي الرّصاع الذي شَغَلَ حُطَطَ القَضَاء المالكى من العلماء الذين حضروا بِيَعَة الأمير حسين بن علي الذي بدَّوره قَرَّب إليه فئمة العُلَمَاء وأَعَقَاهُم من الصَّرَائِب وأَصْبَحَ عليهم عَوَائِداً وامتيازاتٍ كان لآل الرّصاع نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْهَا<sup>(1)</sup>.

وما حصل خلال الحرب الأهلية أَنَّ أحد أفراد آل الرّصاع و هو "حموودة الرّصاع" مُقْتِي المالكية مَال إلى كَفَّة يونس بن علي باشا، وكذا الحاج مُحَمَّد الرّصاع حيث يصفه صاحبُ المشرع الملكي، قائلاً: "من بيت جدود عن جدود، فلما كهل صار من أعيان الشهود، مكرم مُبَجَّل مودود، فأعطاه الباى وظيفة شهادة غابة الزيتون، فزاد مالا على مال، وجاها على جاه"<sup>(2)</sup> كان ذلك في عهد حسين بن علي لَكِنَّه مَال إلى كَفَّة علي باشا أثناء الحرب الأهلية.

وعليه، فَإِنَّ هذا الموقِفَ غير المتوقَّع لِبَعْضِ آل الرّصاع جعل أبناء حسين بن علي لا يغفرون للعائلة تَصَرَّف بعض أفرادها، واستمر هذا الجفاء بين العائلة والسلطنة من 1756م إلى أواخر القرن 18م.

## ج-المرحلة الثالثة: تجدد التوافق مع السلطنة أواخر القرن 18م، و النصف الأول من القرن 19م:

لم تَطُل غَيْبَةُ آل الرّصاع عن الدوائر المخزنية حيث عهد إلى قاسم الرّصاع بمشِيخة مدينة تونس عام 1187هـ/1774م. كما عاد أفراد العائلة إلى تولي مناصب القضاء المالكى خلال فِتْرَة حَمُوودة باشا (1782/1814م)، وكان آخر من استلم مناصب القضاء مُحَمَّد الرّصاع (ت 1868م). وبعد هذا التاريخ لم يظهر أي أثرٍ لآل الرّصاع في حُطَطِ القَضَاءِ وإكْتَفَى أبنائُها بِحُطَطِ العَدَالَة وَفَضَّل بعضهم الاشتغال كَشَوَاشِيَة<sup>(3)</sup>.

## 2-2- عائلة آل قدورة الهجره ثم الاستقرار من جزية التونسية إلى مدينة الجزائر:

إِنَّ تَعَرُّضَنَا لِعَائِلَة قَدُورَة فِي هذا المَبْحَث هو في الأساس من أجل المقارنة بالدرجة الأولى بَيْنَهَا وبين عائلة الرّصاع الجزائرية التي برزَ بِحُمها بتونس، لأنَّ المَصَادِر الإخبارية التُونِسِيَة لم تَتَنَاوَل عائلة قَدُورَة

(1) المهدي جراد، المرجع السابق، ص 279.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، ج 3، ص 21.

(3) المهدي جراد، المرجع السابق، ص ص 279-280.

بالبحث والدراسة رَغِمَ أنَّها تونسية، لكنَّ المصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ تَعَرَّضَتْ لَهَا، لذلكِ إِرْتَائِنًا تَسْلِيْطَ الضَّوِّ عَلَيْهَا رَغِمَ أَنَّهَا خَارِجُ فِتْرَةِ الدِّرَاسَةِ وَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ تَكْوِينِ صُورَةٍ شَامِلَةٍ عَنْ هِجْرَةِ بَعْضِ العَائِلَاتِ بَيْنَ الإِيَالَتَيْنِ مِنْ جِهَةٍ وَ كَذَا المَقَارَنَةُ بَيْنَهُمَا مِنْ خِلَالِ تَتَبُّعِ تَدْرُجِهِمَا فِي السَّلْمِ الوَظِيفِي العِلْمِي وَ الدِّيْنِي وَ قُرْبِهِمَا مِنَ الدَّوَائِرِ السِّيَاسِيَّةِ وَ التَّأْثِيرِ فِيهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

أ- أُسْرَةُ آلِ قَدُورَةَ الجَمْعُ بَيْنَ المَنَاصِبِ العِلْمِيَّةِ وَ الحِظْوَةِ السِّيَاسِيَّةِ بِمَدِينَةِ الجَزَائِرِ فِي النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ 17م:

بِنَاءً عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ تُعْتَبَرُ عَائِلَةُ قَدُورَةَ<sup>(1)</sup> مِنَ الأَسْرِ العِلْمِيَّةِ وَ الدِّيْنِيَّةِ النَّافِذَةِ بِمَدِينَةِ الجَزَائِرِ خِلَالِ العَهْدِ العُثْمَانِي وَ القَرِيبَةِ فِي نَفْسِ الوَقْتِ مِنَ الأَوْسَاطِ السِّيَاسِيَّةِ وَ المُوَثَّرَةِ فِيهَا أَيْضًا، وَ بَلَغَ نُفُوذُ هَذِهِ العَائِلَةِ المُنْحَدِرَةِ مِنْ جَزِيرَةِ جَزِيرَةِ إِخْتِكَارِ مَنَصِبِ الإِفْتَاءِ<sup>(2)</sup> المَالِكِي بِالْجَامِعِ الكَبِيرِ بِالعَاصِمَةِ لِأَكْثَرِ مِنْ قَرْنٍ بَيْنَ أَفْرَادِ أُسْرَتِهَا دُونَ انْقِطَاعٍ، وَ يَعُودُ الفَضْلُ فِي ذَلِكَ لِلشَّيْخِ سَعِيدِ قَدُورَةَ<sup>(3)</sup> الَّذِي يُعْتَبَرُ المُوَسِّسَ الحَقِيقِي لِهَذِهِ العَائِلَةِ عِلْمِيًّا وَ دِينِيًّا وَ اجْتِمَاعِيًّا، وَ نَسَبُهُ هُوَ: سَعِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَ شَهْرَتُهُ قَدُورَةَ، كَمَا عُرِفَ أَيْضًا بِنِسْبَةِ "الجَزَائِرِي".

وَلَمْ تَذْكَرِ المَصْنَفَاتُ الإِخْبَارِيَّةُ سَبَبَ إِنتِقَالِ وَالدِّهِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ تُونِسَ، لَكِنَّ المَعْرُوفَ أَنَّهُ إِسْتَقَرَّ بِمَدِينَةِ الجَزَائِرِ وَ اشْتَعَلَ خَبَازًا قُرْبَ رَاوِيَةِ سَيِّدِي الأَكْحَلِ قُرْبَ بَابِ غَزُونِ، فَمِهْنَةُ الأَبِ إِذَنْ كَانَتْ حِرْفِي وَ لَمْ يَكُنْ يَمْتُ بِصِلَةِ لِلْعِلْمِ وَ العُلَمَاءِ<sup>(4)</sup>. وَ تَبَقَّى بِدَايَاتِ حَيَاةِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ العِلْمِيَّةِ وَ الدِّيْنِيَّةِ النَّافِذَةِ يَلْفُهَا

(1) قدورة قرية قريبة من جزيرة جربة التونسية.

(2) الفتوى هو الكشف عن الحكم الشرعي للسائل عنه من طرف المفتي، وقد تكون الفتوى بغير سؤال وذلك لبيان حكم نازلة من التوازل أو خادثة من الحوادث المستحددة، ويسمى الفقيه العالم الذي يتصدى للإفتاء بين الناس بالمفتي. علماً أنه جرى العمل بثلاث مذاهب فقهية في الجزائر خلال العهد العثماني، فالمذهب المالكي هو مذهب معظم سكان الجزائر، ومع مجيء العثمانيين مطلع القرن 16م/10هـ انتشر المذهب الحنفي وظهر علماء كتبوا ودرّسوا وأفتوا على قواعد المذهب الحنفي هذا إضافة إلى المذهب الإباضي الذي كان متبعاً من طرف الإباضيين. للمزيد أنظر: محي الدين يحيى بن شريف النووي، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، ط1، دار الفكر، دمشق، سنة 1987، ص13.

وأنظر كذلك: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص65/ وابن المفتي، المصدر السابق، ص81، و86.

(3) أبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة المفتي المالكي لمدينة الجزائر وفقهها، تونسي الأصل جزائري المنشأ والوفاة أخذ العلم عن مشايخ أجلاء أمثال محمد بن إسماعيل المطمطي مفتي الجزائر وسعيد المقرري عالم تلمسان ويحيى الشاوي وغيرهم. من آثار سعيد قدورة: "شرح الصغرى للسنوسي"، و"شرح السلم المروني في المنطق للأخضري"، و"شرح على جوهرة التوحيد للقاتي" في العقائد. للمزيد حول هذه الشخصية أنظر: ابن المفتي، مصدر سابق، ص95 وما بعدها، ونور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965، ص279/. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980م، ص259/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص357 وما بعدها/ كما كتب ديفوكس، عن سعيد قدورة بالمجلة الإفريقية، أنظر:

- (A), DEVOLX, Les édifices religieux de l'ancien Alger, revue africaine, N°35, 1866, p286.

(4) ابن المفتي، المصدر السابق، ص95/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص357-358.

شيء من العُمُوض، فَتَارِيخ وَمَكَان مِيْلَادِهِ غَيْرُ مَعْرُوفَيْنِ لِأَنَّ أَوَّلَ تَارِيخٍ ذُكِرَ بِهِ كَانَ عَامَ 1001هـ/1592م أَوْ 1002هـ/1593م حَيْثُ تُوفِيَا وَالِدَاهُ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ سَعِيدٌ قَدُورَةَ لِسَبَبِ الْوَفَاةِ، وَيُرَجَّحُ أَنَّهٗ بِسَبَبِ انْتِشَارِ وَبَاءِ الطَّاعُونِ الَّذِي اجْتَحَا كُلَّ شِمَالِ إِفْرِيْقِيَا مَا بَيْنَ عَامِي 1591و1597م وَالَّذِي خَلَفَ خَسَائِرَ بَشَرِيَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي كُلِّ أَرْيَافٍ وَمُدُنِ الْجَزَائِرِ وَعُرِفَ "بِوَبَاءِ تُونِسٍ" وَاشْتَدَّتْ وَطْأَتُهُ خَاصَّةً بَيْنَ عَامِي 1590و1592م<sup>(1)</sup>.

وَيُرَجَّحُ أَنَّ سَعِيدَ قَدُورَةَ كَانَ فِي بَدَايَاتِ حَيَاتِهِ (أَي فِي سِنِّ الْمَرَاهِقَةِ) عِنْدَمَا فَقَدَ أَبَوَاهُ، حَيْثُ شَقَّ حَيَاتَهُ الْعِلْمِيَّةَ بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ يَحْضُرُ دُرُوسَ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْمُطْمَاطِي بِالْجَامِعِ الْكَبِيرِ لثَلَاثِ سِنَوَاتٍ، ثُمَّ تَعَرَّبَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَتَنَقَّلَ بَيْنَ زَاوِيَةِ "الْعَارِفِ بِاللَّهِ" أَهْلُولِ قُرْبِ تَنَسُّ ثُمَّ تَلْمَسَانَ ثُمَّ شَدَّ الرِّحَالَ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ بِهِ الْحَالُ بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ إِلَّا سَنَةَ 1019هـ/1610م<sup>(2)</sup>.

وَالسُّؤَالُ الْجَدِيرُ بِالطَّرْحِ هُوَ، كَيْفَ شَقَّ سَعِيدٌ قَدُورَةَ حَيَاتِهِ الْعِلْمِيَّةَ؟ بَعْدَ إِصَابَتِهِ بِالْيُتْمِ مُبَكِّرًا خَاصَّةً وَأَنَّهُ غَرِبَ الدَّارَ، وَهَلْ اخْتِيَارُهُ لِهَذَا الْمَسَارِ كَانَ بِتَوْجِيهِهِ مِنْ وَالِدِهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ، أَمْ بِإِيْعَازٍ مِنْ شَيْخَاهُ الْمُطْمَاطِي وَمُحَمَّدِ أَهْلُولِ الدَّدَانِ أَخَذَ عَنْهُمَا الْعِلْمَ فِي بَدَايَةِ حَيَاتِهِ، وَكَيْفَ لَمْ يَتَّبِعِ الطَّرِيقَ الْأَقْرَبَ لِلوُظُفِيَّةِ وَهُوَ الْحِرْفَةُ، فَقَدْ كَانَ وَالِدُهُ فَرَانًا وَكَانَتْ الْحِرْفَةُ تَتَوَارَثُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ الْوَاحِدَةِ سِوَاءً بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ أَوْ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَدَنِ الْعَرَبِيَّةِ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ<sup>(3)</sup>.

وَرِغْمَ أَنَّ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةَ قَدْ شَقَّتْ طَرِيقَهَا نَحْوَ الْعِلْمِ وَالوُظُفِيَّةِ الدِّيْنِيَّةِ وَلَمْ تَلْتَمِثْ لِلْحِرْفَةِ الْعَائِلِيَّةِ؛ إِلَّا أَنَّهُ (أَي سَعِيدٌ قَدُورَةَ)، قَدْ وَرِثَ التَّلَقُّقَ بِالتَّجَارَةِ عَنِ وَالِدِهِ وَعَنِ أَهْلِ جَزْبَةِ الْمَعْرُوفِينَ بِذَلِكَ<sup>(4)</sup>. وَبَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ، بَدَأَ سَعِيدٌ قَدُورَةَ نَشَاطِهِ الْعِلْمِيِّ بِإِمَامَةِ جَامِعِ الْبَلَاطِ وَالْخُطَابَةِ فِي جَامِعِ سَيِّدِي

<sup>(1)</sup> فلة موساوي قشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871، طبع وزارة الثقافة، منشورات ابن سنان، الجزائر، د.ت، ص 89 و 91 و 164. نقلا عن:

-J. MARCHIKA, La peste en Afrique Septentrionale Histoire de la peste en Algerie de 1363 à 1830, Julien Carbonel, Alger, 1927, pp27-35.

<sup>(2)</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 360-361.

<sup>(3)</sup> مثال على ذلك عائلة الشويهد متولي السوق بمدينة الجزائر وهي إحدى العائلات الغنية ذات النفوذ والمكانة الاجتماعية المتميزة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، حيث تولى عدد من أفرادها التجارة والإشراف على تنظيم السوق (متولي السوق أو أمين الأمناء) خلال القرن 17م إلى غاية منتصف القرن 18. للمزيد أنظر: عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص 11-13، أنظر كذلك مخطط لهذه العائلة ورد في رسالة حمصي لطيفة، المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1122-1246هـ/1710-1830م نموذجاً، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، عام 2011-2012، ص 165.

<sup>(4)</sup> عائشة غطاس، الحرف والحرفيون....، ص 34/ وسعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 358.

رمضان، ثُمَّ انْفَرَدَ بالإفتاء المالكي من سنة 1028هـ/1618م إلى غاية وفاته سنة 1066هـ/1656م إلى جانب إشرافه على أوقاف الجامع الأعظم (أي وكيل الأوقاف) وإمامته والخطبة والتدريس به<sup>(1)</sup>.  
ومن هنا نستنتج أنّ هذه الشخصيّة جمعت بين العلم والدكاء والطُمُوح الذي أوصله إلى أعلى قِمة السلم الوظيفي والعلمي وهو في مُقتبل العمر، واستطاع الوُجُوح إلى الأوساط السّياسة الحاكمة والمتغيّرة باستمرار، والنجاح في كسب ثقة الحاكم؛ لأنّ الباشا هو الذي كان يُعيّن ويَعزّل في الوظائف العلمية سابقاً الذكر<sup>(2)</sup>.

كما استطاع سعيد قدورة أن يُؤسس مجد آل قدورة العلمي وحتى المالي بما عرف عليه من الثراء الواسع وبلغ به الأمر إلى تعيين أربعة نوابٍ يُخلّفونه في الخطبة والإمامة، ثُمَّ عَيَّنَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ لِيُتَوَبَه في الفتوى والخطابة والتدريس بالجامع الأعظم رَغْمَ صِغَرِ سِنِهِ وهذا بِشَهَادَةِ ابن المفتي الذي قال عنه: "وكان له أربع خلفاوات ينوبون عنه بالتداول إن تأخر عن الخطبة أو صلاة الظهر والعصر... وأرزاقهم من عنده لا من عند الأوقاف" وكان صاحب ثروة" وكانت له أرض حرّاة ولا ينفق على نفسه من دخل أوقاف الجامع الأعظم... ولما تعاضمت حرمة سيدي سعيد وكثرت اشغاله قدّم ابنه "سيدي" محمد... وكلفه أبوه مع صغر سنه بالفتوى والخطابة والتدريس<sup>(3)</sup>.

هذا إضافةً إلى انفراد قدورة بمنصب الإفتاء ووكالة أوقاف الجامع الأعظم، علماً أنّ الجمع بين هاذين المنصبين الخطيرين يُدّر على صاحبه المال الغزير والجاه العريض داخل الأوساط السياسية وحتى الاجتماعية، كما يُؤلّب عليه التناؤس الكبير والغيّرة الشديدة من طرف علماء عصره لأنّ الاستقراء والجمع بين هذه المناصب لأكثر من سبعٍ وثلاثين سنةً لم يتأتّ لغيره.  
وقد بلغت قيمة سعيد قدورة عند باشوات الجزائر أنهم كانوا يقيمون له إجلالاً وتقديراً ويُقبّلون يده. والملفت للابتيّاه أنّ هذه المعاملة لم يخض بها غيره من علماء الجزائر وهذا ما ألّب عليه المنافسين عدّة مرّات، لكنّ الغلبة كانت دائماً من نصيبه<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> ابن المفتي، المصدر السابق، ص 97-98.

<sup>(2)</sup> Devoulx.. tachrifat , recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne regence d'Alger, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, pp77-78.

أنظر كذلك: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1، ص 362.

<sup>(3)</sup> ابن المفتي، المصدر السابق، ص 97-98.

<sup>(4)</sup> ابن المفتي، نفسه، ص 97. أنظر أيضا: سعد الله، مرجع سابق، ج 1، ص 361-363.

ب- استمرار نفوذ الأسرة بعد وفاة الشيخ سعيد قدورة في النصف الثاني من القرن 17م:

بعد وفاة الشيخ سعيد قدورة سنة 1066هـ/1656م، ترك ولدين هما محمد و أحمد، حيث خَلَفَهُ مُبَاشَرَةً فِي الْإِفْتَاءِ إِنَّهُ مُحَمَّدٌ الَّذِي تَدَرَّبَ مِنْذُ صَغُرِهِ عَلَى يَدِ وَالِدِهِ فِي تَوَلِّيِ الْوِظَائِفِ الرَّسْمِيَّةِ كَالْخِطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ وَالِدَّرْسِ وَالْفَتْوَى؛ الَّتِي اسْتَمَرَ بِهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى وَقَاتِهِ سَنَةَ 1107هـ/1696م، ثُمَّ خَلَفَهُ أَحْوَهُ أَحْمَدُ فِي الْفَتْوَى وَالَّذِي تَعَرَّضَ خِلَالَ حَيَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ لِمُؤَامِرَاتٍ وَمُضَايِقَاتٍ مِنْ طَرَفِ حَسَّادِهِ، فَفِي عَهْدِ أَشْجِي مَصْطَفَى بَاشَا، حَدَّثَتْ بَيْنَ أَحْمَدِ قَدُورَةَ مَفْتِي الْمَالِكِيَّةِ وَبَيْنَ مُحَمَّدِ الْبِيَارِ مَفْتِي الْحَنْفِيَّةِ مَنَاقِشَةً عِلْمِيَّةً فِي الْمَجْلِسِ الْعِلْمِيِّ بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ بَلَّغَتْ حَدَّ الْخِلَافِ؛ فَرُفِعَ الْأَمْرُ إِلَى الدَّيِّ مَصْطَفَى الَّذِي أَمَرَ بِعِزْلِ أَحْمَدِ قَدُورَةَ مِنَ الْإِفْتَاءِ ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَرْجَعَهُ وَاعْتَذَرَ مِنْهُ.

و بَقِيَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ مَقْتَلِهِ سَنَةَ 1118هـ/1706م، فِي عَهْدِ الدَّيِّ مُحَمَّدِ بَكَدَاشِ الَّذِي عَزَلَهُ وَ قَتَلَهُ مَعَ ابْنِ أُخْتِهِ سَيِّدِي عَلَّالِ الْقَاضِي الْمَالِكِي لِأَسْبَابٍ مَجْهُولَةٍ؛ قَدْ تَكُونُ لِقَرْبِهِمَا مِنَ الدَّيِّ السَّابِقِ الَّذِي تَسَبَّبَ فِي تَشْرِيدِ مُحَمَّدِ بَكَدَاشِ أَوْ لِأَسْبَابٍ أُخْرَى لَمْ تَفْصَحْ عَنْهَا الْمَصَادِرُ الْجَزَائِرِيَّةُ ، وَبَعْدَ انْقِطَاعِ قَصِيرٍ لِهَذِهِ الْعَائِلَةِ، عَنِ وِظِيْفَةِ الْإِفْتَاءِ الْمَالِكِي بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ، تَوَلَّى سَعِيدُ (الْحَفِيدُ) بِنَ أَحْمَدِ قَدُورَةَ الْإِفْتَاءِ مِنْ سَنَةِ 1122هـ/1710م إِلَى غَايَةِ 1129هـ/1717م، وَالَّذِي اعْتَبِرَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ وَالْفَتْوَى بِشَهَادَةِ مُعَاَصِرِهِ ابْنِ الْمَفْتِي الَّذِي نَعَتَهُ بِأَبْلَدِ الْمَخْلُوقَاتِ<sup>(1)</sup>.

كَمَا تَوَلَّى هَذَا الْمَنْصِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُرْتَضَى (ابْنُ أُخْتِ أَحْمَدِ قَدُورَةَ) أَحَدَ فُرُوعِ الْعَائِلَةِ بِالمَصَاهِرَةِ، وَبِوَفَاةِ الْمُرْتَضَى عَامَ 1128هـ/1715م وَسَعِيدُ (الْحَفِيدُ) عَامَ 1717م، تَخْرُجُ وِظِيْفَةُ الْإِفْتَاءِ الْمَالِكِي بِالْجَامِعِ الْكَبِيرِ مِنْ عَائِلَةِ قَدُورَةَ ذَاتِ الْأُصُولِ التُّونِسِيَّةِ وَالَّتِي سَيَّطَرَتْ عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْقَافِهِ وَعَلَى الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ لِقَرْنٍ كَامِلٍ مِنَ الزَّمَنِ<sup>(2)</sup>.

وَخِلَالَ دِرَاسَتِنَا وَجَدْنَا أَنَّ الْمَشْهَدَ يَتَكَرَّرُ فِي عِدَّةِ إِيَالَاتٍ عَرَبِيَّةٍ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ، وَهُوَ ظَاهِرٌ تَوَارَثَ بَعْضُ الْعَائِلَاتِ لِلْإِفْتَاءِ وَإِدَارَةِ الْأَوْقَافِ مِمَّا أَهْلَهَا وَسَمَّحَ لَهَا بِأَنْ تَكُونَ قَوِيَّةً وَثَرِيَّةً وَنَافِذَةً وَمُتَحَالِفَةً مَعَ السُّلْطَنَةِ؛ وَمِثْلُ هَذَا النَّمُودَجِ مِنَ الْعَائِلَاتِ نَجَدُهُ فِي تُونِسَ مِثْلَ آلِ الرِّصَاعِ وَآلِ بَيْرَمِ وَآلِ حُوجَةِ. وَفِي الْمَوْصِلِ بِنَجْدِ آلِ عَمْرِي وَآلِ يَاسِينَ، فَقَدْ كَانَ لَهُمْ تَارِيخٌ امْتَدَّ لِثَلَاثَةِ قُرُونٍ، وَكَذَا آلُ الْجَبْرِي وَآلُ الشَّرْقَاوِي بِالْقَاهِرَةِ، عَلِمًا أَنَّ هَذَا التَّحَالْفَ بَيْنَ السُّلْطَنَةِ وَفِيَّةِ الْعُلَمَاءِ كَانَ قَائِمًا عَلَى الْمَصْلَحَةِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ

<sup>(1)</sup> ابن المفتي، نفسه، صص 102-107. هل فعلا سعيد الحفيد بن أحمد قدورة كان بليداً؟، أم هو رأي ابن المفتي وحده، لأنه لا يمكن تجاهل ذلك الصراع الكبير و المحموم بين أصحاب الوظائف في سلك الإفتاء و التدريس و القضاء و الذي تعرض له حتى والده سعيد قدورة و كان سببا في ابعاده إلى اسطنبول لكنه رجع إلى الجزائر مرة أخرى. للمزيد حول هذه المؤامرات أنظر: سعد الله، المرجع السابق، ص 364.

<sup>(2)</sup> سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 366.

لأنَّ السُّلْطَةَ كانت بِحَاجَةٍ مَاسَةً لِدَعْمِهِمْ وتَأْيِيدِهِمْ بسبب المَكَانَةَ الاجتماعية والقَبُولِ الرُّوحي بين الرِّعِيَةِ الَّذِي كانوا يَتَمَنَّوْنَ به، وكذا العُلَمَاءُ بدورهم كانوا بِحَاجَةٍ إلى رِضَى وقَبُولِ السُّلْطَةَ الحاكمة لِلاِسْتِمْرَارِ في وِظَائِفِهِمْ<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثالث: لجوء أطراف الصراع داخل البيت الحسيني التونسي إلى الجزائر

شكَّلت الجزائر البلد الآمن والملجأ القريب بالنسبة لِعَدَدٍ من أفراد البيت الحُسَيْنِيِّ التونسي خلال القرن 12هـ/18م. والسؤال الَّذِي بَقِيَ يَدُورُ بِمُحَلِّدِي وَيَتَكَرَّرُ، هو لماذا فَتَحَتِ الجزائر أَبْوَابَهَا أمام الهَارِبِينَ السِّيَاسِيِّينَ من تونس أو بِالْأُخْرَى لماذا كان حُكَّامُ الجزائر العثمانيين يَشُنُّونَ هُجُومَاتٍ وَيُقُومُونَ بِتَدَخُّلاتٍ عسكرية لِتَوَلِيَةِ طَرَفٍ على حِسَابِ آخَرٍ على حكم تونس، ولماذا المُنْهَزِمُ كان يُرْحَبُ به وَيَسْتَقْبَلُ بالجزائر ويُعامل مُعاملة الأَمِيرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ الفُرْصَةَ لِاسْتِزْدَادِ الحُكْمِ؟ ثُمَّ لماذا تُدَعَّمُ هذا الطرف المُنْهَزِمُ بِالْأَمْسِ لِيعْتَلِي السُّلْطَةَ وَيَتَرَبَّعَ على الحُكْمِ؟ ما هي المِصْلَحَةُ المُتبادِلَةُ بين هؤَلاءِ الحُكَّامِ بالجزائر وَأَطْرَافِ الصِّرَاعِ بتونس؟.

وخلال هذا المبحث نُحَاوِلُ مَعْرِفَةَ الأسبابِ الحَقِيقِيَةِ وراءِ اسْتِقبَالِ اللّاجِئِينَ أو الهَارِبِينَ السِّيَاسِيِّينَ - إنْ صَحَّ التَّعْيِيرُ - التونسيينَ من قِبَلِ حُكَّامِ الجزائر، وكذا معرفة إن كانت هناك مِصْلَحَةٌ مُتبادِلَةٌ من وراء ذلك التَّصَرُّفِ، أم هو واجبٌ إسلامي وإنساني أُمَّلَّهُ الظروفُ و تقاليد حسن الجِوَارِ؛ طَبَّقْتُهُ الجزائر مع تونس نَظْراً، لِلارْتِباطِ التَّارِيخِيِّ والقرب الجغرافي و التلاحُمِ الاجتماعي الَّذِي كان يربط الإيالتين؟.

كما سيلمس القارئ لهذه المبحث تكرار الأحداث التي سبق ذكرها في الفصل السياسي؛ ولقد فعلنا ذلك من أجل توضيح العلاقات الاجتماعية العامة التي كانت تربط أفراد البلدين، فلا شك أن مثل هذه الهجرات و طلب اللجوء للشخصيات السياسية و العسكرية كان لها آثاراً اجتماعية متنوعة كالمصاهرات التي حدثت بعد الاستقرار في البلد الثاني؛ و كذا المساهمة في الحياة الاجتماعية و الحرفية، و المعاملات التجارية، لكن المصادر التونسية لم تتكلم عن هذه النشاطات الاجتماعية و الاقتصادية لذلك اكتفينا بعرض تلك الهجرات و الظروف التي تمت فيها، إلى أن تتوفر لدينا معطيات جديدة مستقبلًا.

### 3-1- هُرُوب "علي باشا" إلى الجزائر خلال الفترة (1729/1735م):

عرفت تونس حزباً أهلياً<sup>(1)</sup> بين (1728/1740م) على الحكم بين الباي "حسن بن علي" وابن أخيه "علي باشا" وتفصيل هذه الحرب طويلة ولا نهمنا كثيراً، لكن الذي يهمنا أن الجزائر أُفْحِمَتْ في

(1) اندري رمون، المرجع السابق، ص 29 و 66.

هذه الفئنة حكاماً وقبائل وحتى الأراضي الجزائرية الحُدُودِيَّةِ اِمْتَدَّتْ إِلَيْهَا فُصُولٌ مِنْ هَذَا الصَّرَاعِ<sup>(2)</sup>. اندلعت هذه الحرب في فبراير عام 1728 إلى أوت 1729م، كانت هذه المرحلة الأولى منها فقط، والتي اِنْتَهَتْ بِاِنْتِصَارِ "حسن بن علي" على ابن أخيه "علي باشا"، ممَّا اضْطَرَّ هَذَا الْاٰخِيرَ إِلَى الْهُرُوبِ نَحْوِ الْمُنَاطِقِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ (الصَّحْرَاوِيَّةِ) مِنَ الْجَزَائِرِ حَيْثُ نَزَلَ ضَيْفًا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ<sup>(3)</sup> عَلَى "فرحات بن رجرجة" شيخ بني علي عرب الزاب-وأصول هذه القبيلة عربية من بني هلال الذين استوطنوا عنده فصولاً وأكرمهم ووفر لهم الحماية والأمان.

وَقَدْ وَصَفَ صَاحِبُ الْمَشْرِعِ الْمَلِكِي حَيَثِيَّاتِ هُرُوبِ "علي باشا" قَائِلًا: "وسار الباشا علي فيمن معه... يقطع الفيافي والقفار، ودموعه على خده منحدره من الأشفار... وخبيره قدامه ينزل به دارا بعد دار، قاصدا نجع فرحات إلى أن وصله... هو وأصحابه وخدامه وأعزه وأكرمه، وبالمسير معه إلى الجزائر وعده، ولما طال المقام في نجع فرحات، استثقل الباشا علي نفسه من كثرة ما ذبح له من الأغنام، فلما طاح الليل وجاء فرحات للمسامرة... تنفس الباشا علي الصعداء وقال:... حصلنا في هذا المكان لا مالا ولا ولد، فأجابه الشيخ فرحات: أنا مالك وأنا ولدك، أنا مفرج كربتك<sup>(4)</sup>..."

و فِعَالًا أَشْرَفَ "فرحات بن رجرجة" بنفسه على نقل "علي باشا" إلى مدينة الجزائر عن طريق سور الغزلان دون المرور بقسنطينة التي كان حاكمها "حسين بوحنك" مؤاليًا وصديقًا "لحسين بن علي". وهكذا تَمَكَّنَ "علي باشا" بِمُسَاعَدَةِ بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْجَزَائِرِيَّةِ الْفَرَّارِ مِنْ تُونِسَ أَوْلًا ثُمَّ الْاِنْتِقَالَ مِنَ الصَّحْرَاءِ إِلَى مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ ثَانِيًا، حَيْثُ اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَقَامُ لِأَجْنَأٍ عِنْدَ الدَّايِّ "كور عبدي" (1732/1724م) الَّذِي وَافَقَ عَلَى الْتِحَاقِ ابْنِهِ يُونِسَ<sup>(5)</sup> -ابن علي باشا- به و الَّذِي كَانَ عِنْدَ قَبِيلَةِ الْحَنَانِشَةِ<sup>(1)</sup> حَيْثُ أَمَرَ بَايَ قَسَنْطِينَةَ بِإَرْسَالِهِ سَالِمًا إِلَى الْجَزَائِرِ<sup>(2)</sup>.

(1) تكلم عن هذه الحرب بالتفصيل كل من الصغير بن يوسف، المصدر السابق، ج1، ص ص 56-123 و 203 و 209 و 237.

وكذا حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي (مخطوط) الورقة 100-105/1-1 و 106/2-1 و 2.

وكذلك أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج2، ص 105 وما بعدها. أنظر كذلك الفصل السياسي من هذه الرسالة فقد سبق التطرق إليها.

(2) عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، ص ص 82-85.

(3) كان من أتباع علي باشا أحمد بن متيشة-قائد عسكر زاوية- ومعه أبناءه "أبو بكر" و"مصطفى"، قتل أحمد بن متيشة وابنه أبو بكر ضحية هذه الحرب الأهلية بتونس، وبقي مصطفى الذي اتبع علي باشا أثناء فراره من تونس ودخل معه إلى الصحراء الجزائرية. أنظر: الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م1، ص 212 و 214 و 221. و أيضا: بن خروف، المرجع السابق، ص 82.

(4) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م1، ص 241.

(5) حول لجوء يونس بن علي باشا إلى قبيلة الحنانشة الجزائرية. أنظر: الصغير بن يوسف، نفسه، ج1، ص ص 162-163.

بَقِيَ "علي باشا" بالجزائر مُدَّةَ خمس سنواتٍ وَنَيْفًا<sup>(3)</sup>؛ اِتَّصَلَ خِلَالَهَا بِعَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ التُّونِسِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يُزَوِّدُونَهُ بِاللَّبِيسَةِ وَالْأَغْذِيَةِ وَكَذَا الْمَعْلُومَاتِ عَنِ الْأَوْضَاعِ بِتُونِسَ فِي ظِلِّ غِيَابِهِ. وَقَامَ "كور عبدي" بِسَجْنِ "علي باشا" وذلك بسبب الصداقة التي كانت تَرْبِطُهُ بِعَمِّهِ "حسين بن علي"، وكذا التزام هذا الأخير بدفع الهدايا والأموال والتي حُدِّدَت بِمَنْحَةِ سَنَوِيَّةٍ مِقْدَارُهَا عَشْرَةُ آلَافِ سَكُورِينَ، عِلْمًا أَنَّ "حسين بن علي" كان قد طلب من "كور عبدي" قتل ابن أخيه "علي باشا" لكن داي الجزائر "عبدي" تماطل عن ذلك وأبقاه سَجِينًا مُقَابِلَ الْمَنْحَةِ السَّنَوِيَّةِ وَالْهَدَايَا الَّتِي كَانَتْ تَصِلُهُ<sup>(4)</sup>.

وَالْخُلَاصَةَ الَّتِي يُمْكِنُ الْخُرُوجَ بِهَا أَنَّ حُكَّامَ الْجَزَائِرِ لَمْ يَتَدَخَّلُوا رَسْمِيًّا فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ مِنَ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ سَنَةً وَنِصْفًا، لَكِنْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْحُدُودِيَّةِ قَدْ لَعِبَتْ دَوْرًا كَبِيرًا فِي هَذَا الصَّرَاعِ مِثْلَ قَبِيلَةِ الْحَنَانِشَةِ الَّتِي انْقَسَمَتْ إِلَى اثْنَيْنِ طَرَفٌ مُؤَيَّدٌ لِحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَآخَرٌ مَعَ "علي باشا" لَكِنْ وَلَاءُهُمَا لَمْ يَكُنْ ثَابِتًا وَمُسَانَدَتُهُمَا لِطَرَفِ الصَّرَاعِ كَانَتْ مِنْ أَجْلِ كَسْبِ الْمَالِ؛ حَيْثُ مَالَتْ الْمِيُولَاتُ السِّيَاسِيَّةُ حَسَبَ مَا تُثْمِلِيهِ الْمَصَالِحُ وَالْمَكَايِبُ.

وَالْقَبِيلَةُ الْأُخْرَى هِيَ بَنِي عَلِيٍّ وَشَيْخُهَا "فرحات بن رجاجة" أَوَّلُ مَحْطَّةٍ قَصَدَهَا "علي باشا" بَعْدَ هُرُوبِهِ مِنْ تُونِسَ، حَيْثُ وَجَدَ فِيهَا الْأَمْنَ بَعْدَ الْخَوْفِ وَالرَّاحَةَ بَعْدَ التَّعَبِ وَالْمَطْعَمَ وَالْمَشْرَبَ بَعْدَ وَعْتَاءِ السَّفَرِ، كَمَا سَاهَمَ شَيْخُهَا فَرِحَاتٌ بِنَفْسِهِ فِي نَقْلِهِ إِلَى الْجَزَائِرِ آمِنًا وَهُوَ مِنْ أَشَارِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْمُرُورِ بِقَسَنْطِينَةَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ خَطَرٍ عَلَى حَيَاتِهِ<sup>(5)</sup>.

وَبَقِيَ "علي باشا" زُفْقَةً ابْنَهُ "يونس" وَأَتْبَاعَهُ بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ إِلَى غَايَةِ 1735م، وَرَغْمَ الصَّدَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُ دَايَ الْجَزَائِرِ "كور عبدي" بِحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ "باي تونس"، إِلَّا أَنَّهُ تَعَامَلَ مَعَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَفَقَّ مَا تُثْمِلِيهِ عَلَيْهِ مَصْلَحَةُ الْجَزَائِرِ الَّتِي كَانَتْ تَمُرُّ بِظَرْفِيَّةٍ أَمْنِيَّةٍ صَعْبَةٍ جَدًّا وَهِيَ عَوْدَةُ الْاِحْتِلَالِ الْإِسْبَانِيِّ إِلَى مَدِينَةِ وَهْرَانَ وَمَرَسَايَا الْكَبِيرِ عَامَ 1732م، وَكَانَ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى الْأَمْوَالِ مِنْ أَجْلِ الْاِسْتِعْدَادِ لِمُحَارَبَةِ هَذَا

(1) هي من القبائل الحدودية التي استوطنت أراضي جزائرية وتونسية وكان لها ضلع كبير في الحرب الأهلية بتونس كما تسببت في عدة مرات من إثارة المنازعات والفتن بين عسكر الجزائر وتونس بسبب ولائها المتقلب وهروبها من الجباية، حول نشاط هذه القبيلة ومشائخها أنظر: عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 109-114.

(2) الصغير بن يوسف، المشرع لالملك، م 1، ص 241-243/ وعمار بن خروف، المرجع السابق، ص 84.

(3) ابن المفتي، المصدر السابق، ص 72/ ذكر أحمد السعداوي أن علي باشا بقي لاجئا في الجزائر لست سنوات . أنظر: أحمد السعداوي، تونس زمن

حسين بن علي وعلي باشا، ص 20. أما الصغير بن يوسف فقد أورد سبع سنوات أو أقل. أنظر: المشرع الملكي، م 2، ص 82.3

(4) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 86.

(5) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م 1، ص 241-243.

العدو؛ وبالتالي فقد احتفظ "بعلي باشا" ولم يفتله رَغْم إلماح "حسين بن علي" واستعداديه لدفع المال من أجل التَّخْلِص منه.

والأهم من هذا وذاك أَنَّ "علي باشا" اتَّخَذَ من مدينة الجزائر مأوًاً ومَسْكناً له فَتَرَهُ هُرُوبِهِ حيث بقي يَتَرَقَّب أخبار تونس مع الوافدين وَيَتَحَيَّنُ الفُرْصَةَ السَّانِحَةَ من أجل العُودَةِ وافتِكَاك الحُكْم من عَمِّهِ وَوَلِيِّ نِعْمَتِهِ "حسين بن علي".

### 3-2- هُرُوبُ أَبْنَاءِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَتْبَاعِهِمْ إِلَى الْجَزَائِرِ فِي الْفَتْرَةِ (1737/1756م):

عِنْدَمَا تَمَكَّن "علي باشا" من العُودَةِ إِلَى تونس بِمَعِيَةِ عَسْكَرِ الْجَزَائِرِ فِي سبْتَمْبَرِ عَامِ 1735م وَالانْتِصَارِ عَلِي عَمِّهِ-الَّذِي تَرَكَ الحَاضِرَةَ وَأَنْحَصَرَ حُكْمُهُ عَلَى القَيْرَوَانِ لِمُدَّةِ خَمْسِ سَنَوَاتٍ فِي المَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الحَرْبِ الأَهْلِيَةِ (1735/1740م<sup>(1)</sup>)، أَشار "حسين بن علي" عَلَى ابْنِهِ "علي باي" الَّذِي كَانَ مَعَهُ؛ بِالْفِرَارِ خِلالِ صَائِفَةِ عَامِ 1150هـ/1737م، بِمَعِيَةِ شَيْخِ الحَنانِشَةِ بوعزيز، وَكان فِي صُحْبَتِهِ تِسْعِينَ فَارِساً مِنَ أَتْبَاعِهِ وَقَصَدُوا وادي سُوفٍ وَمِنْهَا إِلَى لِيانَةَ بِالزَّابِ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ الْجَزَائِرِيَّةِ، ثُمَّ قَصَدَ "علي باي" خَنْقَةَ<sup>(2)</sup> سَيْدِي نَاجِي وَمَكَّتْ بِهَا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ مُتَخَفِياً عَنِ الأَنْظَارِ والأَعْدَاءِ عِنْدَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ الطَّيِّبِ شَيْخِ الحَنْقَةِ<sup>(3)</sup>.

وقد رَوَدَنَا صاحبُ الكِتابِ الباشي بِمَعْلُومَاتٍ وافِيَةٍ عَنِ ظُرُوفِ هَذَا الفِرَارِ وَمَا لاقاهُ "علي باي" مِنَ المَرَضِ والعَنَتِ قائلاً: "وَكانَ مولانا... قد أصابه مرض هو منه سقيم فركب على ما به من الضرر وقاس في فراره ألماً شديداً... ولم يكن لمولانا... قدرة على الركوب فجعله أصحابه في محمل وحملوه على بعير وباتوا ليلهم كلها يسوقون به سوقاً حثيثاً"<sup>(4)</sup>. وَبعْدَ مُدَّةٍ مِنَ مُكُوثِ "علي باي" بِخَنْقَةِ سَيْدِي نَاجِي، تَطَّلَعَ إِلَى مُسَاعَدَةِ أَبِيهِ الَّذِي كانَ مُحاصِراً بِالقَيْرَوَانِ<sup>(5)</sup>، وَقَصَدَ قسنطينة عَامَ 1738م مِنَ أَجْلِ طَلْبِ المُساعَدَةِ مِنَ الباي "حسين بوحناك" بِمِجْلَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ مِنَ أَجْلِ تَنْفِيذِ رَغْبَتِهِ، وَاتَّخَذَ مِنَ شَبُورِ قَرْبِ مَدِينَةِ

(1) حول تفاصيل هذه المرحلة الثانية من الحرب الأهلية التي عصفت بحكم حسين بن علي وأتمت حياته واعتلاء علي باشا الحكم بتونس. أنظر: حمودة بن عبد العزيز، مخطوط التاريخ الباشي، ج2، ص111-2/ص114-1 و2.

(2) واحةٌ صغيرةٌ مُحَصَّنَةٌ بَيْنَ الجِبَالِ وَمُنِيعةٌ تَقَعُ شَمالَ شَرْقِ تَقْرَتِ، وَتُوجَدُ بِهَذِهِ الحَنْقَةِ زاوية مشهورة بالعلم والعلماء الذين ربطتهم علاقات متينة بجامع الزيتونة بتونس وبخاكيها حسين بن علي، وستعرض لهذه العلاقة أكثر في الفصل الثقافي من هذه الرسالة.

(3) الصغير بن يوسف، مخطوط التاريخ الباشي، ج2، ص114-119/ ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م1، ج2، ص113-114/112.

(4) حمودة بن عبد العزيز، الكتاب بالباشي. مخطوط، ج2، ص120-2.

(5) تعرضت هذه المدينة التي كانت موالية لحسين بن علي ولجأ إليها أثناء الحرب الأهلية إلى حصار من طرف يونس ابن علي باشا، الأول كان لمدة 11 شهراً من نوفمبر 1736م إلى أكتوبر 1737م، والثاني كان عام 1738م لمدة تسعة أشهر، والثالث كان لسبعة أشهر حتى تمكن من القضاء على حسين بن علي في 13 ماي 1740م والسيطرة على القيروان. أنظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، م1، ج2، ص113-114.

تبسة الحدودية قَاعِدَةً لِتَجْمِيعِ الْجَيْشِ وَأَعْرَابِ إِفْرِيقِيَةِ الْمُؤَالَيْنِ لَهُ وَمَكَثَ هُنَاكَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَرَعِمَ أَنَّهُ قَامَ بِشَنْ غَارَةٍ عَلَى أَطْرَافِ الْبِلَادِ التُّونِسِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ مُوَاصَلَةِ التَّوَعُّلِ بِسَبَبِ قِلَّةِ الْمَدَدِ. وَأَثْنَاءَ مُرَابَطَتِهِ قُرِبَ تَبَسَةَ التَّقَى بِأَخِيهِ "محمد باي" عام 1738م الَّذِي جَاءَ مَبْعُوثًا مِنْ أَبِيهِ لِطَلَبِ الْمَعُونَةِ مِنْ عَسْكَرِ الْجَزَائِرِ.

ولما فَشِلَتْ مَحَاوِلَاتُ "علي باي" تَوَجَّهَ مِنَ الْحَنَانِشَةِ نَحْوَ التَّلِّ بِبَايْلِكِ الشَّرْقِ الْجَزَائِرِيِّ وَبَقِيَ هُنَاكَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ<sup>(1)</sup>، ثُمَّ قَصَدَ النَّمَامِشَةَ فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ الْجَزَائِرِيِّ ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَقَامَ بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ بِقَسَنْطِينَةِ بَعْدَ التَّجَوُّلِ فِي الْبَادِيَةِ سِنِينَ مُتَعَدِّدَةً وَهَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَائِلًا: "استقر بقسنطينة بعد سكن البادية سنين معتدة... فهذه أخباره... من يوم خروجه من القيروان في التاريخ المتقدم إلى يوم استقراره بقسنطينة"<sup>(2)</sup>.

أَمَّا أَخُوهُ "مُحَمَّدُ بَاي" فَقَدْ قَصَدَ مَدِينَةَ قَسَنْطِينَةَ لَكِنَّهُ لَمْ يَزْعَبْ فِي الْبَقَاءِ فِيهَا، وَتَوَجَّسَ خِيْفَةً مِنَ الْبَايِ حَسَنِ (بَايِ قَسَنْطِينَةَ) الَّذِي تَغَيَّرَتْ مُعَامَلَتُهُ وَفَتَرَ حَمَاسُهُ فِي مُسَاعَدَةِ أَبْنَاءِ "حَسَنِ بْنِ عَلِي" فِي اسْتِرْدَادِ مُلْكِ أَبِيهِمْ بَتُونَسَ، لِذَلِكَ رَاسَلَ "الدَّايَ إِبْرَاهِيمَ" يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْإِنْتِقَالِ إِلَى مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ، فَأَذِنَ لَهُ بِذَلِكَ وَأَقَامَ فِيهَا مُعْظَمًا مُكْرَمًا<sup>(3)</sup>، وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ صَاحِبُ عُنْوَانِ الْأَرِيْبِ قَائِلًا: "واتخذ محمد الرشيد بستانا بمدينة الجزائر سكنه وسلى نفسه بالمطالعة ومسامرة عالمية أبي عبد الله محمد الشافعي الباجي وكتبه أحمد الأصرم القيرواني"<sup>(4)</sup>، وَقَضَى رَفَقَتَهَا فِي الْجَزَائِرِ اثْنَيْ عَشْرِينَ عَامًا<sup>(5)</sup>.

وقد التحق به محمود باي أخوهما الثالث، الَّذِي غَادَرَ تُونِسَ مُتُخْفِيًا<sup>(6)</sup> بَعْدَ مَقْتَلِ وَالِدِهِ "حَسَنِ بْنِ عَلِي" عام 1740م مُتَّجِهًا إِلَى مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ وَأَقَامَ إِلَى جَوَارِ أَخِيهِ مُحَمَّدًا<sup>(7)</sup> إِلَى غَايَةِ وَفَاتِهِ بِقَسَنْطِينَةَ

(1) حمودة بن عبد العزيز، مخطوط التاريخ الباشي، ص 125-2 / الصغير بن سوف، المصدر السابق، م 2، ص 165.

(2) ابن عبد العزيز، المخطوط الباشي، ص 127-2.

(3) ابن عبد العزيز، المخطوط الباشي، ج 2، ص 126-1 / بن خروف، المرجع السابق، ص 118.

(4) سيتم التعريف بمهذين العالمين (محمد الشافعي الباجي، وأحمد الأصرم) في مبحث هجرة العلماء بين الجزائر وتونس في الفصل الثقافي من هذه الرسالة.

(5) محمد النيفر، المصدر السابق، ص 526.

(6) تعرضت مدينة سوسة للمحاصرة من طرف يونس بن علي باشا بعد قتله لحسين بن علي وهدمه القيروان التي كانت يتحصن بها، وكان محمود باشا ابن حسين بن علي مقيما بسوسة فلما بلغه مقتل أبيه خرج ليلا من سوسة على متن مركب كان شقيقه محمد قد أرسله له من الجزائر ورحل هو وخدمه وحاشيته إلى جزيرة مالطا ثم إلى مرسيليا ثم دخل مدينة الجزائر. أنظر: أنفونص روسو، المصدر السابق، ص 184-185.

(7) تعرض صاحب المشرع الملكي إلى ظروف هروب محمود باي من تونس بالتفصيل أنظر: الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م 2، ص 181 وما بعدها.

عام 1746م، أثناء محاولة أبناء الحسين رُقْمَةَ عَسْكَر الجزائر اسْتِرْدَاد الحُكْم بتونس وفشلوا في ذلك -وهي المعروفة في المصادر بِحَطْرَةِ الجزائريّة الكَذَّابَةِ<sup>(1)</sup> - فَمَاتَ كَمَدًا وَحُزْنًا نَتِيجَةَ خَيِّبَةِ الأَمَلِ<sup>(2)</sup>.

وإلى جانب أبناء حسين بن علي (مُحَمَّد، علي و مُحَمَّد) لجأَ عَدَدٌ كَبِيرٌ من عَائِلَاتِهِم وَأَتْبَاعِهِم وَحُدَامَتِهِم وَكُتَابَتِهِم المَقْرَبِينَ مِنْهُمْ<sup>(3)</sup> خَوْفًا من بَطْشِ "علي باشا" الَّذِي صَبَّ جَامَ غَضَبِهِ على أَتْبَاعِ عَمِّهِ "حسن بن علي" من أَكْبَرِ العُلَمَاءِ وَالفُقَهَاءِ وَأَشْرَافِ أَهْلِ تونس وَنَزَلَ فِيهِم تَقْتِيلًا وَتَعْذِيبًا وَمُصَادَرَةً لِأَمْوَالِهِم وَأَمْلاكِهِمْ<sup>(4)</sup>. و من الَّذِينَ اسْتَوَطَنُوا مَدِينَةَ الجزائر رُقْمَةَ "مُحَمَّد باي" العَالَمِينَ مُحَمَّد الشَّافِعِي البَاجِي وَأحمد الأَصْرَم القَيْرَوَانِي، وَلحقَ بِهِم القَاضِي علي شَعِيب-قَاضِي مَحَلَّةِ حسين بن علي-الَّذِي فَرَّ إِلَى مَدِينَةِ الجزائر بَعْدَ اسْتِيلاءِ "علي باشا" على الحُكْم بتونس، وَاجْتَمَعَ بِ"محمد باي" وَاشْتَعَلَ بِالقَضَاءِ إِلَى أَنْ تُوفِيَ بِهَا فُبَيْلَ عَوْدَتِهِمْ إِلَى تونس عام 1756م<sup>(5)</sup>.

كما إزْدَادَ عَدَدُ الوَافِدِينَ من الأَعْرَابِ وَالقَبَائِلِ الحُدُودِيَّةِ نحو الأَرْضِي الجزائرية، خَاصَّةً المَنَاطِقِ الحُدُودِيَّةِ بِبَايَلِكِ الشَّرْقِ بَعْدَ فَشَلِّ مَحَاوَلَةِ أَبناءِ "حسين بن علي" اسْتِرْدَادِ الحُكْمِ فِي صَائِفَةِ عام 1159هـ/ 1746م خَوْفًا من اِنْتِقَامِ "علي باشا" بَعْدَ إِظْهَارِ مَيْلِهِمْ لِنُصْرَةِ أَبناءِ "حسين بن علي"<sup>(6)</sup>.

### 3-3- لُجُوءُ طَائِفَةٍ مِنَ الجُنْدِ التُّرْكِيِّ إِلَى الجزائر عام 1743م:

شَكَلَ الجَيْشِ الانكشاري الرَكِيزَةَ الأَسَاسِيَّةَ لِإِنْطِاقِ "علي باشا" حَيْثُ مَنْحَهُم بَعْضَ الامْتِيازاتِ وَتَكَاثَرَ عَدَدُهُمْ فِي عَهْدِهِ حَتَّى أَصْبَحُوا قُوَّةً، ثُمَّ اِنْقَلَبَ عَلَيْهِم وَاسْتَبَدَّ بِهِمْ وَخَشِيَّ مِنْ قُوَّتِهِمْ فَحَدَّ مِنْ مَهَامِهِمْ وَقَلَّصَ اِمْتِيازَاتِهِمْ، فَتَارُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ الأُولَى عام 1156هـ/ 1743م وَالثَّانِيَةَ عام 1165هـ/ 1752م، وَقَامَ بِقَتْلِ نَحْوِ 500 مِنْهُمْ وَضَيَّقَ على البَاقِينَ وَمَالَ إِلَى الاسْتِكْثَارِ مِنْ جُنْدِ زَوَاوَةِ على حِسابِ الجُنْدِ التُّرْكِيِّ الانكشاري.

وقد ذكر صاحب المشرع الملكي بعض هذه الممارسات التّعسُفِيَّةِ قائلاً: "وكم خنق من الترك بأدنى سبب، ومن ثمّ جَيِّشَ عَلَيْهِم زَوَاوَةَ وَأَكْثَرَهُم عَلَيْهِم وَصَارُوا بِالطَّبَعِ يَكْرَهُهُمْ، وَقَالَ: لا أمان لهم، تراهم أَسَدَ عَلِيٍّ وَفِي الحُرُوبِ نَعَامَةٌ<sup>(1)</sup>".

(1) حول تفاصيل هذه الحملة أنظر: الصغیر بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 132. /و ابن عبد العزيز، التاريخ الباشي (ج 2) مخطوط، ص 136-138. / ابن الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص 129.

(2) ابن عبد العزيز، المخطوط الباشي، ج 2، ص 141-يسار. / ابن الضياف، نفسه، مج 1، ج 2، ص 130.

(3) الصغیر بن يوسف، نفسه، م 2، ص 183-184 / حمودة بن عبد العزيز، المخطوط الباشي، (ج 2)، ص 114-119.

(4) الصغیر بن يوسف، نفسه، ج 3، ص 9-25 / أحمد السعداوي، تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا، ص 20.

(5) حول ظروف هروب هذا القاضي من تونس ووصوله إلى الجزائر أنظر: الصغیر بن يوسف، نفسه، ج 2، ص 21-49.

(6) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 124، 142.

وفي أعقاب فشل ثورة الجيش الإنكشاري عام 1743م ضد "علي باشا"، لجأت طائفة منهم إلى الجزائر. وهكذا أصبحت التُحوم الحدودية ببايلك الشرق الجزائري تُعج باللاجئين والمناوئين والفارين من بطش "علي باشا"<sup>(2)</sup>.

### 3-4- هُرُوب يُونُس (بن علي باشا) وابنته إِسْمَاعِيل إلى الجزائر:

لقد تَكَرَّرَ المشهَدُ نَفْسُهُ وهو الصِّراعُ المحموم على السُّلْطَة مثل الذي حَصَلَ بين "حسين بن علي" وابن أخيه "علي باشا" سابقاً، لكن هذه المرّة حَدَثَ بين هذا الأخير وابنته يونس فَمَن زَرَعَ بُذُورَ الحرب حَصَدَ ثَمَارَهَا وَدَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِمَا فَدَبَّ خِلَافٌ<sup>(3)</sup> شَدِيدٌ بَيْنَهُمَا على السُّلْطَة عام 1748م وَتَفَاقَمَ إلى أَنْ وَصَلَ إلى حَدِّ مُحَاوَلَةِ يُونُسِ الانْقِلَابِ عَلَى أَبِيهِ، حَيْثُ قَامَ بِثُورَةٍ ضِدَّ أَبِيهِ رُفْقَةً عَدَدِ كَبِيرٍ مِنْ اتِّبَاعِهِ مِنَ الْجَيْشِ عَرَبِيًّا وَاتِّرَاكًا عام 1752م؛ لَكِنَّهُ فَشِلَ فِي هَذِهِ الثُّورَةِ الَّتِي دَامَتْ خَمْسَ وَخَمْسِينَ يَوْمًا<sup>(4)</sup>.

وعلى إثرِ ذلك فَرَّ نَحْوَ مَدِينَةِ تَبَسَةَ مُصْطَحِبًا مَعَهُ أَلْفَ فَارِسٍ عَرَبِيٍّ وَمِائَةً وَخَمْسِينَ مِنَ الْاِتِّرَاكِ<sup>(5)</sup>، ومنها لجأ إلى قسنطينة حيث استقبله الباي "حسين عشي" وأكرمه وأحسن نُزْلَهُ وَأَشَارَ صَاحِبُ الْمَشْرِعِ الْمَلِكِي لِذَلِكَ قَائِلًا: "...فدخل يونس إلى مدينة قسنطينة وأحله عشي حسن محلا كريما، وأجرى عليه خير جسيما"<sup>(6)</sup>...

لكن الأحوال تَبَدَّلَتْ لَمَّا أَصْبَحَ "حسن أزرق عينية" باياً على قسنطينة حيث قَامَ بِأَمْرِ مِنْ دَايِ الْجَزَائِرِ -خَالَهُ- "علي بوصبع" (حكم 1754-1766م)، بِسَلْبِ يُونُسِ مِنْ جَمِيعِ ثُرُوتِهِ وَأَمْتِعَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنْ تُونُسِ، وَأَبْعَدَ عَنْهُ اتِّبَاعَهُ وَخُدَامَهُ ثُمَّ سَجَنَهُ بِدَارِهِ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ<sup>(7)</sup> حَتَّى أَشَاعَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ مَاتَ لِأَنَّ الْبَابَ الْعَالِي لَمَّا عَلِمَ بِخَبَرِ مُصَادَرَةِ أَمْوَالِ يُونُسِ تَدَخَّلَ وَطَالَ بِإِرْجَاعِهَا إِلَيْهِ. وَسَبَبُ هَذِهِ الْمَسْئُورَةِ فِي الْمَعَامَلَةِ أَنَّ "علي بوصبع" فِي سَابِقِ أَيَّامِهِ ذَهَبَ سَفِيرًا إِلَى تُونُسِ فِي مُهِمَّةٍ رَسْمِيَّةٍ أَيَّامَ حُكْمِ "علي باشا"

(1) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م3، ص69/ كمال مايدي، المرجع السابق، ص123.

(2) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص124.

(3) سبب هذا الخلاف هو تلك الغيرة والحسد التي كان يُكنها محمد باي بن علي باشا إلى أخيه الأكبر يونس الذي كان أكثر منه حزما وقوة وذراع أبيه في المهمات الصعبة أثناء الحرب الأهلية بينه وبين عمه حسين بن علي، كما كان يقوم بقيادة محلات المجاهدين لجمع الضرائب من دواخل تونس، والأمر الناهي بالحاضرة، فكان أخوه محمد يُوغرُ صدر أبيه عليه، وازداد ذلك الخلاف شيئا فشيئا إلى أن تحول إلى ثورة من طرف يونس ضد أبيه لافتكاك السلطة منه. أنظر: ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج2، ص135 وما بعدها/ الصغير بن يوسف، نفسه، م3، ص78 وما بعدها/ حمودة بن عبد العزيز، المخطوط الباشي، ج2، ص1-143/ كمال مايدي، نفسه، ص124.

(4) ألفونزو روسو، المصدر السابق، ص208.

(5) عمار بن خروف، نفسه، ص143.

(6) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م3، ص159.

(7) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج2، ص141.

فَقَامَ ابْنُهُ يُونُسُ بِأَطْمِهِ وَشْتَمِهِ وَتَغْنِيفِهِ. كَمَا تَعَرَّضَ حَسَنُ أَزْرَقَ عَيْنِيهِ لِلِإِهَانَةِ وَنُعِتَ مِنْ طَرَفِ "عَلِي بَاشَا" بِالطَّبَاحِ فِي مَجْلِسِهِ<sup>(1)</sup>.

لِذَلِكَ بَقِيَ يَحْمِلُ لَهُ فِي نَفْسِهِ حِقْدًا دَفِينًا وَيَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ لِلانْتِقَامِ مِنْهُ. وَبَقِيَ يُونُسُ فِي السَّجْنِ إِلَى غَايَةِ عَامِ 1768م حَيْثُ أَذِنَ ذَايَ الْجَزَائِرِ الْجَدِيدِ "مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ بَاشَا" (حَكْمَ 1766-1791م) بِإِطْلَاقِ سِرَاحِهِ، فَقَامَ بَايَ قَسَنْطِينَةَ أَحْمَدُ بِتَسْرِيحِهِ وَالإِذْنِ لِلنَّاسِ بِلِقَائِهِ لَكِنَّهُ -يُونُسُ- سَرَعَانَ مَا تَوَفَّى فِي نَفْسِ السَّنَةِ بَعْدَ إِطْلَاقِ سِرَاحِهِ لِأَنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِمَّا نَالَهُ مِنْ ضَيْقِ الْمَحْبَسِ<sup>(2)</sup>.

أَمَّا ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ<sup>(3)</sup>، فَقَدْ قَامَ بِثَوْرَةٍ<sup>(4)</sup> هُوَ الْآخِرُ ضِدَّ "عَلِي بَايَ" -ابْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ- مِنْ أَجْلِ إِفْتِكَاكِ الْحُكْمِ مِنْهُ. بَدَأَتْ هَذِهِ الثَّوْرَةُ فِي جَوَانَ 1759م وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى جَوَانَ 1762م<sup>(5)</sup> لَكِنَّهُ فَشَلَ فِي مَسْعَاهُ وَأَلْقِيَ عَلَيْهِ الْقَبْضُ فِي قَسَنْطِينَةَ وَسُجِنَ مِنْ طَرَفِ "أَحْمَدُ بَايَ"<sup>(6)</sup>، وَظَلَّ قَابِعًا بِهِ إِلَى أَوَاخِرِ دَيْسَمْبَرِ عَامِ 1764م حَيْثُ نُقِلَ إِلَى مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ بِطَلْبِ مِنَ الدَّايِ "عَلِي بُو صَبْعِ" الَّذِي اسْتَقْبَلَهُ بِمُودَةٍ

(1) راسل حسن أزرق عينه-باي قسنطينة- علي باشا حاكم تونس بشأن قبيلة جزائرية امتنعت عن دفع الضرائب ولجأت إلى الأراضي التونسية فطالبه بإعادتها أو دفع ما قيمته خمسين ألف بياستر للجزائر كتعويض للخسائر التي ترتبت على فرار تلك القبيلة عن أداء الضريبة لبابلك الشرق، فكان رد علي باشا على مبعوث حسن أزرق عينه بأنه: "كان لابد أن أعيش إلى هذا اليوم لأتلقى الأوامر من حاشي" يعني من طبّاح، لأنه كان طبّاحا عند خاله علي بوضيع بالجزائر وهو الذي عينه بايا علي قسنطينة. أنظر: عمار بن خروف، المرجع السابق، ص158.

(2) أنظر أبي الضياف، نفسه، مج1، ج2، ص142. وكذا:

PLANETET(E) : correspondance des deys de tunis et de consuls de France avec la cour de France (1577-1830), Vol 2;Paris, 1893-1899, tl, P660.

(3) هو ابن يونس وحفيد "علي باشا"، قام بالتحالف مع القبائل التي بقيت موالية للباشيين-نسبه إلى جده- كقبائل جبل وسلات وبعض القبائل من الساحل وبالخصوص قبائل الجمال وبني زيد وماجر وأولاد سعيد وأولاد عيار. أنظر: كمال مايدي، المرجع السابق، ص130.

(4) أنظر تفاصيلها في: الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج4، ص176 وما بعدها/ حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، ج1، ص63 وما بعدها.

(5) عمار بن خروف، العلاقات، نفسه، ص214.

(6) ابن أبي الضياف، نفسه، مج1، ج2، ص142.

PLANETET(E), op.cit, pp563-590

عمار بن خروف، المرجع السابق، ص224-225.

وَحَفَاوَةٍ كَبِيرَةٍ وَأَعَادَ لَهُ حُرِّيَّتَهُ<sup>(1)</sup>. وبقي إسماعيل حُرّاً طليقاً بمدينة الجزائر وتزوج من ابنة الحزنّاجي أحد أهمّ رجالات الديوان وأنجب منها ولداً أسماه حسن<sup>(2)</sup>، لكن الأجل سَابَقَهُ وتوفي عام 1780م<sup>(3)</sup>.  
وَسَتَّخَلَصَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْمُنْهَزِمَ فِي الصَّرَاعِ عَلَى السُّلْطَةِ بَتُونَسِ كَانَ دَائِمًا يَلْجَأُ إِلَى الْجَزَائِرِ وَلَيْسَ إِلَى غَيْرِهَا، إِمَّا طَلْبًا لِلنَّجَاةِ أَوْ بَحْثًا عَنِ الدَّعْمِ وَالْمَسَاعِدَةِ، وَإِذَا كَانَ يُونَسُ بْنُ "عَلِي بَاشَا" قَدْ عَاشَ خَمْسَةَ عَشْرَ عَامًا فِي الْجَزَائِرِ (1752-1768) مُعْظَمُهَا فِي السَّجْنِ بِطَلْبِ<sup>(4)</sup> مِنْ أَبِيهِ ثُمَّ مِنْ "عَلِي بَاي" ابْنِ "حَسِينِ بْنِ عَلِي" فَإِنَّ ابْنَ إِسْمَاعِيلِ قَدْ تَمَتَّعَ بِالْحُرِّيَّةِ وَالْحَيَاةِ الْكَرِيمَةِ مَعْظَمَ الْفِتْرَةِ (ثَمَانِيَةَ عَشْرَ عَامًا) الَّتِي قَضَاهَا بِالْجَزَائِرِ وَالْمُنْحَصِرَةِ بَيْنَ 1762-1780م.

المبحث الرابع: نماذج لهروب عكسي من الجزائر نحو تونس (محلة عسكرية و قبيلة حدودية) وتمثل فيما يلي:

#### 4-1- هروب محلة جبائية جزائرية الى تونس:

لم تكن الجزائر هي الوحيدة التي تستقبل الفارين واللاجئين نحوها من تونس هُرُوبًا من القلاقل السياسية والحرب الأهلية على السُّلْطَةِ، بل كانت تونس هي الأخرى تستقبل الفارين من الجزائر أفرادًا وجماعاتٍ ولأسبابٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَأَهْمُهَا التَّهَرُّبُ مِنَ الدَّفْعِ الْجَبَائِيِّ، فَخِلَالَ شَهْرِ مَارَسِ مِنْ سَنَةِ 1752م قَامَتِ فِرْقَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ قُدِرَ عَدْدُهُمْ بِمِائَتَيْنِ إِلَى ثَلَاثِمِائَةٍ نَفَرًا كَانُوا مُكَلَّفِينَ بِتَحْصِيلِ الضَّرَائِبِ مِنْ دَاخِلِ الْبِلَادِ<sup>(5)</sup>، فَلَمَّا تَجَمَّعَ لَدَيْهِمْ مَبْلَغٌ مُعْتَبَرٌ قُدِرَ بِجَوَالِي 10000 جَنِيهِ قَامُوا بِقَتْلِ رَئِيسِهِمْ وَالاسْتِحْوَاذِ عَلَى

(1) بن خروف، نفسه، ص 226. / لقد أطلق الداوي علي بوصيع سراح إسماعيل بطلب من محظيته التي كانت في السابق في دار يونس، ولا ندري أهي زوجته أو إحدى جواربه التي قدمت له ضمن الهدايا التي كانت تصله من تونس، والملفت للانتباه أن معالجة الكثير من القضايا السياسية بين الجزائر وتونس كانت تتحكم فيها أهواء الحكام أو تدخل المقربين أكثر مما كانت تتحكم فيه مصلحة الإيالتين، فيونس الذي كان فعلا فضا سجن = و سلب من أمتعته بسبب سوء معاملته لحسن أزرق عينه الذي كان فعلا طباحا وأصبح بايا وحتى هذا المنصب ناله لأن خاله "علي بوصيع" أصبح دايا على الجزائر، وإسماعيل أطلق سراحه بطلب من إحدى نساء قصر يونس التي بلغت شأنًا لدى داي الجزائر، و هكذا نجد الكثير من هذه الأحداث تكرر و تحكمت الأهواء الشخصية في سير العلاقات بين الإيالتين.  
(2) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص 142.

(3) PLANETET(E), op.cit, v3, P113.

(4) بن خروف، نفسه، ص 224.

(5) يُعْتَبَرُ بَايَلِكُ الشَّرْقِ (قسنطينة) أهم بيالك الإيالة الجزائرية مساحة و ثراء بالموارد حيث ينقسم بحاله الجغرافي إلى أربع مقاطعات كبرى هي:

- بلاد الجبل، تضم شمال وغرب قسنطينة وهي جبل زواوة و فرجوية.
- مقاطعة شرق قسنطينة التي تمتد حتى التخم التونسية وهاتان المقاطعتان مهمتان جدا بسبب انفتاحهما على التجارة البحرية المتوسطية عبر موانئ القالة، عنابة وسكيكدة.
- مقاطعة غرب قسنطينة تمتد حتى أطراف بايلك التيطري
- مقاطعة الصحراء وتمتد حتى جنوب بسكرة وبلاد تقرت ووادي سوف حيث قوافل المبادلات التجارية مع عمق المناطق الصحراوية نشيطة جدا.

المبلغ ثم فرّوا نحو تونس وهناك منحهم "علي باشا" حقّ اللجوء، مما أثار حافظة داي الجزائر "محمد بن بكير" (1754/1748م) وبأبي قسنطينة اللذان راسلا "علي باشا" مراراً مُطالِبين بِرَدِّ الفرقة العسكرية إلى الجزائر لكن دون جدوى مما أثار سُخْط حُكّام الجزائر عليه وسيروا نحوه حَمَلَةً عسكرية زُفَقَةً عُرْمَانِهِ أبناء الحسين عام 1756م؛ وكانت سبباً في الإطاحة بِحُكْمِهِ وَقْتْلِهِ وَتَسْلِيمِ السُّلْطَةِ إلى أبناء عَمِّهِ (مُحَمَّدِ الرَّشِيدِ وَعَلِيِّ بَايِ<sup>(1)</sup>).

علماً أَنَّ ظاهرة فرار بعض الجنود الانكشاري من مَحَلَّة قسنطينة نحو تونس تَكَرَّرَتْ عِدَّة مَرَاتٍ، فبعضهم كان يطلب الانضمام إلى مَحَلَّة تونس والعمل تحت لوائها مثلما حَدَثَ مع خَمْسَةِ يُولُضَابَشِيَّة عام 1228هـ/1814م فرّوا مع خَدَمِهِمْ، وبعضهم الآخر كان يَتَّخِذُ من الثراب التونسي مَعْبَرًا يُوصلُهُ إلى طرابلس ومنها يَتَّجِه نحو المشرق<sup>(2)</sup>. كما كانت تونس في الوقت ذَاتِهِ تُعْتَبَرُ المحطة الأولى لِلْمُجَنِّدِينَ من أزمير نحو الجزائر، فمثلا قدم من أزمير حسين آغا حفيد مصطفى باي قسنطينة عام 1212هـ ومعه 100 نفرًا من اليولداش نزلوا بتونس ومنها تَوَجَّهوا نحو قسنطينة<sup>(3)</sup>.

والمُتَّأَمِّلُ في هذه الوَقَائِعِ التَّارِيخِيَّةِ يَجِدُ أَنَّ المَجَالَ الجغرافي مُتداخِلَ جَدًّا بين تونس والجزائر وَيَصْعُبُ في الكثير من المرات الفصل بينهما، كما أَنَّ وِلَاءَ إِيَالَاتِ المغرب العثماني لِنَفْسِ السُّلْطَانِ كان يرفع الحَوَاجِزَ السِّيَاسِيَّةَ أمام هؤلاء الجنود الذين لا يَجِدُونَ حَرَجًا في الاِنتِقَالَ من إِيَالَةٍ لِأُخْرَى. وما يَعتَبَرُهُ باي قسنطينة وداي الجزائر فرارًا، يراه هو تَفَاضُلًا بين الجهة الَّتِي تَدْفَعُ أَكْثَرَ مُقَابِلِ خَدَمَاتِهِ العَسْكَرِيَّةِ<sup>(4)</sup>.

---

= لذلك نجد هذا البايك من أكبر وأغنى بيالك الجزائر بالحبوب والثروات الحيوانية ومداخيله الجباية معتبرة وهذا ما يفسر نشاط مؤسسة المحلة الجباية التي تجوبه في كامل فصول السنة، فخلال فصل الربيع والصيد تقصد بلاد التل والجبل، ثم تخرج في فصل الخريف والشتاء إلى المناطق الصحراوية. وتعتبر هذه المحلة العسكرية التي سرقت أموال الضرائب هي محلة الربيع التي قصدت أغلب الظن مقاطعة شرق قسنطينة أو شمالها، وهذا ما سهل عليها الهروب نحو تونس بعد تحصيلها لمجالي المنطقة. حول نشاط مؤسسة المحلة في الجزائر خلال العهد العثماني أنظر: محمد الحبيب العزيمي، ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث، المحلة التونسية أنموذجًا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر قسم التاريخ، سنة 2006-2007، ص 117-118.

أنظر كذلك:

M. Kaddache : L'Algerie durant la periode ottomane, Edition Office des publication Universitaires, Alger, 2000, p149.

(1) أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، مج 1، ج 2، ص 148-153 / بن خروف، المرجع السابق، ص 145.

(2) أ. و. ت السلسلة التاريخية، الدفتر رقم 275، ص 102.

(3) المصدر السابق (نفس الدفتر)، ص 37.

(4) محمد الحبيب العزيمي، المرجع السابق، ص 140.

#### 4-2- هُروب قبيلة الحنانشة<sup>(1)</sup> الجزائرية نحو تونس:

يختلف نشاط القبيلة في الجزائر من منطقة لأخرى خلال العهد العثماني؛ ويرجع ذلك إلى طبيعة وخصائص الحيز الجغرافي الذي تَقَطَّنُهُ أهْوُ فِلاحي أم رَعْوِي عُشْبِي أي تضاريسه منبسطة، أو جبلي صَعَب التُّضَاريس قَليل الجِبَاية ، وكذا حسب الظُّروف المناحِية خاصَّةً تَساقُط الأمطار وتَوَفُّر الكَلأ، كل ذلك إضافةً إلى نَوْعية الضَّرَائِب الجِبَايَّة وعلاقة القبيلة بالسلطة المركزية، ظلَّ يتحكَّم في النشاط الرئيسي للقبيلة أهْي فِلاحية، أي مُسْتَقَرَّةً حول مِلْكِيَّة الأرض القَبَلية وَيَسْهُل ضَبْط مَدَاخِيلِها وِجْمَع ضَرَائِبِها، أم هي رَعْوِيَّة مُتَنَقِّلَة من مكان لآخر خلال فصول السَّنَة؛ مِمَّا يَصْعَبُ عَمَلِيَّة ضَبْطِها ورصد حركاتها لِجْمَع ضَرَائِبِها، وخاصَّةً إذا كانت جَبَلِيَّةً مُتَمَنِّعَةً.

وهناك قبائل مَحْزَبِيَّة كانت تُوفِّر للبايلك فُرْسَانًا ومُعَاوِلِينَ وتُشارِك في الحُرُوب وتُخَضِّع القَبائل المَتَمَرِّدة وتُمَهِّد الطريق أمام مَحال الجِبَاية<sup>(2)</sup>. وتُعتبر قبيلة الحنانشة الجزائرية التي كانت تَسْتَوِطِن بايلك الشَّرْق مُؤَدِّجًا اجتمعت فيه وظائف كل هذه القبائل تقريباً وأكثر، فهي من القبائل الحدودية المهمة جداً والتي كان لها حُضور وتأثيرٌ قَوِيٌّ على العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس حتى قبل القرن 12هـ/18م<sup>(3)</sup>، وإمتدَّت مناطق تَوَاجُدِها وتأمرُها بين عنابة وتبسة وقسنطينة من التراب الجزائري حتى تستور من الأراضي التونسية<sup>(4)</sup>، وربطتها علاقات مَتِينَة بالسلطة التونسية استوثقت بالمصاهرة؛ لأنَّ الحنانشة أحوال مُرَاد الثَّالِث (آخر حُكَّام الدَّولة المرادية بتونس أواخر القرن 17م) كما صَاهَرَهُم "علي باشا" وابْنُهُ يونس ثُمَّ إنْقَلَب عليهم وفتك بهم وقتل شُيُوخَهُم (الشيخ بو عزيز شيخ الحنانشة) وغيره من أَعْيَان وشُيُوخ هذه القبيلة<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> سبق التعرض إلى هذه القبيلة والدور الكبير الذي لعبته في الصراع بين عسكر الجزائر وعسكر تونس في العديد من المرات والنفوذ الذي كانت تتمتع به سواء لدى حكام الجزائر أو حتى تونس في الفصل العسكري كما تناولنا جانباً مهماً من تأثيرها في الفصل الاقتصادي من هذه الرسالة. أنظر كذلك: توفيق ابن زردة، إحسانات بايات تونس لجماعات الحنانشة 1170هـ/1756م - 1192هـ/1779م من خلال الدفتين 2144، 2145 بالأرشيف التونسي، ص 239-270.

<sup>(2)</sup> ناصر الدين سعيدوني، ورفقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 257-271.

<sup>(3)</sup> عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 43.

FERAUD(CH) : les harar seigneur des Hanancha, R.A . T18, Alger , 1874, P210.

<sup>(4)</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص 175. / أنظر كذلك: محمد الحبيب العزيري، المرجع السابق، ص 142.

<sup>(5)</sup> هودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي (المخطوط)، ج 2، ص 131-2.

عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 100-101.

علماً أنّ ولاء شيوخ هذه القبيلة كان مُتَقَلِّباً حسب المصلحة بين تونس والجزائر، بل أكثر من ذلك كان لها ضلعٌ كبيرٌ في الكثير من التّدخّلات العسكرية والحروب بين الإيالتين، كما تَدخّلت أحياناً وأُفحمت أخرى في الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين "حسين بن علي" وابن أخيه "علي باشا" وولاءها لم يكن ثابتاً مع طرفٍ بعينه، بل شاركت مع الطرفين ممّا كلفها غالياً حيث قتل "علي باشا" عدداً هاماً من شيوخها وساق الباقي إلى تونس للقيام بالأعمال الشاقة. كما شنّ حملاتٍ تأديبيةٍ ضدّ هذه القبيلة عندما كانت تنقلب عليه، ومثل هذه الأخبار ذكرها كثيراً كل من الوزير حمودة بن عبد العزيز وصاحب المشرع الملكي الصغير بن يوسف<sup>(1)</sup>.

وخلال عام 1754م لجأت قبيلة الحنانشة إلى تونس فراراً من دفع الضرائب الأمر الذي جعل شيخ الحنانشة إبراهيم ابن أبي عزيز بن نصر؛ يشكو إلى باي قسنطينة (حسن أزرق عينه) ضعف الجباية عندما حان وقت دفعها، بسبب هروب القبيلة إلى الأراضي التونسية، فقام باي قسنطينة بمراسلة باي تونس "علي باشا" بشأنهم وطالبه برّد اللاجئين الحنانشة، فرفض "علي باشا" الرّدّ عليه واعتبر نفسه أعلى مقاماً من باي قسنطينة الذي كان طبّاحاً في سابق عهده، وكلف ابنه محمد بالردّ عليه فكتب له رسالة جاء فيها: "إن من قال لك بأن كثيراً من رعاياك هم في هذا البلد، ما عليه إلا أن يبعث من يتعرف عليهم..." وكان يقصد بذلك ابن أبي عزيز.

وأمام هذا الرّدّ السلبي التونسي قام باي قسنطينة في خريف عام 1754م بعبارة على الأراضي التونسية من أجل تأديب قبيلة الحنانشة، فقتل الكثير منهم وأخذ عدداً كبيراً من ماشيتهم<sup>(2)</sup>. وبقي الوضع على حاله ممّا وتّرت العلاقات بين الإيالتين، وكانت نتيجة حملة الجزائر على تونس لنصرة أبناء الحسين ضدّ "علي باشا" عام 1756م<sup>(3)</sup>.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا آوى "علي باشا" فرقة الجنود الانكشارية التي جمعت الضرائب وقتلت قائدها وهربت نحو تونس بالجباية، ثمّ بعدها بزمنٍ قصيرٍ سمح لقبيلة الحنانشة المتهرية من الجباية بالاستقرار على الأراضي التونسية، ما مصلحته من وراء ذلك وهو يعرف جيداً أنّ مثل هذه التصرفات ستؤلّب عليه باي قسنطينة وداي الجزائر؟ هل كان العرض من تصرفه الاستفادة من الفرقة العسكرية وضمها إلى جيشه واستثمار ما حملته معها من أموالٍ داخل تونس؛ وكذا قبوله بقبيلة

<sup>(1)</sup> ورد ذكر الحنانشة وعلاقتهم المتداخلة بين إيالة تونس وبايلك قسنطينة، في الكتاب الباشي لحمودة بن عبد العزيز، الجزء 1 و2، كما تكلم عنهم الصغير بن يوسف كثيراً في الأجزاء 1، 2، 3.

<sup>(2)</sup> PLANETET(E), op.cit,tom2 , p475 .

<sup>(3)</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص163.

الحنانشة وهو يعلم أنها من أهم وأعنى القبائل الحُدُودية وِعَدَمَ إِرْجَاعِهَا إِلَى مَوَاطِنِهَا الْأَصْلِيَّةِ بِالْجَزَائِرِ حَتْمًا سَيُؤَثِّرُ سَلْبًا عَلَى مَدَاخِيلِ بَايَلِكِ قَسَنْطِينَةَ<sup>(1)</sup>. هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى اسْتَفْرَازُهَا بِتُونِسِ حَتْمًا سَيَقْوِي وَيُعْزِزُ جَانِبَهُ وَيَمَكِّنُهُ مِنَ الْاسْتِعَانَةِ بِهِمُ أَنْتَاءِ الْحَرْبِ، هَذَا فَضْلًا عَلَى أَنَّهُمْ سَوْفَ يُشْكِلُونَ دِرْعًا حَصِينًا وَعَيْنًا ثَابِتَةً لِمِرَاقَبَةِ مَخْتَلَفِ حَرَكَاتِ الْجَزَائِرِيِّينَ نَحْوِ تُونِسِ.

وهذا يُعْطِينَا صُورَةً وَاضِحَةً أَنَّ "علي باشا" نَقَوَى حُكْمَهُ وَتَجَدَّرَ نُفُودُهُ وَصَارَ يُنَاصِبُ الْعَدَاءَ بِشَكْلِ وَاضِحٍ لِعَسْكَرِ الْجَزَائِرِ وَيُجَاهِرُ بِالْتَّمَرْدِ مِنْ أَجْلِ التَّنَصُّلِ مِنْ دَفْعِ مَا كَانَ مُطَالِبٌ بِهِ مِنْ أَمْوَالٍ وَمَوَادٍ أُخْرَى سَنَوِيًّا. كَمَا يُسْتَشْفَى مِنْ مَوْقِفِهِ التَّنَاقُضِ فِي شَخْصِيَّتِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ صَاحِبُ الْمَشْرَعِ الْمَلِكِي قَائِلًا: "...الباشا رجل عاقل بهلول، عادل ظالم فطين غبي مستحذر واقع عالم جاهل متأنى مستعجل حلِيم معاقب كريم بخيل، سيفه سابق غضبه، فعله سابق قوله، لا يعاود في كلام ولا تنقض له أحكام<sup>(2)</sup>..."، وما يُؤَكِّدُ هَذَا الْحُكْمَ أَنَّ الْبَاشَا كَانَ يَسْتَقْبِلُ الْفَارِينَ مِنَ الْجَزَائِرِ وَيَرْفُضُ إِرْجَاعَهُمْ وَالاعْتِرَافَ بِوُجُودِهِمْ عَلَى التُّرَابِ التُّونِسِيِّ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يُرْسِلُ الرُّسُلَ وَالْهَدَايَا لِكَسْبِ وَدِّ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ وَبَايِ قَسَنْطِينَةَ حَتَّى يَأْمَنَ هُجُومَهُمْ، حَيْثُ قَامَ بِإِرْسَالِ أَحَدِ ضُبَّاطِهِ إِلَى الْجَزَائِرِ فِي أَكْتُوبَرِ مِنْ عَامِ 1754م مُحْمَلًا بِالْهَدَايَا لِلدَّيِّ مِنْ أَجْلِ إِفْتِنَاعِهِ بِعَدَمِ شَنْ حَمَلَةٍ عَلَى تُونِسِ<sup>(3)</sup>، وَوَجْهَ بَعْتَةٍ أُخْرَى فِي شَهْرِ أَوْتِ مِنْ عَامِ 1755م لِنَفْسِ الْعَرَضِ مُحْمَلَةً بِمُقْتَرَحَاتِ تُونِسِ السَّلْمِيَّةِ وَبِهَدَايَا كَثِيرَةٍ إِلَى بَايِ قَسَنْطِينَةَ "أزرق عينه"، لَكِنَّ الطَّرْفَيْنِ لَمْ يَتَوَصَّلَا إِلَى حَلِّ سِلْمِي بِسَبَبِ عَدَمِ التَّفَاهُمِ بِشَأْنِ الْقَبِيلَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ وَالْفِرْقَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ اللَّتَانِ لَجَأَتَا إِلَى الْبِلَادِ التُّونِسِيَّةِ<sup>(4)</sup>.

كما يُفْهَمُ مِنْ هَكَذَا تَصَرُّفَاتِ أَنَّ "علي باشا" أَرَادَ أَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ بَعْضَ اللَّاجِئِينَ مِثْلَمَا كَانَتْ الْجَزَائِرُ تَفْعَلُ وَتَسْتَقْبِلُ الْفَارِينَ مِنْ تُونِسِ أَيِ إِتْبَاعِ سِيَاسَةِ النِّدِّ بِالنِّدِّ، وَمُمْكِنٌ أَنْ يُفْهَمَ عَلَى أَنَّهُ تَصَرَّفَ غَيْرُ

<sup>(1)</sup> كان يتوجب على كل باي أن يقوم برحلة لدار السلطان (مدينة الجزائر) كل ثلاث سنوات تسمى بالدانوش، ويقوم خليفة كل باي برحلتين خلال السنة نحو العاصمة، محملين بأموالاً وهدايا معتبرة وكان يتوجب على باي قسنطينة تغلثم الأكثر بما أن بايالك الشرق أعنى البيالك، وعدم الدفع يُعرض الباي أو خليفته للعلز أو القتل، فهناك أحد البايات "محمد منماني" عُزِلَ عَنْ بَايَلِكِ قَسَنْطِينَةَ لِأَنَّهُ قَصَرَ فِي آدَاءِ الدَانُوشِ وَهَذَا مَا تَثَبَّتْهُ الْوَثِيقَةُ التَّالِيَةُ الَّتِي جَاءَ فِيهَا: "...محمد منماني رجل كبير السن كان خليفة على أحمد باي المملوك المقدم ذكره وفي أيامه فسدت الرعايا وأقام كل أحد بسكينه ونقصت القرامات وكثرة قطع الطرقات بسبب كبره وقلة غزواته على الجبايلية فمكثت بالسلطنة مدة عام ونصف وانعزل وقت الدنوش للجزائر فمن جملة عدم قدرته على إقامة السلطنة دنشر للجزائر بغير دراهم لا قليلا ولا كثيرا ومن عادة البايات حين يأتون للجزائر بعد كل ثلاثة أعوام يدفعون مليوناً ونصف فرانكات من غير الخيل والبغال والبقر والغنم (غير واضحة) والكسوة من البرانس والحياك والتمر ومن الوحوش السبع والنمور والنعامة وهو حين قدم فلم يأتي بشيء معه واعتذر بعدم القدرة وقلة الطاعة له (غ.و) خروجها الناحية (غ.و) عزلوه وولو في موضعه الحاج أحمد باي". انظر: مجهول، بعض أخبار قسنطينة لمجهول، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2717، ص 15-2.

<sup>(2)</sup> الصغير بن يوسف، المشرع الملكي، م 3، ص 61.

<sup>(3)</sup> بن خروف، المرجع السابق، ص 147.

<sup>(4)</sup> الصغير بن يوسف، المصدر السابق، م 4، صص 14-15. وكذلك: عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 155.

حكيم ولم يحسب عواقبه قبل القيام به، ومثل هكذا تصرّفات كان يقوم بها أحياناً حتى داخل مملكته وتدلّ على تسلّطه وبخبره، حيث نقل لنا صاحب المشرع الملكي حادثة تُثبت ذلك قائلاً: "ذكر في مجلس صنعة المدافع... فقال أحدهم: ما رأيت أكبر من (مدفع) دالي مرزوق... فلما سمع الباشا أنه سموه كبيراً ففي الحين بعث إليه المعلمين يكسرونه، فساروا إلى غار الملح... وحراروا في تكسيره... ورجعوا إلى الباشا علي قارين بالضعف فسخط عليهم وقال: أذوبه أو أكسره ولو صرفت عليه مائة ألف<sup>(1)</sup>..."، فتصّرف مثل هذا يدلّ على الحمق أكثر ممّا يدلّ على رجاحة العقل.

#### المبحث الخامس: كرونولوجيا الأوبئة في الجزائر خلال القرنين (12-13هـ/18- و مطلع 19م)

لم تتكلم المصادر الإخبارية التونسية عن الأوبئة في الجزائر خلال القرنين (12-13هـ/18م ومطلع 19م) إلاّ عرضاً كأن تذكره في سياق الكلام عن الركب الحجّي وانتشار الوباء به أو تذكر حدوث وباء جارف تضررت منه تونس وبلاد المغرب الإسلامي ككل، أو تعطّل القوافل والمبادلات التجارية بسبب تحديات الوباء والمجاعات وشحّ الأقدوات أو تأجيل حملة عسكرية جزائرية كانت متجهة صوب تونس بسبب انتشار الوباء بين الجنود، لذلك تتبّع هذه الإشارات واستنبطها من المصادر لم يكن سهلاً، ورغم ذلك سنحاول تسليط الضوء على أهمّ ما جاء بهذا الشأن في المصادر التاريخية.

#### 5-1- أوبئة الطاعون في الجزائر خلال القرنين (12-13هـ/ 18 ومطلع 19م):

شهدت الجزائر العديد من الأوبئة الفتاكة خلال العهد العثماني والتي كانت تتكرر بشكل دوري مرّة كلّ خمس عشرة أو خمس وعشرين سنة، ومن أشدها فتكاً بالبنية الديمغرافية وبقاء الطاعون الذي عانت منه الدول المغربية والمتوسطية معاً<sup>(2)</sup>، والذي عصّف بإيالة الجزائر أواخر القرن 17م ومطلع 18م حتى عرفت تلك الفترة "بسنوات الطاعون" اشتدت وطأته عام 1691م وتواصل خلال سنوات 1692 و 1693 و 1694 مكتسحاً كلّ الإيالة وعاود الظهور بنفس الحدة خلال عام 1698 و 1700 مخلفاً خسائراً بشرية كبيرة فدرت بين 25000 إلى 45000 وفاة سنوياً<sup>(3)</sup>، وهذا ما جعل حكام تونس أمثال مراد الثالث (1699-1702م) يفرضون الكارنتينة على التجار الجزائريين الذين كانوا يرتادون

<sup>(1)</sup> الصغير بن يوسف، نفسه، م3، ص63.

<sup>(2)</sup> D , Panzac. la peste dans l'empire ottoman 1700-1850, louvain , Ed. peaters, 1988.

-Biraben, les homes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranées, Ti, Paris, 1975, p147.

<sup>(3)</sup> فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871، ص101.

أسواق تونس وذلك خوفاً من إنتقال الوَبَاء<sup>(1)</sup>، علماً أنّ تونس هي الأخرى واجهت عدّة مشاكل مع مطلع القرن 18م مثل الوَبَاء والجُدْب وتراجع مداخيل القَرْصَنَة والتَّجَارَة المتوسّطية<sup>(2)</sup>.

وإلى جانب وباء الطاعون استقبلت الجزائر القرن الثامن عشر بمجموعه من الجوائح مثل المجاعة المصحوبة بغزو الجراد الذي ألحق أضراراً كبيرة بالمحاصيل الزراعية، وخلال عام 1701م عمّ الجفاف، ثمّ قحط شديد في عام 1702م شمل كلّ الأقطار المغاربية، وتناقصت إيرادات القَرْصَنَة بشكل كبير خلال هذه الفترة، وتجددت المجاعة خلال عام 1703م، ممّا أدى إلى إفلاس مالي وقعت فيه إيالة الجزائر حتى عجز الحكّام عن ضمّان أجور الانكشارية، ولجأوا إلى إزهاق السكّان بالرُّسوم الاستثنائية، وأدى تفاقم العجز المالي إلى شنّ حملة عسكريّة وغزو تونس عام 1705م لتجميع ما أمكن من الأموال لكنّ الحملة كانت فاشلة<sup>(3)</sup>.

ولم تكن تونس هي الأخرى بمنأى عن هذا الوَبَاء الذي فتك بحياة أربعين ألف شخص بمدينة تونس عام 1705م والذي إنتشر كذلك بأوروبا أواخر القرن 17 ومطلع 18م<sup>(4)</sup>.

ويعود سبب إنتقال عدوى هذه الأمراض وعلى رأسها الطاعون الفتاك إلى موانئ الجزائر عن طريق التُّجار والأسرى والدبّلو ماسيين الأوربيين وكذا بواسطة الحجاج والطلّبة القادمين من المشرق براً عبر ليبيا ثمّ تونس فالجزائر، أو ضمن الجنّدين والبَحارة الذين كانت تُرسلهم الدولة العثمانية إلى الجزائر، وأحياناً عن طريق قوافل التّجارة القادمة من أعماق الصّحراء، فموقع الجزائر المنفتح شمالاً على البحر المتوسط وجنوباً على صحراء السودان وشرقاً على المشرق الإسلامي والدولة العثمانية، كلّ ذلك ساهم في إنتقال الأوبئة إلى الجزائر<sup>(5)</sup> ثمّ إنتشارها في مرحلة لاحقة بشكل واسع بين السكّنة بدواخل البلاد. كما لعبت الجزائر وموانئها دور الوسيط في إنتقال الوَبَاء إلى المغرب الأقصى مرّات عديدة<sup>(6)</sup>.

(1) أعمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ، ص 280.

(2) أحمد السعداوي، تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا، ص 13.

(3) منور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج II، ص 376-377.

(4) أندريه بايصونال، الرحلة إلى تونس (1724م)، ترجمة و تحقيق محمد العربي السنوسي، تصدير خليفة شاطر، مركز النشر الجامعي تونس، 2003، ص 127.

(5) ناصر الدين سعيدوني، وراق جزائرية...، ص 558-559.

أنظر كذلك: عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافية، السنة 13، عددي 7 رمضان-شوال 1403هـ، يوليو-أغسطس 1983م، مطبعة أحمد زبانه، الجزائر، 1983، ص 124.

(6) محمد أمين، الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016، ص 53.

وما إن هدأت وطأه الأوبئة قليلاً حتى ضربت زلزلةٌ مُرعبةٌ مدينة الجزائر شتاء عام 1128هـ/1716م و التي جعلت السكان يفرون من المدينة وينصبون الأحيية في المقابر والعراء؛ خارجها هروباً من تجدد الاحتجاج الذي تكرر عدة مراتٍ مما جعل السكان يُعانون خوفاً الزلزال وقساوة برد الشتاء<sup>(1)</sup>.

وبعدها بقليل وصل وباء الطاعون إلى مدينة الجزائر عام 1718م قادماً من الإسكندرية عن طريق سفينة تجارية إنجليزية والتي فتك الطاعون بقائدها وجميع ركابها ثم انتشر بين عمال الميناء ليتوسع فيما بعد بين أوساط السكان، كما عرفت فرنسا هي الأخرى إنتشار وباء الطاعون عام 1720م مما أدى إلى قطع العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا بسببه<sup>(2)</sup>.

وتعد سنوات العشرينيات من القرن الثامن عشر (1720-1725-1727-1728م) من أصعب الفترات الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الجزائر بسبب تفشي الطاعون والمجاعات في وقت واحد<sup>(3)</sup>، والذي عاود الظهور مجدداً عام 1732م قادماً في هذه المرة من مدينة سوسة التونسية عبر ثلاثة سفن جزائرية<sup>(4)</sup>، وفي نفس السنة التي تعرضت فيها وهران إلى الاحتلال الإسباني مجدداً بعد فتحها الأول الذي كان عام 1120هـ/1708م<sup>(5)</sup>.

ثم شهدت الجزائر مجاعةً رهيبَةً خلال سنوات 1734 و 1735 و 1736 و 1737م وصاحبها الوباء حتى سُمي عام 1737م "بعام الطاعون" الذي عمّ حواضر الجزائر وبواديها، وراح ضحيته باي وهران يوسف ولد بوشلاغم، ويُرحح أن وباء عام 1737م قد تسرب إلى الجزائر من إسبانيا<sup>(6)</sup>، ثم بعد مُدةٍ وجيزةٍ تعرف الجزائر أخطر وباء طاعون الذي ظهر في شهر جوان من عام 1740م والذي إنتشر بين تكتات الجيش الإنكشاري ووسط السكان، وحال دون توجيه حملة عسكرية إلى تونس<sup>(7)</sup> وأهلك في الأسبوع الأول من ظهوره 10000 نسمة<sup>(8)</sup>، وكان سببه سفينة فرنسية وصلت ميناء الجزائر قادمة من الإسكندرية، ثم انتشر في كامل الإيالة لأربع سنواتٍ متتاليةً، وكان يُخصد يومياً ما بين 200

(1) ابن المفتي رجب شاوش، المصدر السابق، ص ص 77-78.

(2) فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص ص 104-107.

(3) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 561.

(4) فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 108.

(5) حول فتح وهران الأول أنظر: الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 244. و من المصادر الجزائرية التي عاصرت الحدث و أرخت له: محمد بن

ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية. وكذا: عبد الرحمن الجامعي، شرح أرجوزة الحلفاوي، مخطوط رقم 2521 بالمكتبة الوطنية الجزائرية

(6) فلة القشاعي، المرجع السابق، ص 109.

(7) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقارنة اجتماعية-اقتصادية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، الجزء 1،

جامعة الجزائر، السنة الدراسية 2000-2001م، ص 61. (هذا الفصل من الرسالة غير منشور ضمن كتابها المتضمن لنفس العنوان)

(8) ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، ص 561.

و400 ضحية. واشتدت وطأته خاصةً ببايلك قسنطينية حيث كان يُقضى يومياً على 35 أو 40 شخص، ثم انتقل إلى بايلك الغرب عام 1741م. وبلغت ضحاياه في كل التراب الجزائري 70000 وفاة بين سنتي 1740 و1741. كما تجدد هذا الوباء خلال فترات 1743-1744-1745-1749م لكنه لم يُخلف خسائرًا بشريةً كبيرةً خلال هذه الفترة<sup>(1)</sup>.

والجدير بالذكر أنّ وباء الطاعون الذي عرّفته الجزائر خلال أربعينيات القرن الثامن عشر، كان سبباً في رجوع الحملة العسكرية التي أرسلها داي الجزائر "إبراهيم الصغير" عام 1746م بقيادة باي قسنطينة "عشي حسن" وبمعية أبناء الحسين (محمد، وعلي، ومحمود) من أجل نُصرتهم وإفتيكاك الحكم في تونس من ابن عمهم "علي باشا"، لكن هذه الحملة انطلقت من الجزائر ودخلت الثراب التونسي وحاصرت منطقة الكاف لعدة أيام ثم رجعت إلى الجزائر بسبب انتشار الوباء وهذا ما أكّده صاحب المشرع الملكي قائلاً: "...وطال القتال بين الفريقين... ومات من هنا ومن هناك، ووقع المرض في العسكر وطال عليهم الأمر...". وكتب الباي "عشي حسن" إلى دُولَاتلي الجزائر إبراهيم يعتذر له عن مواصلة الحملة ويستأذنه في الرجوع قائلاً: "...والعسكر قد وقع في المرض وأخاف عليه من الضرر<sup>(2)</sup>...".

لكن الوزير حمودة بن عبد العزيز يرى بأن رجوع الحملة لم يكن بسبب الوباء، بل بسبب اتفاق سري حدث بين "علي باشا" حاكم تونس و"عشي حسن" قائد الحملة الذي انحاز إلى صفه، وصرف الحملة عن تونس ورجع بها قافلاً إلى الجزائر وهذا ما أدى إلى وفاة محمود بن حسين بن علي غيضاً وكمداً بعد رجوع الحملة ودُفن بقسنطينة<sup>(3)</sup>.

وتُعرف هذه الحادثة في المصادر الإخبارية التونسية بالعيطة الكذّابة أو الجزيرية الكذّابة، كما يطلق عليها اسم الفتنة الثانية والتي ذكرها الصغير بن يوسف قائلاً: "والفتنة الثانية [المسماة بالفتنة الكذّابة] هي التي أتوا ومعهم أولاد الباي حسين، محمد وعلي ومحمود... وأقاموا في هذه الفتنة الثانية على الكاف شهرين أو أكثر في سنة تسع وخمسين ومائة وألف [1159] لم يقضوا منها شيئاً، فسّمها أهل ممكلة تونس العيطة أو الدزيرية الكذّابة<sup>(4)</sup>...".

(1) فلة موساوي المرع السابق، ص 110-111، أنظر: كذلك عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 30/ و121.

(2) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 3، ص 140-150.

(3) حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي (المخطوط)، ج 2، ص 135-2 إلى 141-2.

(4) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 1، ص 132. أحمد بن أبي الضياف، امصدر السابق، مج 1، ج 2، ص 128-129.

ويُعَاود الوباء في الظُّهور مرَّةً أُخرى بالجزائر خلال عام 1752م واستمرَّ لأربع سنواتٍ<sup>(1)</sup>، ووصل مشارف الصحراء حيث راح ضحيته والدي أحمد التجاني صاحب الطريقة التجانية في يوم واحد سنة 1753م/1166هـ بمنطقة عين ماضي قرب مدينة الأغواط<sup>(2)</sup>. وتَسَبَّب هذا الوباء الذي كان يَعْصِفُ بالجزائر من فرض الكَرْنِيَّة على الثُّجَّار والجزائريين المتَّوجِّهين إلى تونس من طرف "علي باشا" حاكم تونس وابنه مُحَمَّد، وذلك تَفَادِيًا لِانْتِقَالِ عَدْوَى الطاعون إلى إيالة تونس، لَكِنَّ ما يُفْهَم من كلام الصغير بن يوسف خِلاف ذلك فقال: "...وضيق محمد باي على القادمين بالتجارات من الغرب،... وكل من أتى من جهة الغرب تعلقوا له بالوباء أن يأمره بالأربعين يوما التي يقال لها الكرنينة... ويأمر بالقدام أن يمشي إلى مكان بعيد... أو يأمره بالخروج من بلادهم... وضاق الحال على تجار الغرب... لأن تجارهم لا يسعونها إلا في مملكة تونس ولما رجعوا بتجارهم إلى بلادهم سمع حسن باي بضيق الحال على رعيته... زاد غضبه<sup>(3)</sup>..."

ويُفْهَم من سياق الكلام أَنَّ "علي باشا" وابنه مُحَمَّد كانا يَتَعَلَّلانِ بالوباء من أجل طرد الثُّجَّار الجزائريين القادمين من المناطق الحدودية خاصةً، وهذا ما تسبب في تدهور وضعيَّة هؤلاء الثُّجَّار وأدَّى إلى تَعْكِير صَفْوِ العلاقات السِّياسية بين الجزائر وتونس<sup>(4)</sup>، وأصبحت تَنحُو نحو الحُرْب بين الجارتين بسبب تَصَرُّفات "علي باشا" المستَفْزَةِ لِحاكِمِ الجزائر وباي قسنطينة "حسن أرزق عينه" الذي طلب من خاله الدَّاي "علي بوبصع" بتجهيز حَمَلَةٍ عسكرية ضِدَّ تونس لِخَلْع "علي باشا" وتَنْصِيب أبنائه حسين بن علي، لَكِنَّ الدَّاي تَرَدَّدَ في قُبُولِ الفكرة واعتذر له بسبب انتشار الوباء حيث "...تلكك لما في وجق الجزائر من الوباء قد فنى العسكر... و قال له: "...والله ما أدري كيف أصنع إن الوباء عن العسكر أبي أن يرتفع.<sup>(5)</sup>.."

لكن "حسن أرزق عينه" باي قسنطينة أقتنع بأن في خروج العسكر إلى هذه الحملة منجاة لهم من الوباء، وفعلاً خَرَجَتْ هذه الحَمَلَةُ بمعية أبنائه الحسين (محمد وعلي) عام 1169هـ/1756م وكانت سبباً في القَضَاءِ على حُكْمِ "علي باشا" في تونس. ولَعَلَّ الهُرُوبِ من الوَبَاءِ والحاجة الماسَّة إلى الأموال

(1) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 150.

(2) بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الإستعمارية) "1782-1900"، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص 36 و ص 64.

(3) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 4، ص 21.

(4) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 158.

(5) الصغير بن يوسف، المصدر السابق، مج 4، ص 23 و 29.

حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي (المخطوط)، ج 1، تح محمد متضورة، ص 277-279.

كانت دافعاً قوياً لمساعدة أبناء الحسين في إسْتِرْدَادِ مُلْكِ أَبِيهِمْ<sup>(1)</sup>. ولم تتوانى الجزائر في مساعدة تونس عام 1758م بالمواد الغذائية التي كانت في أمس الحاجة لها بسبب انتشار الطاعون الذي تزامن مع قحطٍ شديدٍ<sup>(2)</sup>.

وما إن حلَّ النصف الثاني من القرن الثامن عشر حتى تمتعت الجزائر بفترة استقرار سياسي في عهد الداي "محمد عثمان باشا" الذي حكم فترة طويلاً (1766-1791) واتسمت فترته بانتعاش الجهاد البحري وعرفت البلاد في أيامه حروباً كثيرةً كما رزقه الله النصر في جميعها<sup>(3)</sup>، واستمر ذلك مع خلفه "حسن باشا" (1791-1798م) الذي كان فتح وهران الثاني عام 1791م في عهده. لكن ذلك الاستقرار السياسي لم يصاحبه هُدوءٌ عسكري، بل تعرضت الجزائر خلال هذه الفترة لعدة اضطرابات بحرية من طرف بعض الدول الأوروبية المعادية، مثل حملة الدانمارك عام 1770م وحملات إسبانيا الثلاثة المتتالية (1184هـ/1775م)<sup>(4)</sup> و(1197هـ/1783م) و(1198هـ/1784م).

ورغم أن الجزائر صمدت وانتصرت في هذه الحروب، لكن ذلك كلف الخزينة كثيراً من أجل الاستعداد للحرب بدايةً، ثم من أجل إصلاح ما تضرر من المباني والحصون لمدينة الجزائر ومينائها جراء القذائف التي ألحقت بها أضراراً جسيمةً والتي فُدرت في مجملها بأكثر من تسعين ألف قذيفة<sup>(5)</sup>. ومما زاد الأمر سوءاً هو القحط والجاعة الذي حصداً أرواحاً كثيرةً خلال نفس الفترة وهذا ما أثبتته الزهارة الذي عاصر هذه الحقبة قائلاً: "...بعد ذهاب الإصبايول في المدة الأخيرة سنة 1184. وقع الغلاء في القمح مدة ست سنوات، وأعطى الله القحط والجوع... والناس يموتون جوعاً في الأسواق<sup>(6)</sup>...".

ولم تتوقف النوائب عند الاعتداءات الأجنبية وانتشار القحط والجوع في الجزائر، بل ازدادت الأمور حدةً مع ظهور وباء الطاعون الأعنف الذي ظهر عام 1198هـ/1784م واستمر خلال عام 1785م واشتد عامي 1786/87م مخلفاً خسائرًا بشريةً كبيرةً. ويُعتبر نقيب الأشراف الزهارة ممن عاصروا هذا الوباء فوصفه قائلاً: "...وفي سنة 1201 [1786م] جاء الوباء للجزائر، حتى وصل عدد الأموات أحياناً خمسمائة جنازة كل يوم، ويسمى بالوباء الكبير. قيل أنه أتى من بر الترك في مركب... واطال

(1) أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، مج1، ج2، ص ص 148-149.

(2) بعمار بن خروف، المرجع السابق، ص204.

(3) أحمد الشريف الزهارة، المصدر السابق، ص24.

(4) يقابل سنة 1184هـ سنة 1770م وليس عام 1775م

(5) الزهارة، نفسه، ص ص 25-33. / أو كذا: ناصر الدين سعيدوني، "المعاهدة الجزائرية الإسبانية (1791م)"، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ،

جامعة الجزائر، العدد السابع، عام 1993م، ص ص 72-73.

(6) أحمد الشريف الزهارة، المصدر السابق، ص31.

الوباء بالجزائر إلى سنة 1211 [1796م]<sup>(1)</sup>. كما عاصر هذا الوباء أحدُ علماء مدينة الجزائر مُحَمَّد بن رَجَب الجزائري الَّذِي أَلَفَ فِيهِ كِتَاباً لِيُخَلِّدَ لَوَعْتَهُ وَشِدَّتَهُ سَمَاهُ "الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون"<sup>(2)</sup>...

عِلْمًا أَنَّ هَذَا الْوَبَاءَ لَمْ يَتَّصِرْ عَلَى الْجَزَائِرِ فَقَطْ، بَلْ تَعَدَّاهَا وَعَصَفَ بِمُعْظَمِ دُولِ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ وَالْإِيَالَاتِ الْعُثْمَانِيَّةِ. وَلَقَدْ نَقَلَتْ لَنَا رِحْلَةُ مُحَمَّد بن عبد الوهاب المكناسي الَّذِي شَدَّ الرِّحَالَ إِلَى الْبِقَاعِ الْمَقْدَسَةِ عَامَ 1785م وَعَادَ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى عَامَ 1787م أَخْبَارًا فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ، لَمْ نَكُنْ لِنَعْرِفَهَا لَوْلَا هَذِهِ الرَّحْلَةُ الْمَفِيدَةُ، فَذَكَرَ أَنَّ الشَّامَ كَانَتْ مُؤَبَّوَّةً أَتْنَاءَ أَدَائِهِ لِغَرِيضَةِ الْحَجِّ وَخَفَّ قَلِيلًا أَتْنَاءَ عَوْدَتِهِ لَهَا فَقَالَ: "...فقد حكى أنهم كانوا يدفنون نحو الخمسمائة في كل يوم"<sup>(3)</sup>...

ويواصل الكلام عن الوباء بتونس عام 1200هـ/1786م في طريق عودته من رحلته قائلاً: "...وقد مات من علمائها وطلبتها كثير في الوباء. الذي كان عندهم في سنة مائتين وألف وما بعدها... أخبرني أهلها أنهم دفنوا في هذا الوباء زهاء ثمانين ألفاً، فقد كانوا يدفنون في اليوم الخمسمائة وما يقرب من الألف"<sup>(4)</sup>...

وفِعْلًا قَدْ أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْمَصَادِرُ الْإِخْبَارِيَّةُ التُّونِسِيَّةُ وَوَصَفَتْهُ بِالْوَبَاءِ الْجَارِفِ عَامِي (1198هـ/1784م) وَ(1199هـ/1785م) وَالَّذِي أَوْدَى بِحَيَاةِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ وَخَيْرَةٍ طَلَبَتِهِ، إِضَافَةً إِلَى أَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنَ التُّجَّارِ وَالْحَرَفِيِّينَ وَعَامَةِ النَّاسِ<sup>(5)</sup>.

وَمَا حَلَّ الْمَكْنَاسِي بِالْجَزَائِرِ عَامَ 1202هـ/1787م ذَكَرَ أَنَّهُ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا كَانَ قَوِيًّا وَيَقْتُلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْوَ الثَّلَاثِمِائَةِ، وَمَا وَصَلَهَا -مَدِينَةُ الْجَزَائِرِ- خَفَّ أَمْرُهُ وَكَانَ يَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ نَحْوَ الْعَشْرَةِ، ثُمَّ يُعَقَّبُ قَائِلًا: "...وقد وجدنا بهذه المدينة وأعمالها الطاعون ومات به خلق كثير، ثم سافرنا منها فوصلنا تلمسان"<sup>(6)</sup>...؛ وَيُنْفَهُمْ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ الْوَبَاءَ رَغَمَ تَنَاقُصِ حَدِّتِهِ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ مَوْجُودًا أَوْ

(1) أحمد الشريف الزهار، نفسه، ص51.

(2) أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، صص 467-468.

(3) محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي عام 1785م، تحقيق محمد بوكبوط، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2003، ص284.

(4) المكناسي، المصدر السابق، صص 325-326.

(5) محمد النيفر، المصدر السابق، ص544. أنظر كذلك :

- محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص256.

- محمد بن عثمان السنوسي، نفسه، ج2، ص39.

- أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص21.

- محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1، ص134.

(6) المكناسي، المصدر السابق، صص 325-331.

مُنْتَشِرًا فِي مَحْتَلَفِ الْمَنَاطِقِ الَّتِي حَلَّ بِهَا أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ، وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ الْفُنْصُلُ الْفَرَنْسِي "دوكرسي" الَّذِي كَانَ مُتَوَاجِدًا حِينَهَا بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ وَبَاءَ عَامِ 1787/86م خَلَفَ بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ لَوْحَدَهَا 16721 ضَحِيَّةً، وَفَتَكَ بِخُمْسِ السُّكَّانِ فِي ضَوَاحِيهَا<sup>(1)</sup>. وَتَنَاقَصَ عَدَدُ سُكَّانِ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ إِلَى 50000 نَسْمَةً. كَمَا أَدَّى هَذَا الْوَبَاءُ إِلَى هَلَاكِ ثُلُثِي سُكَّانِ مَدِينَةِ عَنَايَةِ، فَقَدْ أَخْلَى الْبِلَادَ وَأَفْتَى الْعِبَادَ فِي الْحَوَاضِرِ وَالْأَزْيَافِ عَلَى السَّوَى حَتَّى تَرَكَ الزَّرْعَ وَالْقَمْحَ فِي الْحُقُولِ دُونَ حَصَادٍ بِسَبَبِ تَنَاقُصِ عَدَدِ السُّكَّانِ الْحَادِ<sup>(2)</sup>.

وَيَسْتَمِرُّ الْوَبَاءُ الْكَبِيرُ أَوَاخِرَ الْقَرْنِ 18م/12هـ وَمَطْلَعِ 19م/13هـ عَلَى فِتْرَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ خِلَالَ سَنَوَاتِ 1792-1793-1794-1797-1798-1799م إِلَى 1805م حَيْثُ يَعُودُ بِقُوَّةٍ وَأَلْحَقَ أَضْرَارًا بِجَمِيعِ الْمَنَاطِقِ الْجَزَائِرِيَّةِ وَخَاصَّةً وَهْرَانَ وَمَدِينَةَ الْجَزَائِرِ وَقَسَنْطِينَةَ<sup>(3)</sup>، وَلَيْسَتْ الْجَزَائِرُ هِيَ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لِهَذَا الْوَبَاءِ بَلْ مُعْظَمُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَهَذَا مَا تُؤَكِّدُهُ رِحْلَةُ أَبِي الْقَاسِمِ الزِّيَانِيِّ الَّذِي لَجَأَ إِلَى الْجَزَائِرِ بَعْدَ فَتْحِ وَهْرَانَ عَامَ 1791م وَبَقِيَ سَنَةً وَنِصْفًا بِتِلْمَسَانَ ثُمَّ قَرَّرَ الْحَجَّ، فَسَافَرَ إِلَى مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ وَ أَقَامَ خَارِجَهَا وَوَجَدَ الْوَبَاءَ خَفِيفًا ثُمَّ سَافَرَ إِلَى قَسَنْطِينَةِ فَيَقُولُ: "...وَخَبِرَ مَا مَرَرْنَا بِهِ مِنَ الْجَزَائِرِ إِلَى قَسَنْطِينَةِ مِنَ الْمَدِينِ فَكَلَهُ خِرَابٌ...".

وَوَاصِلَ رِحْلَتِهِ وَقَامَ بِحَجَّتِهِ الثَّانِيَةَ وَأَثْنَاءَ الْعَوْدَةِ بَقِيَ عَالِقًا بِمِصْرٍ بِسَبَبِ الْوَبَاءِ وَتَوَقَّفَ الْمَرَاقِبَ، فَبَقِيَ إِلَى الْحَجَّةِ الْقَادِمَةِ، وَ أَثْنَاءَ رُجُوعِهِ صَادَفَ الْوَبَاءَ بِأَزْمِيرٍ حَيْثُ ذَكَرَ إِصَابَةَ وَلِيهَا وَإِبْنَتَهُ بِالْوَبَاءِ وَمُعَالَجَتَهُ لَهُمَا، ثُمَّ رَكِبَ الْبَحْرَ وَمَا وَصَلَ تُونِسَ فُرِضَ عَلَيْهِ مَرْكَبُهُ الْحِجْرُ الصَّحِيحِيُّ خَوْفًا مِنَ الْوَبَاءِ ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ قَضَاءِ مُدَّةِ الْكَارِثِيَّةِ وَتَوَفِّيَتْ لَهُ جَارِيَةٌ بِسَبَبِ الْوَبَاءِ<sup>(4)</sup>، وَهُوَ نَفْسُ الْوَبَاءِ الَّذِي خَلَّفَ خَسَائِرَ بَشَرِيَّةً كَبِيرَةً جَدًّا فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى؛ حَيْثُ قَضَى عَلَى ثُلُثِي سُكَّانِ مَدِينَةِ الرِّبَاطِ. وَكَانَ يَحْصِدُ 1800 ضَحِيَّةً يَوْمِيًّا بِمَرَاقِشَ، وَقَفَّدَتْ فَاسَ نِصْفَ سُكَّانِهَا 65000 ضَحِيَّةً وَأُفْرِغَتْ الْمَدِينُ مِنَ تِجَارَتِهَا وَحَرَفِيَّتِهَا وَفُقَهَائِهَا وَعَمَّ الْيَأْسُ السَّكِينَةَ أَمَامَ شَبْحِ الْفَنَاءِ<sup>(5)</sup>.

وَعُمُومًا فَقَدْ عَرَفَتِ الْجَزَائِرُ مُنْذُ أَوَاخِرِ الْقَرْنِ 18 وَمَطْلَعِ 19م مَوْجَاتٍ مُتَتَابِعَةً لَوَبَاءِ الطَّاعُونَ وَصَاحِبَتَهُ دَوْرَاتٍ مُتَلَاحِقَةً مِنَ الْقَحْطِ وَالْمَجَاعَاتِ الَّتِي عَايَشَهَا كُلٌّ مِنْ:

(1) عائشة غطاس، "الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني" مجلة الثقافة، ص125. أنظر كذلك: محمد أمين، المرجع السابق، ص53.

(2) سيدوني، وراقات جزائرية، ص561/. أنظر كذلك: فالنسي لويست: المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830م، ط1، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، 1980، صص119-120.

(3) أبي القاسم محمد الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص486.

(4) أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، صص371-379.

(5) إكرام شقرون، "الطاعون الكبير بالمغرب (1798-1800م)، دراسة ديمغرافية، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4، ديسمبر 2020، جامعة وهران، ص277.

- مسلم بن عبد القادر الوهراني الذي قال عَنهَا: "ووقع الغلاء في القمح مدة ست سنوات ووقعت مسغبة عظيمة حتى أكل الناس الميتة"<sup>(1)</sup>...

- وصالح العنتري مؤرخ قسنطينة الذي قال: "يحكى أن في سنة 1219هـ/1804-1805م زمان الأتراك وقعت مجاعة شديدة وقحط وهول أضّر بأهل بلد قسنطينة ووطنها ودام الحال كذلك عليهم مدة ثلاث سنين متوالية"<sup>(2)</sup>...، وهي نفس المجاعة التي أصابت تونس أولا عام 1802م وأرسل بسببها الباي "حمودة باشا" العالم إبراهيم الرياحي إلى المغرب الأقصى عام 1803م لطلب الميرة والمساعدات الغذائية<sup>(3)</sup>.

وعليه فإنَّ مَهَائِيَّةَ القَرْنِ 18م/12هـ ومطلع 19م/13هـ تُعْتَبَرُ هِيَ الفَتْرَاتُ الحَرِجَةُ والصَّعْبَةُ بالنسبة لإيالة الجزائر والتي تميّزت بالرُّكُود الاقتصادي والإنكماش العُمُراني بسبب تَعاقُبِ الأوبئة والمجاعات، إضافةً إلى تحديات أخرى مثل الفتن الداخليّة -تُورِيّ دَرْقَاوَة وابن الأحرش- كانت تضغط وبقوّة على حُكّام الجزائر، كما أثّرت سلباً على مختلف مناحي الحياة خاصّةً على الجانب الديمُغرافي<sup>(4)</sup>.

## 5-2- نتائج السلبية:

لقد شكّل الطاعون أخطراً وباء عانت منه الجزائر خلال العهد العثماني مثلها مثل غيرها من دول العالم الإسلامي والحوض المتوسط، وازدادت حدّته وشدّته خلال القرن 18م ومطلع 19م، فقد استفتحت الجزائر القرن الثامن عشر بالبوء وخرّجت منه بالبوء الكبير، وسبب ذلك إهيار ديمُغرافي كبير وتدهور معه الوضع الصحي، وكانت له آثاراً سلبية عميقة على الجانب الاقتصادي حيث تسبب في تناقص اليد العاملة، وأحدث خلخلة في التركيبة الاجتماعية حيث أفرغ مُدناً وحواضرًا وأريافًا وبادي من قاطنيها، وبذلك شلت الزراعات والحرف والتجارة وتناقص عدد البحارة والأوجاق.

كما كان له عميق الأثر على الجانب الثقافي والديني حيث أزهق أرواح عدد كبير من العلماء والفقهاء والقضاة والمدرسين وطلّبة العلم وهي نُحْبَةٌ قليلةٌ ويُستعْرَقُ إعدادها وقتاً طويلاً<sup>(5)</sup>.

(1) مسلم بن عبد القادر الوهراني، خاتمة أنس الغريب والمسافر، مقدمة وتعليق رابح بوتار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص16. أنظر كذلك: فلة موساوي القشاعي، "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله"، مجلة دراسات إنسانية، العدد 1، سنة 1421هـ/2001م، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، ص141.

(2) صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، صص 27-28.

(3) محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص272.

(4) ناصر الدين سعيدوني، وراثة جزائرية، ص558. أنظر كذلك: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص220 وما بعدها.

و كذا: أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العتّابي، صص 21-22.

(5) سعيدوني، وراثة جزائرية، ص559.

### خاتمة الفصل الثالث:

نستنتج أنّ ظاهرة الهجرة الاجتماعية شكّلت السّمة البارزة بين الجزائر و تونس خلال العهد العثماني بصفةٍ عامة و كان من نتائج تلك الهجرات بروز عائلاتٍ مرموقةٍ و مُتَنقِّدةٍ سواءً بالجزائر أو تونس شغلت مناصبٍ عاليةٍ و ساهمت في إثراء الحياة الاجتماعية و الثقافية على حدٍ سواء، علماً أنّ الحدود التي سطرها السّاسة لم تقف حاجزاً أمام تنقل شرائح اجتماعية متنوعة سواءً كانوا تجاراً أو عمالاً بُسطاءً أو حتّى قبائل تجوب المناطق التّخومية بحثاً عن الكّأ لقطعان ماشيتها و حيواناتها و أحياناً كثيرةً مُتهربةً من دفع الضّرائب، فوجدت في المجال التّرابي المفتوح بين الإيالتين المفرّ و المكان الملائم لاستقرارها إلى أن تهدأ الأمور بمواطنها الأصليّة ، كما وجدت أطراف الصّراع داخل البيت الحسيني بتونس في الجزائر الملجأ الآمن إلى أن تتوفر الظروف المساعدة للعودة ، وبعضهم قضى نحبّه و هو ينتظر و دفن بالتراب الجزائري، كما كان لوطأة الأوبئة خاصّةً الطاعون الفتّاك الأثر السيئ على المجتمعات المغربية و الإيالات العثمانية دون استثناء خلال القرن الثامن عشر و مطلع التاسع عشر وكانت موجاته تحصد أرواحاً معتبرة و تُبقى المناطق التي مرت بها خراباً من الساكنة فتتعطل بذلك الزراعة و الحرف و المساجد و مختلف مجالات الحياة.

علماً أنّه أثناء تعرضنا لمبحث الأوبئة في الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي و مطلع التاسع عشر كنا نرغب في إمطة اللثام على العديد من القضايا و الإجابة على بعض الأسئلة، مثل: ماهو تأثير تلك الأوبئة على العلاقات البيئية سياسياً و كذا تجارياً؟، هل زيارات المبعوثين الدبلوماسيين كانت تتوقف أثناء انتشار الأوبئة أو تستمر؟، هل كان هناك تعاون بين حكام الإيالتين أثناء الوقوع في هذه المحن أم أنّ التعامل معها كان على حسب إمكانيات كل بلد و لم تكن هناك استراتيجية متكاملة للتصدي لهذه الكوارث؟ ماهو تأثيرها على حركة القوافل التجارية التي كانت نشيطة جداً بين بايلك قسنطينة و مدن تونس هل كانت تستمر في التنقل أم تتوقف أثناء انتشار الأوبئة؟ وهل كانت تقام الأسواق المعهودة للمبادلات التجارية أم كانت ترفع و تتوقف أثناء المرض؟ وماهو تأثير موجاته على هجرة السكان و تنقلهم الحثيث خاصة بين بايلك الشرق الجزائري و تونس؟ و هل وطأته كانت شديدة على السكان و الحرفيين و رياس البحر و الجيش الانكشاري بتونس أكثر أم الجزائر؟ و ماهي أكثر الميادين تضرراً من هذه الموجات؟ و التي كانت في الكثير من الأحيان يصاحبها قحط و جذب و شحّ في الأقوات يستمر وقعها لسنوات؟.

ماهو تأثير الوباء على عمليات تجنيد الجند من الولايات العثمانية الشرقية؟ لأنه يرجح أن تراجع عدد المجندين في فترات ظهور الوباء و انتشاره قد أدى بطريقة أو بأخرى إلى وقف الحرب و الحملات العسكرية بين الجزائر و تونس؛ و هذا ما أشارت إليه المصادر التاريخية التونسية عدّة مرات؛ بمعنى أنّ تأثير الوباء في الجانب العسكري كان إيجابيا في حدّه من إستمرار الحروب بين الإيالتين.

كما كنا نأمل و نحن ندرس المصادر التاريخية التونسية أن نقف على معلومات و لو قليلة حول المصاهرات التي كانت قائمة بين العائلات الجزائرية و التونسية خاصة في المناطق الحدودية مع بايلك الشرق حيث التداخل الجغرافي و التلاحم الاجتماعي كان واضحاً و بقوة، و هذا مالمسناه أثناء تعاملنا مع الدفاتر الجبائية الأرشيفية و هذا ما نأمل هي إثرائه مستقبلا بحول الله من خلال وثائق المحاكم الشرعية و الأوقاف خاصة التونسية، التي تتعرض في الغالب لموطن و أصل الأفراد الوارد ذكرهم ، هذه الأسئلة و غيرها للأسف الشديد كنا نرغب في معرفتها أثناء دراستنا للمصادر التونسية لكنها لم تتكلم عنها مطلقاً.

الفصل الرابع: صُورٌ من التَّفَاعُلِ الثَّقَافِيِّ

بين الجزائر و تونس خلال القرن

(12-13هـ/18- و مطلع 19م)

الفصل الرابع: صور من التفاعل الثقافي بين الجزائر و تونس خلال القرن (12-  
13هـ/18- و مطلع19م)

المبحث الأول: أسباب هجرة العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني عموماً.

المبحث الثاني: أسباب هجرة العلماء بين الجزائر و تونس خلال القرن (12-13هـ/18-  
ومطلع19م).

المبحث الثالث: نماذج لبعض المراسلات بين علماء الجزائر و تونس.

المبحث الرابع: علاقة زاوية خنقة سيدي ناجي بحكام تونس.

المبحث الخامس: التأثير الصوفي بين الجزائر و تونس.

خاتمة الفصل الرابع.

لَقَّتْ إِنْتِبَاهَنَا أَثْنَاءَ دِرَاسَتِنَا لِلْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ وَالْجَزَائِرِيَّةِ وَكُتِبَ التَّرَاجِمُ، ذَكَرَ أَسْمَاءَ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ طُلَبَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ الْجَزَائِرِيِّينَ، الَّذِينَ قَصَدُوا الْحَوَاضِرَ التُّونِسِيَّةَ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ أَوْ التَّدْرِيسِ، وَبَعْضُهُمْ تَقَلَّدَ مَنَاصِبًا رَفِيعَةً كَالْإِمَامَةِ وَالْحَطَابَةِ وَالْقَضَاءِ، وَهَنَّاكَ مِنْ جَمْعِ بَيْنِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ وَالْعَمَلِ الْحَرْفِيِّ. كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مِنْ قَصَدِ الْحَوَاضِرِ التُّونِسِيَّةِ لِأَخْذِ الْعِلْمِ ثُمَّ الْعُودَةِ إِلَى الْوَطَنِ فِي حِينٍ أَنَّ هُنَاكَ مِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ تَوَقَّفَ بِهَا أَثْنَاءَ مَرُورِهِ ضَمَّنَ الرِّكْبَ الْحِجَازِيَّ. وَكَانَتْ مَدَّةُ تَوَقُّفِ الرِّكْبِ فُرْصَةً ثَمِينَةً لِالْتِقَاءِ الْفُقَهَاءِ وَالْقَضَاءِ وَالْمُفْتِينَ وَحُضُورِ دُرُوسِ جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي الْمَنَازِلِ الَّتِي كَانَتْ تَقَامُ بِهِ وَكَذَا إِقَاءِ الدُّرُوسِ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَحْيَانِ حَسْبَ اللَّهِ.

تَكَادُ تُجْزَمُ الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ الْحَلِّيَّةُ، وَخَاصَّةً التُّونِسِيَّةُ مِثْلَ: «ذَيْلُ بَشَائِرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ»؛ لِحَسَنِ خَوْجَةَ، وَ «الْحَلَلُ السَّنَدِسِيَّةُ»؛ لِلوَزِيرِ السَّرَاجِ، وَ «الْكِتَابُ الْبَاشِي»؛ لِلوَزِيرِ حَمُودَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَ «الْإِتْحَافُ»؛ لِابْنِ أَبِي الضِّيَافِ، أَمَّا الْجَزَائِرِيَّةُ، فَمِنْهَا: تَقِيدَاتُ ابْنِ الْمُفْتِيِّ، وَمَذَكِرَاتُ أَحْمَدَ الشَّرِيفِ الرَّهَارِ، أَنَّ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الْجَزَائِرِ وَتُونِسَ خِلَالَ الْقَرْنِ (12هـ / 18م)، وَمَطْلَعُ الْقَرْنِ (13هـ / 19م) كَانَتْ فِي الْغَالِبِ مَتَوَثَّرَةً؛ بِسَبَبِ التَّدْخُلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ، خَاصَّةً حُكَّامِ الْجَزَائِرِ الْعَثْمَانِيِّينَ الَّذِينَ أَرَادُوا فَرَضَ التَّعْبِيَّةِ عَلَى تُونِسَ، وَلَوْ بِالْقُوَّةِ، وَالتَّدْخُلِ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ؛ لِتَنْصِيبِ حَاكِمٍ أَوْ لِعِزْلِ آخَرَ. لَكِنْ كُتِبَ التَّرَاجِمُ رَصَدَتْ لَنَا نَوْعًا آخَرَ مِنَ الْعِلَاقَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالهِجْرَةِ الْمُتَبَادِلَةِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْإِيَالَتَيْنِ، خَاصَّةً الْجَزَائِرِيَّةِ نَحْوِ تُونِسَ وَالَّتِي كَانَتْ بِمَلَامِحٍ أُخْرَى خِلَافًا لِلْعِلَاقَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْمُتَوَثَّرَةِ بَيْنَ حُكَّامِ الْبُلْدَيْنِ. وَ لَمْ يَاقْتَصِرِ الْأَمْرُ عَلَى الْهِجْرَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُتَبَادِلَةِ بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ، بَلْ تَعَدَّاهَا إِلَى تَحْيِيسِ عَقَارٍ بِمَنْطِقَةِ خَنْقَةَ سَيِّدِي نَاجِي بَوَاحَةِ قُرْبِ بَسْكَرَةَ أَوْقَفَهُ عَلِيٌّ بَايَ حَاكِمِ تُونِسَ خِلَالَ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ لِصَالِحِ نَفْسِ الزَّوَايَةِ الَّتِي كَانَتْ لِشَيْوَحِهَا عِلَاقَاتٌ طَيِّبَةً مَعَ حُكَّامِ تُونِسَ وَ عُلَمَائِهَا الَّذِينَ كَانُوا لِسِيرِهِمْ حُضُورًا بَارزًا فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ التُّونِسِيَّةِ.

وَ لَا يُمْكِنُنَا الْمَرُورُ عَلَى التَّفَاعُلِ الثَّقَافِيِّ الَّذِي كَانَتْ بَيْنَ الْجَزَائِرِ وَ تُونِسَ؛ دُونَ التَّوَقُّفِ عِنْدَ التَّأثيرِ الصُّوفِيِّ الَّذِي كَانَتْ حَاضِرًا بِقُوَّةٍ بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ خِلَالَ الْفِتْرَةِ قَيْدِ الدِّرَاسَةِ، وَ هَذَا مَا سَيَتَمُّ التَّنَطُّقُ لَهُ خِلَالَ هَذَا الْفَصْلِ.

### المبحث الأول: أسباب هجرة العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني عموماً.

هناك جملة من العوامل جعلت علماء الجزائر خلال العهد العثماني (الفترة الحديثة القرن 10هـ- 16م/ 13هـ-19م) يهاجرون نحو المشرق؛ من أجل زيارة الحرمين الشريفين، و كذا لطلب العلم في الحواضر العلمية المنتشرة على طول الطريق إلى الحج، وأحياناً كثيرة هروباً من وضع سياسي غير مستقر<sup>(1)</sup> أو بحثاً عن وظيفة محترمة من أجل العيش الكريم و الاستزاق.

كما أنّ هناك أسباباً أخرى فرضت الهجرة المبكرة والطويلة نحو المغرب الأقصى تحديداً، فسقوط السواحل الجزائرية في يد الإسبان مع مطلع (القرن 16م/10هـ)<sup>(2)</sup>، والصراع المرير على السلطة في بلاط الزيانيين<sup>(3)</sup> (امتد حكمها بين 1235-1550م)، ودخول العثمانيين إلى الجزائر مع مطلع القرن (10هـ/16م)، واختيار مدينة الجزائر عاصمة سياسية للأيالة<sup>(4)</sup>؛ شكّل صدمةً للكثير من علماء تلمسان<sup>(5)</sup> عاصمة الزيانيين، وحاضرة العلم لمدة زمنية طويلة<sup>(6)</sup>.

وكلّ هذه الفتن شكّلت بيئة طاردة للعلماء، وبالأخصّ القاطنين في الجهة الغربية للجزائر؛ للرحيل نحو المغرب الأقصى الذي كان يسوده جو علمي أفضل من الجزائر؛ بسبب قرب المغرب من الأندلس، وكثرة العواصم العلمية مراكز التعليم ووفرة المكتبات، ووجود القرويين قبلة العلماء والمتعلمين، وليكون فاس عاصمة سياسية عربية، وليست عثمانية عمل حكامها على تشجيع العربية وعلومها؛ لأنهم كانوا على قدر كبير من العلم، ولا تخلو مجالسهم من الفقهاء والعلماء، وكلّ ذلك وقرّ الجوّ الملائم،

(1) أرزي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، معهد التاريخ، العدد13، عام2011، ص82-83.

(2) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا1492-1792، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص86.

(3) أحمد توفيق المدني، المرجع سابق، ص228.

(4) محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس1512-1543، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص213.

(5) ذكر صاحب دوحه الناشر في ترجمته لأحمد العباد أنه هاجر عدد كبير من الفقهاء من تلمسان لما وقعت بينهم وبين الترك الفتنة، فاستغاثوا بسلطان المغرب الذي نقلهم إلى فاس، وأكرمهم. أنظر: محمد بن عسكر الحسيني الشفشاوني، دوحه الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حجي، ط2، مطبوعات دار الغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1977م من ص118؛ حول هجرة العلماء نحو المغرب أنظر كذلك: محمد السعيد قاصري، "العلماء والفقهاء في الجزائر بين اضطهاد ونفي منظومة الحكم العثماني واستقطاب واستغلال منظومة الحكم السعدي والعلوي في المغرب"، مجلة عصور الجديدة، مجلد7، العدد26، أبريل2016-2017م، ص219-222.

(6) جلول هادي، "الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطة الزيانية بها(ق8-9هـ/14-15م)"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، قسم العلوم الاجتماعية، العدد19، جانفي2018، ص80-86.

وراحة البال، والاجتهاد في الرأي، والحياد السياسي، والوظيفة المحترمة، وأنى لعوامل مثل هذه لا تجذب العلماء وتشجعهم على البقاء<sup>(1)</sup>.

وكانت استفادة المغرب كبيرة من أحمد الونشريسي<sup>(2)</sup> (ت1508م) الذي كان لوحده خزانة علم، ودائرة معارف فقدت البلاد بحجرته زكناً أساسياً من أركان الحياة العلمية، إضافة إلى أحمد المقربي<sup>(3)</sup> (ت1632م)، وغيرهما من العلماء، خاصة التلمسانيين الذين هاجروا إلى فاس؛ جماعات وفرادى، و قد ترجم لهم ابن عسكر صاحب "دوحة الناشر"، وكذا ابن مريم؛ في كتابه "البستان"؛ مما لا يتسع المجال لذكرهم<sup>(4)</sup>.

أما خلال القرن (12هـ/18م)، فقد هاجر الشاعر الشعبي "أبو عثمان، سعيد بن عبد الله المنداسي"<sup>(5)</sup> (ت1677م) الذي هجا العثمانيين، وتدمر لحال تلمسان في عهدهم، كما هاجر صاحب الطريقة التيجانية "أحمد التيجاني"<sup>(6)</sup> (ت1815م) زُفقة عائلته، وغيرهما كثيرون؛ ممن قصد المغرب الأقصى، واستقرّ به إلى الأبد، ولم يكتفِ سلاطين المغرب بتوفير الحماية والأمن لعلماء الجزائر؛ بل وفُروا لهم أيضاً المناصب العلمية كالتدريس والإفتاء والقضاء<sup>(7)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي - 1500-1830، ج1، صص 423 - 428؛ أنظر: عمار ابن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر و المغرب في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، ج2، الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2008، ص122.

(2) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (و/حوالي 834هـ/1430م) (ت914هـ/1508م)، من كبار علماء تلمسان و بلاد المغرب و عُدد من العارفين بعلم الحديث والفقه والتفسير والتوحيد والمنطق عاش بتلمسان، ثم هاجر إلى فاس، بسبب الضغوطات السياسية من أشهر مؤلفاته: "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس و المغرب"، أنظر: الشفشاوني، المصدر السابق، ص 47؛ أنظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي و الجغرافي للمغرب الإسلامي "تراجم مؤلفين و رحالة و جغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، صص 277-283.

(3) - أبو العباس أحمد المقربي التلمساني (ت1041هـ/1632م) وُلد بتلمسان، وتلقى تعليمه الأول بما على يد شيوخ أجلة مثل: عمه أبو سعيد المقربي مفتي تلمسان، ثم هاجر إلى فاس، ومكث بها خمس عشرة سنة تولى فيها الإمامة والخطابة بجامع القرويين و بلغ منصب الإفتاء، ثم غادرها نحو مصر التي توفي بها مخلّفاً عدّة مؤلفات أشهرها: رائعته "نفع الطيب"، أنظر: أحمد بن محمد المقربي التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، المجلد8، الفهارس العاقمة، دار صادر، بيروت، 1988، صص 5-7؛ أنظر: سعيدوني، المرجع السابق، ص 227.

(4) مسعود بقادي و محمد الزين، هجرة التلمسانيين إلى المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م العلماء أنموذجاً، مجلة الحكمة، عدد14، سداسي أول 2018، صص 127-134؛ وانظر، ارزقي شويتام، المرجع السابق، صص 84-88.

(5) أبو عثمان سعيد عبد الله المنداسي (ت حوالي 1088هـ/1677م)، عاش بتلمسان عُرف بميله إلى الشعر، هاجر إلى المغرب الأقصى بعد تعرّض تلمسان لقمع الحماية العثمانية منتصف القرن 17م، وهناك حظي بالعيش الكريم. أنظر، ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، صص 369-372.

(6) ستأتي ترجمته لاحقاً ضمن هذا المقال.

(7) رقية شارف، التاريخ و المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني و إلى غاية 1267هـ/1850م، دراسة وصفية، تحليلية، نقدية، مقارنة، مقارنة في المنهج التاريخي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة الجزائر2، 2016-2017م، صص 70-71؛ وكذلك: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 438.

فإذا كان هذا حال المغرب مع علماء الجزائر، فكيف كان حال أبالة تونس معهم، خاصة و أنّ الروابط المشتركة كثيرة بين البلدين، وعلى رأسها تشابه الحكم السياسي؟.

المبحث الثاني: أسباب هجرة العلماء بين الجزائر و تونس خلال(القرن12-13هـ/18-م و مطلع19م).

2-1- أسباب هجرة علماء الجزائر نحو تونس خلال القرن 18م و مطلع 19م(12-هـ):

تعدّ تونس أول محطة للحجاج الجزائريين أثناء رحلة الذهاب و الإياب؛ وهناك من كان يستقر بجواضرها العلمية كالقيروان و تونس لبعض الوقت لأغراض مختلفة كالتدارس و التناظر و زيارة الأضرحة و الزوايا و العلماء، من أجل الإفادة و الإستفادة، و نجد كتب الرحلات الحجية تزخر بمثل هذه المجالس و الأخبار(رحلة الورتلاني على سبيل المثال فقط).

كما كانت منطقة الشرق الجزائري من بلاد زاووة إلى غاية الحدود الشرقية (عنابة، وقسنطينة، وتقرت)، تابعة للحفصيين الذين حكموا بين(1229-1574م)، و كانت بجاية عاصمة لهم و مركز إشعاع ثقافي كبير، و برزت عدّة أسر علمية بجائية في بلاطات تونس الحفصية؛ أمثال "آل غبريني" حيث برز منهم أحمد الغبريني(ت708هـ/1308م) الذي عاش زمنًا في بجاية الحماية الحفصية ثم في تونس، و تولى وظيفة قاضي القضاة في تونس، و كذا أبي مهدي عيسى الغبريني الذي بلغ في تونس الحفصية مبلغ أكابر علمائها ووصل إلى قضاء الجماعة و التدريس و الخطابة بجامع الزيتونة<sup>(1)</sup>؛

إذا تتبّعنا هجرة العلماء نحو تونس، فالوضع يختلف قليلاً عن المغرب ، نعم. هناك هجرة، لكنّها لم تكن بالحِدّة التي عرّفَتْها تلمسان، فهناك عوامل مُماثلة، وأخرى مُختلفة، وهي :

أ- الارتباط التاريخي: تربط الجزائر بتونس علاقات تاريخية قديمة بلغت درجة التداخل في الكثير من الأحيان، وسبب ذلك التقارب الجغرافي، والوحدة الدينية واللغوية، والتلاحم السكاني، خاصة بين المناطق الحدودية التي جمعتهم علاقات مُصاهرة وتجارة واسعة،

<sup>(1)</sup> للمزيد حول دور عائلة الغبريني و علماء بجاية في تونس الحفصية أنظر: أحمد الغبريني، عنوان الدرّاية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهيض، ط2، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، 1979. و أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، السلسلة الأولى، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج2، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2015، صص407-408.

و تواصل ذلك التدفق من علماء قسنطينة نحو تونس مطلع القرن16م حيث بلغ بعضهم شأنًا عظيمًا مثل أبو زكريا يحيى بن محمد الفكون جدّ والد عبد الكريم الفكون الذي انتقل لتونس و تزوج بها و درّس بجامع الزيتونة و قُتل هناك رفقة مجموعة من علماء الزيتونة من طرف الإسبان عام941هـ/1534م<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى إلتحاق كلّ من الجزائر عام (1519م)، و تونس عام (1574م) بالخلافة العثمانية، وكلّ ذلك زاد من حركة الهجرة العلميّة بين الأيالتين خلال العهد العثماني<sup>(2)</sup>، وهذا عكس ما أورده المرحوم الدكتور عمّار هلال على هذه المرحلة التي نعتّها بعُصور الانحطاط قائلاً: «... فخلال أكثر من ثلاثة قرون لم نحصّ سوى عشرة علماء جزائريين كانت لهم علاقة ما بتونس...»<sup>(3)</sup>.

إلا أنّ كُتُب التّراجم، والمصادر التاريخيّة أثبتت عكس ذلك، فقبل القرن(12هـ/18م) كانت هناك حركة علميّة واضحة، لكننا سنركّز على أهمّ العلماء فقط؛ لتوضّح أنّ الارتباط والتّواصل الثّقافي، وتنتقل العلماء كان قبل القرن(18م)، وتواصل خلاله وبعده.

فالشيخ قاسم بن يحيى الفكون(ت965هـ/1558م) سليل عائلة الفكون العلميّة بقسنطينة قد واصل دراسته بتونس، ووُلّي الإمامة بها ، ثمّ عاد إلى قسنطينة، وتولّى القضاء.

وعاشور بن عيسى القسنطيني؛ المعروف "الفكيرين"(ت1084هـ/1664م)؛ عالمٌ ورخالة، من فقهاء المالكية؛ استقرّ بتونس، وأخذ عن علمائها ، ثمّ اشتغل بالتدريس إلى أن تُوفي بها<sup>(4)</sup>.

وأبو القاسم البجائي: كان فقيهاً محدّثاً ورعاً، واشتغل إماماً خطيباً بجامع الخطبة بتونس ، وألّف كُتُباً منها: "شرح شواهد" ، "القطر" ، و "المقدّسة"<sup>(5)</sup>.

علي الجزيري: تولّى القضاء بتونس<sup>(6)</sup>، ولم يورد حسين خوجة الذي عاصرهما وترجم لهما -أبو القاسم البجائي، و"علي الجزيري"؛ زمن تواجدهما بتونس بالضبط ورُتّباً يكون أواخر القرن (11هـ/17م، ومطلع القرن 12هـ/18م)؛ لأنّ كُتُب التّراجم لم تتعرّض لهما.

<sup>(1)</sup> عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف من ادعى العلم و الولاية، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، صص42-

. 43

<sup>(2)</sup> أرزقي شويّام، المرجع السابق، صص93-98 .

<sup>(3)</sup> عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة الإسلاميّة، فيما بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين(3/14هـ)ط2، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2010م، ص 57 .

<sup>(4)</sup> حسين خوجة، ذيل كتاب بشائر أهل الإيمان ، ص 83 .

<sup>(5)</sup> نفسه، ص 63 .

<sup>(6)</sup> حسين خوجة، المصدر السابق، ص 64 .

وأشهر هؤلاء، والذي عاش طويلاً في تونس<sup>(1)</sup>، "أحمد بن قاسم البوني" (ت 1139هـ/1726م) نسبة إلى مدينة عنابة في شرق الجزائر، من كبار فقهاء المالكية؛ عالم بالحديث، وهو من أسرة توارثت، وجمعت بين العلم والصلاح والتصوّف وسيطرت روحياً على عنابة، ونواحيها مدة طويلة بلغت القرنين تقريباً، وقرأ البوني بعنابة والمغرب الأقصى، ثم قصد تونس، ومكث بها طويلاً طالباً للعلم، ومُنتقلاً بين حواضرها (باجة - الكاف - سوسة - تونس)، ثم قصد الحجاز للحج، وتصدّر للإقراء بالأزهر أثناء عودته، وأشاد بعلمه علماء مصر، ثم عاد للجزائر، واستقر بعنابة يُزاوّل نشاطه العلمي<sup>(2)</sup>.

ب- التقارب الجغرافي: لطالما كان "للجغرافيا التاريخية" دورٌ كبيرٌ في دراسة التطور التاريخي لظاهرة اجتماعية معينة مثل: حركات السكّان المختلفة، وتنقلاتهم من منطقة لأخرى، ومُمدُّنا بمعطيات إحصائية مهمّة جداً يُمكن توظيفها في دراسة وتحليل هذه الظواهر التاريخية<sup>(3)</sup>، ولذلك نقول بأنّ معظم العلماء والطلبة الجزائريين الذين يقطنون على طول الشريط الحدودي مع تونس مثل: (عنابة؛ بلاد زاوّة؛ قسنطينة؛ بلاد الرّاب؛ وادي سوف؛ ورقلة؛ بني ميزاب) تنقلوا إلى تونس من أجل طلب العلم أو الوظيفة، والسبب ليس لأنّ جامع الرّيتونة أفضل من الجامع الكبير بمدينة الجزائر، و لكنّ لأنّ تونس أقرب جغرافياً للمناطق الشرقية الجزائرية مقارنة بمدينة الجزائر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ منطقة (عنابة؛ بجاية؛ قسنطينة؛ بسكرة، وتقرت) تاريخياً كانت تحت النفوذ الحفصي (حكمت بتونس بين 1229-1574م) أيام ضعف الدولة الرّيبانية<sup>(4)</sup>، فكفاءة مشائخ الجامع الكبير، ودروسه مشهُود لها بالفضل، والتّمكّن من طرف عدّة علماء<sup>(5)</sup> من خارج الجزائر.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص390.

(2) عبد الحّي الكتّاني، فهرس الفهارس والأبحاث ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ج1، ص238؛ أنظر كذلك: أحمد بن قاسم البوني، الدّرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تق وتح سعد بو فلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، صص12-14.

(3) حستان حلاق، مقدّمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين "النظرية والتطبيق"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م، ص78.

(4) حنفي هلايلي، العلماء والأولياء في تلمسان الرّيبانية في ضوء بُغية رواد، مجلّة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجليلي اليابس، الجزائر، عدد 8، مارس 2015، ص199.

(5) مثل الأديب والرّخالة ابن زاكور الفاسي (ت 1120هـ/1708م) الذي زار مدينة الجزائر أواخر القرن 17م؛ للاجتماع بعلمائها واستجارتهم، ووصف علماءها، ومدحهم-أنظر: مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص116؛ أنظر كذلك: وصف عبد الرّحمن الجامعي للجانب العلمي بمدينة الجزائر أثناء توقّفه بها مطلع القرن 18م نقلا عن: أبي القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص412.

وبالنسبة للعلوم فنفسها كانت تُدرّس بالجزائر أو المغرب الأقصى أو تونس، وحتى بالمشرق تكاد تتشابه (العلوم الشرعية، والصوفية، والأدبية، وما يمتُّ لها بصلة)<sup>(1)</sup>، فالسبب إذن في هذه الحركة العلمية الدؤوب نحو تونس، والتي رصَدناها كان عامِلُ القرب الجغرافي بالدرجة الأولى، وليس عامِلُ التفاضل بين المراكز العلمية أو مشائخها؛ ولدعم هذا الرأي أخصينا خلال (القرن 18م و مطلع 19م (12-13هـ))، عدداً كبيراً من علماء المناطق الشرقية للجزائر، وطلبتهم قصدوا تونس؛ إمّا لأخذ العلوم والإجازة أو للتدريس وتقلد الوظائف هناك، وسيتم ترتيبهم حسب تاريخ الوفاة، ونبدأ بمجموعة من العلماء ترجم لهم حسين خوجة (ت1732م) -أبرز مؤرخ تونسي مع مطلع القرن (12هـ/18م) .

أحمد بن عمران: أصله من خنقة سيدي ناجي<sup>(2)</sup> قصد بلاد المغرب، وتفقه في الكثير من العلوم، ثم قصد تونس مطلع القرن 18م (12هـ)، وتصدر للتدريس، وعيّن له حضرة الأمير (حسين بن علي حكم 1705-1735م) مرتباً للإفادة، ويثني عليه حسين خوجة قائلاً: «... وله درس عظيم مدحه الناس، وأنواع عليه ...»<sup>(3)</sup>.

عثمان الأوراسي: قرأ على علماء بلاده، ثم رحل إلى تونس، وأخذ عن شيوخها مثل: "محمد المغراوي"، و"علي شعيب"، و"محمد بن عمران"، و الذي هو الآخر زُيماً يكون من خنقة سيدي ناجي أوله قرابةً بالشيخ أحمد بن عمران سابق الذكر. لقد عاصر المؤرخ "حسين خوجة" عثمان الأوراسي، ومدحه قائلاً: «... العالم الفاضل .. له مشاركة في جميع العلوم، وتصدر للتدريس، وأفاد، وأجاد...»<sup>(4)</sup>. كما ورد اسم آخر هو عبد الله محمد الأوراسي الذي ذكر اسمه في وثائق تعود إلى عهد حسين بن علي منها: رسم يعود إلى عام (1122هـ/1710م) وُصف فيه بالفقيه العدل، ورسم

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 9 .

(2) خنقة سيدي ناجي: "الخنقة" هي الفج أو المضيف بين جبلين، وفعلاً خنقة سيدي ناجي هي عبارة عن واحة تقع جنوب شرق الأوراس تبعد 110 كم عن مدينة بسكرة، وهذه الخنقة تأسست عام (1011هـ/1602م) على يد الشيخ المبارك بن قاسم (ت عام (1031هـ/1622))، وسمي الزاوية على حده سيدي ناجي، ومبدؤها كانت زاوية وحاضرة علمية، وكان يمر بها ركب الحجاج المغربي، ويصفها الورتلاني: «الخنقة قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار وسط واد بين جبلين، و قد قيل: أمّا تشبه مكّة في وضعها، و في بركتها..» أنظر: الحسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح محمد بن شنب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974، ص117. وكذا: حسين خوجة، المصدر السابق، ص137. يعطي وصفا شاملاً لوظائف هذه الخنقة، وعلاقتها بالحكام الحسينيين بتونس. أنظر: أحمد السعداوي، "التواصل بين إيلاني تونس والجزائر: وقف علي باي الحسين على زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي (1774)", السبيل مجلّة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية، عدد 1، 2016م، ص2.

(3) حسين خوجة، المصدر السابق، ص 47.

(4) حسين خوجة، المصدر السابق، ص48.

آخر بتاريخ (1143هـ/1731م)، يصفه بأنه قاضي محلة حسين بن علي، وهذا يدل أنه اشتغل بالتوثيق والعدالة مدةً طويلة قبل أن يتولّى القضاء<sup>(1)</sup>.

**أحمد العمري:** وُلد بخنقة سيدي ناجي؛ حفظ القرآن، وحصل على علم الفقه والبيان والحديث بمسقط رأسه في زاويتهم، ثمّ رحل إلى تونس، وتصدّر للتدريس بجامع الزيتونة، ويصفه حسين خوجة الذي عاصره، وكان مقرّبًا منه: «... وله درس عظيم يُقرئ فيه مختصر الشيخ الخليل، وألفيّة ابن مالك... وهو من إخواننا المحبّين». ولقد أكرمه الأمير حسين بن علي، ورّتب له عادات، ومرتبات يتحصّل عليها في أوقاتها<sup>(2)</sup>.

**محمد العنابي الضّير:** وُلد ببلد العناب، وتلقّى تعليمه الأوّل بالجزائر، ثمّ رحل إلى تونس، وطاف بجواضرها العلميّة، وتمهّر في العلوم العقليّة والنقلية<sup>(3)</sup>، وتصدّر للتدريس بتونس، وأخذ عنه أحد أفراد عائلة الرّصاع<sup>(4)</sup> المعروفة بالعلم بتونس و ذات الأصول الجزائرية.

وهؤلاء العلماء الذين زاروا تونس مطلع القرن 18م (12هـ)، وترجم لهم حسين خوجة عاصرهم، وذكر تواريخ ميلاد بعضهم، لكنّه لم يُورد تاريخ وفاتهم وهذا يدلّ على أنّهم كانوا لا يزالون على قيد الحياة عند تأليفه لكتابه "ذيل بشائر.. " عام 1725م<sup>(5)</sup>.

**يوسف بن محمد المصعبي المليكي (أبو يعقوب) الأب (ت1187هـ/1773م):** ولد بغرداية (بالجنوب الجزائري)، ثمّ سافر مع والده إل جربة عام (1692م) أخذ عن مشائخها، ثمّ انتقل إلى مدينة تونس عام (1701م)؛ ليستزيد من العلم، ثمّ رحل إلى مصر، وحضر دروس الأزهر، ثمّ عاد ليستقرّ بجربة، وقد ملئ علمًا، وصار مُفتي الجزيرة، وكبير علمائها، ورئيس مجلس الحكم فيها، ولازم التدريس بالجامع الكبير بجربة، كان مُهاب الجانب من طرف الحكّام جريئًا في قول الحقّ؛ آية في العلوم واعتبره حُكّام الدولة العثمانية ممثّل إباضية المغرب الإسلامي وزعيمهم، وله معرفة جيّدة بالفلك والكيمياء؛ صنّف عدّة تآليف منها: "تُخفة الألباب في عُذر أُولي الألباب"؛ "حاشية على تفسير الجلالين"، وتخرّج على يده الكثير من علماء الإباضية والمالكية وتوفي بجربة<sup>(6)</sup>.

(1) أحمد السعداوي، تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا 1705-1756، ص 101.

(2) حسين خوجة، المصدر السابق، ص 136.

(3) نفسه، ص 148.

(4) نفسه، ص 152.

(5) نفسه، ص 202.

(6) محمد بن موسى بابا عمّي و آخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحديث، قسم المغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ج2، ص 492.

محمد بن يوسف بن محمد المصعبي المليكي الجربي الابن(ت1207هـ/1792م): هو ابن يوسف المصعبي سابق الذكر ؛ وُلد، ونشأ، ومات بجزيرة؛ أخذ العلم عن والده وغيره؛ تولى منصب والده في جميع المهام بالجزيرة من رئاسة مجالس التعليم والحكم والتدريس، والفتوى بالجامع الكبير، وكان من الأقطاب الذين لهم دور في أمور عصرهم بجزيرة<sup>(1)</sup>.

يحيى بن صالح بن يحيى الأفضلي(أبو زكرياء): هناك اختلاف حول تاريخ وفاته بين عامي (1788 أو 1808م)، ولا ندري أيهما أصح، وما يهمننا أنه من أعلام القرن 18م، فهو من كبار علماء وادي ميزاب؛ تلقى تعليمه الأول في غرداية، ثم قصد جزيرة بتونس وتفرغ للعلم اثنتي عشرة سنة متصلة، ثم رحل إلى مصر، و منها عاد إلى موطنه وشرع في وضع أسس نهضة إصلاحية شاملة، وأشرف على تكوين جحافل من الطلبة قادوا الحركة الإصلاحية منهم: ابنه موسى، والشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني الذي اعتبره أبو القاسم سعد الله مثل: الونشريسي قائلاً: « والمؤلف الذي يمكن أن يُقاس عمله في الفقه الإباضي بعمل أحمد الونشريسي في الفقه المالكي هو عبد العزيز الثميني »<sup>(2)</sup>.

محمد الحفصي القسنطيني(ت نحو 1226هـ/1811م): حافظ للحديث؛ من كبار فقهاء المالكية في وقته درس بتونس، ثم رجع إلى قسنطينة، فتولى القضاء بها، وبها توفي، ومن آثاره: "حاشية" على "السلم المرونق"؛ للأخضري؛ في المنطق، و "تقايد"؛ في سائر الفنون<sup>(3)</sup>.

عمار الشريف القسنطيني:(ت1241هـ/1825م): أديب؛ قاض؛ أصولي؛ بياني؛ مشارك في عدة علوم؛ من أهل قسنطينة درس بجامع الزيتونة، ثم عاد إلى قسنطينة ولى قضاءها مرتين، وتقلد نظارة الأوقاف والخطابة بجامع رحبة الصوف، وتوفي بقسنطينة<sup>(4)</sup>.

محمد صالح الرحموني الزواوي(ت1242هـ/1826م): أديب لغوي؛ تعلم بتونس، ثم عاد إلى وطنه، فاشتغل بالتدريس في بلاد الزاوة، وتوفي بها؛ من آثاره: "الدليل على الأجرومية"، و "شرح على الأزهرية"، وغيرهم<sup>(5)</sup>.

(1) محمد بن موسى بابا عتي، المرجع السابق، ج2، ص406.

(2) محمد بن موسى بابا عتي، المرجع نفسه، ج2، ص460. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص74. أنظر كذلك: عمار هلال، المرجع السابق، ص58. عادل نويهض، المرجع السابق، ص22.

(3) الوزير السراج، المصدر السابق، المجلد3، ص688. أنظر: أبي القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ص365. عادل نويهض، المرجع السابق، ص264.

(4) محمد النيفر، المصدر السابق، ص549. أنظر: أبي القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص287. وكذا: عادل نويهض، المرجع السابق، ص263.

(5) محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص382.

أبو العباس أحمد العباسي (ت1251هـ/1836م): عالم قسنطينة، ومُحدِّثها؛ قرأ بجامع الزيتونة بتونس، ثم رجع إلى موطنه، وله مشاركة في علوم البلاغة والبيان، وبسير الرجال والمنطق والكلام<sup>(1)</sup>؛ وُلِّيَ النَّظَر على الأوقاف، ثمَّ القضاء مرتين والخطابة بمسجد سيدي علي بن مخلوف، ثمَّ بمسجد رحبة الصَّوْف<sup>(2)</sup>، يصفه أبو رأس النَّاصر الَّذي إلتقاه بقسنطينة ب: «... العلامة ... هو من علماء قسنطينة...»<sup>(3)</sup>.

مصطفى بن الشاوش القسنطيني أبو الوفاء (ت1252هـ/1836م): أديب نحوي؛ فقيه حنفي؛ من أهل قسنطينة، وتعلَّم بها، وبتونس، ثمَّ عاد لموطنه، وتصدَّر للتدريس والإلقاء والخطابة بالجامع الأخضر، عُرضت عليه الفتوى، فرفضها<sup>(4)</sup>.

ج- العامل الديني والعلمي: تُعدّ تونس مَحَطَّةً أساسيةً في طريق الحجاج الجزائريين: ذهابًا، وإيابًا؛ عبَّرها عدد كثير من العلماء، وخذلت رحلتهم الحواضر الدينية والعلمية التي توقّفوا بها للراحة، وللعلم والمناظرة، وحتى الدّرس والفتوى أو الإجازة وسنكتفي بعلماء القرن (18م ومطلع 19م (12/13هـ).

مصطفى الرُّماصي (تحوالي 1136هـ/1724م)؛ عالم، من فقهاء المالكية، من أهل رُماسة؛ إحدى قرى مستغانم؛ تعلَّم بمأزونة، ثمَّ رحل إلى القاهرة؛ لطلب العلم مرورًا بتونس؛ وصفه عبد الرّحمن الجامعي ب: «.. حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره...»، ومن آثاره: "كفاية المرید على شرح عقيدة التّوحيد"<sup>(5)</sup>.

محمد بن عبد الرّحمن التّلمساني (ت بعد 1199هـ/1779م): وُلد بتلمسان؛ عاش خلال القرن (12هـ/18م)؛ قاض وفقهه؛ لُغوي، ومُؤرِّخ؛ نشأ، وتعلَّم بتلمسان، وقام برحلتين إلى المشرق خلال القرن 18م، وتوقّف بتونس، ولما عُزل من القضاء بتلمسان رحل إلى المشرق، وتوفّي هناك؛ ينعتُه تلميذه

أنظر كذلك: أبي القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 522. عادل نويهض، المرجع السابق، ص 146. خير الدين الزركلي، الأعلام، "قاموس تراجم"، ط15، ج6، ص 163. عمار هلال، المرجع السابق، ص58.

(1) عبد الحفي الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص 382.

(2) عادل نويهض، المرجع السابق، ص 214.

(3) محمد أبو رأس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تح محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب.ت)، ص 99.

(4) أبي القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، ص 568. و عادل نويهض، المرجع السابق، ص 265.

(5) محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 334. و أبي القاسم الحفناوي المرجع السابق، ج2، ص 566. عادل نويهض، المرجع السابق، ص

152. صورية حصام، العلاقات بين أياي التي الجزائر وتونس خلال القرن 18 م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، 2012-2013 م، (غير منشورة)، ص 118.

أبو رأس الناصر ب: «... شيخنا .. محمد بن عبد الرحمن التلمساني القاضي ... ولما عُزل عن القضاء والمناصب التي تُحمد وُثرتضى .. ونمت به رفعته إلى الرحلة إلى المشرق .. ولحق بالحرمين الشريفين .. فعبد الله .. حتى أتاه اليقين<sup>(1)</sup>»، كما خلف محمد بن عبد الرحمن؛ مؤلفاً واحداً هو: "الزّهرة النائرة فيما جرى في الجزائر، حين أغارت عليها جنود الكفرة"؛ أكمله عام (1193هـ/1779م) وصَف فيه واقعة أوريلي على الجزائر عام (1189هـ/1775م)<sup>(2)</sup>.

الحسين الورثيلاني (ت1193هـ/1779م): وُلد بمنطقة وُريثلان، بالقبائل (شرق الجزائر) وبها توفي، من أسرة علمية مرابطة (أهل الطُرق) تشرب من ثقافة عصره في المدرسة القرآنية التي كان يُديرها والدّه، حيث حفظ القرآن، ثم تعلّم الفقه والنحو والتصوّف والتوحيد، اللّغة والتاريخ بالزوايا الموجودة بمنطقته، حتى أصبح مثل والدّه، وجَدّه من علماء المنطقة، وشيخ الطريقة الشاذلية، بزوايا الأسرة، وامتهن التدريس؛ عاش الورثيلاني زاهداً مُتقشفاً، وحجّ ثلاث مرّات الأولى: عام (1153هـ/1740م)، والثانية: عام (1166هـ/1753م)، والثالثة عام (1179هـ/1765م)<sup>(3)</sup>، وخلال حجّاته كان يتوقّف في مدن وزوايا وطنه وتونس ومصر والحجاز؛ من أجل الزيارة والعلم.

كما زودتنا رحلته الحجازية بالكثير من المعلومات، خاصة ما يهْمُننا بمجالس العلم في كلٍّ من جربة وقابس وسوسة وجامع الزيتونة، بمدينة تونس، ويذكر بالتفصيل تلك المجالس، وماذا تُدرّس، فيقول على سبيل المثال: «فكنتُ أملي على بعض فضلاء جربة وعلمائها ...» كما تباحث مع علماء قابس بعض التوازل والعلوم. أمّا جامع الزيتونة، فذكر أنّه كان يُعجُّ بالعلماء والطلبة، واعتَرَف بَعْدَ قُدْرته على عدّهم، ولا حصرهم<sup>(4)</sup>.

ويُعَدُّ الورثيلاني من العلماء المعارضين للحُكم العثماني؛ ألّف عدّة كُتب معظمها في الفقه والتصوّف والتوحيد، وأهمّها هي رحلته الحجازية المعروفة ب: «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ وأخبار»؛ كُتبت عندما ذهب إلى الحجّ عام (1179هـ/1765م)، علماً أنّها هي الرحلة الحجازية الثرية الجزائرية الوحيدة التي وصلتنا كاملة من العهد العثماني، أمّا بقية الرحلات، فبعضها مفقود مثل: رحلة أحمد البوني: «الروضة الشهية في الرحلة الحجازية»، وبعضها مبتور مثل: رحلة ابن حمادوش "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"؛ بقي منها الجزء الثاني فقط، أمّا رحلة أبي رأس الناصر

(1) محمد أبو رأس الجزائري، المصدر السابق، صص 49-50.

(2) عادل نويهض، المرجع السابق، ص 81. و رقية شارف، المرجع السابق، ص 121. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 339.

(3) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 994.

(4) حسين الورثيلاني، المصدر السابق، صص 653-661. كلٌّ ما ذُكر حول تونس في رحلة العودة.

"فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربّي ونعمته"، فهي نوع من السيرة الذاتية لحياته أكثر منها رحلة حجازية<sup>(1)</sup>.

عبد الرزاق بن حمادوش (ت حوالي 1197هـ/1783م): هناك شخصيات سنُفصّل نوعاً ما في مراحل حياتها؛ لأنها مهمة ومتميزة، فعالمنا هذا من بينهم، وُلد بالجزائر وتلقّى تعليمه الأوّل بها، واهتمّ مثل علماء عصره بالفقه والنحو والتصوّف والأدب والتاريخ (العلوم الشرعية واللغوية): (قراءة وإجازة)، لكنّه تميّز عن غيره بميله للعلوم العقلية (الرياضيات، الطب، صناعة الأعشاب، الفلك، الكيمياء، السيمياء، المنطق، حساب)، واستطاع أن يؤلّف في كلّ هذه العلوم؛ بل أكثر من ذلك، ومُجربها<sup>(2)</sup>، وتعلّم ابن حمادوش عن طريق الدرس والإجازة، إضافة إلى كثرة الأسفار، ودقّة الملاحظة، وعاش فقيراً، رغم أنّه حاول الجمع بين العلم والتجارة، لكنّ الحظّ لم يُحالفه؛ لأنّه كما قال: كان لا يفارق الكتب، ولم يتمكن من شقّ طريقه إلى الثروة مثلما فعل بعض العلماء المتصلون بالسلطة<sup>(3)</sup>.

عاصر ابن حمادوش معظم أحداث القرن (12هـ/18م)، سواء بالجزائر أو خارجها في المغرب وتونس ومصر والحجاز، حيث مرّ بتونس عام (1130هـ/1718م)، وهو متوجّه إلى الحج، وأخذ عن علمائها مثل، محمّد زيتونة، ترك ابن حمادوش عدّة مؤلّفات يعُلب عليها الطابع العلمي أكثر من الفقهي والأدبي الذي شاع لدى علماء عصره، فله 18 مؤلّفاً؛ ما بين طبّ، وأعشاب، وحساب، وفلك، وحتى في علم البوئبة هذا إضافة إلى تأليف أخرى في المنطق والنحو والأدب والرحلة، وما يُحزّ في النفس أنّ معظم هذه التّأليف ضائعة، وأشهرها هي: «رحلة» لسان المقال في النبأ عن التسبب والحسب والحال»، وهذه الرحلة جزؤها الأول مفقود، ولم يسلم من الضياع إلاّ الجزء الثاني، والذي هو بدوره مبتور النهاية، وأخبارها تقتصر على الجزائر والمغرب وترجمة حياة المؤلّف، فهي مغربية لا مشرقية، وتعدّ مصدرًا لا غنى عنه لدراسة الأوضاع بالجزائر والمغرب خلال القرن 12هـ/18م<sup>(4)</sup>.

أحمد بن محمّد بن سحنون الراشدي (ت بعد عام 1211هـ/1796م): هو من مواليد النصف الثاني من القرن 18م/12هـ؛ نشأ بمعسكر، وبها تولّى وظيفة الكتابة للداي محمّد الكبير؛ باي الغرب في المدة (1193-1211هـ/1779-1796م)، كما تولّى تدريس طلبة الرباط أثناء محاصرة الباي لوهران

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مج 1، ط4، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005م، صص 187-188.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، المصدر السابق، ص 77.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 425.

(4) ابن حمادوش، المصدر السابق، صص 9-10 (كلام المحقق). أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 425-427 / 429-431 و.

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المجلد 1، ص 182 و 182 / و ص 221-241.

عام (1203هـ/1789م)، وخلال هذه المدة شدَّ الرِّحال إلى المشرق للحجِّ، وأثناء عودته توقّف بجزيرة جربة التونسية للراحة وللعلم، فبلغه أخبار محاصرة الباي محمد الكبير لمدينة وهران - التي كانت محتلة من الإسبان - فبدأ في تنظيم أرجوزة حول فتح وهران عام (1206هـ/1791م)؛ موضوعها الإشادة بفتوحها محمد الكبير، وهو بجزيرة، وأتمها مع فتح وهران، ثم شرحها في كتابه المشهور «التغر الجُماني»، وقدمه للباي، كما له كتاب آخر «عقود المحاسن»<sup>(1)</sup>.

أحمد التيجاني (ت 1230هـ/ 1815م) : مُلِّم بالأدب؛ عالم بالأصول والفروع؛ من فقهاء المالكية؛ وُلد في عين ماضي بمدينة الأغواط في الجنوب الجزائري<sup>(2)</sup>، وتنقل بين الجزائر والمغرب وتونس ومصر والحجاز؛ لأخذ العلم، ثم أسس طريقة صوفية خاصة به (التيجانية) بالمغرب<sup>(3)</sup>، وفي عام (1186هـ/1773م) شدَّ الرِّحال إلى الحجِّ، وفي طريقه مرَّ بتونس، ومكث بها سنة كاملة مُتَنقلاً بين مدينتي تونس وسوسة؛ قصد التَّعبُد والتَّدریس، وأخذ العلم، ونظرًا للمجالس العلميّة التي كان يعقدها دَاعَ صِيته وطلّبه باي تونس؛ للتَّدریس بجامع الزيتونة، وخصَّص له راتبًا مُغربيًا، غير أنَّ أحمد التيجاني رَفُض، وواصل طريقه إلى الحجِّ<sup>(4)</sup>، ويُعدُّ مُترجمًا من العلماء السَّاحطين على الحكم العثماني، وهذا ما جعله يخرج من الجزائر، ويُهاجر نحو المغرب سنة (1171هـ/1757م) فرارًا بنفسه وبطريقته<sup>(5)</sup>.

أبو راس النَّاصر المعسكري (ت 1238هـ/1823م): وُلد بنواحي معسكر، من عائلة فقيرة؛ تتلمذ على يدِ شَيْخه عبد القادر المشرفي<sup>(6)</sup>، ولازمه، وخدمه مُدَّة من الزَّمن، ثمَّ تَوَلَّى التَّدریس مكانه لستَّ وثلاثين سنة، وذاع صيته، حتَّى بلغ طَلبته في الحُلقة سبعمائة وثمانين (780) مستمعًا، ورغم ذلك عاش مُتقشفًا فقيرًا مُدرِّسًا، ومُنكبًا على التَّأليف<sup>(7)</sup>.

توجه إلى الحجِّ عام (1204هـ/1789م)، والتقى في طريقه بعلماء الجزائر وقسنطينة وتونس ومصر والحرمين والشَّام<sup>(8)</sup>، وأثناء تَوَقُّفه بتونس أخذ عن عُلمائها الذين ذكَّروهم في كتابه «فتح الإله

(1) ناصر الدين سعيدوني المرجع السابق، ص 439.

(2) عادل نويهض، المرجع السابق، ص 26.

(3) بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 56.

(4) نفسه، ص 20.

(5) محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 378-379. انظر: بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، صص 21-74.

(6) عبد القادر المشرفي الغريسي المعسكري، تعلَّم على يد علماء عصره، ثمَّ اشتغل بالتَّدریس، و تتلمذ على يده علماء أجلاء أمثال: أبو راس النَّاصر، توفِّي المشرفي عام (1192هـ/1778م)، حول هذه الشَّخصية أنظر: أبو راس ناصر الجزائري، المصدر السابق، ص 21 و 53. أنظر ك ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 412.

(7) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 460.

(8) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مجلد 1، ص 87.

ومنته» الذي يعتبر سيرة ذاتية له قائلاً: «سيدي محمد بن قاسم المحجوب عالم "افريقيّة"، وتونس، ... ومنهم شيخنا مفتي الحنفية بتونس: السيّد محمد بيّرم ... قرأت عليه فقه أبي حنيفة»<sup>(1)</sup>، كما توفّف بتونس في السنّة الموالية أثناء عودته من الحجّ، ولما سمع بحرب وهران أسرع في المجيء من أجل الجهاد، وألّف في ذلك كتابه «عجائب الأسفار» الذي أكمله عام (1791م)؛ تقلّد وظائف الفتيا والقضاء والخطابة بمعسكر، ثمّ عُزل منها عام (1211هـ/1796م) فتوجّه إلى المغرب الأقصى<sup>(2)</sup>، حيث اجتمع بالمولى سليمان في مجلسه العلمي الذي أشاد به قائلاً: «... وكان مجلسه -نصره الله - لا يخلو من العلم، والعلماء تعليماً وتعلّماً...»<sup>(3)</sup>، ثمّ عاد إلى وطنه، فإذا بفتنة درقاوة والطّاعون<sup>(4)</sup>، ثمّ توجه مرّة ثانية إلى الحجّ عام (1226هـ/1811م)، والتقى فيها بعلماء تونس، وتدارسوا، حيث ذكر بعضهم قائلاً: «ثمّ ذهبْتُ إلى تونس ... واجتمعتُ بعلمائها وأجلّة فقهاءها.. محمد بن المحجوب .. وصالح الكواش .. أخونا ... إبراهيم الرّياحي ...»، وقد مدح الرّياحي أبو راس بأبيات شعريّة منها:

هذا الإمامُ «أبو رأسٍ مُحمّد» من ... سارت بتبريزه في الخلقِ رُكباً  
فكم أفاد بتحرير- و قرّر من ... قولٍ وحرّر من بحث له شأن

كما يصف إحدى المجالس العلميّة بجامعة الأعظم قائلاً: «... واجتمعتُ مع العلماء بجامعة الأعظم، فنذاكرنا، وتناظرنا، وترافعنا، وتشاجرنا، وتقابضنا في جميع الفنون الدّقيقة، والمسائل المخفيّة، وقد أظهرني الله عليهم في ذلك كلّ...»، ولمّا سمع به حاكم تونس (حمودة باشا 1782-1814م) استدعاه، وطرح عليه عدّة أسئلة، وأجابهُ، فاستحسن ذلك، وأكرمه؛ ممّا أوقع الحسد في نفوس بعض علماء تونس<sup>(5)</sup>.

وعاش أبو راس فترة حرجة وقلقة من تاريخ الجزائر، فقد حضر فتح وهران وثورة درقاوة وانتشار الوباء، وألّف في كلّ هذه الأحداث، كما انتقد الأوضاع العلميّة بمدينة تلمسان، رغم أن معاصروه يشهدون بانتعاشها، خاصّة في عهد محمد الكبير الذي كان مُحبّاً للعلم، وراعياً للعلماء، وأبو راس من بينهم<sup>(6)</sup>، وتوفيّ أبو راس عام (1238هـ/1822م)، وقد أثبتّه صاحب دليل الحيران بقوله:

(1) أبو رأس ناصر الجزائري، المصدر السابق، صص 51-52.

(2) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مجلّد 1، صص 87-88.

(3) أبو رأس ناصر الجزائري، المصدر السابق، ص 106.

(4) أبو رأس ناصر الجزائري، المصدر نفسه، ص 24.

(5) أبو رأس ناصر الجزائري، المصدر السابق، صص 108-116.

(6) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، مجلّد 1، صص 84-85.

«... مات مجدّد القرن الثالث عشر، ذو التآليف العديدة، والتّصانيف المديدة ... العلامة .. الحافظ أبو راس .. والذي ليس له نظير ولا مثيل...»<sup>(1)</sup>.

اتّصف أبو راس بغزارة العلم، وكثرة التّأليف، فقد كتب أكثر من غيره من الجزائريين<sup>(2)</sup>، ونسب إليه 137 مصنّفًا في التاريخ والأنساب والأخبار منها: ما نُشر وبعضها محفوظ، ومنها: ما يُعتبر في حُكم المفقود، وأهمّها: «زهرة الشّماريخ في علم التّاريخ»، و«فتح الإله ومنته في التّحدّث بفضل ربّي ونعمته»، و«عجائب الأسفار ولطائف الأخبار»<sup>(3)</sup>.

حمودة بن محمّد المُقايسي (ت1245هـ/1829م): من كبار فُقهَاء المالكية، بمدينة الجزائر وعُلمائها، مُشارك في عدّة علوم؛ تعلّم بالجزائر<sup>(4)</sup>، ثمّ رحل إلى مصر، ولازم جامع الأزهر ينهل من علومه على يد عُلماء أجلاء أجازوه، وأشادوا بعلمه، وأدّبوا له بالتّدريس بالأزهر، إلى جانب إنشعّاله بتأليف الكتب التي بلغت المائتين<sup>(5)</sup>، ومع نهاية القرن (12هـ/18م) قرّر العودة إلى الجزائر، فمّر بتونس، ومكث بها زمناً يُقرئ أهلها ثمّ رجع إلى مدينة الجزائر، وبدل أن يتولّى التّدريس بِجامعها الكبير أصبح يشتغل بحرفة الأجداد (صناعة المقاييس)، وبيعها إلى أن توفّي فقيراً<sup>(6)</sup>، بالجزائر، وهذا ما تُؤكّده روايته قائلاً: «... ولما قرأتُ بالأزهر، وحصل القطب بحاشية عبد الحكيم.. وأذن لي أشياحي... مررتُ بتونس، وأقرأتُ أهلها، وطلبوا منّي الجلوس هناك، ويقومون بما أحتاج، فلم أُرِدْ، إلّا الذهاب إلى الجزائر، فوجدتُ فيها علماءً أصحاب جاهٍ، وكان في ذلك الوقت لا يسود الأمن يتردّد على أصحاب المملكة، فكنتُ أتعيّش بالصنّعة وأكلتُ كتي...»<sup>(7)</sup>.

ويُستنتج من كلامه، أنّه قضى معظم حياته دارساً ومُدّرّساً بالأزهر، كما درّس بجامع الزيتونة أثناء عودته لبلادها، لكن بالجزائر اشتغل حُرّفي، وليس مُدرّساً؛ لأنّ الوظائف العلميّة كانت حِكراً على العلماء أصحاب الجاه، فلِ الله دُرُك أيّها العالم كيف كُنْتَ مُدرّساً وعالماً بارزاً بالأزهر والزيتونة، ثمّ كيف تحوّلت إلى حُرّفي بسيط ومجهول في الجزائر.

(1) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، صص 460-461.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 380.

(3) ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، صص 461-462.

(4) عادل نويهض، المرجع السابق، ص 309.

(5) عبد الحفي الكتّاني، فهرس الفهارس، ج1 ن ص 345.

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص37.

(7) أبي القاسم الحفناوي، المرجع السابق، ج2، صص 140-143.

د- العوامل السياسية والاقتصادية: كان للظروف السياسية هي الأخرى دوراً في إرغام عدد من علماء الجزائر على الهجرة، وكذا للبحث عن وظيفة مُحترمة، ومن بين الذين هاجروا لهذه الأسباب نجد أحمد بن عمار الجزائري (ت1205هـ/1790م): أديب؛ رحالة؛ فقيه، مُفتي مالكي؛ وُلد مطلع القرن (12هـ/18م)، بمدينة الجزائر، وبها دَرَس، وتَوَطَّف، وعاصر مُختلف عُلماء وأحداث تلك الفترة، و في عام (116هـ/1753م) أَدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ، والتقى بحسين الورتيلاني<sup>(1)</sup>، وبقي مُجاوراً بِمَكَّةَ لِمُدَّة 12 سنة، ثمَّ عاد إلى مدينة الجزائر. و في عام (1180هـ/1766م) كان مُتولِّياً لِخِطَّةِ الْفَتْوَى بِالْجَزَائِرِ، ثمَّ أصبح مُدرِّساً بِالْجَامِعِ الْكَبِيرِ.

وخلال عام (1195هـ/1781م) رَحَلَ ابنُ عمار إلى تونس، بِنِيَّةِ الْإِسْتِيْطَانِ، وكان كبيراً في السِّنِّ، وناظر عُلماء تونس، وألَّفَ بها عمليْن هما: "رسالة في التفسير والأدب" و كتاب في "التاريخ" ضَمَّنَهُ سِيرة وآثار باي تونس وَقَتَّهَا "علي باشا بن حسين"<sup>(2)</sup> (حَكَمَ بَيْنَ 1759-1782م)، وهذا ما أَكَّده تَلْمِيذُ ابنِ عمار بتونس إبراهيم السَّيَالَةَ<sup>(3)</sup>.

كما يُعْتَقَدُ أَنَّهُ بَقِيَ بتونس لتسع سنوات؛ لأنَّه كتب تقرِيضاً لصديقه الوزير حمودة بن عبد العزيز<sup>(4)</sup> على كتابه الباشي، وهذا التقرِيض مؤرَّخ سنة (1196هـ/1782م)<sup>(5)</sup>. وفي سنة (1204هـ/1789م) كان لا يزال بتونس<sup>(6)</sup>، ويُحْتَمَلُ أَنَّهُ غادرها بعد وفاة الباي علي باشا سنة (1782م)، وصديقه حمودة بن

(1) حسين الورتيلاني، المصدر السابق، ص 286.

(2) علي باشا (ت1782م) بن حسين بن علي سكن الجزائر مع أخويه: محمّد ومحمود؛ لعشر سنوات (1159-1169هـ/ 1746-1755م) أو لعشرين سنة، كما ذكر صاحب عنوان الأريب فرازا من بطش ابن عمهم علي باي بن محمّد بن علي الذي انشق عن عمه، وأعلن عليه الحرب، ودخلت تونس في حرب أهلية في الفترة بين (1735-1740م)، وكان نتيجتها مقتل حسين بن علي واعتلاء علي ابن أخيه الحكم، وهذا ما جعل أبناء حسين (علي، ومحمّد، ومحمود) يلجؤون إلى الجزائر، و خلال إقامتهم بمدينة الجزائر يُحْتَمَلُ أَنَّ الْعَالَمَ الْجَزَائِرِيَّ ابْنَ عمار قد التقى بهم، وجمعتهم صداقة قبل أن يتوجه ابن عمار إلى تونس. أنظر: ابن أبي الضياف، الإنحاف، المجلد 1، ج 1، ص 146. أنظر: الصغير بن يوسف، المصدر السابق، ج 2، ص 183. أنظر: محمد التيفر، عنوان الأريب، ص 526.

(3) هو تلميذ ابن عمار: أنظر: محمد محفوظ، المرجع السابق، ج 3، ص 95.

(4) هو الوزير حمودة بن عبد العزيز (ت1202هـ/1788م) الأديب والفقيه والمؤرِّخ، ورئيس ديوان الإنشاء زمن علي باي بن حسين بن علي، و مرّي أبنائه، واستعان به في تدبير شؤون دولته، وبعثه سفيراً عنه إلى قسنطينة والجزائر في بعض الأغراض السياسية كما دارت بينه وبين علماء قسنطينة مراسلات علمية. أنظر: حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، قسم السيرة، تح محمّد ماضور، ج 1، ص 15. أنظر: محمد محفوظ، المرجع السابق، ج 3، صص 331-333.

(5) حول نصّ هذا التقرِيض أنظر: حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ج 1، ص 19.

(6) عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ج 1، ص 121.

عبد العزيز (حوالي 1788م)، مُتوجّها إلى الحجاز، و منذ سنة (1205هـ/1790م) تنقطع أخبار ابن عمار وأكّد تلميذه "أبوراس الناصر" أنّ شيخه ابن عمار توفّي بالحرمين الشّريفيين<sup>(1)</sup>.

والسؤال المطروح، ماهي الأسباب التي جعلت ابن عمار يهاجر إلى تونس بنية الاستيطان؛ أهّي ضغوطات سياسيّة، أم علميّة من طرف علماء ذلك العصر؛ لأنّه كان مختلفاً عنهم كثيراً في تفكيره وآرائه، وفتواه، وكان محسوداً لعلمه وقلمه واستقلاله في الرّأي، وكان يَنْتقد وبشِدّة الكثير من العادات الاجتماعيّة والبدع .

وقد احتوى كتابه «نحلة اللّيب» الكثير من هذه الانتقادات اللاذعة التي نورد نموذجاً منها فقط، حيث قال: «... وقد وقع لي بالمدينة نظير ذلك، فسعيث في منع اختلاط النساء بالرجال في ليالي المولد والمعراج ... فعارضني جمّع ممّن العلم في عمائمهم دون قلوبهم، وأغرّوا بي السفهاء والفسّقة، حتّى أتهم سعوا في قتلي مراراً ... والله المستعان ...»<sup>(2)</sup>.

وألف ابن عمار عدداً من الكتب خرج فيها عن الحواشي والشّروح، لكن للأسف معظمها مفقود؛ لأنّ صاحبها توفّي خارج الدّيّار، وحمل كتبه معه أثناء رحيله، خاصّة وأنّه هاجر بنية الاستيطان؛ لذلك حُرْمنا من فوائدها، ومن أهمّها: «لواء النّصر في فضلاء العصر»، وهو في السّيّر، ألّفه في الجزائر، وترجم فيه لأهل مائتي سنة تقريباً<sup>(3)</sup>، واحتمال كبير أنّ ترجمته لنفسه هي الأخرى ضمّنه. ومثل هذا المخطوط لو يُعثر عليه، فإنّه ينفّض العبّار عن تراجم الكثير من العلماء، ويفتح نافذة تاريخيّة محلّيّة عن الحياة الثقافيّة بالجزائر خلال القرن (12هـ/18م) الذي عاشه ابن عمار، وكذا «نحلة اللّيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب»، و«تاريخ البايع علي باشا بن حسين» ألّفه في تونس، وهو مهمّ تاريخيّاً، لكنّه في حكم المفقود، وكذا «شرح على البخاري» وغيرها<sup>(4)</sup>.

أبو العباس أحمد الثّعالبي الشّريف: شهير البرانسي، من ذريّة الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي المفسّر؛ دفين الجزائر، وكان عالماً جليلاً يمتّهنّ حياطة البرانيس، توفّي عام (1197هـ/1783م)<sup>(5)</sup>، وذكر بيّز

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، صص 224 - 226.

(2) أحمد بن عمار الجزائري، نحلة اللّيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب، نج عبد الجليل شقرون، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017م، صص 301-302.

(3) الكتّاني، المرجع السابق، ج1، ص 121.

(4) ترجم له سعد الله بشيبي من التّفصيل في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، صص 224-235؛ 121؛ أنظر: أحمد بن عمار الجزائري، نحلة اللّيب، نج عبد الجليل شقرون، ص 57.

(5) محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الطّريف بحسن التعريف، ج2، ص 128. أنظر: ابن أبي الضّياف، الإتحاف، المجلّد4، ج7، ص13.

الثاني (التونسي) (ت 1831م) أَنَّهُ تَتَلَمَذَ عَلَى يَدِ الْمُفْتِي أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الثَّعَالِي؛ الشَّهِيرِ بِـ "البرانسي" (1).

## 2-2- أسباب هجرة العلماء التونسيين إلى الجزائر خلال القرن (12-13هـ/18-19م) و مطلع 19م):

ومن العلماء التونسيين الذين كان لهم حضور وتواجد بالجزائر خلال نفس الفترة إمَّا لأغراض علمية أو لظروف سياسية قاهرة نجد:

**علي الكوندي** ( ت 1119هـ/1708) فقيه وعالم بالقراءات من أصول أندلسية ، قرأ الفقه والنحو على يد محمد العنابي في الجزائر. (2).

**أبو إسحاق إبراهيم الجُمَني** ( ت 1134هـ / 1721م):أصوله من بلاد جُمَنة ببلاد الجريد بتونس، ارتحل إلى مصر وأجيز في الفقه والنحو والمنطق والبيان والتوحيد، ثم رحل إلى زاوية خنقة سيدي ناجي وأخذ بعض العلوم بها، ثم سافر إلى بلاد زاوية لطلب العلم كذلك ، ثم رجع إلى تونس وعاش هذا العالم زمن حسين بن علي. (3).

**محمود زيتونة** (ت 1138 هـ/1726م) مفسر ، فقيه ، ناظم ، كفيف ، ذكي ويحفظ من سما واحد، تَصَدَّرَ لِلتَّدرِيسِ بِجَامِعِ الزَّيْتُونَةِ حِسْبَةَ اللَّهِ (4) وهو شيخ حسين خوجة، وقد تَرَجَمَ لَهُ فِي كِتَابِهِ "الذيل" لِكِنَّةٍ لَمْ يَذْكَرْ أَنَّهُ زَارَ الْجَزَائِرَ (5)، لكن أبو القاسم سعد الله أشار إلى أنه تولى التَّدرِيسَ بِمَدِينَةِ الْجَزَائِرِ (6)، كما أشارت باحثة أخرى أن محمد زيتونة تولى القضاء الحنبلي بالجزائر فترة حكم الداوي شعبان ( 1688-1695م) واستشاره الداوي محمد بكداش (1707-1710م) في أمور الحكم خوفا من نشوب تمرد في أوساط الجيش الانكشاري (7)، ولا نعلم صحة ذلك من عدمه، لأنه لا المصادر التونسية ولا الجزائرية تشير إلى هذه المعلومة إطلاقا (8).

(1) محمد محفوظ ، المرجع السابق، ج 1، ص 132.

(2) محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 188.

(3) حسين خوجة ، المصدر السابق ، ص 34.

(4) محمد محفوظ ، المرجع السابق، ج 2، ص 437.

(5) حسين خوجة ، المصدر السابق ، ص 111

(6) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 431.

(7) صورية حصام ، المرجع السابق ، ص ص 120-121

(8) حسين خوجة ، المصدر السابق ، ص 111.

أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا ... ص ص 45-47

### أحمد بن مصطفى برناز ( ت 1138هـ/1726م)

يُشتهر بقارة خوجة ، ويُعرف ببرناز، وُلد بتونس من أصول تركية، أخذ تعليمه عن أشهر علماء تونس، ثم سافر للحج وأخذ في طريقه عن علماء الأزهر، ثم رجع إلى تونس لكنّه لم يمكث بها طويلا وفرّ هاربا - بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية - إلى بلد العناب أواخر القرن 17م ، وبقي متنقلا بين حواضر الجزائر طلبا للعلم وللاطمئنان ، حيث: «... دخل قسنطينة ... كانت له حضوة، إذ اتصل بأميرها علي خوجة داي قسنطينة الذي أصبح يستشيريه في كثير من القضايا.. ثم واصل سيره نحو مدينة الجزائر، و بلاد زواوة و أخيرا رجع إلى تونس...»<sup>(1)</sup>، وأخذ في هذه الرحلة عن الكثير من علماء الجزائر أشهرهم رمضان بن مصطفى العنابي، ومحمد بن سعيد قدورة بمدينة الجزائر<sup>(2)</sup>، ثم رجع إلى تونس مع بدايات القرن 18م لما استقرت الأوضاع، وتصدّر للتدريس بجامع الزيتونة<sup>(3)</sup>.

### أبناء حسين بن علي حاكم تونس بين 1705 - 1782م

اندلعت بتونس حربًا أهلية ( 1735-1740م) بين حسن بن علي وابن أخيه علي باشا بن محمد الذي إنشق عليه وطمع في السُلطة، إنتهت بمقتل حسين بن علي و إعتلاء علي باشا الحُكم و هذا ما جعل أبناء حسين بن علي(محمد الرشيد، علي، محمود) يلجؤون إلى الجزائر<sup>(4)</sup> فرارا من بطش ابن عمهم حيث:

- سکن محمد الرشيد ومحمود مدينة الجزائر، وهذا ما أكّده صاحب عنوان الأديب قائلا: «... واتخذ محمد الرشيد بستانا بمدينة الجزائر سكنه وسلّى نفسه بالمطالعة ومُسامرة عَالَمِيهِ أَبِي عبد الله محمد الشافعي الباجي وكاتبه أحمد الأصرم القيرواني وقضى رفقتها في الجزائر اثنين وعشرون عاما...»<sup>(5)</sup>، وعُدّ محمد الرشيد من علماء عصره في الأدب نثره وشعره، و لقد نعته ابن أبي الضياف قائلا: "و كان كريم النفس، حميد الخلال، سليم الصدر، سمّح اللقاء، ثاقب الفكر، أبي النفس ،

(1) أحمد برناز ، الشهب المحرقة ، ص ص 10-12.

(2) حسين خوجة ، المصدر السابق ، ص ص 117-118.

(3) محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 93

(4) يورد هذا بالتفصيل كل من : الصغير بن يوسف ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 176 / وابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 176 و محمد الورغي ، ديوان الورغي، تحقيق و تقديم عبد العزيز القيزاني، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975، صص 7-9.

(5) محمد النيفر ، المصدر السابق ، ص 526.

عالي الهمة، متواضعا، محبا للوطن و أهله، مشاركا في العلوم مشاركة حسنة، مولعا بكتب التاريخ و الأدب" (أبن أبي الضياف ، الاتحاف م1، ج2، ص156).

- أما أخوهما علي باي فقد سكن قسنطينة وكان يتنقل بينها وبين صحراء تقرت وبلاد الزاب<sup>(1)</sup>، وخنقة سيدي ناجي التي أقام بها سبعين يوما في ضيافة شيوخها يتلقى العلم وأوراد الطريقة الناصرية الشاذلية وأجيز بذلك<sup>(2)</sup>، علما أن شيوخ هذه الخنقة وزاويتهم تربطهم علاقات وطيدة وقديمة بتونس وجامعها الزيتونة وحاكمها حسين بن علي<sup>(3)</sup>، وبقي علي باي وأخوه محمد الرشيد بالجزائر إلى غاية عام 1756م ، حيث استردوا ملك أبيهم بمساعدة عساكر الجزائر<sup>(4)</sup>.

أحمد الأصرم القيرواني ( ت 1172هـ/1756م) أديب ، شاعر، فقيه، رئيس كُتّاب ديوان الإنشاء<sup>(5)</sup>، وقَفَ إلى جانب أبناء حسين بن علي في محنتهم ورافقهم إلى الجزائر<sup>(6)</sup>، وقد ذكر ابن أبي الضياف أن أحمد الأصرم مع محمد الشافعي الباجي كانت حُرِفَتها بالجزائر أثناء مُرافقتِها لمحمد الرشيد، بَثَّ العِلْمَ وصِناعَةَ التَّوثيقِ لأكثر من عشر سنوات<sup>(7)</sup>.

- محمد الشافعي بن محمد بن القاضي المالكي الباجي، هو من جُملة رُفقاء محمد الرشيد أثناء إقامتِهِ بالجزائر، وَيَصِفُهُ النيفر قائلا: «... وكان يسليهم بأدبه، ويجلي عنهم الغموم بعمله، ويكتب عن الأمير محمد الرشيد باي في الأغراض...»<sup>(8)</sup>.

كما تكلم ابن حمادوش الذي عاصروه بمدينة الجزائر والتقوا بالجامع الكبير وجرت بينهما مناقشات أدبية ذكرها في كتابه (لسان المقال)<sup>(9)</sup>.

الوزير حمودة بن عبد العزيز ( ت 1202 هـ / 1788م) :

الأديب الفقيه المؤرخ، الكاتب والوزير في عهد علي باي ( بن حسين بن علي) ومُربي أبنائه<sup>(1)</sup>، استعمله في قلم الإنشاء ، واستعان به في تدبير شؤون دولية وبعثه سفيرا عنه إلى قسنطينة و الجزائر،

(1) حمودة بن عبد العزيز ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 294-295 ، وابن أبي الضياف، المصدر السابق ، مج 1 ، ج 2 ، ص 146.

(2) حمودة بن عبد العزيز ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 206.

(3) حسين خوجة ، المصدر السابق ، ص 137

(4) محمد الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 254، و، ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، م1، ج 2 ، ص 148.

(5) محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 51.

(6) محمد النيفر ، المصدر السابق ، ص 530.

(7) ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، م 1 ، ج 2 ، ص 146.

(8) محمد النيفر ، المصدر السابق، ص 526

(9) عبد الرزاق بن حمادوش ، المصدر السابق، ص 134.

في بعض الأغراض السياسية ، وقيامه بهذه الرحلات يُدل على إقدامه وتمكُّن علاقته بعلمائهما<sup>(2)</sup>، كما كانت له \ مراسلات علمية مع علماء قسنطينة (ثماني رسائل ) حَرَّرَهَا في مسائل علم الكلام سأل عنها علماء قسنطينة<sup>(3)</sup>.

إبراهيم الرياحي ( ت 1266هـ/1850م) يعتبر الرياحي من العلماء والفقهاء المشهورين بتونس خلال النصف الثاني من القرن 18 م والنصف الأول من القرن19م ، وما يَهْمُنَا من نشاطه هو أنه مؤسس لزاوية تجانية بمدينة تونس مطلع القرن 19هـ/13م ، وأخذ العلم عن عدد من العلماء الجزائريين الذين زاروا الجزائر مثل البشير بن عبد الرحمن الونيسي الزواوي الذي لازمه أثناء نُزوله بتونس مُدرسا ، كما كان على صلة بمصطفى بن بن عزوز البرجي الجزائري نزيل نفطة، وفي عام 1241هـ/1826م ذهب إلى تماسين بالجنوب الجزائري واجتمع بخليفة الطريقة التجانية هناك الحاج علي التماسيني ثم رجع إلى تونس<sup>(4)</sup>.<sup>(5)</sup>

(1) محمد بن مخلوف ، المصدر السابق ، ص 364.

(2) حمودة بن عبد العزيز ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 22.

(3) محمد محفوظ ، المرجع السابق، ج 3 ، ص ص 391 ، 333.

(4) محمد محفوظ ، المرجع السابق، ج 3 ، ص ص 387 ، 389.

(5) محمد محفوظ ، المرجع السابق، ج 2 ، ص ص 387-389.

قائمة العلماء الجزائريون الذين زاروا تونس خلال القرن 18 ومطلع 19م(12/13هـ)<sup>(1)</sup>

الإنتاج	النشاط	المذهب	الاسم وتاريخ ومكان الوفاة
"كفاية المرید علی شرح عقيدة التوحيد وغيرها"	توقف بتونس أثناء رحلته للحج للزيارة والعلم	مالكي	مصطفى الرّماصي (ت1136هـ/1724م)
له أكثر من مائة مؤلف أشهرها رحلته الحجازية (مفقودة)	طلب العلم بتونس طويلا	مالكي	أحمد بن قاسم البوني ت 1139هـ/1726م توفي ببونة
له عدة تأليف " تحفة الألباب في عذر أولي الألباب " وغيرها	طلب العلم، ثم مفتي جزيرة جربة مدرس بجامعها الكبير، رئيس مجلس الحكم وكبير علمائها	إياضي	يوسف بن محمد المصعبي المليكي ت1187هـ/1773 توفي بجربة
بمجموعة قصائد من الشعر الملحون أهمها يا الورشان	زار تونس أثناء رحلته الحجية (شاعر وحرفي زرايبي)	/	محمد بن مسايب التلمساني (ت1190هـ/1776م)
له عدة كتب في الفقه والتصوف والتوحيد ، ورحلة حجازية	توقف بتونس أثناء حجاته الحجازية	مالكي	الحسين الورثياني (ت 1193هـ/1779م) وتوفي ببلاد القبائل بالجزائر
الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة	توقف بتونس أثناء رحلته الحجية قاضي ، فقيه ، لغوي ، مؤرخ بتلمسان	/	محمد بن عبد الرحمن التلمساني (ت بعد 1193هـ/1779م) ربما توفي بالحرمين
له 18 مؤلف في العلوم العلمية وعدة	مرّ بتونس أثناء رحلته الحجّية وتوقف بها وأخذ	مالكي	عبد الرزاق حمادوش ( ت 1197هـ/1783م) لا

<sup>(1)</sup> من إعداد الطالبة بناء على مصادر هذا البحث خاصة كتب التراجم.

الفصل الرابع: صور من التفاعل الثقافي بين الزائر و تونس خلال القرن (12-13/18-و مطلع19م)

نعلم أين توفي		العلم ، تَقَلَّد بعض الوظائف الدينية لِمَدَّة قصيرة بالجزائر كثير الأسفار ، اهتماماته علمية	مؤلفات في الأدب والرحلة أهمها "لسان المقال"
أحمد بن عمار الجزائري (ت 1205هـ/1790م) احتمال كبير أنه توفي بالحرمين	مالكي	استقر بتونس أواخر حياته لتسع سنوات وتولى التدريس بتونس ، وقبلها تولى التدريس وخطبة الفتوى بمدينة الجزائر	ألف عدَّة كتب معظمها مفقود لأنه توفي خارج الجزائر "لواء النصر" ، و كتاب تراجم مفقود ، "نحلة اللبيب" " تاريخ البايع علي"
محمد بن يوسف بن محمد المصعبي المليكى الجربى (ت1207هـ/1792م بجرية	إباضي	رئاسة مجالس التعليم والحكم والتدريس والفتوى بجرية	/
أحمد بن سحنون الراشدي ( ت بعد 1211هـ/1796م)	/	تَوَقَّف بجرية أثناء عَوْدته من الحَجِّ ، دَرَس طلبه الرباط أثناء مُحاصرة وهران، تولى الكتابة لبايع الغرب محمد الكبير (79-1796م)	كتابين : "الغمر الجماني" "عقود المحاسني"
يحيى بن صالح بن يحيى الأفضلي ، ت مطلع ق19م بغرداية بالجزائر	إباضي	مكث بجرية طويلا لطلب العلم ، ثم تصدر التدريس بوادي ميزاب	/
محمد الحفصي القسنطيني ( ت 1226هـ/1811م) توفي بقسنطينة	مالكي	ذهب لتونس لطلب العلم ، ثم تَوَلَّى القضاء بقسنطينة	حاشية في المنطق وتقاييد في سائر الفنون.
أحمد التجاني (ت 1230هـ/1815) توفي بالمغرب	مالكي	توقف بتونس قصد التعبّد والتدريس أثناء رحلته	

الفصل الرابع: صور من التفاعل الثقافي بين الزائر و تونس خلال القرن (12-13/18- و مطلع 19م)

	الحجية		
أبو رأس الناصر (ت1238هـ/1823م) توفي بالجزائر (معسكر)	مالكي	توقف بتونس لأخذ العلم أثناء رحلاته الحجية ، وكذلك للتدريس	خلف 137 مُصنف بعضها موجود ومنها المفقود "فتح الإله" و "زهرة الشماريخ" و "عجائب الأسفار"
عمار الشريف القسنطيني ت 1241هـ/1825م توفي بقسنطينة	/	درس بتونس ، ثم تولى القضاء ونظارة الأوقاف والخطابة بقسنطينة	/
محمد صالح الرّحموني الزواوي (ت1242هـ/1826م) توفي ببلاد زواوة بالجزائر	/	طلب العلم بتونس ثم اشتغل بالتدريس ببلاد القبائل	مؤلفات وشروح "الدليل على الأجرومية" "شرح على الأزهرية"
حمود المقاييسي ( ت 1245هـ/1829م) توفي بالجزائر	مالكي	توقف بتونس أثناء عودته من المشرق ودرّس بها. أما بالجزائر اشتغل بحرفة المقاييس	نسب له 200 مؤلف لكن لم يصلنا منها أي كتاب ، وربما باعها بسبب فقره.
أبو العباس أحمد العباسي (ت 1251هـ/1836م)	/	قرأ بتونس، ثم تولى النظر على الأوقاف والقضاء والخطابة بقسنطينة	/
مصطفى بن الشاوش القسنطيني(ت1252هـ/1836م) توفي بقسنطينة	حنفي	تعلم بتونس، ثم تصدّر للتدريس و الإقراء والخطابة بقسنطينة	/
محمد بن محمود بن العنابي (ت 1267هـ/1851م) نفي إلى مصر بعد الاحتلال وتوفي هناك	حنفي	تولى قضاء الحنفية وخطة الفتوى ، وكان قريبا من السلطة بالجزائر، و راسل باي تونس حمودة باشا	أشهر كتبه "السعي الحمود في نظام الجنود"

الفصل الرابع: صور من التفاعل الثقافي بين الزائر و تونس خلال القرن (12-13/18-و مطلع19م)

	و كانت له علاقات مع عائلة البيرم التونسية، كما توقف بتونس و دَرَسَ بِهَا		
ألف " بقطر ، الشذور ، المقدسة ، وله شرح شواهد وشرح علم الخزرجية	فقيها محدثا ، إماما خطيبا بتونس	/	أحمد البجائي ، عاش بين القرن 17 و 18م - 11و12هـ
/	تولى القضاء بتونس	/	علي الجزيري (عاش بين القرن 17 و18م - 11و12هـ
/	تصدر للتدريس بتونس	مالكي	أحمد بن عمران ، عاش بين ق 17 مو 18م 11هـ/12هـ
/	تصدر للتدريس بتونس	/	عثمان الأورسي ، عاش بين القرن 17-18م/11-12هـ
/	تصدر للتدريس بتونس	مالكي	أحمد العمري عاش بين القرن 17/18م-11-12هـ
/	طلب العلم بتونس ثم تصدر للتدريس بها	/	محمد العنابي الضير عاش بين القرن 17-18م/11-12هـ
	كان عالما ويمتهن خياطة البرانس بتونس	؟	أحمد البرانسي ( ت 1197هـ/1873م)

قائمة العلماء التونسيون الذين زاروا الجزائر خلال القرن (12-13هـ/18-مطلع 19م)<sup>(1)</sup>

الاسم وتاريخ ومكان الوفاة	المذهب	النشاط
أبا إسحاق إبراهيم الجُمَني (ت 1134هـ/1721م)	؟	قصد الجزائر لطلب العلم
محمود زيتونة (ت 1138هـ/1726م)		درّس بالجزائر ليس م(لست متأكدة)
أحمد بن مصطفى برناز (ت 1138هـ/1726م)	حنفي	قصد الجزائر لأخذ العلم
أبناء حسين بن علي ( محمد ، علي ، محمود) ت 1756/1782/1758 بالجزائر	حنفي	لجأوا إلى الجزائر هروبا من أوضاع سياسة قاهرة
أحمد الأصرم العترواني ( ت 1172هـ/1756م)		وقف إلى جانب أبناء حسين بن علي ورافقهم بالجزائر اشتغل بالجزائر بيت العلم وصناعة التوثيق
محمد الشافعي بن محمد بن القاضي المالكي الباجي		رافق أبناء حسين بن علي أثناء إقامتهم بالجزائر عمل بالجزائر في بث العلم وصناعة التوثيق
القاضي على شعيب (ت حوالي عام 1168هـ/1755م) ولد ب		
الوزير حمودة بن عبد العزيز (ت 1202هـ-1788م)		أُرسل إلى الجزائر وقسنطينة سفيراً في بعض الأغراض السياسة وله مراسلات علمية مع علماء قسنطينة

<sup>(1)</sup> من إعداد الطالبة بناء على مصادر هذا البحث خاصة كتب التراجم.

### المبحث الثالث: نماذج لبعض المراسلات بين علماء الجزائر و تونس

إضافةً إلى ظاهرة التفاعل الثقافي التي حدثت بين الإيالتين بسبب هجرة العلماء خلال العهد العثماني والتي طبعت المشهد الثقافي ليس بين الجزائر و تونس فقط بل كانت منتشرة في كامل العالم الإسلامي، فإنّ المصادر التاريخية التونسية وحتى الجزائرية قد ذكرت صورةً أخرى من التّواصل والتّرابط الثقافي بين البلدين، تمثّلت في مُراسلات إخوانية وبعض الاستفسارات الفقهية والعلمية بين علماء تونس وقسنطينة خاصةً ، ومن أقدمها رسالتين وقصيدة<sup>(1)</sup> شعرية تحمّل الشّوق والسّلام والمدح، وتطلّب الدّعاء، أرسلها الشّيخ تاج العارفين<sup>(2)</sup> والشّيخ إبراهيم الغرياني<sup>(3)</sup> عام (1037هـ/1628م) إلى الشّيخ عبد الكريم الفكون<sup>(4)</sup>، أثناء تواجدهما بقصر جابر - قُرب منطقة الكاف التونسية- لعقد الصّلح بين عسكر الجزائر وتونس بسبب قتال دار بينهما بسبب الحدود ، ممّا جعل علماء الأيالتين يتدخّلوا لعقد الصّلح بين البلدين بواد سيرات<sup>(5)</sup>.

ويكشف هذا النوع من الرسائل على عدّة دلالات تاريخية أهمّها أنّ الصّراع اقتصر على حُكّام البلدين ولم ينتقل إلى القاعدة الشعبية والعلماء، كما يدلّ على تدخّل العلماء من الجهتين لرأب الصدع وتوقيف القتال وإحلال السّلام بين الشّقيقتين، وقد كُلت جهودهم بالتوفيق والنجاح ، والدّلالة الأخرى تُوضّح عمق ومثانة الرّوابط الأخوية بين علماء القُطرين، وهذا ما عبّر عنه الشّيخ تاج العارفين قائلاً : «... وأعلمكم أي لا أنساكم من الدّعاء، كما أي أطلب ذلك منكم ... والتحاب في الله في هذا الزمان الصعب من العجب العجاب ، ولاتنسنا من مكاتبتكم مع الواردين ، كما أنّها ترد إليكم منا مع الصادرين<sup>(6)</sup>...»

(1) حول نص الرسالتين والقصيدة : أنظر عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية ، تق ، تح: أبو القاسم سعد الله ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 ، ص ص 216-223.

(2) هو من أهل الفضل والدّين ومن بيّت صلاح وُلّي إمامة جامع الرّيُونة عام 1034هـ/1624م ، وترأس وفد العلماء الدّين تدخّلوا للصّلح بين تونس والجزائر بعد موقعة عام الشّطار سنة 1036هـ/1627م بسبب الحدود بين البلدين ، أنظر : أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج7 ، ص67. أنظر كذلك: أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 220.

(3) هو من علماء تونس الذين شاركوا في مهمّة الصّلح مع الشّيخ وتاج العارفين ، وهو من بيوتات القبروان المشهورة ، ولهم زاوية يُطعم بها الغرباء والواردين ، وقد كتب رسالةً وقصيدةً إخوانية يُبثّه فيها الشّوق ويسألّه الدّعاء. أنظر: عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص ص 214-222.

(4) هو سليل عائلة آل الفكون العلمية بقسنطينة والتي كانت تتمتع بنفوذ علمي وروحي وسياسي ومالي كبير بقسنطينة ، وعبد الكريم هذا من أشهر أبنائها توفي عام (1073هـ/1662م) أنظر : عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 7-8.

(5) محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق ، ج1 ، ط1 ، ص ص 220-221.

(6) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق ، ص 217.

وأعتبرت المراسلات بين العلماء في ذلك الوقت من أهم وسائل الاتصال بينهم لحفظ العلائق الودية وتبادل المعلومات ومناقشة بعض المسائل العلمية الغامضة<sup>(1)</sup>، حيث ذكر محمد النيفر أن الشيخ مُحَمَّد بن علي بن سعيد الحجري<sup>(2)</sup> (ت 1785م) له مكاتبات علمية بينه وبين العلامة عَمَّار الشريف القسنطيني (ت 1825م) الذي دَرَسَ بجامع الزَيْتونة ثُمَّ عَادَ إلى بلده قسنطينة ، فَوَقَّعَتَ بينهما مَبَاحِثَاتٍ فِي مَسْأَلَةِ الاسْتِدْلَالِ عَلَى عَرَضِيَّةِ الْعَقْلِ وَأَنَّهُ ضَعِيفٌ، وَتَكَرَّرَتِ فِي ذَلِكَ الْمُرَاسَلَاتِ بَيْنَهُمَا، حَيْثُ أَلْفَ الْعَلَامَةُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ النَّيْفَرَ رِسَالَةً حَكَمَ فِيهَا بَيْنَ الشَّيْخَيْنِ فِي الْمَسْأَلَةِ<sup>(3)</sup>.

كما دارت مراسلات علمية بين الوزير حَمُودَة بن عبد العزيز (ت 1788م) (تَمَانِيَّةُ رَسَائِلٍ) حَرَّرَ فِيهَا مَسَائِلًا مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ<sup>(4)</sup> سَأَلَ عَنْهَا عُلَمَاءَ قسنطينة<sup>(5)</sup> ولم تفصل المصادر في فحوى هذه الرسائل، وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ أَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْمُرَاسَلَاتِ الْوُدِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْجَزَائِرِ وَتُونِسَ قَدْ اسْتَمَرَ خِلَالَ الْقَرْنِ (13هـ/19م)، كَمَا حَوَّتِ الْمَصَادِرُ الْإِخْبَارِيَّةَ لِمُرَاسَلَاتِ نَثْرِيَّةٍ وَشِعْرِيَّةٍ تَبَادَلَهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَنَابِيِّ (ت 1850م) مع عائلة يَبْرَمِ الْمَتَنَفِدَةِ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَحَتَّى السِّيَاسَةِ بَتُونِسَ، حَيْثُ بَعَثَ ابْنُ الْعَنَابِيِّ بِرِسَالَةٍ شِعْرِيَّةٍ يَمْدَحُ فِيهَا آلَ الْبَيْرَمِ قَائِلًا:

بني بَيْرَمِ زَانِ الْبَسِيطَةِ ذَكَرَهُمْ \*\*\* فَمَالَهُمْ فِي الْمَشْرِقَيْنِ نَظِيرُ  
هَمُ أَحْرَزُوا فَضْلَ الْمَعَارِفِ وَالتَّقَى \*\*\* وَلَا سِيْمَا صَدْرَ إِلَيْهِ أَشِيرُ  
جَمِيلُ الْمَحْيَا زَاهِرُ الْوَجْهِ حِجَّةٌ \*\*\* بَيْنَ الْهَدْيِ لِلْمَهْتَدِيِّ وَيُنِيرُ  
فَبَلِغَهُمْ أَسْنَى السَّلَامِ وَخَصَّهُ \*\*\* فَيَا نِي عَلِي نَهْجَ الْوَدَادِ أُسِيرُ  
وَرَدَّ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بَيْرَمِ<sup>(6)</sup>

(1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 401.

(2) والحجري : (توفي 1199هـ/1785م) هو أديب ، شاعر ، نحوي أصوله من قرى المنستير ، انتقل به أبوه للعاصمة تونس صغيرا ودرس بجامع الزيتونة توفي الحجري يافعا في الطاعون الجارف . أنظر: محمد نيفر ، المصدر السابق، ص 549. و أنظر : محمد محفوظ ، المرجع السابق، ج 2 ، ص 98.

(3) محمد نيفر ، المصدر السابق ، ص 549.

(4) علم الكلام: "هو علم التوحيد و هو العلم المؤدي إلى معرفة الله " أنظر أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، ص ص 91-102. و كذا: سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 95.

(5) أنظر : مخطوط الخلدونية رقم 3370 ، بالأرشييف الوطني التونسي، وهو يحتوي على ثماني رسائل متعلقة بمسائل سأل عنها علماء قسنطينة حول علم الكلام ، أنظر : أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، الجزء 7 ، ص 22. أنظر كذلك :

Ahmed Abdesslem ;, op cit , p 26..

(6) ( ت 1267-1851م) أصوله من عنابة ، ولد بمدينة الجزائر أواخر القرن 18م، وأخذ العلم عن كبار علمائها إلى أن أصبح فقيها ، وُلِّي قضاء الحنيفة عدّة مرات ، كتب للذَّاي أحمد باشا (حكم 1805م-1808م) إلى باي تونس حمودة باشا (حكم 1782-1814م) وَتَسَمَّرَ عَنِ الدَّايِ عَمْرُ بَاشَا (حكم 1814-1816م) إلى حاكم المغرب المولى سليمان بعد قصف مدينة الجزائر عام 1816م ، حجَّ عدّة مرات و في عام 1820م نزل الاسكندرية و == بقي فيها حوالي تسع سنوات و ألف فيها كتابه " السعي المحمود في تنظيم الجنود"، و في عام 1828م زار تونس و بقي فيها حوالي

– الرابع<sup>(1)</sup> – بِمَكْتُوبٍ شِعْرِي مُشَابِهٍ قَائِلًا<sup>(2)</sup> :

همام له حول السماطين منزل \*\*\* إمام بتحقيق العلوم خبير  
به كسى الإسلام حلة مجده \*\*\* وأضحى له فخر به وسرور  
إذا حوم الظمان حول علومه \*\*\* يصادفه ماء هناك نخير  
ولو قيل من حاز العلوم بأسرها \*\*\* إليه جميع العالمين تشير

كما قام ابن العنابي بإجازة مُحَمَّد بَيْرَم الرَّابِعَ إِجَازَةً تَامَةً عام (1232هـ/1817م) قَائِلًا : «أجزت الشاب مُحَمَّد بن شيخ الإسلام مُحَمَّد بن شيخ الإسلام مُحَمَّد بكل ما تجوز عني روايته، كتبه الفقير مُحَمَّد بن محمود ابن مُحَمَّد بن حسين الجزائري ابن العنابي...»<sup>(3)</sup>.

وبادله محمد بيرم الرابع بِإِقْرَاطٍ كِتَابِيهِ – أي ابن العنابي – «شرح الدر المختار» نثرًا وشعرًا عام (1245هـ/1829م)<sup>(4)</sup> واستمرت العلاقة بينهما لأمدٍ بعيدٍ ، حيث أرسل مُحَمَّد بَيْرَم الرَّابِعَ برسالة إلى ابن العنابي – الَّذِي نُفِيَ إلى مصر بعد احتلال الجزائر عام 1830م – يُوصِيهِ فِيهَا خَيْرًا بِأَحَدِ الطَّلَبَةِ الَّذِي قَصَدَ مِصرَ لِلاِسْتِزَادَةِ فِي العِلْمِ وَأَخْبَرَهُ فِيهَا بِأَنَّهُ : «... لولا أنّ أشغال الزمان تعوق عن المرغوب ، لنفذ إليكم من طرفنا مع كل وارد عليكم مكتوب»<sup>(5)</sup>.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة المحبة والصدقة التي كانت بين العالمين – ابن العنابي ومحمد بيرم الرابع – وَالَّتِي لَمْ تَقُتْ أَوْ تَحْتُفَ رَغْمَ تَغْيِيرِ الظُّرُوفِ وَتَقَادُمِ الزَّمَانِ.

سنة مُكرماً من طرف علمائها و حُكامها، ثُمَّ عاد إلى الجزائر و تولى خطة الافتاء الحنفي و قاوم الاستعمار الفرنسي بسيفه و قلمه و لسانه، فنوه إلى مصر حيث وُلّاه محمد علي باشا وظيفة الفتوى الحنفية و بقي هناك بالاسكندرية إلى أن توفي عام 1850م. أنظر: أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، صص 14-38.

<sup>(1)</sup> محمد بيرم الرابع : (ت 1278هـ/1861م) أخذ الفقه الحنفي عن أبيه وجدّه، هو سليل عائلة بيرم بتونس ، دَرَسَ بِالْجَامِعِ الْأَعْظَمِ وَالمدرسة العنقية والباشية، وتقدم لحظة الفتوى عند وفاة جده ، ويُعد من فقهاء وأدباء تونس خلال النصف الأول من القرن 19م، أنظر : أحمد بن أبي ضياف ، المصدر السابق، مج 4 ، ج 8 ، ص ص 124-126.

<sup>(2)</sup> مخطوط رقم 1865، المكتبة الوطنية التونسية (مكتبة حسن حسني عبد الوهاب). / أنظر: أبو القاسم سعد الله ، رائد التجديد الإسلامي ، ص 123.

<sup>(3)</sup> نص الإجازة يوجد بمخطوط رقم 7251 بالمكتبة الوطنية بتونس / أنظر : أبو القاسم سعد الله ، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي ، ص ص 117-120 ( حيث أورد نص الإجازة كاملاً).

<sup>(4)</sup> سعد الله ، المرجع السابق ، ص 124 (حيث أورد نص التقريظ وكذا الشعر).

<sup>(5)</sup> اقتباس من رسالة محمد بيرم الرابع إلى ابن العنابي ، أنظر : سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص 126-127.

## المبحث الرابع: علاقة زاوية خنقة سيدي ناجي بحكام تونس

تكلمت المصادر التونسية عن علاقة دينية وثقافية متميزة ربطت شيوخ وعلماء زاوية<sup>(1)</sup> خنقة سيدي ناجي بحكام تونس المراديين والحسينيين، واستطاع بعض هؤلاء الشيوخ امتلاك الأراضي والدور بتونس وحتى مصاهرة بعض العائلات، وكانوا يستقبلون استقبال الأمراء<sup>(2)</sup> عند السفر إليها، كما تدخل بعضهم لحل المشاكل والخلافات التي كانت تُعكّر صفو العلاقات بين بايات قسنطينة وحكام تونس<sup>(3)</sup>.

وهذا يقودنا إلى السؤال عن طبيعة العلاقة بين شيوخ وعلماء هذه الزاوية وحكام تونس من جهة، وماهيّة التطورات التي عرّفتها هذه العلاقة والنتائج التي ترتبت عليها من جهة أخرى، وللإجابة على ذلك نحاول معرفة تاريخ تأسيس هذه الزاوية ثم نتبع مراحل ارتباطها بتونس.

### 4-1- تاريخ تأسيس زاوية خنقة سيدي ناجي:

ازدهرت بالصحراء الجزائرية خلال العهد العثماني مجموعة من الزوايا وعظم شأنها وازداد نفوذها إلى درجة أنّ بعضها تحوّل إلى مدين صغيرة مثل عين ماضي وتماسينوطلقة<sup>(4)</sup>، وخنقة سيدي ناجي بإقليم قسنطينة<sup>(5)</sup>.

وتعود العلاقة بين خنقة سيدي ناجي وتونس إلى القدام، حيث أورد مؤرخ الخنقة - وهو من أحفاد سيدي ناجي - أنّ عائلة الولي سيدي ناجي من أصول قرشية شريفة، كانت تسكن الأندلس، وبعد سقوط غرناطة عام 1492م، انتقلت إلى تونس، حيث عاش سيدي ناجي وابنه قاسم واشتهر أمرهما<sup>(6)</sup>.

<sup>(1)</sup>الزاوية: أساس الزاوية تاريخيا هو الرباط الذي بُني أصلا من أجل الجهاد ونصرة الدين ورد الأعداء، ثم أصبحت الزاوية في الجزائر خلال العهد العثماني عبارة عن مؤسسة متكاملة تتوفر على المسكن والملجأ والمطعم و أماكن للعبادة والتعليم، وأعتبر بعضها بمثابة مدارس غلبا لاستكمال التعلم. وارتبط انتشار الزوايا خلال نفس الفترة بالجزائر بتعدد الطرق الصوفية التي لم تخلوا منها مدينة أو ريف وحتى في الجبال النائية والصحارى القاحلة، حيث عاش معظم المتصوفة والزهاد منقطعين عن صخب الحياة ومتفرغين لبث عقائدهم وتلقين أورادهم للأتباع والطلبة، والجدير بالذكر أن مثل هذه الزوايا قد ساهمت كثيرا في نشر تعاليم الدين وتحفيظ القرآن للطلبة والعامّة، وكذا إصلاح ذات البين بين المتخاصمين، إضافة إلى إيواء الغرباء وعابري السبيل والفقراء. حول الزوايا ودورها أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص ص 262-263 وكذا: ج 5، ص 110. وكذا: العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، ط 1، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، عام 1992م، ص 34.

-Devoulx, A. les édifices religieux de l'ancien Alger, in revue Africaine, tome 6, année 1862, p 380.

<sup>(2)</sup> أحمد السعداوي، التواصل بين إياتي تونس والجزائر، مرجع سابق، ص 14.

<sup>(3)</sup> أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص 7.

<sup>(4)</sup> مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ص 30.

<sup>(5)</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 265.

<sup>(6)</sup> أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص 6.

وبعد وفاة سيدي ناجي وابنه قاسم غادر حفيده مبارك بن قاسم تونس متجهاً نحو صحراء ورقلة رفقة عدد من الأتباع ، ومنها انتقل إلى بسكرة ، حيث امتلك بها الأراضي الشاسعة، ثم تحول إلى قرية تدعى مورد النعام تقع بين جبلين - تبعد حوالي 100 كم شرق بسكرة- واستقر بها وتعاون مع أتباعه في تهية الأرض وحفر القنوات وغرس أشجار النخيل، وأسس بها زاوية عام (1011هـ/1602م) وأطلق عليها اسم جدّه سيدي ناجي تبرّكاً به، وسرعان ما ذاع صيتها في المنطقة وامتد نفوذ صاحبها سيدي مبارك إلى المناطق المجاورة لها، وقصدها طلبة عناية والأوراس وقسنطينة ووادي سوف.

وذكر أحمد السعداوي أنه هذه الخنقة وعائلاتها الجبائية كانت تابعة إلى تونس إلى غاية نهاية الستينيات من القرن 17م/11هـ، ثم ألحقت بعد ذلك ببايلك قسنطينة مما يفسر ذلك التداخل في المجال الترابي في المناطق الصحراوية الجنوبية بين الإيالتين وضعوبة الفصل في حدودهما آنذاك<sup>(1)</sup>.

علماً أنّ الخنقة خلال القرنين السابع والثامن عشر ميلاديين كانت عبارة عن إمارة طرقية شبه مستقلة، ويتمتع شيخها بسُلطة دينية ومعنوية ، إضافة إلى السُلطة السياسية والجبائية التي أطلقت يده على مناطق شاسعة من بلاد الزاب<sup>(2)</sup>، وبقيت تلك العلاقة التاريخية مستمرة بين أحفاد الشيخ المبارك وعلماء الخنقية مع علماء تونس وحكامها ، وهذا ما يفسر تلك الهجرة العلمية الكبيرة للطلبة والعلماء المتبادلة بين زاوية خنقة سيدي ناجي وجامع الزيتونة أواخر القرن 17م ومطلع 18م التي تكلم عنها حسين خوجة<sup>(3)</sup> بإسهاب.

#### 4-2- علاقة علماء الزاوية بتونس مطلع القرن 18م/12هـ :

حظي مشايخ وعلماء هذه الزاوية بمعاملة خاصة من طرف حكام تونس، خاصة حسين بن علي (1705-1740م) الذي خصهم بعطايا وهدايا ومرتبات تصلهم في أوقاتها أثناء توليهم التدريس بجامع الزيتونة، وهذا حسين خوجة المؤرخ الذي عاصرهم ويشيد بعلمهم وزاويتهم قائلاً : «... زاويتهم المعروفة بالعلم والبركة مقر الصلحاء المشهورة في الأماكن الغربية المسماة بخنقة سيدي ناجي يطعمون

أنظر كذلك : Mmercier Gustave , « khanguet sidi nadji , quelques inscription arabes inédites » , in notices et mémoires de la société archéologique du Département de Constantine, vol. 49.1915, p.135-165.

<sup>(1)</sup> أحمد السعداوي ، المرجع السابق ، ص7. أنظر كذلك : فاطمة بن سليمان ، الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية في تونس 1574-1881 ، جامعة تونس ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، عام 2009 ، ص ص 105.

أنظر كذلك خريطة توضح الحدود بين الأيالتين خلال العهد العثماني في الملحق رقم 6 : موجودة ص 113 وأخرى ص 132. وكذلك: خريطة توضح الخنقة موجودة في الملاحق.

<sup>(2)</sup> أحمد سعداوي ، المقال السابق ، ص7.

<sup>(3)</sup> أنظر مبحث هجرة العلماء بين الجزائر وتونس خلال القرن 18م ومطلع 19م من هذا الفصل.

الطعام ويؤون الفقراء والمسكن في تلك الأماكن الخالية لهم صيت في تلك البلاد ... وظهرت منها مشايخ كرام وعلماء أعلام لهم شهرة بين الأنام... منهم الشيخ الفاضل سيدي أحمد بن عمر وسيدي أبو القاسم بن الطاهر ... وسيدي محمد بن عبد العزيز»<sup>(1)</sup>، كما ذكر مجموعة من فقهاءها الذين تصدّروا للتدريس بجامع الزيتونة، ولم تتعرض لهم كُتُب التراجُم غَيْرَه أمثال أحمد بن عمران، مُحَمَّد بن عمران وأحمد العمري<sup>(2)</sup>.

وجديرٌ بالذكر أنّ زاوية ومسجد خنقة سيدي ناجي قد عرفا ازدهارًا خلال القرن 18م/12هـ وساهما في نشر التعليم<sup>(3)</sup> في تلك المناطق النائية كما كانت الخنقة محطة أساسية في طريق ركب الحجاج ، الذي يمرُّ عبْرَ الهضاب الممتدة أفقياً بين الأطلس التلي والصحراوي و الذي يُعتبر أشهر طرق الحج داخل الجزائر وأكثرها مسلكاً ، خاصة في مَقْطَعِهَا الشَّرْقِي ببلاد الزّاب ذو المراعي والكلاء الوفير<sup>(4)</sup>.

والذي يمرُّ عبْرَه كذلك ركب الحج المغربي ، حيث نجد أنّ رحلة أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (صاحب الطريقة الناصرية) قد مرَّ أثناء رحلته الحجازية بالخنقة عام (1121هـ/1709م) وهو من نشر ولقن طريقته لعلماء ومشايخ الخنقة، وقال بِشأئِهَا: «... والتقانا هناك أحببنا أولاد سيدي ناجي، سيدي بلقاسم بن محمد بن المبارك وسيدي محمد بن الهاني ، {وسيدي الهاني} بن الحفيان، وسيدي عبد الحفيظ بن الطيب، وشقيقه سيدي ناجي، وسيدي محمد بن الطيب، وسيدي المبروك، وسيدي مسعود ... وهؤلاء أشقة والفقهاء سيدي عيسى بن محمد بن مبارك ، وابنه سيدي مسعود وغيرهم من المرابطين، وإمامهم ومدرسه سيدي أحمد بن عرو ، والأخسيدي رمضان<sup>(5)</sup>».

#### 4-3- وَفِيَّة "علي باي" بن حسين بن علي علي زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي عام 1187هـ / 1774م:

تعود علاقة علي باي ( حكم بين 1759-1782م) بزواية خنقة سيدي ناجي إلى سنوات التّعرُّب التي قضاها في صحراء قسنطينة مُتَجَوِّلاً بين أحياء العرب بعد هروبه من تونس عام 1729م أيام الحرب

(1) حسين خوجة ، المصدر السابق ، ص 137.

(2) حول تراجم هؤلاء العلماء ، أنظر: مبحث هجرة علماء الجزائر إلى تونس ، سبق تناولهم .

(3) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي / ج 4 ، ص 281.

(4) أحمد بوسعيد ، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أحمد دراية ، أدرار ، السنة الدراسية ، 2017-2018.

(5) أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ، الرحلة الناصرية 1709-1710م ، تح وتق عبد الحفيظ ملوكي ، ط 1 ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة، عام 2011 ، ص 159.

الباشية و الحسينية سابقة الذكر<sup>(1)</sup>، حيث قصد خنقة سيدي ناجي وأقام بها سبعين يوماً في ضيافة شيوخ الزاوية، وأثناء هذه الإقامة أخذ أوراد الطريقة الناصرية الشاذلية عن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وأجازه بها<sup>(2)</sup>، ومُنذ ذلك الوقت وهو مُلازمٌ ومُحافظاً على أدكارها وأورادها صباحاً ومساءً حتى في أوقات الحروب الشديدة كما ذكر وزيره حمودة بن عبد العزيز الذي أورد نص هذه الإجازة<sup>(3)</sup>.

بعد هذه الإقامة ازدادت علاقة علي باي وثوقاً بهذه البلدة وبشيوخها خاصة سيدي عبد الحفيظ الذي خصّ زاويته عام 1774م بوقفية تتكون من أرضٍ فلاحيةٍ اشتراها الباي بـ 250 ريالاً "من الفضة الكبيرة ضرب الكفرة" وهذه الأرض موجودة بضواحي خنقة سيدي ناجي اشتراها خلال شهر شوال 1187هـ/جانفي 1774م، ثمّ قام بعد شهرٍ من شرائها على تحييسها لصالح زاوية سيدي عبد الحفيظ الخنقي التي كانت تُوجد غير بعيدٍ عن الزاوية الأم التي أسسها جدُّه سيدي مبارك بن قاسم عام 1602م.

ونص هذه الوقفية على حبس جميع العقار المذكور بحقوقه وعامة منافعها، وسواقيه ومساقيه، على زاوية الشيخ الولي سيدي عبد الحفيظ بن الطيب التي بها ضريحه ومسجدها<sup>(4)</sup>، ونستنتج من هذه الوثيقة مدى عمق الترابط في العلاقات الدينية والثقافية بين حكام تونس وهذه الخنقة، خاصة وأنّ هذه الوقفية جاءت بعد وفاة سيدي عبد الحفيظ حسب ما أوردته الوثائق في رحلته الحجازية الثالثة عام (1179هـ/1765م) قائلاً: «... أولاد الشيخ سيدي ناجي قد حاوزا المعالي من قدم الزمان، وقد وجدت كثيرا من الفضلاء منهم في محلهم كسيدي محمد بن الطيب وسيدي أحمد بن ناصر وفقهاء<sup>(5)</sup> وقراء وفيها الولي الصالح تلميذ الشيخ سيدي أحمد بن ناصر وهو سيدي عبد الحفيظ أعني أولاده وأما هو فقد وجدته ميتا قبلي بنحو شهرين<sup>(6)</sup>...».

(1) حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ج 1، ص 295.

(2) الإجازات هي ما يقابلها اليوم من شهادات الكفاءة أو الشهادات الجامعية التي تؤهل صاحبها لتدريس الفقه أو بقية العلوم الأخرى أو تمنحه حق الرواية وتلقين المعارف، كما تعتبر دليلاً على أن حاملها درس على علماء أجلاء وأتقن أصنافاً من العلوم، تكسبه ثقة أهله ومواطنيه وطلبته. حول الإجازة أنظر: مولاي بلحمسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ص 34. أنظر كذلك: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 39.

(3) حول نص الإجازة أنظر: حمودة بن عبد العزيز، المصدر السابق، ج 1، ص 206 - 210.

(4) نص هذه الوقفية موجود ضمن دفتر بالأرشيف الوطني التونسي رقم 2306، ص 57-59. دونت فيه رسوم أوقاف الباي على مؤسسات دينية وخيرية. نص الوقفية مدرج في الملحق رقم 8.

(5) (توفي 1780م) هو ابن أخ الشيخ سيدي عبد الحفيظ، وهو شيخ الزاوية الأم بخنقة سيدي ناجي بعد وفاة والده.

(6) حسين الورثياني، الرحلة الورثيانية، ص 119.

والانطباع الذي تُخْرِجُ به من خلال هذه الوَقْفِيَّة أَنَّ علي باي قَد حَفِظَ الْعَهْدَ وَاسْتَكْتَرَّ خَيْرَ الرَّأْيَةِ وَشَيْخَهَا عبد الحفيظ الذي اسْتَضَافَهُ وَأَكْرَمَهُ وَأَجَازَهُ فِي أَصْعَبِ الْأَوْقَاتِ وَأَحْلَكِهَا سنوات اللُّجُوءِ إِلَى الجزائر بَعْدَ مَقْتَلِ وَالِدِهِ حسين بن علي وَمَالَ السُّلْطَنَةِ بتونس إلى ابن عَمِّهِ علي باشا بن محمد بن علي.

#### المبحث الخامس: التأثير الصوفي بين الجزائر وتونس

التَّصَوُّفُ ظَاهِرَةٌ دِينِيَّةٌ اِنْتَشَرَتْ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ الْمَحْرِيِّ ، تَدْعُو لِلزُّهْدِ وَكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ ، وَكَانَ لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ أَسَاتِيذُهُ وَتَلَامِيذُهُ وَقَوَاعِدُ تُنظِّمُ سُؤْلَهُمْ تَسْتَنْدُ أَسَاسًا لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ<sup>(1)</sup> ، وَقَبْلَ دَرَاةِ التَّأْيِيرِ الصُّوفِيِّ بَيْنَ الْجَزَائِرِ وَتُونِسَ ، نُعْرِجُ أَوَّلًا عَلَى شَرْحِ بَعْضِ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي لَهَا صِلَةٌ بِالْمَوْضُوعِ مِثْلَ التَّصَوُّفِ وَالرِّبَاطِ.

#### 5-1- مفهوم التصوف:

لُغَةً: لَقَدْ كَانَ زُهْدُ الْمُتَصَوِّفَةِ بِلَيْسِ الصُّوفِ الْحَشَنِ ، فَسُمُّوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالصُّوفِيَّةِ<sup>(2)</sup> ، وَعَرَّفَهَا ابْنُ تَيْمِيَّةٍ بِأَنَّ: «... النِّسْبَةُ فِي الصُّوفِيَّةِ إِلَى الصُّوفِ ، لِأَنَّهُ غَالِبٌ لِبَاسِ الزُّهَادِ»<sup>(3)</sup> ، كَمَا يَرَى ابْنُ خَلْدُونَ كَذَلِكَ أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ : « مِنْ الصُّوفِ لِأَنَّهُمْ فِي الْغَالِبِ مَخْتَصُونَ بِلِبْسِهِ»<sup>(4)</sup>.

إِصْطِلَاحًا: هِيَ ظَاهِرَةٌ دِينِيَّةٌ، عَرَّفَهَا التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ بِأَنَّهَا تَقُومُ عَلَى فِلْسَفَةٍ رُوحِيَّةٍ تَزْتَكِرُ عَلَى الذِّكْرِ وَالِاعْتِكَافِ وَفَقَّ أَسَالِيبَ تَرْبُويَّةٍ مُرَهَقَةٍ لِلنَّفْسِ لِحِمْلِهَا عَلَى الطَّاعَةِ حَتَّى تَزْتَقِي إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ الْإِيمَانِيَّةِ<sup>(5)</sup> ، وَيُعْرِفُهُ ابْنُ خَلْدُونَ بِأَنَّهُ: « الْعُكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِانْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالِإِعْرَاضُ عَنِ زُخْرِفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَالزُّهْدُ فِيهَا مِمَّا يَقْبَلُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ لَذَّةِ وَمَالِ وَجَاهِ، وَالِانْفِرَادُ عَنِ الْخَلْقِ فِي الْخُلُوةِ لِلْعِبَادَةِ»<sup>(6)</sup>.

وَرِغْمَ كَثْرَةِ التَّعْرِيفَاتِ لِلتَّصَوُّفِ فَإِنَّهَا تَصُبُّ فِي مَفْهُومٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْإِهْتِمَامُ بِالْجَانِبِ الرُّوحِيِّ ، وَنَبَذَ الْجَانِبِ الدُّنْيَوِيِّ لِحَصَّهَا الْأَسْتَاذُ الْمَرْحُومُ سَعْدُ اللَّهِ قَائِلًا: «التَّصَوُّفُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ مَعْرِفَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

(1) عبد الله دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، ط1، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، السعودية، 2005، ص10.

(2) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1996، ص58.

(3) أمين بن أحمد، عبد الله السعدي، الصوفية في حضرموت نشأتها. أصولها. آثارها، عرض ونقد، ط1، دار التوحيد للنشر، الرياض، 2008، ص48.

(4) عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصريهم من ذوي الشأن الأكبر، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2004، ص504.

(5) التلليبي العجيلي، المرجع السابق، ص25.

(6) ابن خلدون، مصدر سابق، ص504.

معرفة دقيقة والعلم بهما والجمع بين العلم والعمل والسعي إلى معرفة الله حق المعرفة عن طريق التأمل والنظر والتفكير في مخلوقاته، بالإضافة إلى التقى والورع والتجرد عن هوى النفس وحب الدنيا والابتعاد عن مغريات السياسة والسلطة وعدم التعاون مع الظلمة والمتجبرين»<sup>(1)</sup>.

## 5-2- تعريف الرباط والمرابط :

الرباط جمعها رباطات، وهي قلاعٌ وحُصُونٌ قامت أساسًا على الأماكن التي تعرّضت لهجوم الأعداء، أي الثُغور (خُطوطُ التماس مع العدو) ، ومنها جاءت تسمية المرابطين أي المجاهدين الذين يَحْمُونَ الثُغور ويُحَارِبُونَ الأعداء وَيُدَوِّدُونَ عن الحِمَى .

أما خلال الفترة الحديثة فقد تولّت الدولة العثمانية واجب الدفاع عن الثُغور، وعليه فقد تحوّلت الرباطات إلى زوايا ومعاهد لتحفيظ القرآن ونشر قواعد الدين ومبادئ اللغة العربية والعلوم، وكذا إيواء العُرباء وإطعام الفقراء وإطفاء نار الفتن بين الناس وتأمين السبل ونشر أعمال البر<sup>(2)</sup>، ونحوّل معها المرابط من مجاهدٍ في سبيل الله، إلى شيخ زاويةٍ وصاحبٍ طريقةٍ<sup>(3)</sup> يعمل على نشر أوزانها بين طلبته ومُرِيديه.

## 5-3- لمحة تاريخية عن التأثير الصوفي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني:

انتشر التصوف في الجزائر قبل مجيء العثمانيين، وإزدهر أكثر في عهدهم بين القرنين (10-13هـ/16-19م) حيث بلغ عددهم أكثر من عشرين طريقةً (20) وحظي أصحابها بمكانة هامة بين أوساط المجتمع الجزائري ، حيث انضم إليها المثقف والعامي والحاكم والتاجر على حدٍ سواء<sup>(4)</sup>. ولا يهْمُنَا هنا البحث في هذه الطرق الصوفية في حدّ ذاتها ودراسة أوزانها الإيجابية والسلبيّة، لأنّ ذلك موضوعٌ شائكٌ وليس هذا مجاله، ولكن ما يهْمُنَا معرفة تلك العلاقات الناشئة بين الجزائريين والتونسيين والدور الإيجابي للطرق الصوفية في توطيد هذه العلاقات ، فبالإضافة إلى دورها الديني والتعليمي كان لها دورٌ اجتماعي كبيرٌ في تمّتين عرى الأخوة بين سكان الثُغور في شرق الجزائر وغرب تونس، وكانت القادرية والرحمانية والشايبية و التيجانية أكثر انتشارًا في المناطق الشرقية للجزائر مثل

(1) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ، ص 481.

(2) سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 13.

(3) يقصد بما اتصال المرید بالشيخ، وارتباطه به حيا وميتا، ويكون ذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المرید بإذن شيخه في أول النهار و آخره و يلتزم به بعهد يكون بين المرید وشيخه ، أنظر أبو بكر جابر الجزائري ، إلى التصوف يا عباد الله ، دار البصيرة ، الإسكندرية ، 1990 ، ص 23.

أنظر كذلك: Louis Rinn , marabouts et khouns, étude sur l' islam en Algérie, adophejourdon, Alger 1884, p54

(4) سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 28.

عناية وقامة وبلاد القبائل وقسنطينة ووادي سوف<sup>(1)</sup>، كما كان لِبَعْضِهَا أَدْوَارٌ سَلْبِيَّةٌ فِي الْحُرُوبِ الَّتِي نَشَبَتْ بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ إِمَّا بِتَأْجِيحِهَا أَوْ دَعْمِ طَرْفٍ ضِدَّ آخَرَ<sup>(2)</sup>.

و سَنَكْتَفِي هُنَا بِذِكْرِ أَهَمِّ الطَّرُقِ الصُّوفِيَّةِ وَالَّتِي ظَهَرَتْ فِي تُونِسِ أَوْ الْجَزَائِرِ، وَكَانَ لَهَا تَأْتِيْرٌ وَدَوْرٌ كَبِيْرٌ فِي رِبْطِ الصَّلَاتِ الرُّوْحِيَّةِ بَيْنَ الْإِيَالَتَيْنِ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ خَاصَّةً فِي الْقَرْنِ (12-13هـ/18 و مطلع19م) و نبدأ أولاً بـ:

أ-الطَّرِيْقَةُ الْقَادِرِيَّةُ: هِيَ مِنَ الطَّرُقِ الْأَصِيْلَةِ وَالْقَدِيْمَةِ دَخَلَتْ إِلَى الْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ مُبَكِّرًا، أَسَسَهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الدِّينِ بِنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيْلَانِيِّ<sup>(3)</sup> (ت 561هـ/1166م) وَدَخَلَتْ إِلَى تُونِسِ وَالْجَزَائِرِ عَنِ طَرِيقِ الْعَالِمِ أَبِي مَدْيَنَ الْعَوْتِ<sup>(4)</sup> (ت 594هـ/1198م) الَّذِي اِلْتَقَى بِمُؤَسِّسِ الطَّرِيْقَةِ الْقَادِرِيَّةِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيْلَانِيِّ فِي بَعْدَادٍ بَعْدَ أَذَاءِ كُلِّ مِنْهُمَا فَرِيضَةَ الْحَجِّ ، وَأَنْنَاءَ رُجُوعِهِ مَرَّ بِتُونِسِ وَالتَّقَى بِبَعْضِ عُلَمَائِهَا، فَتَمَتَّتِ الْعَلَاَقَةُ بَيْنَهُمْ وَصَارَ بَعْضُهُمْ يَزُورُهُنَّ فِي مَدِيْنَةِ بَجَايَةِ مَكَانِ اسْتِقْرَارِهِ فِيمَا بَعْدَ، وَالَّتِي كَانَتْ عَاصِمَةً عِلْمِيَّةً إِلَى جَانِبِ تِلْمَسَانَ وَفَتْهَا<sup>(5)</sup>.

أَمَّا خِلَالَ الْقَرْنِ 12هـ/18م فَقَدْ تَأَسَّسَتْ أَوَّلُ زَاوِيَةِ قَادِرِيَّةٍ بِتُونِسِ عَامَ 1784م عَلَى يَدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْإِمَامِ الْمَنْزَلِيِّ<sup>(6)</sup> (ت1832م) بِمَنْزِلِ بُورْلَقَةَ وَالَّتِي مَارَسَتْ نُفُوذَهَا الرُّوْحِيَّ وَالِدِّيْنِيَّ عَلَى الْمَنَاطِقِ الشَّرْقِيَّةِ لِتُونِسِ ، وَكَانَ لَهَا فِرْعَانُ رَيْسِيَانِ فِي الْمَنَاطِقِ الْغَرْبِيَّةِ لِتُونِسِ وَهَمَا:

(1) خير الدين شترة ، " الصلوات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي (الجزائر وتونس نموذجا)"، الملتقى الدولي الحادي عشر ، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، 9-11 نوفمبر 2008 ، جامعة أدرار ، ص 398.

(2) خير الدين شترة ، المرجع السابق ، ص 411.

(3) يعتبر سلطان الأولياء وإمام الأصفياء وقطب الأقطاب عند المتصوفين ، مؤسس الطريقة القادرية ببغداد، العالم الزاهد ، كان له شأن عظيم بين أهل عصره مُهاب الجانب من طرف الخلفاء والملوك لورعه وحشيشته ، قال عنه السمعاني : « كان عبد القادر من أهل جيلان إمام الخنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح دين خير ، كثير الذكر ، دائم الفكر سريع الدمعة » .أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج15 ، ص180. كما قال عنه الذهبي : « الشيخ عبد القادر الإمام العالم الزاهد العارف القدوة ، شيخ الإسلام ، علم الأولياء ، شيخ بغداد ... » الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج20 ، ص 439.

(4) أبي مدين شعيب بن حسين الأندلسي، وُلد بإشبيلية سنة 500هـ / 1107 م، عاش 94 سنة بعضها بالأندلس وبعضها في فاس وتلمسان وبجاية ، كما عاش في المشرق ، توفي بتلمسان سنة 594هـ/ 1198 م ، هو مؤسس مدرسة التصوف السني نقلا عن الشيخين عبد القادر الجيلاني وأبي القاسم الجنيد ، وهو من نشر هاتين الطريقتين في بلاد المغرب والأندلس ، للمزيد حول هذه الشخصية أنظر: ابن مريم ، البستان ، ص 108-114. ويحي بن خلدون ، بغية المراد ، ج1 ، ص 125-126.

(5) التليلي العجيلي ، المرجع السابق ، ص 39-40.

(6) محمد بن فرج المعروف بالإمام المنزلي نسبة إلى منطقة زولفة، عالما فقيها زاهدا شيخ الطريقة القادرية وناشرها بتونس، أنظر: محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1 ، ص54.

- زاوية الكاف التي تُشرف على كامل الشّمال الغربي من البلاد التّونسيّة إلى مُقاطعة قسنطينة وجزء كبير من الجزائر.

- وزاوية تُوَزَّر قَادِرِيَّة الجريد والتي كان لها نفوذ واسع في أقصى الجنوب التونسي والجزائري، ووصولاً إلى غدامس وعين صالح<sup>(1)</sup>، وكذا تُقرت وواد سوف و ورقلة<sup>(2)</sup>.

وفي نفس الفترة بالجزائر، قام الشّيخ الحاج مصطفى المختاري الغريسي<sup>(3)</sup> - جدّ الأمير عبد القادر- بتأسيس زاوية قَادِرِيَّة بالقيطنة بضواحي معسكر حوالي سنة 1200هـ/1786م، وتحولت هذه الزاوية إلى مركز علمي وصوفي في نواحي الغرب الجزائري، حيث إنتشرت الطريفة القادرية على نطاق واسع<sup>(4)</sup>، إضافةً إلى بجاية التي تُعتبر الحاضن الأول للطريفة القادرية حتى قبل مجيء العثمانيين، لكن دورها العلمي تراجع خلال الفترة الحديثة.

ب- الطريقة الرّحمانية: أسسها مُحَمَّد بن عبد الرحمن القشّولي<sup>(5)</sup> (الجزيري) (ت 1794م) من قبيلة آيت إسماعيل بمنطقة جُرْجُرَة (المدعو عبد الرحمن بوقيرين) ومُعظم أتباعها ينتمون إلى منطقة القبائل بالجزائر ويُقيمون بتونس، كما لها فروع في الجنوب التونسي<sup>(6)</sup>.

ج- الطريفة الشّايبة: يرجع تاريخ هذه الطريفة في الجزائر إلى القرن 10هـ/16م؛ وهي في الأصل ناصرية (نسبةً إلى مُحَمَّد ناصر الدّرعي المغربي) أسسها أحمد بن مخلوف الشّايبي<sup>(7)</sup> (ت 1492م) وتولى نشرها بتونس، وقد نشطت الشّايبة في نواحي القيروان والجريد بتونس، وكذا على التّخوم

(1) عجيلي تليلي، المرجع السابق، صص 40-42.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 235.

(3) مصطفى الغريسي: هو من بين علماء ضواحي معسكر وصلحائها، قام بعدة حجرات و في إحداها زار بغداد، ويعتبر أول من أسس فرعاً للطريفة القادرية في الجزائر سنة 1200هـ/1786م وهي زاوية القيطنة قرب معسكر والتي أصبحت مركزاً للتعليم ومبعثاً للطريفة القادرية التي كانت منتشرة في عدّة مناطق من الجزائر، لكن ليس لها زاوية ثابتة. أنظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، صص 513-514.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 515.

(5) هو محمد بن عبد الرحمن القشطولي الجزيري الأزهري (1715-1793م)، عالم من الصلحاء الزهاد ومؤسس الطريقة الرحمانية، ولد بوطن بني إسماعيل في جبال جرجرة، ورحل صغيراً إلى مصر، فتعلم بالأزهر وعاد إلى بلده سنة 1769م، فتصدّر للتدريس إلى أن مات. أنظر: عادل نويهض، مرجع سابق، ص 258. و أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف، ج 2، ص 450.

(6) خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 403.

(7) وُلد ببلدة الشابة حوالي سنة 1431م، هو أحد أقطاب التصوف بتونس في العهد الحفصي، ووالد الشيخ عرفة الشايبي مؤسسة الطريقة الشايبية. أنظر: علي الشايبي، أحمد بن مخلوف الشايبي وفلسفته الصوفية، الدار التونسية للنشر، تونس 1979، ص 22.

الجزائرية مثل عنابة، قلمة، قسنطينة، خنشلة، الأوراس، بلاد زواوة، الخنقة ووادي سوف، حيث كان لها نفوذٌ دينيٌ واسعٌ وزوايا ومُقدِّمون في كُلِّ هذه المناطق<sup>(1)</sup>.

وقد جمعت هذه الطريفة بين الدين والدنيا، وكان لها دوراً أساسياً في العهد العثماني بلَغَ إلى دَرَجَة إثارة الفتن و المداخلات السياسية والثورات<sup>(2)</sup> ضدَّ بايات قسنطينة مثلما حَدَثَ ضدَّ أحمد باي عام 1828م<sup>(3)</sup>، ولعبت الطريفة الشَّابِيَّة دوراً كبيراً في الصِّراع القائم بين سُلْطَيَّ تونس والجزائر، حيث تحالفت في الكثير من الأحيان مع القبائل المرابطية المنتشرة على نُحُوم الأيالتين مثل أولاد سَعِيد ودريد و الهمامة وطُرُود وأولاد مهلهل والنمامشة و الحراكته، وهذا ما ساعد الطريفة الشَّابِيَّة على تَوْسِيع رُفْعَتِهَا الَّتِي إمتدَّت من وسط تونس إلى جنوبها ومن شمالها الغربي إلى الأوراس بالجزائر، وامتدت إلى وادي سوف بواسطة قبلية طرود<sup>(4)</sup>.

و قد نَتَجَّ عن هذه التَّحالُفات في الكثير من الأحيان تَوَثُرُ العلاقات بين الأيالة الجزائرية وجَارَتِهَا تونس، كما أُنْقَل ذلك كَاهِل السُّلْطة ببايلك قسنطينة و الَّتِي كانت مُلْزَمَةً بِمُوجَّهَةِ القَلْاقِل و المشاكل الحدودية مع تونس باستمرار<sup>(5)</sup>، ولا شكَّ أَنَّ مثل هذه المناوشات والثورات المتكررة تَضُرُّ بالاستقرار السِّيَاسِي الدَّاخِلِي لِلإيالتين و تُضْعِف قوتها الدِّفَاعِيَّة.

#### د- الطريفة التَّجَانِيَّة :

في دِرَاسَتِنَا لِهَذِهِ الطَّريفة لا يَهْمُنَا التَّعَرُّض لِتَفَاصِيلِ كَثِيرَةٍ حَوْلَهَا ولا إلى عَلاقتِهَا بِالسُّلْطة العثمانية بالجزائر، ما يَهْمُنَا هو إِنْتِشَارُهَا وإِنْتِقَالُهَا إلى تونس والدَّور الإيجابي لهذه الطريفة في تَوْطِيد العلاقات بين إيالتَي الجزائر وتونس، لذلك سَنَسَلِّط الضَّوءَ بِإِيجَازٍ عن حياة صَاحِبِهَا، ثُمَّ ظُهُور هذه الطريفة، ثُمَّ ظُرُوفِ إِنْتِشَارِهَا بِتونس.

(1) العجيلي التليلي، المرجع السابق، ص ص 48-49.

وأُنظر كذلك سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 275. أنظر: علي الشابي "مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية"، المجلة التاريخية المغربية، 13، 14 يناير 1979، تونس، ص ص 55-81.

(2) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 276.

(3) خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 411.

(4) يوسف بن حيدة، العلاقة بين الطريفة الشابية وقبيلة طرود خلال القرنين 16 و 17 م (تدعيم صوفي أم تحالف ظرفي)، مجلة الحكمة، العدد التاسع، السداسي الأول، 2017، الجزائر، ص ص 158-159.

(5) عبد القادر صحراوي، التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، س، د، 2008 - 2009م، ص 257.

وُلد أحمد التَّجَانِي في عين ماضي<sup>(1)</sup> سنة 1150هـ/1737م ، وتلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ، ولما بلغ العشرين سنةً ، شدَّ الرِّحال إلى فاس لطلب العلم، لكنَّه لم يَسْتَقِرَّ بها، بل قضى مُعظم حَيَاتِهِ مُتَنَقِّلاً بين فاس وتلمسان ومسقط رأسه والصحراء (توات) طالباً للأدكار والأوراد الصُّوفِيَّة أَكْثَرَ من طَلَبِهِ للعلوم الشَّرعية والأدبِيَّة الَّتِي كانت شَعَفُ مُعْظَم طَلَبَةِ العِلْمِ وَقْتَهَا<sup>(2)</sup>.

ثُمَّ فَرَرَ الدَّهَابَ إلى الحَجِّ عام 1186هـ/1773م، وفي طَرِيقِهِ مَرَّ بِمَنْطِقَةِ زَوَاوَة ، وَأَخَذَ الطَّرِيقَةَ الخُلُوتِيَّة<sup>(3)</sup>، ثُمَّ تَوَقَّفَ بتونس حَوَالِي سنةً كَامِلَةً، ثُمَّ بِمِصْرَ حَيْثُ اِلْتَقَى بِبَعْضِ صُلَحَائِهَا وَأَخَذَ عَنْهُمْ العِلْمَ الشَّرعي ، وبعد آدَائِهِ لِلحَجِّ عاد إلى تلمسان وبقي يترددُ بينها وبين فاس إلى أن اِنْعَزَلَ تَمَامًا بِقَرْيَةِ أَبِي سَمْعُونِ جنوب غرب البِيضِ وعُمُرُهُ حِينَ ذَاكَ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وبعد مُكُونِهِ بِهَا أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ جَاءَهُ الفَتْحُ الكَبِيرُ بِهذه القَرْيَةِ حَوَالِي عام 1786م: أي أَنَّهُ رَأَى الرَسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي المَنَامِ وَأذِنَ لَهُ فِي تَلْقِينِ الطَّرِيقَةِ ، ومنذ ذلك الوقت ظهرت طَرِيقَتُهُ الَّتِي جَمَعَتْ خُلَاصَةَ الطَّرِيقِ السَّابِقَةِ الَّتِي أَخَذَ عَنْهُمْ وَهِيَ القَادِرِيَّةُ ، الطَّيْبِيَّة<sup>(4)</sup>، الرَّحْمَانِيَّةُ، النَّاصِرِيَّة<sup>(5)</sup>، الخُلُوتِيَّةُ ، الشَّاذِلِيَّة<sup>(1)</sup>، وَهِيَ مَرِيجٌ من كل هذا رغم أَنهَا طَرِيقَةٌ فِي ظَاهِرِهَا أَصِيلَةٌ وَغَيْرُ مُتَفَرِّعَةٍ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الطَّرِيقِ<sup>(2)</sup>.

(1) تقع حوالي 80 كم إلى غرب مدينة الأغواط في مرتفع ضمن سلسلة جبال عمور، وطالما كانت هذه القرية محطة أساسية في طريق الراكب الحجي ولقد تكلم عنها كل من: عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق و تقديم سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، ج2، ط1، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006 ، ص546. وكذا: أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي ، الرحلة الناصرية ، 1709-1710م ، تح عبد الحفيظ ملوكي ، ط1 ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الإمارات ، ع.م ، 2011 ، ص130.

(2) سعد الله ، تاريخ ج.ث ، / ج1 ، ص509.

(3) الطريقة الخلوتية: نسبة للشيخ سراج الدين الخلوتي(ت. حوالي 800هـ/1398م) ظهرت هذه الطريقة في منطقة القوقاز و أذربيجان و فارس ثم بدأت تنتشر بالمناطق العثمانية، أما الخلوتية في الجزائر فكانت في أول أمرها محصورة بين بعض العلماء و العائلات التركية، لكنها انتشرت بقوة أواخر العهد العثماني و خلال الاحتلال الفرنسي خاصة في الشرق و شمال و جنوب الجزائر و كذا بتونس و ذلك بفضل قطبها الأول في الجزائر الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشتولي المولود حوالي(1130هـ) ببلاد القبائل الذي تأثر بمهذه الطريقة أثناء استقراره لأكثر من ربع قرن بالأزهر الشريف أثناء عودته من رحلة الحج. للمزيد حول هذه الطريقة أنظر: عبد القادر بن التواتي، أصول النهج الصوفي و مرجعيته(الطريقة الخلوتية الرحمانية)، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ع2، م9، الجزائر، 2021، صص527-528.

(4) الطريقة الطيبية الوزانية: تأسست على يد الشيخ مولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف العلمي(ت 1089هـ/1678م) بين الفترة (1666-1670م) في منطقة الشمال الغربي للمغرب الأقصى و تنتسب الخلوتية إلى الطريقة الشاذلية الجزولية، و تعدُّ فترة الشيخ الرابع للطريقة الوزانية مولاي الطيب(ت1767م) من أهم فترات الطريقة حيث توسعت الزاوية خارج وزان و ذاع صيتها و امتدَّ نفوذها الروحي إلى الغرب الجزائري و الجنوب و منطقة الشرق خاصة قسنطينة ثم امتدت إلى تونس و طرابلس. أنظر: عمر بن فايد، الطريقة الطيبية، نشأتها و مشائخها في الجزائر في القرن 19م، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ع1، م7، 2022، صص246-249.

(5) الطريقة الناصرية: طريقة صوفية متفرعة عن الشاذلية، أسسها محمد بن أحمد بن ناصر الدرعي أحد مجددین للطريقة الأم، حصل العلوم في فاس و مصر، ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث أسس زاوية بوادي درعة لنشر العلم و الطريقة توفي حوالي سنة 1669م. أنظر التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص48.

وبعد هذا الفتح استقر أحمد التجاني نهائياً زُفَقَةً أَهْلِهِ بفاس عام 1211هـ/1796م ، حيث تلقى الترحيب والرعاية من طرف السلطان المولى سليمان<sup>(3)</sup>؛ علماً أنّ خروجه من الجزائر مهاجراً نحو المغرب كان بسبب ملاحقة السلطة العثمانية (بايات الغرب) له ، لأنه كان من أشدّ المعارضين و الناقمين والثائرين عن الحكم العثماني بالجزائر<sup>(4)</sup>، وظلّ أحمد التجاني بفاس إلى أن توفي عام 1230م/1815م ورغم أنّ هذه الطريقة قد ظهرت أواخر القرن 18م/12هـ ، إلا أنّها سرعان ما إنتشرت في الجزائر (فرعي عين ماضي وتماسين) و في تونس وإقليم توات وبالسنغال والسودان وكثرت مُقدّموها وأتباعها وزواياها<sup>(5)</sup>، وظهرت أهمية هذه الطريقة ونُفوذها لاحقاً خلال الحقبة الاستعمارية خاصة<sup>(6)</sup>.

أما عن إنتقالها إلى تونس فكان على يد الشيخ إبراهيم الرياحي<sup>(7)</sup> الذي كان شاذلي الطريقة في البداية متأثراً بشيخه وأستاذه البشير بن عبد الرحمن الزواوي المشيشي الذي لازمه طويلاً، وكان الناصح والموجه له، ثمّ مال إبراهيم الرياحي إلى الطريقة التجانية عام 1216هـ/1801م في سن الرابعة والثلاثين من عمره (34 سنة)، لرؤيا في المنام رأى فيها صاحب الشيخ أحمد التجاني و هو علي حرازم

(1) الشاذلية: تفرعت عن الطريقة القادرية، مؤسسها هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي أصوله من المغرب الأقصى، ولد بمدينة غمار قرب ستة سنة (593هـ/1197م)، و توفي سنة (656هـ/1258م) رحل إلى تونس و أقام بقرية "شاذلة" الواقعة بين تونس و باجة ثم إنتقل إلى تونس العاصمة، و اعتكف بمغارة في سفح التل المطل على مقبرة الجلاز، و هناك بنيت أول زاوية شاذلية و التي لا تزال مقراً للطريقة الشاذلية، ثم هاجر إلى الإسكندرية تاركاً وراءه أربعين من أتباعه في تونس يمثلون الطريقة الشاذلية. أنظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، 4م، ج7، ص156.

(2) سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 403. وانظر كذلك: بن يوسف تلمساني ، المرجع السابق، ص ص 69-70.

وكان: Louis rinn , op cit , p 418.

(3) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص ص 510-511. / أنظر كذلك: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج 8، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ، 1955، ص 105. أنظر كذلك:

L rinn , op-cit , p421.

(4) أحمد بن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب ، القاهرة ، 1969م ، ص 72 ، هذه الرحلة عبارة عن حملة تأديبية موجهة من باي الغرب إلى منطقة عين ماضي ومدينة الأغواط من أجل إخضاعهم.

(5) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، ص 194.

(6) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 513.

(7) إبراهيم الرياحي (1767-1850م) العلامة ، الفقيه ، الأديب الشاعر، الصوفي، الرحالة ، السياسي، وُلد بتستور ثم رحل إلى تونس، أخذ التصوف عن شيخ الطريقة الشاذلية البشير بن عبد الرحمن الونيسي الزواوي المشيشي نزيل تونس، وكان ملازماً له ، ثم تعرف على الشيخ علي حرازم بن العربي بزادة الفاسي وأخذ عنه الطريقة التجانية و نشرها بتونس وله شعر كثير في مدحها. لازم التدريس بجامع الزيتونة ردحا من الزمن، وكُلّف بعدة سفريات دبلوماسية ، ونجح فيها، توفي متأثراً بالكوليرا. أنظر: أحمد أبي الضياف ، الإتحاف ، المجلد 4 ، الجزء 7 ، ص 73. / محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف ، ج 1 ، ص 258. / محمد بن مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ج 1 ، ص 986.

محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 389.

الفاسي<sup>(1)</sup> يَدْعُوهُ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْأَحْمَدِيَّةِ أَي التَّجَانِيَّةِ وَ فِي الْعَدِّ وَجَدَ الشَّيْخَ عَلِي حِرَازِمَ بِنَفْسِ مَوْضِعِ الرُّؤْيَا بِجَمَاعِ الرِّبْتُونَةِ جَالِسًا فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ جَاءَهُ مِنَ الْمَغْرِبِ مِنْ أَجْلِ تَلْقِينِهِ الطَّرِيقَةَ التَّجَانِيَّةَ، فَسْتَأْذَنَ الرَّيَّاحِي شَيْخَهُ الْبَشِيرَ الْمَشِيشِي فَسَمَحَ لَهُ بِالتَّحَوُّلِ إِلَى الطَّرِيقَةِ التَّجَانِيَّةِ<sup>(2)</sup>.

وَفِي عَامِ 1218هـ/1803م أَوْفَدَهُ حَمُودُ بَاشَا إِلَى سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ الْمَوْلَى سَلِيمَانَ لِحَلْبِ الْمِيرَةِ إِلَى تُونِسَ إِتْرَى مَسْبَعَةً عَصِيبَةً عَرَفَتْهَا الْأَيَالَةُ عَامَ 1217هـ/1802م<sup>(3)</sup>، وَخِلَالَ هَذِهِ الْمِهْمَةِ الَّتِي كَلِّمَتْ بِالتَّحَاكِ أَقَامَ الرَّيَّاحِي وَاحِدَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا بِالْمَغْرِبِ، حَيْثُ التَّقَى بِالشَّيْخِ التَّجَانِي الَّذِي قَدَّمَهُ لِطَرِيقَتِهِ، كَمَا اجْتَمَعَ بِاتِّبَاعِهِ الشَّيْخَ الْعُرَابِيَّ وَعَلِي التَّمَّاسِينِيَّ وَعَلَى حِرَازِمَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ التَّجَانِي<sup>(4)</sup>.

وَبِنَاءً عَلَى مَا سَبَقَ يَكُونُ إِبرَاهِيمَ الرَّيَّاحِي هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَلَقَى وَنَشَرَ الطَّرِيقَةَ التَّجَانِيَّةَ بِحَاضِرَةِ تُونِسَ وَأَقَامَ أَوْزَادَهَا وَوُضَائِفَهَا وَأَسَسَ لَهَا زَاوِيَتَهُ الشَّهِيرَةَ قُرْبَ حَوَانِيَتِ عَاشُورِ بِالْحَاضِرَةِ<sup>(5)</sup>. ثُمَّ انْتَشَرَتْ بِالْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ لِتُونِسَ، وَثُمَّ تَأْسِيسَ زَاوِيَةِ تَوَزَّرَ<sup>(6)</sup> سَنَةَ 1814م.

وَفِي سَنَةِ 1238هـ/1822م سَافَرَ الرَّيَّاحِي رُفْقَةَ الشَّيْخِ الطَّاهِرِ بْنِ عَبْدِ الصَّادِقِ - أَحَدِ تَلَامِيذِ أَحْمَدِ التَّجَانِي - إِلَى مَنطِقَةِ تَمَّاسِينِ بِمَنطِقَةِ تُقْرَتِ بِالْجَنُوبِ الْجَزَائِرِيِّ لِلِاجْتِمَاعِ بِالْخَلِيفَةِ فِي الطَّرِيقَةِ التَّجَانِيَّةِ الْحَاجِّ عَلِيِّ<sup>(7)</sup> التَّمَّاسِينِيِّ<sup>(8)</sup>، كَمَا تَصَدَّى الرَّيَّاحِي إِلَى خُصُومِ أَحْمَدِ التَّجَانِي وَكَتَبَ رِسَالَةً سَمَّاهَا "مَبْرَدُ الصَّوَارِمِ وَالْأَسْنَةِ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَخْرَجَ الشَّيْخَ التَّجَانِيَّ عَنِ دَائِرَةِ أَهْلِ السَّنَةِ" وَالَّتِي نَشَرَهَا حَفِيدُهُ فِي كِتَابِهِ تَعْطِيرِ النَّوَّاحِي<sup>(9)</sup>.

(1) علي حرازم الفاسي ابن العربي براءة الفاسي هو أحد تلاميذ و أتباع أحمد التجاني وهو من أعرق العائلات الفاسية وألف كتابه جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني، أنظر: علي حرازم بن العربي براءة، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ج1، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، (د.ت) ص ص 4-9.

(2) محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ج1، ص ص 263-264.

(3) ابن أبي الضياف، المصدر السابق، المجلد 4، جزء7، ص 73.

(4) محمد بن عثمان، المصدر السابق، ج1، ص ص 278-279.

(5) محمد بن عثمان، المصدر السابق، ج1، ص ص 263-264.

(6) خير الدين شترة، الصلاة الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي (الجزائر وتونس أمودجا)، ص 415.

(7) أحد المقرين من الشيخ أحمد التجاني وهو كذلك مقدم وصاحب الزاوية التجانية بمنطقة تماسين (تقرت) بالصحراء الجزائرية، أنظر:

Copplani (x) depont, les confreres religieuses musulmanes, adolphjourdon, Alger, 1897, p64.

(8) محمد بن عثمان، المصدر السابق، ج1، ص 295. أنظر كذلك: كمال عربي، "الشيخ إبراهيم الرياحي (1767-1850) أعلام الفكر التونسي"، الحياة الثقافية، أكتوبر 2006، ص 116.

(9) محمد بن عثمان، المصدر السابق، ج1، ص 302. أنظر كذلك: عمر بن علي الرياحي، تعكير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، مطبعة بكار، تونس 1902، وهذا الكاتب هو ترجمة لإبراهيم الرياحي، وحوى أشعاره ورسائله مُبْرَدُ الصَّوَارِمِ.

ومن هنا نستنتج بأنَّ الطَّريقة التَّيجانية الَّتِي ظهرت لأول مرَّة بالجزائر ثُمَّ انْتَقَل صَاحِبُهَا أحمد التَّجاني إلى المغرب الأقصى سنة 1171هـ/1757م، ثُمَّ وجدت طريقها إلى تونس مطلع القرن التَّاسع عشر ميلادي (1216هـ/1801م) عن طريق العالم إبراهيم الرياحي و قد ساهمت هذه الطَّريقة الصُّوفية في التَّقاء عَدَدٍ كَبِيرٍ من عُلماء الإيالتين عِدَّةَ مَرَّاتٍ سواءً بالجزائر أو تونس.

#### خاتمة الفصل الرابع:

نستنتج أن العلاقات الثقافية بين الإيالتين كانت جيِّدة جسَّدتها الزيارات المتبادلة لعلماء البلدين و المراسلات الإخوانية و الإجازات العلمية لطبة العلم و التي في الغالب لم تتطرق لها الكتب الإخبارية لا من قريب و لا بعيد ، و يعود الفضل لكتب التراجم التي نقلت لنا صورة مشرقة للتبادل العلمي و التواصل الثقافي من خلال تعرضها بالدرس لهجرة العلماء الجزائريون الذين كان مُرحَّبٌ بهم في الاوساط العلمية و الاجتماعية و حتى السياسية بتونس و عدَّلت إلى حدٍ كبير الصورة القائمة التي رسمتها الإرادة السياسية والألة العسكرية الدموية التي وجهها حُكام الايالتين صوب بعضهما البعض. و لقد كان لهجرة علماء الجزائر إلى تونس آثارا ايجابية تمثلت في التكامل والتلاقح الثقافي و التحصيل المعرفي و الذي نتج عنه ترابط اجتماعي و انصهار شعبي شكَّل لُحمة قوية تُرجمت على أرض الواقع على شكل مُصاهرات عائلية و مبادلات تجارية و مراسلات علمية إضافة إلى المهجرات العلمية المتبادلة لعدَّة قرون و لم يختف بعضها إلى اليوم، و لم تقتصر تلك العلاقات على الهجرة العلمية و المراسلات الإخوانية بل تعدَّتها إلى تبييس عقارات من طرف أحد حكام تونس و هو علي باي ابن الحسين على زاوية خنقة سيدي ناجي بضواحي بسكرة ن و كذا إجتهد أحد علماء تونس و هو إبراهيم الرياحي في تأسيس أول زاوية تتبع الطريقة التجانية بتونس و كل هذه الصور الثقافية ما هي إلا امتداد لحقيقة العلاقات العلمية و الاجتماعية التي كانت بين البلدين منذ القديم و حتى قبل الفترة العثمانية التي حاول حكام الإيالتين خلالها اختزال تلك العلاقات على السياسية فقط و التي كانت سيئة في الغالب.

خاتمة

خاتمة:

وفي ختام دراستنا هذه توصلنا إلى مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات حول المدونات التاريخية التونسية التي تعتبر المصدر الأساسي لهذه الدراسة، ثم حول الأحداث و الوقائع التي تناولتها هاته المدونات بالدراسة؛ مستعرضين بذلك صورة الجزائر بشقيها الإيجابي و السلبي و التي لخصناها كما يلي :

1- أثناء بحثنا عن صورة الجزائر خلال القرن (12-13هـ/18- و مطلع 19م) من خلال المصادر التونسية إعترضنا كم هائل من المعلومات التي تناولت في مجملها العلاقات السياسية بين الإيالتين ؛ التي طبعت بالتوتر تارة و بالمهادنة تارة أخرى و حاولنا تلمس تلك الصورة و التي لم تكن دائماً واضحة جلية، بل كان يتطلب البحث عنها قراءة المادة الإخبارية عدّة مرات من أجل فهم الأحداث و الخروج ببعض الاستنتاجات و الملاحظات، و هذا ما يفسر طول الفصل السياسي و العسكري عن بقية الفصول.

2- التعامل مع المادة الإخبارية التي تعود إلى القرن 18 و مطلع 19م التونسية و أحياناً حتى الجزائرية من أجل دراسة بعض الأحداث من زاويتين مختلفتين من أجل المقارنة و إيضاح الصورة و الخروج ببعض الاجابات المقنعة لم يكن سهلاً؛ لأنّ طبيعة الكتابة خلال تلك العهد يحدّوها طابع الإسترسال في سرد الأحداث و كثرة الإستطراد و يتميز بعضها بأسلوب و تعابير متكلّفة؛ و التي تتطلب الصبر و تتبّع الوقائع من أجل فهمها، كما بدا التحيز الواضح في معظم الكتابات التونسية أثناء نقلها للأحداث مما يُصعب مهمّة الباحث الذي يريد أن يتلمس الحقيقة في ثنايا تلك الكتب، و لا يمكن إستثناء إلاّ الصغير بن يوسف صاحب كتاب "المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي" كونه بعيد عن دوائر صنع القرار فهو ليس قلم بلاط، و هذا ما جعل كتابه أكثر موضوعية أثناء نقله للأحداث و تصويره للجزائر و حكامها؛ رغم بعض الأخطاء التي وقع فيها، لأنّ نقله للأحداث كان مُشافهةً ممّن يثق بهم على حدّ قوله.

3- سيلمس القارئ لهذه الرسالة أنّ هناك تكراراً لبعض الأحداث التاريخية بين ثنايا الفصول، و مرث ذلك أنّ هذه الأحداث لها أكثر من تفسير أثناء عرضها، فمثلاً هروب فرع من قبيلة الحنانشة عام 1754م نحو تونس تهرباً من دفع الضرائب هو حدثٌ إقتصادي بالدرجة الأولى لأنه يؤثر على مداخيل بايلك الشرق؛ لكنّه سيذكر إضافةً إلى الفصل الاقتصادي في الفصل السياسي و العسكري لأنّه وثر العلاقات بين الإيالتين و جرهما إلى حربٍ دموية، كما أنّه ذُكر في الفصل الاجتماعي لأنّها

تُصنّف كهجرة سكانية قصدت تونس في فترة معينة و رُحِبَ بها من طرف حكام تونس من أجل الضّغط على بايات قسنطينة .

كما كان لعسكر زاوة ذوي الأصول الجزائرية مكانةً كبيرةً في المؤسسة العسكرية التّونسيّة منذ العهد الحفصي ؛ واستعان بهم حكام تونس خلال الفترة المدروسة كثيراً سواءً في الحرب الأهلية التونسية على السّيطرة أو في الحملات العسكرية ضدّ الجزائر، أو من أجل فرض الأمن و القضاء على التمردات بتونس، وهذه حادثة سيرد ذكرها عسكرياً نظراً لدورهم الملفت للإنتباه كما سيذكرون في الفصل الاجتماعي كونهم فئة اجتماعية جزائرية قصدت تونس و إستوطنت بها للإستزاق ، و مثل هذه الأمثلة وردت كثيراً.

4- تدخل حُكّام الجزائر وعسكرها في شؤون تونس الدّاخلية كان دائماً يَطْلُبُ من أطراف الصّراع التّونسي، و لم يكن تدخل جزائري محظ- ماعدا الحرب التي كانت بين الإيالتين مطلع القرن 19م- ، ولقد أكّدت ذلك كلُّ المصادر التونسية تقريباً لكن تصويرها للأحداث كان مُعْظَمُهُ يَعتَبِر حُكّام الجزائر و عسكرها هم المبادرون و المستفيدون من هذه الحرب باستثناء الصغير بن يوسف الذي كان موضوعياً في تصويره للأحداث التي نقلها كما حدثت خاصةً تلك الحروب التي طحنت إمكانات الإيالتين و أفرغت خزائنها، و لا يَشعر القارئ لكتابه بذلك التحيّز الذي طبع باقي الكتابات؛ و السبب يعود إلى أنّه بعيد عن السّيطرة و غير مستفيدٍ من تلك الحروب خاصةً التّونسيّة الدّاخلية بل متضرراً منها بسبب فقدته لأرزاقه في إحداها لأنّه في الأصل الفلاح و ابن مدينة باجة.

5- أنّ حُكّام تونس ذوي الأصول التّركية(أو الأعلاج الذين إنضّو تحت لوائها) كانوا يعتبرون أنفسهم حالاً واحداً مع أوجاق(أي عسكر) الجزائر العثمانيين فمتى احتاجوا إلى مساعدة طلبوها دون أن يعتبروا ذلك تدخلاً أو مساساً بسيادة تونس لأنّ هذه الأخيرة كانت تُدار من طرف الجزائر عند إلحاقها بالدولة العثمانية إلى غاية 1587م حيث انفصلت تونس عن الجزائر بأمر من الدّولة العثمانية، و هذا ما يفسر جرأة حكام الجزائر في إتخاذ القرار بتجهيز الحملات المتكرّرة ضدّ تونس دون إعتبار ذلك مساساً بسيادتها أو تدخلاً في شؤونها.

6- التّدخل المتكرر لحكام الجزائر في الصّراع الدائر على السّيطرة بتونس أواخر القرن 17م زمن "الفتنة المرادية" بقدر ما استفاد منه حكام الجزائر بجلب أموال و هدايا عظيمة مثلما وصفتها المدونات الإخبارية التّونسيّة و حتى الجزائرية، بقدر ما كان هؤلاء الحكام هم أول من دفع ثمن ذلك التّدخل و خير مثالٍ هو الدّاي شعبان خوجة الذي تمّ التّضحية به رغم قوته و شجاعته، من طرف الجيش

الانكشاري الجزائري الذي ثار ضدهُ وعارضوا عودته لمحاربة تونس مرّةً أخرى، ودفع حياته ثمناً لذلك عام 1695م، و من هنا نستنتج أنّ الصراع الذي كان قائماً بين حُكام تونس وما يدور حوله من مشاكل كان يُصدّرُ نحو الجزائر و يرمي بثقله عليها و يُفجّم حُكّامها و جيشها الانكشاري فيه كُلما تجددَ لكن معظم المدونات التّونسيّة اعتبرت حكام الجزائر و جيشها أعداءً .

7 - كما نستنتج أنّه على الرّغم من أنّ هذه الحملات الموجهة نحو تونس كانت ضمنيّاً من أجل تحقيق مكاسبٍ ماليّةٍ و ضمان مواردٍ قارةٍ للخزينة، لكنّها في المقابل كانت مُكلّفةً جدّاً بشريّاً ومادياً ومُرهقة ومُتتعبة، وعلى جبهتين متباعدتين (تونس والمغرب) وكُلُّ ذلك أثارَ سلباً على الجزائر وعلى استقرارها وإمكاناتها الماليّة خاصّةً، وجعلها عُرضةً للإعتداءات الخارجيّة هذا إضافةً إلى تحديات الدّاخل من قحطٍ ومُجاعاتٍ وأوبئةٍ، كما أننا لا نعلم هل فعلاً تلك الغنائم كانت تذهب للخزينة أم لجيوب الحكام و الجيش لضمان عدم ثورانه.

8- وأهمُّ ملاحظةٍ يخرج بها القارئ لروايات المؤرخ التونسي الصغير بن يوسف و هو يعرض الكثير من الأحداث و المعارك إشاراتٍ بقوة وشجاعة وتماسك عسكر الجزائر في الحروب عكس الجيش التّونسي، رغم أنّ الحرب دائرةٌ على التراب التونسي، ممّا يدلُّ على موضوعيّة الكاتب وعدم تحيّزه، في حين نجد بقية المؤرخين مثل حسين خوجة و الوزير السّراج و الوزير حمودة بن عبد العزيز و ابن أبي الضياف لم يكن لهم نفس الرّأي و كتاباتهم في الغالب تتهم جيش (عسكر) الجزائر بعدو الله.

9 - تعتبر الحملة الجزائرية على تونس عام 1705م ضدّ "إبراهيم الشريف"، كانت سبباً في نهاية حُكم "إبراهيم الشريف" المدعوم من طرف الدولة العثمانية ؛ و في نهاية حكم المراديين قبله عام 1702م و كذا سبباً في ظهور حكم جديد و هو المعروف بالأسرة الحسينية وبذلك تدخل تونس عهداً جديداً يتّسمُ باستقلالية أكثر عن الدولة العثمانية ، و يستمر إلى غاية 1957م؛ ومن هنا نستنتج أنّ تدخل الجزائر مطلع القرن 18م كان سبباً في سقوط الأسرة المرادية و ظهور الأسرة الحسينية لكنّ المصادر التّونسية بالإجماع لم تفصح عن ذلك.

10- كما نستنتج أنّ أغلب هذه الحروب كان دافعها نزعاتٌ ذاتيّةٌ، ومصالحٌ شخصيّةٌ لحكام البلدين أمثال (مراد الثالث باي تونس/وعشي مصطفى داي الجزائر مطلع القرن 18م)، ولم يكن للشعوب ناقةٌ فيها ولا جمل، بل بالعكس تنعكس عليهم سلباً دائماً لأنّهم وفودها الأول.

11- الحرب الأهليّة التي تدخل فيها حكام الجزائر؛ و كانت تونس مسرحاً لها خلال النصف الأول من القرن 18م/12هـ استطاع المؤرخ التونسي حمودة بن عبد العزيز في "كتابه الباشي" خاصّةً الجزء

الثاني "المخطوط" تصوير فصول ذلك الصّراع بتفاصيله التي لم تذكر في أي مصدرٍ آخر بنفس الدّقة غير "المشروع الملكي"، حيث كان لأخبار الجزائر فيها نصيبٌ وافقٌ لكنّ المصادر الجزائرية أغفلت ذكر الكثير من جوانبه بحكم بعد هذا الصراع الذي كان على التراب التونسي من جهة و عدم قرب المؤرخين الجزائريين من البلاط عكس ما كان معمولاً به في تونس من جهة أخرى؛ لذلك تُعتبر المصادر التّونسيّة رغم تحيزها الواضح للطرف التّونسي لكنّها مهمّةٌ جداً في معرفة تاريخ الجزائر الذي دوّن على صفحاتها .

12- صورت لنا المصادر التونسية خاصة "المشروع الملكي" و "الكتاب الباشي" مدى قوة و نفوذ و تشعب علاقات شيوخ و زعامات بعض القبائل الحدودية، خاصة الحنانشة بفرعيها(نصر و منصر) مع بايات تونس التي تصاهرت معهم و كذا مع بايات قسنطينة و أفردنا لها نصيباً وافراً من الشرح و التحليل لكن يبقى الباحث دائماً حائراً في ولائها المتقلب و غير الثابت و الذي تحدده مصالحتها بالدّرجة الأولى و لو كان على حساب مصلحة الجزائر بلدها.

13- لَعِبَ عَسْكَرُ زَوَارَةِ ذَوِي الْأَصُولِ الْجَزَائِرِيَّةِ، دَوْرًا كَبِيرًا خِلالَ مَعْرَكَةِ عَامِ 1735م إِلَى جَانِبِ "حَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ"، وَهَوَّلَاءُ الْعَسْكَرِ الذِّينَ أَصْبَحُوا ضِمْنَ الْفِرْقِ الْعَسْكَرِيَّةِ الثَّابِتَةِ فِي الْجَيْشِ التُّونِسِيِّ. و يعود تاريخ تواجده بالجيش التونسي والاستعانة به ضمن الفرق العسكرية إلى العهد الحفصي، كما استعان بهم البايات المراديون وكذا الحسينيون في حروبهم و كانت دائماً المصادر الإخبارية التّونسية تصفهم في الحروب بقوة الشكيمة و رباطة الجأش و قتالهم المستميت، عكس الجيش الانكشاري التّونسي المتقاعس في الكثير من الحروب.

14-والنتيجة التي يُمكن إستخلاصها أنّه بنهاية "علي باشا" وابنه "محمد باي" على يد محمّلة الجزائر عام 1756م، إنتهت فُصول الحُرْبِ الْأَهْلِيَّةِ بتونس التي أتت على الأخضر واليابس لِفَتْرَةٍ زَمْنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، وإرتاحت تونس ورُبوعها وسُكّانها من المعارك والفِتَن والحروب، ودخلت العلاقات السياسية بين الإيالتين(تونس والجزائر)مرحلةً طَوِيلَةً من السَّلَامِ والإسْتِقْرَارِ، وما كان لتونس أنْ تَصِلَ إِلَى هَذِهِ النَّتِيْجَةِ وَ تَنْعَمَ بِالْهَلْدُوءِ لَوْلَا تَدْخُلُ حَمَلَةُ الْجَزَائِرِ رَغْمَ الْحَسَائِرِ وَالتَّضْجِيحَاتِ الَّتِي قَدَّمَتْهَا مُقَابِلَ ذَلِكَ وَ لَكِنِ الْكُتَابَاتِ التُّونِسِيَّةِ لَمْ تَعْتَرَفْ بِذَلِكَ وَ لَا ذَكَرْتَهُ.

15- إِسْتِطَاعَا أَبْنَاءِ الْحُسَيْنِ (مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ) رَبَطَ عِلَاقَاتِ حَسَنَةٍ مَعَ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ وَمَرَدُّ ذَلِكَ أَنَّهُمَا إِسْتَقْرَأَ بِالْجَزَائِرِ قُرَابَةَ الْعَشْرِينَ سَنَةً كَلَاجَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ (1735-1756م)، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ عَوَدَتَهُمْ إِلَى تُونِسَ كَانَتْ بِفَضْلِ حُكَّامِ الْجَزَائِرِ، فَهَذَا الْجَمِيلُ بَقِيَ مِثْلَ الدَّيْنِ يُسَدَّدُ عَلَى شَكْلِ ضَرْبِيَّةٍ سَنَوِيَّةٍ مَالِيَّةٍ قَارَةً؛ مَعَ

مجموعة من الهدايا و الإحسانات، وتحوّلت بمُرور الوقت إلى التزاماتٍ مُرهقةً ومُكلّفةً لِحِزْبَةِ تونس، واعتبر ابن أبي الضياف تلك الالتزامات تبعية تونسية إلى الجزائر.

16- كما نستنتج أنّ العلاقات السياسية والعسكرية بين الجزائر وتونس طيلة القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر ميلاديين تأرجحت بين الصّراع والسّلام رغم أنّ الحروب والتدخّلات العسكرية طغت على المشهد السياسي خلال هذه الفترة، وهذا ما يستنتجه القارئ لتلك المصادر التّونسيّة التي صوّرت تلك الحروب بتفاصيل لم تذكرها حتّى الكتابات الجزائرية، إلّا أنّ فترات السّلام والهدوء كانت الأطول (1705-1735م) و كذا (1756-1807م). أي ما مقداره ثمانون سنةٍ من السّلام على مدار قرن تقريباً.

17- شعوب الإيالتين لم تكن تلك الحروب تعني لهم الكثير إلّا إذا أُفْحِمُوا فيها عنوةً، واستمرت تجارتهم وتنقلاتهم وقوافل الحجيج تمرّ بتونس ذهاباً وإياباً، واستمرت المراكز العلمية في كلاً البلدين تستقبل الطلبة والشيوخ والزّائرين بصدرٍ رحبٍ وهذا ما أغفلت ذكره المصادر التّونسيّة التي اعتمداها في الدّراسة و التي ركزت على الجانب السياسي و العسكري فقط و لم تعني ببقية الجوانب الأخرى المهمة مثل حركة السّكان السلمية بين الإيالتين لأغراضٍ تجاريةٍ أو علاجيةٍ أو علميةٍ أو حجيةٍ و كلها معلوماتٌ و تفاصيلٌ غايةً في الأهمية حاولنا استكملها من كتب التراجم و الوثائق الأرشيفية و كتب الرحلات الحجّية خاصة بغرض جلاء الميهم و إيضاح الصّورة.

18- أما مسألة التبعية المفروضة من قبل حكام الجزائر على حكام تونس فتحتاج إلى دراسة مستقبلية معمقة جداً بناءً على الوثائق الأرشيفية إضافة إلى الكتابات التاريخية المحلية لكلا الإيالتين من أجل الخروج بإجابة وافية و مقنعة.

19- بعض الأعمال التي كان يقوم بها الجيش الانكشاري الجزائري من نهبٍ و سلبٍ و التي صوّرتها الكتابات التّونسيّة بأبشع الصّور؛ فعلاً كانت مُخْزِيةً لكنّ المتتبع للأحداث يجد بأنّ الجيش التّونسي الانكشاري هو الآخر كان يستبيح الحاضرة أو مدينة القيروان أو غيرها من المدن عقب كل جولةٍ من الحرب الأهلية التي طحنت تونس و شعبها لسنواتٍ، لذلك فمثل هذه الظواهر التي تميّز بها هذا الجيش سواءً بتونس أو الجزائر أو مناطق أخرى من الأراضي العثمانية هي الأخرى تحتاج إلى دراسة مُعمّقة لأنّ نوعيّة الأشخاص الذين كانوا يُجنّدون من أزمير لتغذية الجيوش العسكرية في الإيالات عرفت ضعفاً و تقهقراً على مستوى المؤسسة العسكرية بالباب العالي مركز الخلافة فما بالك بالأطراف حيث إنتشرت ظاهرة الرشوة و شراء المناصب و ضعف المؤهلين للقيادات العسكرية و مثل هذا الضعف حتماً

سينعكس سلباً على أداء هاته الجيوش عندما تصل إلى الإيالات ، فالدافع للعمل كان الحصول على غنائم إضافية و لم يكن الدفاع عن المدن و الحواضر .

20- زيارات المبعوثين والوكلاء الجزائريين إلى الحاضرة كانت تقريباً على مدار السنة وقصدوا تونس لمختلف الأغراض تجارية كانت أو سياسية أو مهمات أخرى مختلفة و كانوا يحصلون على إحسانات مالية وإقامات تصل إلى الشهر أو أكثر في بعض الأحيان، وهذا ما كان يُشكّل ضغطاً كبيراً على عاتق حُكّام تونس. ورغم أنّ المصادر التونسية لم تتكلم عن فحوى هذه الهدايا، إلا أنّها أشارت إلى الضغط الذي أصبحت تُشكّله على الحزينة التونسية خاصة في أوقات الشدة والأزمات مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي حيث أشار أكثر من مرّة وُرّزاء "حمودة باشا" (1782-1814م) بقطع هذه الهدايا، وفعلاً قام بقطعها و كان ذلك سبباً لإنهاء حالة السلام التي كانت بين الإيالتين والدخول في حرب برية و بحرية.

21- المنهزم في الصراع على السُلطة بتونس كان دائماً يلجأ إلى الجزائر وليس إلى غيرها، إمّا طلباً للنجاة أو بحثاً عن الدعم والمساعدة، فأبناء حسين بن علي قضاوا أكثر من عشرين سنة رفقة أتباعهم مكرمين بالجزائر، كما عاش يونس بن "علي باشا" خمسة عشر عاماً في الجزائر (1752-1768) مُعظّمها في السجن بطلب من أبيه ثم من "علي باي" ابن "حسين بن علي" و تمتع ابنه إسماعيل بالحرية والحياة الكريمة معظم الفترة (ثمانية عشر عاماً) التي قضاها بالجزائر والمنحصرة بين 1762-1780م، كما كانت تونس تستقبل كل هارب من الجزائر مثل المحلة العسكرية التي قتلت قائدها عام 1752م في إحدى مناطق بايلك الشرق الزاري و التي كانت مكلفة بجمع الضرائب فاستحوذت على الأموال و لجأت على تونس. كما فر فرع من قبيلة الحنانشة عام 1754م فرارا هي الاخرى من الالتزامات الضريبية.

22- ظهر في مجال الهجرات السكانية بين الإيالتين نموذج متفرد لعائلتين أثبتت كل منهما نجاحاً منقطع النظير خارج ديارها و هما "آل الرّصاع" الجزائرية التي خدمت المخزن فترة لا تقل عن أربعة قرون ووقرت ما يقرب من تسعة أجيال من العلماء لذلك نجدها تُصنّف ضمن العائلات الكبرى التي كانت تتمتع برصيد وافر من الهيبة داخل مدينة تونس، و حظي علماؤها بنصيب وافرٍ سواءً على صفحات المدونات التاريخية التي اعتمدها في الدراسة أو كتب التراجم التونسية. كما نالت عائلة "آل قدورة" التونسية نفس الحظوة تقريباً و لمدة أقل بمدينة الجزائر.

23- لقد شكّل الطاعون أخطرَ مَرَضٍ عَانَتْ مِنْهُ الجزائر خلال العهد العثماني مثلها مثل غيرها من دول العالم الإسلامي والحوض المتوسط، وازدادت حَدُّهُ وشِدَّتُهُ خلال القرن 18م ومطلع 19م، فقد اسْتَفْتَحَت الجزائر القرن الثامن عشر بالبواب وخرّجت منه بالبواب الكبير، وسبب ذلك إهْيَار دِيمُغْرَانِي كبيرٌ وتدهور معه الوُضْع الصّحّي، وكانت له آثاراً سَلْبِيَةً عميقةً على الجانب الاقتصادي حيث تسبب في تناقص اليد العاملة، وأحدث خلخلةً في التركيبة الاجتماعية حيث أفرغ مُدُنًا وحوَاضِرًا وأريافًا ووَادِي من قاطنِيهَا، وبذلك شلت الزراعات والحرف والتجارة وتناقص عدد البحارة والأوجاق، كما كان له عميق الأثر على الجانب الثقافي والديني حيث أزهق أرواح عدد كبير من العلماء والفقهاء والقضاة والمدرسين وطلبة العلم وهي نُجبةٌ قليلةٌ ويُسْتَعْرَقُ إعدادها وقتاً طويلاً.

24- وأعتبرت المراسلات بين العلماء في ذلك الوقت من أهم وسائل الاتصال بينهم لحفظ العلائق الودية وتبادل المعلومات ومناقشة بعض المسائل العلمية الغامضة، حيث ذكر محمد النيفر أن الشيخ مُحَمَّد بن علي بن سعيد الحجري (ت1785م) له مكاتبات علمية بينه وبين العلامة عمّار الشريف القسنطيني (ت1825م) الذي درّس بجامع الزيتونة ثم عاد إلى بلده قسنطينة، فوّقت بينهما مُباحثات في مسألة الاستدلال على عرضية العقل وأنه ضعيف، وتكررت في ذلك المراسلات بينهما، حيث أَلَفَ العلامة أبو عبد الله مُحَمَّد النيفر رسالةً حَكَمَ فيها بين الشيخين في المسألة.

25- تكلمت المصادر التونسية عن علاقة دينية وثقافية متميزة ربطت شيوخ وعلماء زاوية خنفة سيدي ناجي بْحَكَّام تونس المراديين و الحسينيين، واستطاع بعض هؤلاء الشيوخ امتلاك الأراضي والدور بتونس وحتى مُصَاهرة بعض العائلات، وكانوا يُسْتَقْبَلُونَ استقبال الأمراء عند السفر إليها، كما تدخل بعضهم لحل المشاكل والخلافات التي كانت تُعكّر صفو العلاقات بين بايات قسنطينة وْحَكَّام تونس، كما استفادت هاته الزاوية من عقار اشتراه علي الباي ابن الحسين و أوقفه على زاوية عبد الحفيظ؛ والانطباع الذي نُخْرِجُ به من خلال هذه الوقفية أنّ علي باي قد حفظ العهد واستكثر خير الزاوية وشيخها عبد الحفيظ الذي استضافه وأكرمه وأجازه في أصعب الأوقات وأخلكها سنوات اللجوء إلى الجزائر بعد مقتل والده حسين بن علي ومآل السُلْطَة بتونس إلى ابن عمه علي باشا بن محمد بن علي.

26- كانت تونس و الجزائر بيئة ملائمة جدا لظهور عدّة طرق صوفية انتشر بعضها خاصة على الشريط الحدودي للإيالتين، مما سمح ببناء عدة زوايا مثل الطريقة الشاذلية التي انتقلت من تونس إلى الجزائر و الطريقة التيجانية التي عبرت الحدود إلى تونس مع إبراهيم الرّياحي الذي تلقى الطريقة

التَّجَانِيَّة و نشرها بحاضرة تونس وأقام أُوْرَادَهَا ووظائفَهَا وأَسَسَ لها زاويتَه الشهيرة فُرب حوانيت عاشور بالحاضرة.

27- رغم أن العلاقات السياسية بين الجزائر و تونس كانت في مجملها سيئة خلال القرن 18م و مطلع 19م(13/12هـ) و هذا ما رسَّخته الكتابات التاريخية التونسية المحلية خاصة و حتى الجزائرية، إلا أن الباحث في العلاقات الثقافية بين الايالتين يكتشف حقيقة مخالفة تماما لذلك حيث ساهمت كتب التراجم في رسم صورة مشرقة للتبادل العلمي و التواصل الثقافي من خلال هجرة العلماء الجزائريين الذين كان مُرحبٌ بهم في الاوساط العلمية و الاجتماعية و حتى السياسية بتونس عدلت إلى حدٍ كبير الصورة القائمة التي رسمتها المدونات الإخبارية التي ركزت على العلاقات السياسية فقط و أهملت بقية الجوانب المشرقة في العلاقات البينية للإيالتين.

28- حول نتائج هجرة علماء الجزائر إلى تونس، فكان لها آثارا ايجابية تمثلت في التكامل والتلاقح الثقافي و التحصيل المعرفي نتج عنه ترابط اجتماعي و انصهار شعبي شكَّل حُمة قوية تُرجمت على أرض الواقع على شكل مُصاهرات عائلية و مبادلات تجارية و مراسلات علمية؛ إضافة إلى المهجرات العلمية المتبادلة لعدة قرون و لم يختفي بعضها إلى اليوم. أما حول الانعكاسات السلبية لهذه الهجرة ، فهو إفراغ الجزائر من نُخبَتها و رجالاتها العلمية شكَّل إستنزافا علميا كبيرا و عميقا عانت منه الجزائر و لازالت تعاني و هذا ما يقودنا كباحثين و مسؤولين للبحث عن الأسباب الحقيقية وراء هذه الهجرة خاصة الأبدية منها و التي فضَّل أصحابها ترك الوطن و الأهل و الديار و الإستقرار في بلدان شقيقة. فلماذا كانت الحقبة العثمانية بيئة طاردة للعلماء و لماذا نفس الفترة و نفس نظام الحكم عند الجارة تونس شكَّل بيئة جاذبة لهذه الفئة المهمة و الحساسة و القليلة في نفس الوقت إذا ما قورنت بفئات اجتماعية أخرى؟.

الملاحق

الملحق رقم 01: المتضمن قائمة حكام الجزائر<sup>(1)</sup> وتونس<sup>(2)</sup> بين القرنين 11-12هـ/أواخر 17-19 م

حُكَّام تونس	حُكَّام الجزائر
فترة الفتنة المرادية والصراع بين الإخوة محمد وعلي أبناء مراد الثاني (1675-1699م)	- محمد التركي أو محمد باشا: (1671-1682م/1093-1082هـ)
مراد باي الثالث (بوبالة) (1699-1702م)	- حسين باشا: (1682-1683م/1093-1094هـ)
	- حسين باشا ميزومورتو: (1683-1688م/1094-1099هـ)
	- شعبان باشا: (1688-1695م/1099-1107هـ)
	- أحمد باشا: (1695-1698م/1107-1110هـ)
	- حسين باش شاوش قارة بغلي: (1698-1700م/1110-1112هـ)
إبراهيم الشريف (1702-1705م)	- عطشي أو عشي مصطفى: (1700-1705م/1112-1117هـ)
حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية (1705-1735م)	- حسن خوجة: (1705-1707م/1117-1118هـ)
	- محمد بكداش: (1707-1709م/1118-1122هـ)
	- دالي إبراهيم: (1709-1710م/1122هـ) حكم شهر فقط
	- علي شاوش: (1710-1718م/1122-1130هـ)
	- محمد الخزناجي بن حسن: (1718-1724م/1130-1136هـ)
	- كور عبدي آغا: (1724-1732م/1136-1145هـ)
علي باشا بن محمد بن تركي (1756-1759م)	- إبراهيم الخزناجي (الكبير): (1732-1745م/1145-1158هـ)
	- إبراهيم خوجة الخزناجي (الصغير) أو كوجوك: (1745-1748م/1158-1161هـ)
	- محمد بن بكير: (1748-1754م/1161-1167هـ)
إسترجاع أبناء الحسين الحكم محمد باي الرشيد: (1756-1759م)	- بابا علي بوصبع أونقسيس: (1754-1766م/1167-1179هـ)
	- بابا محمد بن عثمان: (1766-1791م/1179-1205هـ)
	- سيدي حسن أو حسان باشا: (1791-1798م/1205-1212هـ)
علي باي: (1759-1782م)	- بابا مصطفى: (1798-1805م/1212-1219هـ)
	- أحمد باشا: (1805-1808م/1220-1223هـ)
حمودة باشا بن علي باي: (1782-1814م)	- علي باشا (الغسال): (1808-1809م/1223-1224هـ)
	- علي باشا: (1809-1815م/1224-1230هـ)
	- محمد باشا: (1815م/1230هـ)
	- عمر باشا: (1815-1817م/1230-1232هـ)
	- علي باشا: (1817-1818م/1232-1233هـ)

(1) حول دايات الجزائر أنظر:

H- Degrammont : Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 – 1830) , paris 1887

وكذلك : عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس في القرن 18م/12هـ ، ص 296.

(2) قائمة حكام تونس من إعداد الطالبة اعتمادا على المصادر التونسية.

الملحق رقم 02: المتضمن قائمة بايات قسنطينة<sup>(1)</sup> في عهد الدايات القرن(12هـ/18م)

أصوله	اسم ولقب الداى وفترة حكمه
عربي	- رجم (أي رجب) باي: (1666-1674م/1077-1084هـ)
عربي	- خير الدين باي: (1674-1676م/1084-1087هـ)
تركي	- دالي باي: (1676-1679م/1087-1090هـ)
تركي	- باش آغا باي: (1679-1688م/1090-1099هـ)
عربي	- شعبان باي: (1688-1692م/1099-1104هـ)
تركي	- علي خوجة باي: (1692-1700م/1104-1112هـ)
عربي	- أحمد خوجة باي بن فرحات: (1700-1703م/1112-1114هـ)
تركي	- إبراهيم باي العليج: (1703-1707م/1114-1119هـ)
عربي	- حمودة باي: (1707م/1119هـ)
عربي	- علي باي بن حمودة: (1708م/1120هـ)
عربي	- حسين شاوش: (1708م/1121هـ)
عربي	- عبد الرحمن باي بن فرحات: (1709م/1122هـ)
تركي	- حسين دنفزلي باي: (1710م/1122هـ)
عربي	- علي بن صالح باي: (1710-1713م/1122-1125هـ)
تركي	- قليان حسين باي المدعو بوكمية: (1713-1736م/1125-1149هـ)
تركي	- حسين باي المدعو بوحنك: (1736-1754م/1149-1167هـ)
تركي	- حسين باي زرق عينو: (1754-1756م/1167-1170هـ)
تركي	- أحمد باي القلي (جد أحمد باي آخر الدايات): (1756-1771م/1170-1185هـ)
تركي	- صالح باي: (1771-1792م/1185-1206هـ)
تركي	- إبراهيم بوصبع (حكم ثلاثة أيام): (1792م/1206هـ)
تركي	- صالح باي مرّة أخرى لعشرة أيام: (1792م/1207هـ)
تركي	- حسين واد حسين باشا بوحنك باي: (1792-1795م/1207-1209هـ)
تركي	- مصطفى باي الوزناحي: (1795-1798م/1209-1212هـ)
تركي	- حاج مصطفى باي انقليز: (1798-1803م/1212-1218هـ)
كرغلي	- عصمان (عثمان) باي: (1803-1804م/1218-1219هـ)
تركي	- عبد الله باي: (1804-1806م/1219-1221هـ)
تركي	- حسين باي ولد صالح باي: (1806-1807م/1221-1223هـ)
تركي	- علي باي بن يوسف: (1807-1808م/1223هـ)
تركي	- أحمد شاوش القبائلي: (1808م/1223هـ)
تركي	- أحمد باي طبال: (1808-1811م/1223-1226هـ)
تركي	- محمد نعمان باي: (1811-1814م/1226-1229هـ)

(1) محمد صالح العنتري ، تاريخ قسنطينة ، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د.ت) ، ص ص 80-48.





## إعادة كتابة وثيقة 53: (من طرف الطالبة)

مسكن الوزارة ساكن طريق العدالة كبير جليل نجم رتب وزير مشير الملك خالصات لطف و كرم  
جواهره كافة راجحة و عناية درر السلطنة مجراه حضرة سلطان عظم الله شأنه و حياه و صانه باللطف  
عما شأنه من تراب نعلم سعادتك المذنب لما بعد اصوب الصواب عرض حاله كافي من اشتغالنا  
باولاد النصارى اخذوا و انتقام كم من مقدار غوازي ضعيفة بالضرورة المزبورة مجتمعة ليل و نهار في  
رضاء الرحمن شأن غزا و جهاد خدمتنا و دبنا في صيد الكفار على الدوام و الاستمرار و ايضا لا  
يخل حربنا مع الاشقيا المفسدين من العربان قدومهم لطريقنا و اذابتهم الينا و تعطيلهم حال وطننا  
قرب وهران بيد المشركين طايفة كفار الصبنيول من حراسة (غ.م) المملكة و خيانة الرعايا و من شان  
ذلك قتال جوال و حرب و قتال الاكثر نال مقام الشهداء و استعراق المرحمة و انت افندينا رجاؤنا  
منك مظهر دعاء الخير بنصر الدين المبين لاننا باذلين انفسنا في سبيل الله و مع هذا من طريق حاكم  
فاس اسماعيل به شهر بطمعه الخاوي جند جنوده الاشقياء المفسدين عموما ظلما و تعدى و دخل  
لوطننا و قد كان مقدار من سفننا مسافرين بالبحر في شأن الغزو(غ.م) اراد انتهاز فرصة الغنيمة  
بأخذه بلاد تلمسان و حصارها و اذاية الرعية الفقراء فكرّ محاصرتها بخيل و رجال و قد كان بها  
مقدار من العسكر لتحصينها و حفظ شؤون حراستها و المفسد المذكور قد اضر اهلها و اذاية رعاياها  
و بالجملة قوله لنا هذه المملكة مملكته و هي بلاد العرب لابلاد العجم فالعجم مسكنهم الجبال و  
بالجملة مسكنهم بلاد الروم اذهبوا لارض الرومان هذا هو جوابه من هذه الناحية واما من طرف  
ناحية الشرق شئى آخر متفقان عليه حاكم تونس مراد باي عين اثني عشر الف من  
العساكر.....مستعدين بالسلاح الكامل واثنين و ثلاثين مدفع نحاس مع أربعة آلاف فارس و ألف و  
خمسمائة فارس امدهم بما باي طرابلس امداد و عناية ماعدى العربان الاشقيا التي اجتمعت  
صحبتهم و الحالة انهم عبروا باجمعهم و دخلوا لوطننا لياكلوه و ما كان من ناحيتنا الا ستين خباء  
المعدة لحفظ حراسة قسنطينة و قصبتهما و لم تتقدم عداوة بيننا لقدم هذا القايم بجمهور عساكره  
لوطننا و محاصرته للبلاد المذكورة و الحاصل ضيق عليها الحصار و الستين خباء ثلاثماية شخص قد

اطعمهم السيف و البرج الذي قرب القصبة هدم و صار خاليا واخذت مدافعة النحاس جميعا و  
بعث ثلاثماية راس الى تونس ووضعت على اصوارها و ثلاثة ايام مهرجان عظيم ببلد تونس و هذا  
القيام المذكور فعل فعال الفساد في تسعين يوما محاصرته القصبة من الجوانب الاربع و الجزائر الجهادية  
علماء كرام و مشايخ عظام و اكابر غزات المجاهدين و حضور جميع عساكرنا بساير سواحلنا يجب  
على العلماء الكرام و المشايخ العظام تتبع نص القرآن العظيم على اعلان خبر فمن اعتدى فاعتدوا  
عليهم بمثل ما اعتدى (بياض) مائة و خمسين خبا غازيين لعدونا الذي يخلص بوطننا فنزلوا بموضع  
الجامع الصغير و بعثن الرسل للشيطان القيام في شأن الفساد الصادر منه بوطننا و نحن واياكم قبل  
اليوم كاخوات اشقاء الاوجاقات الثلاثة الأخر متكى على صاحبه و قتالنا للكفار مشهور  
معقول(جملة مشطوبة) و ما جوابك و ما قولك بين يدي الله تعالى حين يخاطبك في حق عبادة و  
يعاتبك على الفعال القبيحة و ما جوابك له فلم يعتبر للقول و لا للرسل و زاد في الفساد و صار  
يجعل في (بياض) واحد و في القديم سنة الف و مائة واحد عشر تاسع يوم من ربيع الثاني و قد كان  
ذلك اليوم يوم الاحد قدوم ظالم مثل هذا و هجومه على الوطن قيل له مثل هذه المقولة بعد مضرتة  
للعباد و جناب البارى حضرته و حضرة سلطان الانبيا صلى الله عليه و سلم همه و عناية (تشطيب)  
الطلب سعيته عون عناية الربا في انهزام القيام المذكور و فراره بدل فراره و رجعوا على متن طريقهم و  
بالجملة الذي كان اخ صار اخ و لم يقع منا ضرر اليهم لما اصبناهم و تطفناهم الى ان دخلوا  
لوطنهم و وصلناهم لمحلهم و هكذا ان شاء الله يفعل بالقيام (غ.م) ظلمهم و تعديهم و اننى اعلمت  
سعادتك بفعالهم و فهمتك بامرهم و شاتمهم من اشعار و افهام صاير في امر و فرمان دولة رحمة  
سلطانم سنة ستة و مائتين و الف

خالص الفؤاد حسن ابن خليل في محروسة جزاير غرب حالا

الملحق رقم 04 : المتضمن وثيقة أرشيفية لمراسلة صلح من طرف الباب العالي إلى أوجاق

الجزائر و تونس و طرابلس. عام 1172هـ/1758م<sup>(1)</sup>.

السلطان مصطفى

٧

٧

ايها الامراء الكرام كبر الكبراء الفخامة والفدر والاحترام صاحب العرش والاحتشام المحترم محمد  
عناية الملك الاعلى باي بيلا حزام الغرب حلا على داي اقباله وقدمه الفضة والاحتكام  
معدن العطر والكلاب مولانا قاضي المير زيد بطله وقدمه الامجاد والاعيان باعة الخشائرية  
زيد مجرة التوفيق الريمع من باية الحال الواصل اليه يكني علمه ان دولته العلية  
لها الحرف المسالمة مع اني ضور جانب المناهضة والسلكة السنينة اعلمت عندها  
من جانبها الحال وهذه مواد معفودة طرح الدولة العلية الى ابي وكر بلطس  
وتونس وانصار هؤلاء الاوجاقات بامنية المشارة اليهم سعي و تجار ورعايا لهم تشدوا  
الاوجاقات المرفوعون خصوصا هذا الوجه مناسب لتنتاج البسك والتعصيد والانسف  
من هذه المواد دخول المثرها بسى اربع السعيرة وانخذت الادار العلية لجانب قتل  
او جاف كتاب مخصوص بها والجانسه وجانب المشارة اليه دوفا كبري كبري مطع يتضمنا  
تعيين المصالح والمسالمة يجب سعي مخصوص في جواز انعقادها هو مذكور  
وموعد بناء على ما تقدم سنة الب وماية واحد وستين بمواسمة وارادة الدولة  
العلية حتى امم الغرب وكر بلطس الغرب وتونس هؤلاء الاوجاقات انقعد من مطع مع اني ضور  
الان عقد مصالحة ومواد هذا المعاهدة مشعري ودفع ثلثة فمجم مصور من عسك  
دار العلية ومباشرة بديوان الباب العالي وتفيد لهم واستقر لهم بمسجل كمله  
المجوز في بعض التوسيم قد وقع منه مجال العرض من الاشياء وعن المصالح المزمور  
انجاض وخلاص المعاهدة المعفودة معاملة الاغزاز وساعة بلوغ الخبي صدر امر الشريعة  
امثالا من الخلال الفوانسه من سجنه تاكيد المواد المصالحه وتكراركم عقد الصلح والبقوا  
كواغدم تتضمن اخباركم بحسب تاكيد المعاهدة المعفودة وابتعوا العهده الفدم  
او صورة قائله وبهذه الامز افر الشرايف لبيضان البحر من سنج العاقوب بعث احد  
شواشه المسمى بغيريالي بحسب شاورش زيد فورا وهو الواصل اليك والمباشرة اليك  
اقت ايها الامراء الموصي اليه هكذا اتم المطلوب في اعطاء المكتوب يتضمنا عقد مواد  
ومعاهدة طرف الاوجاق وابتعوا عهدهم بصورة واحدة تبقي تحت يد اوجاق  
عن صورة تسليم ليد الفنهلوا والصورة الثالثة في سلال الحرب الرابي الاعلى خلاصه كتاب  
هذا الاصحاح الجفت صورته للفرات والمراييس من العسالي ورجا الايوان بعد الاعتقاد  
صدر الخبير وسائر الدول معفودهم ومعاودة قطع الدولة العلية ودولة المناهضة لهما  
التابع وتوسيم لم يوجد على حسب هذا التكليف الذي مقتضاها ان انعكاس سبي  
وانتم ودولة المناهضة انعقاد معاهدة تمام ولت العلية ارادة ولكن انا مينو سائر  
الدول مع انه لم يشتم وانتم مصالحي مع سائر الدول بلتم ارض مع ان مصالحي  
السيرة مما هو ظاهره وباطنه واعتمد ارض من غير الحرف يجب اعادة تقويمه لرجال  
الديوان والمخافيشي والمراييس والعسالي بهذه الكيفية اعادة تقويمه لرجال  
مقتضى عهدهم انقدي من توسيم وارادة الدولة العلية اني القاطن بقيد ديوان الباب  
العالى وقلمه عقد المواد محتوي ما بعثوا مصور التمسك مؤتمر التكرار وابتعوا  
عقد مطع محتوم لتفيد صورته بديوان باب العالي بقلمه السجود  
وتجملوا ارساله للدار العلية وتقدمه

(1) المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 3190 ، الملف 1 ، الورقة 7.

فيما بعد مقتضى مفهومه رعاية وشروط السلم و اجزاء مضايقة  
سعيكم ومبادرتكم لتحصيل رضاء بابي العالی و محاببتكم و خاشيكم  
من خلافه و من اينما في مان عالي الشأن صدر الحكم به

فلوصوله اليكم باب وجهه المشرح وطريق شرف صدور هذا  
الفرمان الواجب اتباعه ولا تفرغ امثاله مضمون طابعه مكرونة  
بالعمل وغاية الخاشي والمحانية من خلافه وعلى صاحبه من  
مضمونه جعلت علامتي الشريفة بقاء الاعتماد خريجر  
في او اخر صفر الخير سنة اثني وسبعين ومائة والف

قسطنطيد  
المحرر الحسين

إعادة كتابة الوثيقة 7. (من طرف الطالبة).

السلطان مصطفى

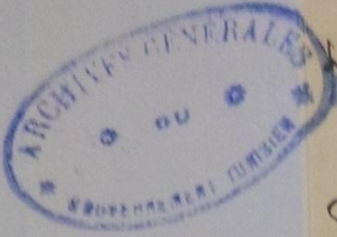
امير الامراء الكرام و كبير الكبراء الفخام ذو القدر و الاحترام صاحب العز و الاحتشام المختص بمزيد عناية الملك الاعلى باي بيلار جزاير الغرب حالا على داي دام اقباله و قدوة القضاة و الحكام معدل الفضل و الكلام مولانا قاضي الجزاير زيد فضله و قدوة الاماجد و الاعيان، اغة الانجشارية زيد مجده التوقيع الرفيع من بابى العالى الواصل اليكم يكن فى علمكم ان دولة العلية لها طريق المسالمة مع انبراطور جانب المنامسه و السلطنة السنية اعطت عهدها من بابها العالى و هذه مواد معقودة طرف الدولة العلية الجزاير و طرابلس و تونس و اخبار هؤلاء الاوجاقات بامنية المشار اليهم سفن و تجار و رعايا(غير مفهومة) الاوجاقات المرقون خصوصا هذا الوجه مناسب لتناج البسط و التمهيد والاليق من هذه المادة دخول مذاكرتها بسرابتى السعيدة واخذت الدار العلية لجانب كل اوجاق كتاب مخصوص يتناول جانبه و جانب المشار اليه دونه كبير طرفهم يتضمن تعيين المصالحة و المسالمة يجب سعي مخصوص في جواز انعقاد ما هو مذكور و موعود بناء على ما تقدم سنة الف و مائة واحدى و ستين[1161هـ/1748م] بمواسطة واردة(غ.و) العلية جزاير الغرب و طرابلس الغرب و تونس هؤلاء الاوجاقات انعقد من طرفهم مع انبراطور الروم عقد مصالحة و مواد هذه المعاهدة مشعره و دفعهم ثلاثة قطع ممنصور (غير.واضحة) داره العلية و مباشرتهم بديوان الباب العالى و تقييدهم بقلمه و استقرارهم بسجل عمله المحفوظة تم بعده التونسلي قد وقع منه محال لغرض من الاغراض و عن المصالحة المزبورة اغماض و خلاف المعاهدة المعقودة معاملة الالغاز و ساعة بلوغ الخبر صدر امر الشريعة امثالا من اطلاق القوانسه من سجنكم تاكيدا لمواد المصالحة و تكراركم عقد الصلح و ابعثوا كواغدكم تتضمن اخباركم بحسب تأكيد المعاهدة المعقودة و ابعثوا العهد القديم او صورة تماثله و بهذا ابرز امر الشريف لقبطان البحر بترسنتى العامرة ببعث احد شواشه المسمى بقنيالى حسن شاوش زيد قردة و هو الواصل اليك و المباشر لك انت امير الامراء الموفى اليد انت المطلوب فى اعطاء المكتوب يتضمن عقد مواد و معاهدة طرف الاوجاق و ابعثوا عهدكم بصورة واحدة تبقى تحت يد اوجاقتكم و

صورة تسلّم ليد القنصلوا و الصورة الثالثة ترسل لطرف الراي لا عصى خلافه عمل قانون الاوجاق و انتم كلكم صلح و صلاح على منوال سيرة ساير الدول و على هذا الاحتمال الحقت صورته للغزات و المرابطين من العساكر و رجال الديوان بعد الاعتذار صدر التحرير و ساير الدول عقودهم و معاهدتهم الدولة العلية و دولة المنامسه لهما التزام و توسطى لم يوجد على حسب هذا التكليف الذي مقتضى اخره انعكاس سيرتي و انتم و دولة المنامسه انعقاد معاهدة كما دولة العلية ارادة و التزاما مبنى ساير الدول مع انه لم يشمل مع ان مصالحتكم لساير الدول نشيئت بالتراضى فاجعلوا هذه المادة مقيسة عليه لاتخاذ امور السيرة مما هو ظاهر و باهر و اعتذاركم من غير طريق يجب افادة تفهيمه لرجال الديوان و المحافظين و المرابطين و العساكر بهذه الكيفية اعادة و تفهيم و على مقتضى عهدنا القديم من توسط و ارادة الدولة العلية الى التاريخ مقيد بديوان الباب العالي و قلمه عقد المادة محتوى فابعثوا مهور التمسك مؤكد التكرار و ابعثوا عهدكم ممضى و محتوم ليتقييد صورته بديوان باب العالي بقلمه المحفوظ و تعجلوا ارساله للدار العلية و مقدمه

فيما بعد مقتضى مفهومة رعاية و شروط السلم و اجراء مضايقة سعيكم و مبادرتكم لتحصيل رضاء بابى العالي و مجابنتكم و تحاشيكم من خلافه و من بابنا فرمان على الشان صدر الحكم به. فبوصوله اليكم باب وجهه المشروح و طريق شرف صدور هذا فرمان الواجب اتباعه و لازم امتثاله مضمون طاعته مقرونة بالعمل و غاية التحاشى و المجانبة من خلافه و على ما فيه و بمضمونه جعلت علامتى الشريفة بقاء الاعتماد تحرير فى اواخر صفر الخير سنة اثني و سبعين و مائة و الف

قسطنطينه المحروسة

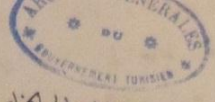




٤٦

البرقية تلبية تعريب مكتوب من حسين باشة الخجاسي  
مرفوع كتابه في أثنائه سنة ١٢٤٣

يعلمه بقرته عليك كلنا عمالة الخجاسي للبرقية العمومية من تاريخ سواهل  
أمره بنيه والاعضاء التي به بلائها محتاجة كد رسال محملكم  
وان البرقية العمومية حلاط ربح تعيب ومطرب به كقوة الامور العمومية  
بلائها صرا كقوة الاعلى بلائها خفة في قبول من غير تعيب ان يكون في  
العمل من الامور بلائها كقوة ربح ايلي كاجل الخجاسي وان البقية  
من العمل من تاريخ ارسلكم مع جهلرا التي جلوب روم  
منسلة من تاريخ ارفعها ومنع من ربح الاموال الصلبة خوط من قبل  
البقية من العمل التي التي ربح ايضا ومنذ ان كعبية نيتك عنها  
خلط في نخلج ارفعها على ان الخجاسي الخجاسي سوا بلائها وجد انقلا  
ملا ربح التي جهلرا ترنس اوكهم ايلس يليني ارفعها عليه ويوجه التي  
الخجاسي على يرو كلاب وان ارسلكم جهلرات بلائها بية ليكونه - اجمل  
الانقلا التي به في العمل كانه من ربح ايلس ربح روم جهلرا  
من غير ان تعريه مع - ربح ترنس الخجاسي بين انقلا اجبارا - بية  
وغيره من ربح من البرقية العمومية محتاجة به سوا حسين بلائها ونقطة امر  
خلاص من انقلا كالمعنى ونقلا الخجاسي به منع من ربح كقوة ايلس ربح وانقلا  
الرفع عليها عن ربح روم وروم التي عمالة ترنس ربح ربح الامور وكقوة  
الخجاسي ربح روم التي الخجاسي وان بلغه ايلس ربح انقلا الامور  
انقلا انقلا وان ارسلكم مع الخجاسي الخجاسي الخجاسي  
ويجه ايلس التي سوا حسين بلائها ربح اجواب عنها في ارفعها وقت  
ليع خفة كقوة انقلا كالمعنى ربح ربح الخجاسي انقلا انقلا  
الرفع به في الانقلا والجمعة الخجاسي ربح ربح الخجاسي ربح ربح  
وامها انقلا والجمعة التي من ربح ربح الخجاسي الخجاسي الخجاسي  
من خفة الخجاسي ربح ربح ترنس تسليم كقوة الخجاسي الخجاسي  
ان كقوة ربح ربح ربح انقلا الامور الخجاسي الخجاسي الخجاسي  
ان الخجاسي الخجاسي



جواب من حضرة حسين بكنا والى الجزائر الـ ٢١ تونس مؤرخ في ٢٤ جمادى ١٢٤٣ هـ  
 والى حضرة السيد

\* حصة ذوا السعادة والمرؤه واكثر علم الذوق الفيزي الاكرم الباشا الجليل الشان \*  
 من حيث ان وجق عماله الجزائر. هو للدولة العلية الابدية الدوله. ومن الثغور المرصوده. لانها زهرة العلم  
 الافريقيه. وبالخاص الاعداء لها هو موجوده في كل طرف. ومن قديم مخا جنة الى ارسال عماله تركيه. ومن ذلك  
 كونه جات الرخصه. بهذا الشان. ومن المعلوم ان الدوله العلية دائما مثل لها الاتاب والمشايق الراسيه  
 مع المصاريف الباهظ بخصوص هذه الماده العسكريه. ولها قد صدرت الاداره الشاهانيه بالرخصه في قبول ميراثه  
 من طريفه في المكزيه من اهالي بلاد الانا طول والروم ايلي. وجمعهم وضمهم الى الوجيق الخافاني بقصه  
 ايجاد في اعداء الدين. على مقتضى طريق الدين النبوي وامثالا الى نوا القدره سينا وليكنتم. وحيث ان  
 عكنا المصوره كالمنوال المحرر. وان منهم من روم. وهربوا فرارا الى طرفكم. وبنهاكم الشريفه ايضا اسلمتم اكثرهم  
 جهارا الى جانب روم. فنشأ من ذلك الموقلة الفراريه المنقده توفيق اخا الطريفي. وفتح اعطاه الرخصه  
 اللايقه الى مرور المجال سايره. من ميل عين البعض منهم الى الهروب. وهذه من الكيفيات الموجهه لطو الخافا  
 على نظام الوجيق المصوره. وبما ان صورته النظام المقر في زمان سلفنا القديم على اصول حسن الانظام  
 على كونه كلاً وجد اساسا باء طريفه. كما امر هاربا اوقارا الى جهان شهيد هو تونس ولطربس فيتم  
 قاعدة الوجيق وعلى وجوب النظامان المرحه. يلحق القبض عليهم ويؤتمن امر اي كلاً وجهه اخيه  
 الى طرفنا بمعرفه وكلايتنا. ولاعادة الالفة وزيادة استفار الموده ومرعاثها. اسلنا الى طرف  
 الكنيه الكثيرك المرثومه بالعبارة العربيه. فاعيروها دائما الدلتان. ولا تخولوا لسع العدم الالعه  
 بعكس المعامله. وان مورلفارين السالف ذكرهم الى جانب رومه جهارا بهرا من غير تقص لهم من جنابكم  
 اظهرين الناس اشاعات ذميه غير ملايمه للطبع اجيل الموقن بالصفات الهايوتي اللوكانيه. ومن  
 العلية الشاهانيه وزيادة رافه صاحب الناج الربيع قد تخر. خط الهايوتي الشريف الموقن بالمهايه اللوكانيه  
 مخالفا لتلك ذاتكم العلية وموكد الضموت. ومع فرما صاحب الناج سنه امر خاص من طرف حضرتك الساد  
 الصده اعظم وناظر البحريه وقد شرفنا بوصول الفرمان المذكور لغزير طرفنا. وموجب الامر الخامس شرقنا  
 بالاطلاع الامال الاوامر الخاصه المذكوره. وعلى مقتضى لزوم وصايا ولي نعمتنا صدارساله الى طرفكم. وبمنه قد  
 عند وصوله فبعد الفرحه والتفيم. رسلوا لنا الجواب. ومخاريكم المبعوثه سنرض تفديها لطيفه رضتنا الى مولانا  
 اقدم نوا الاستاذيه صاحب الكواكه اي (الصده اعظم) ولان التفتيه والشاكيان الحموي  
 من الاوامر الخاصه المقدمه المذكوره هي من محال علم عامه وفي الامر. فبنا عليه قد هرتنا هذه  
 لبيان وجوب سرعه ارسال الجواب في اقرب وقت. وقد سترنا الى صوب سعادتكم الحاج العربي اغا  
 مع اكابر الشاع دايرته الفاخره. وذلك لدى وصول قريين العلم العلي المقدم (العين) وعلى مقتضى وجوب  
 منطبق الفرمان العلي الموثوق. واتباعا لمفهوم. المذومر بالمعنايه. حصة وليكنتم. ومن اصول  
 بسد

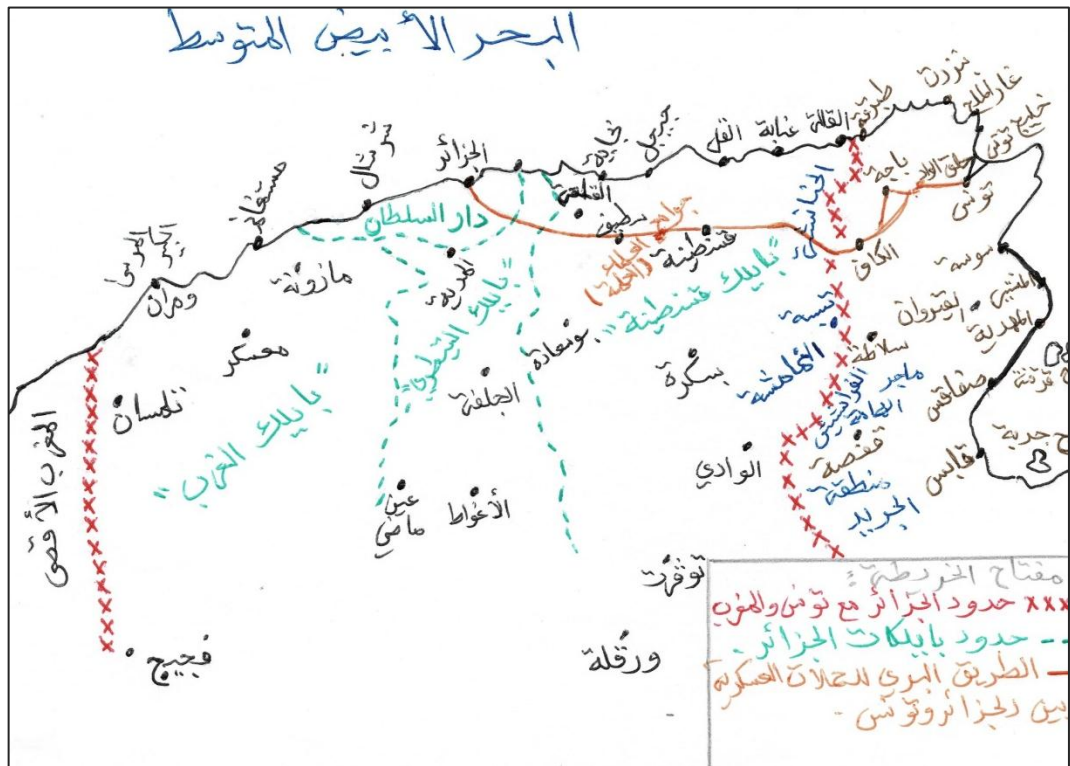
مع مرور شهره اوله القاين  
 اليوم. وتوجب تعلق  
 رده الشاهانيه يلحق  
 بض عليهم عند وصولهم  
 طرفكم ويسلموا الى  
 لايتا لاعادتهم للوجيق  
 نص.

حق الالفه والمودة المربوطه بيننا من قديم . اجرا الفيرة والهمه الكئى من ساهما  
القديمه من طروا اخلل عليها . وفقا لصيانة البلاد واكبرا عظيما فى حق حقوق العباد وسيا  
دين الامم فعلينا ان نبذل الهمم على الجهد ونظهر انما لنا ال ا اجابة دعا ظل الله . والمروة المرغوبة انكم تسلم  
الارجلنا تحريككم للدارمه عند عودتهم . ومن هذا القبيل شملونا بالتوجهات الهية والدعوات الخيرية  
عليه من آماننا الخالصه معكم معكم  
حسين بن حسين



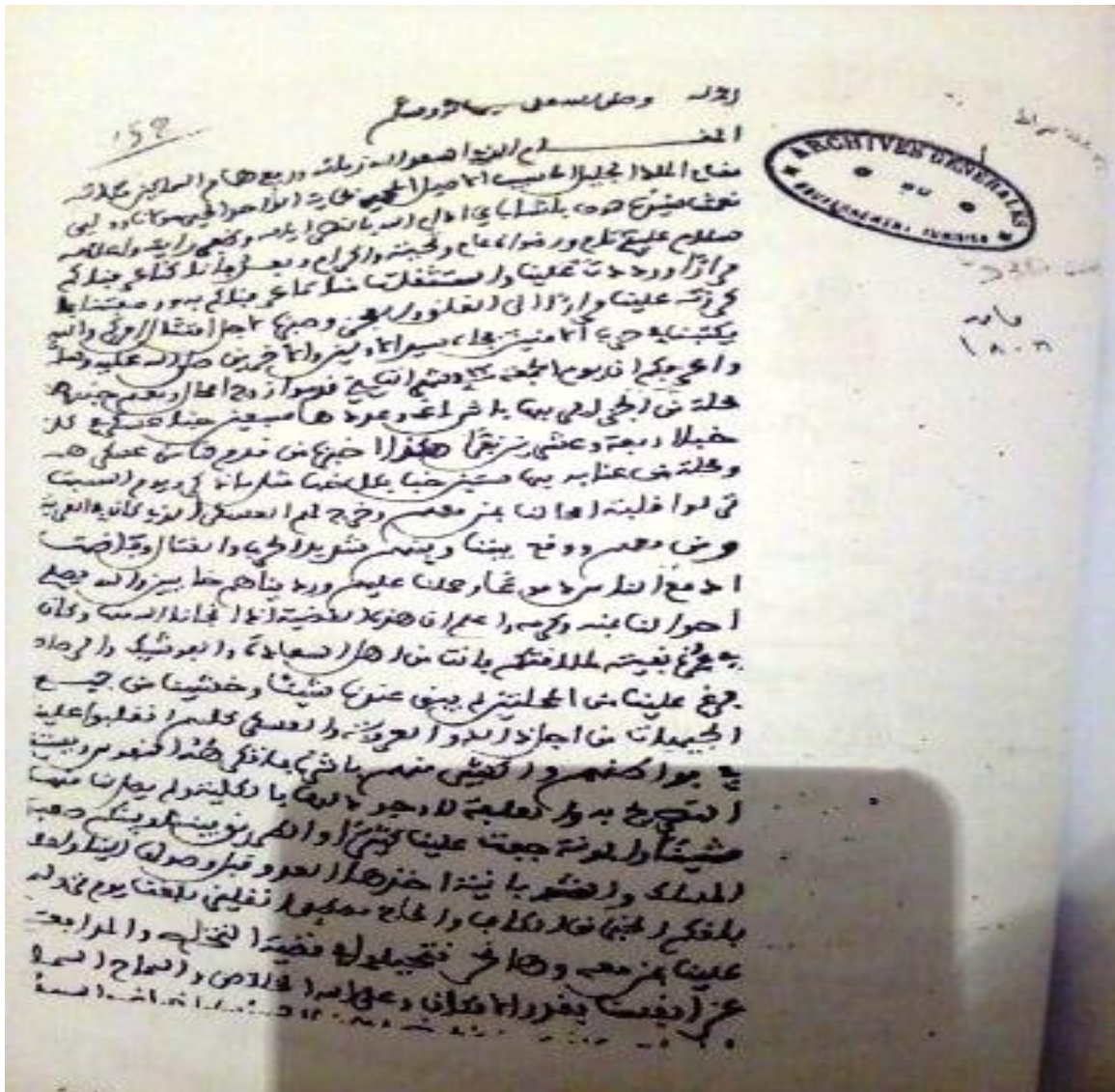
الملحق رقم 06 : المتضمن خريطة توضح أهم المناطق والقبائل الحدودية بين الجزائر وتونس

خلال القرن 18 ومطلع 19 م (1)



(1) خريطة من رسم الطالبة اعتمادا على ، عمار بن خروف ، العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس خلال القرن 18 م / 12هـ ، ص 300.

الملحق رقم 07 : المتضمن وثيقة أرشيفية حول حصار قسنطينة عام 1807م<sup>(1)</sup>.



(1) .وثائق السلسلة التاريخية ، رقم الصندوق 223 ، رقم الملف 384 ، رقم الوثيقة 158. (هذه الوثيقة زودتني بها الأستاذة نادية بن فيس

مشكورة) .

## إعادة كتابة الوثيقة 158:

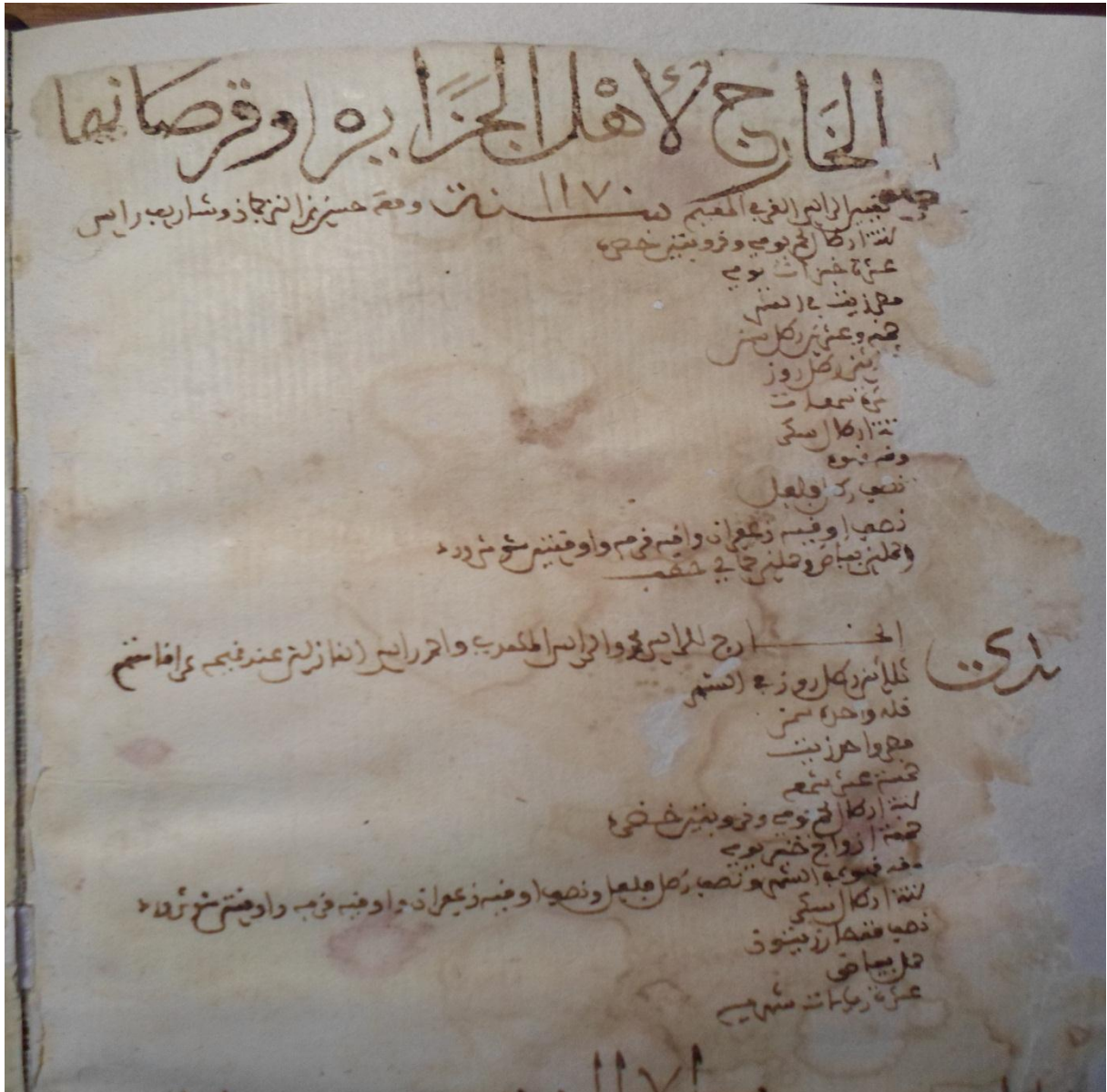
الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

المقام الذي اسعد الله زمانه رفع همهم (غ.و) مقام الملك الجليل الحسيب الاصيل المحمي بحماية الواحد الحي مولانا وولي نعمتنا سيدي حمودة باشا باي أدام الله بالنصر ايامه وظفر راية اعلامه سلام عليكم تام ورضوان عام وتحية واكرام وبعد فاننا كنا عرفناكم مرارا ورددت علينا واستثقلت منا ما عرفناكم به ووصفتنا بما كررته علينا مرارا من القلق والعجز ، وصيرنا لاجل امثال امركم والله يكتبنا في حزب الامنين بجاه سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم واعرفكم ان يوم الجمعة في 22 شهر الثاني قدموا زوج امحال ومعهم جندهم: محلة الجزائر بها باش اغ وعددها سبعين خبأ عسكر في كل خبأ اربعة وعشرين نفرا وهكذا خبرنا من قدم لنا من عسكرهم ومحلة من عنابة بها ستين خبأ بكل خبأ مثل ما ذكر، ويوم السبت نزلوا قلعة(قلعة) أمحالنا بمن معهم وخرج لهم العسكر الذي كان في القرية ومن معهم ووقع بيننا وبينهم شديد الحرب والقتال وفاضت أدمع الناس دموعا وحملنا عليهم ورديناهم خائبين والله يصلح أحوالنا بمنه وكرمه .

واعلم أن هذه القضية اذا نجحنا الله منها وإن كان في عمري بقية لملاقاتكم فإننا من أهل السعادة والفوشيك والرصاص فرغ علينا من المحلتين لم يبق عندنا شيئا وخشينا من جميع الجبهات من أجل ذلك والعروبة والعسكر كلم انقلبوا علينا في مواطنهم والكثير منهم باشرنا بما تكرهه النفوس ويستحي التصريح به

والعلفة لا وجود لها بالكلية ولم يصل لنا منها شيئا والمؤنة جفت علينا كثيرا والطريق بيننا وبينكم صعب المسالك والشدبانية اخدها العدو قبل وصولها اليها ولعله بلغكم الخبر من الكاف والحاج مصطفى انقليز بلغنا يوم نزولهم علينا بمن معه وها نحن نتحيلوا في قضية التخلص والمدافعة عن أنفسنا بقدر الامكان وعلى الله الخلاص والسماح والسماح

الملحق رقم 08 : المتضمن وثيقة أرشيفية توضح الخارج لأهل الجزائر وقرصانها سنة 1170-  
1178هـ/1756-1764م<sup>(1)</sup>. "نموذج لإحسانات مقدمة من طرف حكام تونس إلى شخصيات  
جزائرية".



(1) الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر الجبائي رقم 1046 ، الخارج لأهل الجزائر وقرصانها، صص 11-14.



٧٧ أنت

ببراس

٧٨ أنت

الواج على المتيقن  
خرج المخرج من المتعفن عن سبعه الى الجوار مثل ماء في عمار الوحيين

عابرة وانشور  
اشعير ودهن برغل  
مقرو ولسون  
انفوس عتيق ودهن  
فشا واهرخل  
نصع ففشار زيون  
لنة ففشار  
زعيه جاجه شيب  
عويليه واهل بياع

عشكر خاير

خزمت... و...  
سهر جاد المول...  
اربعين ففشار...  
لثانية...  
اربعين...  
خمس...  
ذلاته...  
فشا واهر روز  
فحيز ونش...  
العاج...  
راس...  
(14)

٧٧  
فجاء

# عشائر

فزمتت وكب بقاء، م. نغزج ووديم فبجان: جالسة البر متوجيعة  
 شهر جاد المول <sup>١٢٨</sup> الفقة وفتح سم خشمه خلو وساطعوا ابواة  
 اربعين فغشا رتياك بربا، عشرة ففناك بعبايع  
 ثمانية عشرا رتيف منب اربا، مطر  
 اربعين فللا سمن منب فله زيرتت  
 خمسة اوشا رنط بالمع المبر  
 ثلاثة ففناك زيتون بالعتقا الم بوديم  
 فنصاروا حرور  
 فعبن ونسبا لم برغل بالتصعب لدمر فراه وبع  
 العاير خشم  
 راجين  
 (١٤) ملبنيكبا  
 اربعه حول خشم  
 اربعه حول رمان  
 عشرة حول جلية شيب  
 خمسة حول اباوق

زيبي ————— اءه، ثالثه لم دعبان ربه على الرن  
 عشير فنصار بشار  
 عشير زيب  
 فله واصر، منب  
 فنشار زيتون  
 مشوخل  
 نسبا فعبن برغل



## إعادة كتابة وثيقة تحبب حول الخنقة

نص وفقية علي باي علي زاوية سيدي عبد الحفيظ بن الطيب الكائنة بخنقة أولاد سيدي ناجي (15)

[57] بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

ومن أحباس المولى أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين السيد الأشهر والكوكب المنير الأنور مولانا الباشا أبي الحسن علي باي ابن المولى الأمير المرحوم حسين باي تغمده الله بالرحمة والرضوان على زاوية الشيخ الولي الصالح سيدي عبد الحفيظ بن الطيب الكائنة بخنقة أولاد سيدي ناجي نفعنا الله به آمين.

الحمد لله، هذه نسخة رسم حبس نقلت هنا للحفظ ومخافة ضياع أصله، عن إذن المحبس الآتي ذكره بواسطة أحد كتبه، نصه بعد البسملة والحمدلة والصلاة : وبعد فقد كان استقر على ملك مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، المحسن لعباده والله يحب المحسنين، خليفة الله في أرضه القائم فيها بسنته وفرضه، المعظم الأرفع الصدر الهمام الأمنع، السيد الأسمى الملاذ الأحمى، عدّة الموالى العظام، وعمدة الأكابر الكرام، الأمير الأشهر والعلم الأظهر والكوكب الأنور، صاحب الخيرات وفاعلها، ومعطي الصدقات وباذلها، المتوكل على فضل مولاه الكريم الحي، مولانا أبي الحسن الباشا علي باي، أيده الله تعالى ونصره وإلى فعل كل خير وفقه وبصره، ابن الأمير الأشهر الشهير والسلطان الكبير، المرحوم المنعم الصائر لرحمة الله الكريم الأكرم أبي عبد الله حسين باي، برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه، جميع الأرض البيضاء السقوية المعدة للحراثة الكائنة بولجة الشيخ الولي الصالح سيدي عبد الله بن موسى نفعنا الله تعالى ببركاته، بخنقة أولاد سيدي ناجي محاذية للبلد تسقى بالساقية مأمونة الري جبالا، الحبل الأول منها يسمى حبل أولاد سيدي علي الفوقاني، يحده قبلة ملك لأولاد سيدي عبد الله بن سيدي أحمد وشرقا ساقية البلد وجوفا ملك أولاد سي بزة وغربا ساقية الحمام، والحبل الثاني صغير رقيق يحده قبلة أرض الفقيه الإمام أبي القاسم ابن الطيب الصايغي وشرقا ساقية البلد وجوفا سيدي السعيد بن محمد وغربا أولاد سي بزه، وحبال الحجر شهرتهما أغنت عن تحديدهما، بحقوق ذلك وعمامة منافعه الاستقرار التام، وكان استقرار ذلك على

ملكه أيده الله تعالى في ملكه بالشراء الصحيح والثمن المندفع الذي قدره مائتان اثنتان ريالاً وخمسون ريالاً من الفضة كبيرة من ضرب الكفرة، وذلك من المكرم الأجل محمد بن عبد الرحمان اليملولي النابتي من أولاد نابت بن عبيد ومن المكرم الأجل بلقاسم بن الطاهر [58] من أولاد سيدي عبد الله بن موسى، بحدودها ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها ومجاري مائها، محررة من جميع ما يلزم البلد المحاذية لها، حسبما ذلك في غير هذا بشهادة المكرمين الفقهاء الأجلين أبي العباس أحمد بن عمر الناجي، وأبي القاسم بن أبي الطيب الصايغي وأبي عبد الله حسين ابن الشيخ المرحوم أحمد بن الناصر وأبي عبد الله محمد بن أحمد زروق الخنقيين، مؤرخاً بموفي عشرين من شوال المنصرم عن شهر التاريخ (3/1187 جانفي 1774)، مضمناً به أن الذي ناب في شراء ما ذكر ممن ذكر بما ذكر لسيدنا أبي الحسن علي باي المذكور بماله وإذنه وكيله المكرم الأجل الشيخ الأفضل العابد أبو عبد الله محمد بن ناجي بن الطيب الناجي الخنقي ثابتة شهادتهم وخطوطهم لدى من يجب قاضياً بباردو المعمور بوثيقة استرعاء مرقومة بمحول رسم الشراء المذكور، بشهادة المكرمين الفقيهين أحمد بن زروق بن بركات الخنقي وأحمد بن بلقاسم بن عبد الحفيظ من القبيل مستوفاة الموجب الشرعي رفعا وطبعا وعملا وتتميماً كما يجب وينبغي، وقف على ذلك شهيداه وبعد أن كان ذلك كذلك أشهد الآن مولانا الأمير الأشهر والعلم الأظهر والكوكب الأنور الأصعد الأجد أبو الحسن الباشا علي باي، المقرر على ملكه المالك المذكور تقبل الله سعيه المشكور وضاعف له الأجور وسدد رأيه ونفذ في البرايا أمره ونهيه، وهو الواضع طابعه المبارك السعيد هنا أدام الله له المسرة والهناء، وأعطاه ما يتمنى وبلغه من الدارين غاية المنى، أنه حبس ووقف جميع العقار المحدود المذكور أعلاه بحقوقه وعامة منافعه وما عدّ منه ونسب في القديم والحديث إليه، وسواقيه ومساقيه، على زاوية الشيخ الولي الصالح القطب الرباني والعارف الصمداني، شيخ الطريقة والحقيقة، سيدي عبد الحفيظ بن الطيب التي بها ضريحه، الكائنة بالمكان المذكور أعلاه، نفعنا الله تعالى ببركاته وأعاد علينا من سحائب خيراته، يصرف ما يتحصل من ريع العقار المذكور على الزاوية المذكورة ومسجدها من رمّ وبناء ومرتب إمام ومؤذن وطعام من يكون قاطناً به من الغرباء المتجولين، وغير ذلك مما يستحقه المسجد المذكور من جميع مصالحه وسائر الضروريات اللازمة له، حبس ما ذكر على من ذكر كيف ذكر ووقفه على نحو ما سطر، حبساً مؤبداً

ووفقا حراما سرمدا لا يبدل عن [59] طريقه ولا يغير عن سبيله، ولا يباع ولا يوهب ولا يورث، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، « فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم »، مكتفيا في انعقاد حبسه المذكور بقوله « حبست ووقفت ويد الملك رفعت »، من غير افتقار إلى حوز ولا إلى حكم حاكم، آخذا في ذلك بقول الإمام الهمام القاضي أبي يوسف يعقوب صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، رضي الله تعالى عنهما وعن بقية الأئمة الأعيان، القائل يكفي في انعقاد الحبس ذلك، ترغيبا للناس في الأحباس، وجعل النظر في ذلك لنفسه مدة حياته، أدام الله تعالى له المسرة والعافية في جميع أوقاته، ثم لمن يكون شيخا بالزاوية المذكورة وناظرا عليها، الجعل التام، شهد على إشهاده بذلك في الحالة الجائزة وهو حفظه الله تعالى ورعاه ومن كل سوء وقاه وحماه على أكمل حالات المشهود عليهم شرعا، بتاريخ أواخر ذي القعدة الحرام سنة سبع وثمانين ومائة وألف، من هجرته صلى الله عليه وسلم (10 فيفري 1774)، والمعرفة به أعزّه الله تامة، متمم ذلك بشهادة الفقيه العدل أبي عبد الله محمد العش ومعه غيره من عدول تونس، ويطن رسم التحبيس المذكور طابع السيد الأمير المحبس المذكور مرسوم على لفظة هنا، أدام الله له العز والهناء، [فهذه نسخة ذلك على ما هو عليه(16) فمن قابلها بأصلها ألفاهما نصا سواء وشهد بذلك هنا بتاريخ أواسط شهر ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة (26/1187 فيفري 1774)].

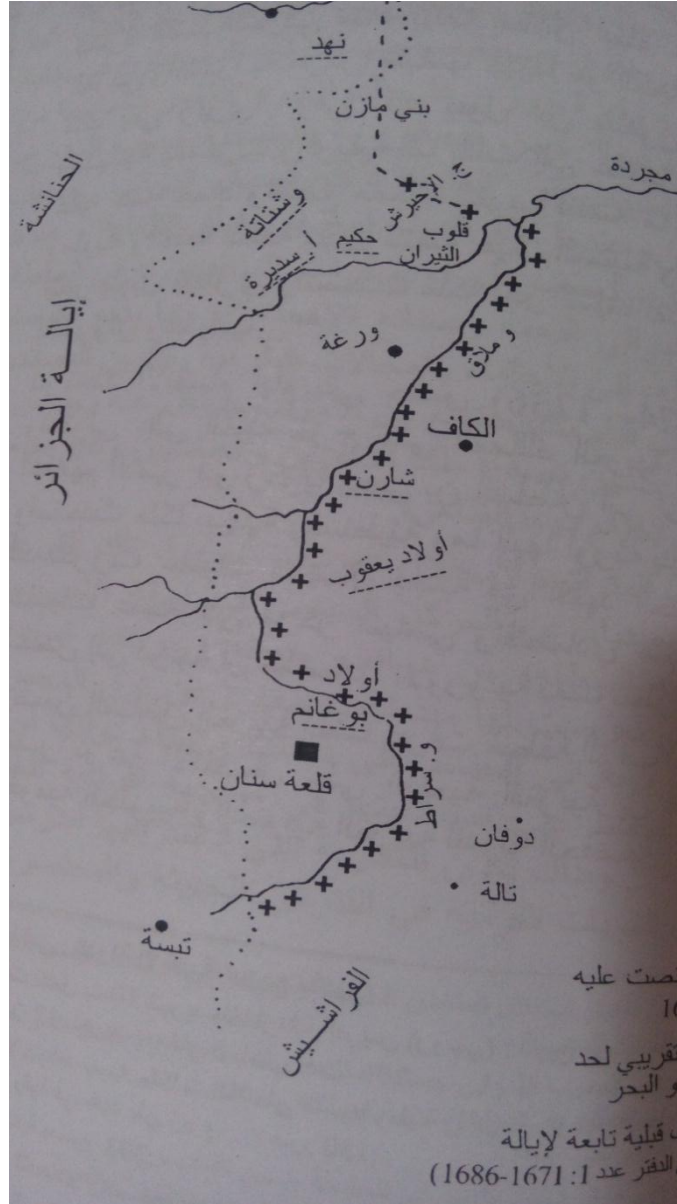
الملحق رقم 10 : المتضمن خريطة توضح خنقة سيدي ناجي (1)



(1) أحمد السعداوي ، التواصل بين إيالتي تونس و الجزائر: وقف علي باي الحسيني على زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي

ناي(1774)، السبيل، مجلة التاريخ و الآثار و العمارة المغاربية، ع1، 1016، ص1.

الملحق رقم 11 : المتضمن خريطة توضح الحدود الشمالية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني<sup>(1)</sup>



<sup>(1)</sup> فاطمة بن سليمان ، الأرض والهوية ، ص132.







الملحق 13: الصفحة الأولى والأخيرة من المخطوط الباشي ، رقم الحفظ 900/15، الأرشيف

الوطني التونسي.



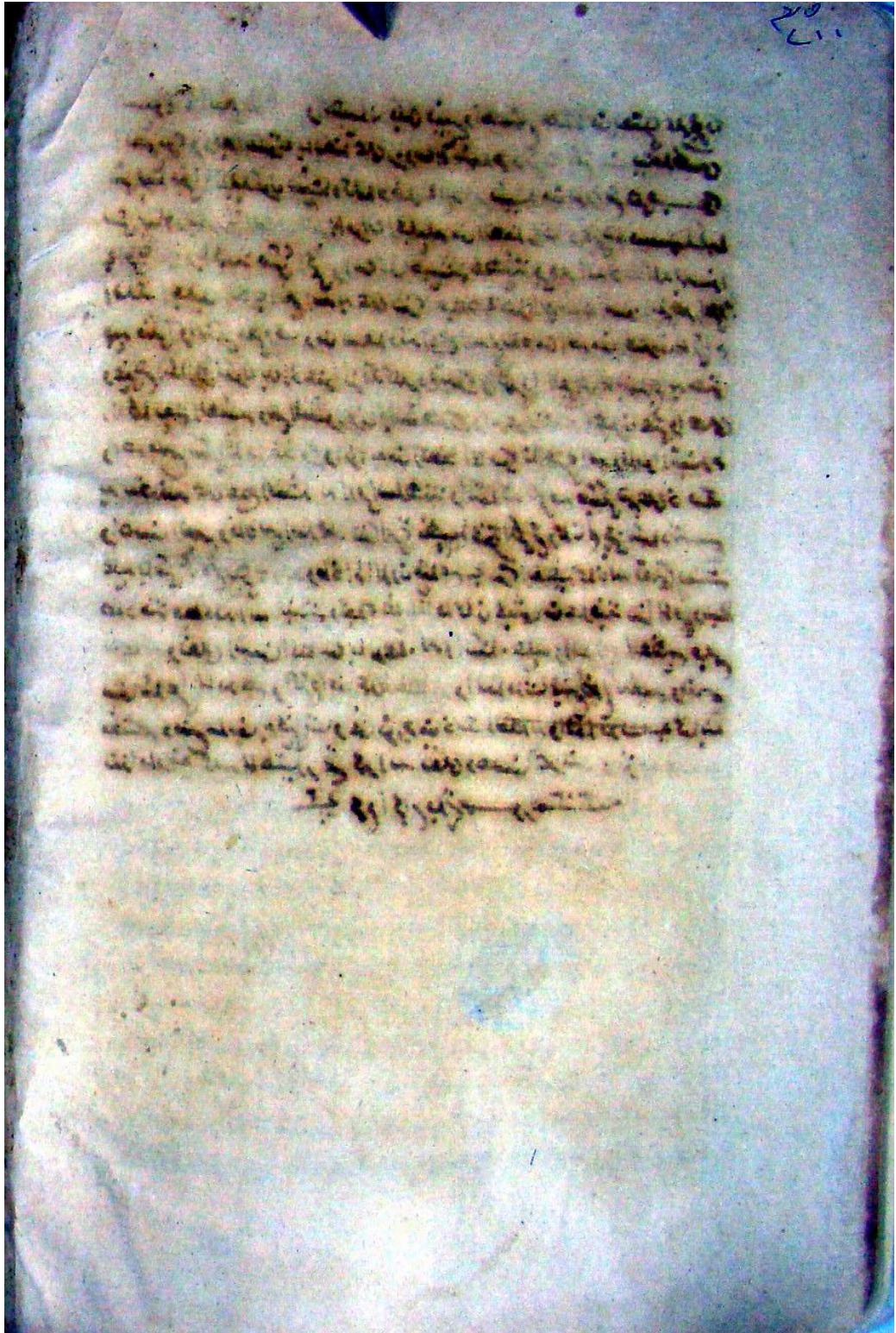
بسم الله الرحمن الرحيم  
 صلى الله على خير خلقه المرسلين

الجزئية من مريد من فاعل بفتح جيمه ومجرده احسنه انبوي بفتح جيمه  
 ومسرمان الدار كعبه نظير انعال عن الخلال وواعه الدار كعبه  
 عي تذان الدار ونداءها والقم بصلها الى كثرها على الاعراء وانفادها  
**محرر سحانه** ان لم يعلمنا من سحره حنا منه ولم يعلمنا من كماله فخرنا  
 وعادته ونشيت جيل وعين على ان فلما اعتادنا حاكما فادوم نماننا نفسنا  
 ملكا على **النصير** والنصير على سحر وهو كذا **محرر** اني بعته ليتم كلامه بالظلال  
 بلاني من ارباب الصياحه ورفاقها الحمان بنوايسه الا علاف وحمل القنا من على  
 المحبة البيضاء ووالهم الى الحقيقه **الصحاح** **صلى الله عليه وآله** وجميعه الى  
 الى علمه اني من حاكمه انعام على ارباب حزره انما سلم وعين من انبوي التي تم  
 في يوم الين يوم انندوم **و** وان الله تعال جلت جنته وعان كونه حقا  
 بالفتح في عبادك كالبطلها الما انصرت في العلم والعلوم انصرت لانقر لها  
 فرقة المان اربابها حقا واران الهم ومن حكمة النكاه والغرب انعام ان قام بتد  
 زمان من بغير اوجه وبسدر عصى رجلي عاقله وجلي باقله ونسبي الخلق فرف  
 رقادهم وبقيدك عليه وبعراضهم وبعادهم من علم انهم الما في في كل زمان  
 وراياهم عليهم سجال بعرضه واخصانه وانصحت من قديم لصغيرهم وسوي جبي  
 انفا من رخصهم وشيهم واوا صردن نصلا منقحت من القسرت اوصلا  
 وصيا من كل كعب وروقت مواضع انصحت او علم ومع للذين منار وقع  
 من المحرمين انما را ودعي ان الله صرا كسنتهم واستنقذ خلائف من اسم الحيم  
 فحار فكلها على كاهل الهم مغر داوحي اظمي كاصلاح التسليل وروحي  
 على انفا افاضل وعين تيفت لفت الين رفاها واعاد لاهن انوار عبادته

في عهد الليل غمرا واهمالا وانما حثت مسلم اح عينه عن الحاضر وادراجا لل  
 الى غير جولا من نرا في به انشا وتبين به انعليه بكل اوان وجه اعلم  
 اني اذ في روح الهم واد ان روح ترفيت سحانه من تلك مكنه في كماره مس  
 من ينس خاوم لكل فان في سيرها على صحتها اللبوم وبسببها فان سلام ينسها  
 في ليد الختم عندها اوبعد بها زما دانفلا وعقودا او كلات ينسها انتشار  
 انشورح على صفة السله والارضا اخلت بصفتي ليد او صفة بقلها من  
 دولتي الى ديوان **فختت** من ختت من اولي مع في الوان ترك اجله انسا من  
 وان ملانرا في عين الفلك بالخللهم المحمد وانها جاتوا حال في الما من مانشوا  
 في الحيرة وهم بغير الحرات جمال الكتيب والهم وقد بعثت جيل وعلا في حتره  
 العيون من الما من اجل العطف الما على ربه **المحرم** **الصحاح** **صلى الله عليه وآله** في اليوم  
 الارضي المحرم المضمي **الرحوم** **صلى الله عليه وآله** في يوم الين الين في يوم  
 وانفلا من ينو بغيرها اذ لم يعرفه وقتنا عا اعرابه عرفنا من ضم كلفنا  
 نورا لاني حيرا وكلامه معلما وغدا بله مقلما ونيا له نغورا انهم وادام اجدادنا  
 ومواسم ومسانه فننا بعته وما حاج به بعرضنا فيها اعرابه وانهم من في  
 بخلرب صلاتنا وانهم من في تعوارب سادتنا واعاد تصاد فطالنا الى  
 انخلاق وابلادنا انقولان به وانشعار بالادوم اننا انصت وانضمام وارضنا  
 عليها فبنة وسلام ننا من فلهما عتد انصاح قبا اذ صاروا فطنت اليه  
 جباد هذا مقدرنا انخلاق الهوا في وعنا به وظهر على جملة الهم عين غا فيه  
 قضى ايامه على كلالته رايها وهم ينسها وعز في بقلها وعقل نيا ليه ارض  
 فانس معلية جويتنا وجلال نعم نضرها نواقل لها عات الى كعبه ليرب  
 انام الله به صلوا الما وايضاح الما وانام به على عبادك النعم انصت عمن  
 المحرم ريب ريبه ومن الجود نبار وعلا به وانصت به الما والانصت  
 وانصت به الما والانصت بالانصت على نذ بيله بعين فنت فخاله على محبة  
 وطاعته متبقة فخاله وخواه اده بعين فخاله فخاله فخاله فخاله فخاله  
 وان اكي من اذ لونه واد لا عني به الاضعون اخلها انما افقرن خلائقها ان  
 انصت من خلائقها ان انصت من خلائقها ان انصت من خلائقها ان انصت من خلائقها  
 في ان واق الاضلع في رطلها وانصت في رطلها وانصت في رطلها وانصت في رطلها  
 فوالله انن الما عبادنا الما الما الما الما الما الما الما الما الما الما الما الما الما

الصفحة الأولى والأخيرة من المخطوط الباشي ، رقم الحفظ 900/15، الأرشيف الوطني

التونسي



# البيولوجيا الجزيئية

## 1-1 الوثائق الأرشيفية

### أ/ وثائق الأرشيف التونسي

- السلسلة التاريخية، الحافظة 223، الملف 384، الوثيقة رقم 168.
- السلسلة التاريخية، الحافظة 223، الملف 384، رقم الوثيقة 158 .
- الدفتر الجبائي : مداخيل الدولة و مصاريفها، 1170-1178هـ، رقم1046، الورقة11-14.
- الدفتر الإداري و الجبائي :رقم2144، ، 1170-1192هـ.

### ب/ وثائق أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية

- المجموعة 3190، الملف الأول، ورقة 7.
- المجموعة 3190، الملف الأول، الورقة53.

## 2-1 الوثائق المنشورة

### أ/ باللغة العربية :

- الفخاخ المنصف، موجز الدفاتر الإدارية والجبائية بالأرشيف الوطني التونسي، منشورات الأرشيف الوطني التونسي، تونس، 1990م.

### ب/ باللغة الأجنبية :

- Devoulx ,(A):**Tachrifat**, recueil de notehistoriques sur l'administration de **Algerie de 1363 à 1830**, Julien Carbonel, Alger, 1927.
- PLANETET, (E) : **correspondance des deys de tunis et de consuls de France avec la cour (1770-1830)** ,3T, Félix Algan éditeur, paris 1899, T3., A.pedone-éditeur, paris 1906.

## 2- المخطوطات

- ابن عبد العزيز، حمودة، الكتاب الباشي، ج2، مخطوط الأرشيف الوطني التونسي، رقم 900/15.
- الجامعي، عبد الرحمان، شرح أرجوزة الحلفاوي، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2521.
- مجهول، كتاب عن بعض أخبار قسنطينة، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2717.

## 3- المصادر العربية والمعربة

- ابن أبي الدينار، محمد، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس 1286هـ.
- ابن أبي الصنف، أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، 4 مج، ج1/ج2/ج3/ج7/ج8، الدار العربية للكتاب، تونس 2004.
- ابن العربي برادة، علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ج1، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، (د.ت).
- ابن العطار، أحمد بن المبارك، تاريخ قسنطينة، تح رابح بونار، (د.ت.ن).
- ابن العنتري، محمد صالح، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- ابن حمادوش، الجزائري عبد الرزاق، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النبأ عن التسبب والحسب و الحال" تق و تح و تع أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة العلامة ابن خلدون، المسمى ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2004.

- ابن رجب شاوش، حسين بن المفتي ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2008.
- ابن عبد العزيز، حمودة، الكتاب الباشي، ج1، قسم السيرة، تحقيق محمد ماضور، الدار العربية للنشر، تونس، 1970.
- ابن عبد القادر، مسلم الوهراني ، خاتمة أنس الغريب والمسافر، مقدمة وتعليق رابح بوتار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- ابن عثمان خوجة، حمدان، المرأة، تقديم وتع محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005.
- ابن قاسم البوني، أحمد، الدرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تق وتع سعد بو فلاقة- منشورات بونة للبحوث والدراسات- الجزائر- عام2007.
- ابن ميمون، الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- ابن ناصر الدرعي، أبو العباس أحمد بن محمد ، الرحلة الناصرية ، 1709-1710م ، تح عبد الحفيظ ملوكي ، ط1 ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الإمارات ، ع.م ، 2011.
- ابن يوسف، صغير، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، تقديم وتحقيق أحمد الطويلي، المجلد1، 2، 3، 4، المطبعة العصرية، تونس 2009.
- أبو رأس، الجزائري محمد، فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، حياة أبي راس الذاتية والعلمية، تح محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د. ت).
- ألفونصو، روسو ، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تعريب محمّد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1992.

- إيفالد كريستيان، فردنالد ، رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس في سنة 1835م (مروراً بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمنستير والمهدية وصفاقس وقابس وجربة) تر وتع: منير الفندري، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991م.
- بايصونال، أندريه ، الرحلة إلى تونس(1724م)،ترجمة و تحقيق محمد العربي السنوسي، تصدير خليفة شاطر، مركز النشر الجامعي تونس، 2003.
- برناز، أحمد، الشهب المحرقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من أهل المخرقة، تحقيق وتقديم الطاهر المعموري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990.
- بيرم الخامس، محمد التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج2، دار صادر، بيروت، 1303هـ.
- التلمساني، أحمد بن هطال ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب ، القاهرة ، 1969م.
- التلمساني، محمد بن رقية ، الزهرة النائرة، فما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تعليق خير الدين سعيد الجزائري، ط1، 2017، أوراق ثقافية، جيجل، 2017.
- التمحروقي، محمد الجزولي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم سليمان الصيد، ط1، دار بوسلامة، تونس، 1988.
- خوجة، حسين ، ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان، تحقيق طاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، عام 1975م.
- خوجة، حسين، ذيل الكتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، دون بلد وسنة نشر.
- دودو، أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1989، ص56. / العنزي مجاعات قسنطينة.

- الرباطي، محمد الضعيف، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعودية)، تحقيق وتعليق و تقديم أحمد العماري، ط1، دار المآثورات، الرباط، 1986.
- الزهار، أحمد الشريف ، مذكورات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، 1168-1246هـ/1754-1830م، تح أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974.
- الزباني، أبو القاسم ،الترجمة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تح عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة للنشر، الرباط، 1991.
- الزباني، محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تق، تع المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2007.
- السراج، الوزير، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الهيلة، المجلد، 1، 2، 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام 1985.
- السنوسي، محمد بن عثمان ، مُسامرات الظريف بحسن التعريف، تحقيق محمد الشاذلي، النيفر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.
- شارل، وليام ، مذكورات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824] ،تعريب وتعليق وتقدم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- الشّفاوني، محمّد بن عسكر الحسيني، دوحة الناشر لمحاسن من كان من مشايخ القرن العاشر، تح محمّد حجي، ط2، مطبوعات دار الغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1977م.
- الشقراني الرّاشدي، أحمد بن عبد الرحمن، القول الوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط، تح ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.
- الشويهد، عبد الله بن محمد ، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)، تحقيق وتق وتع ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.

- العياشي، عبد الله بن محمد ، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق و تقديم سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، ج2، ط1، دار السويدي للنشر و التوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006 .
- الغبريني، أحمد، عنوان الدرّاية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، تح عادل نويهض، ط2، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، 1979.
- فريد بك، المحامي محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط6، دار النفائس، بيروت، 1988.
- الفكون، عبد الكريم ، منشور الهداية في كشف من ادّعى العلم والولاية ، تق ، تح: أبو القاسم سعد الله ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987.
- فيرو، شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد بن عبد الكريم الوافي، ط3، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1994.
- القلقشندي، أحمد أبي العباس ، كتاب صبح الأعشى، ج1، دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1922.
- كاثكارت، جيمس، مذكرات أسير الداوي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- لوسيت، فالنسي: المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر 1790-1830م، ط1، ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، 1980.
- مجهول ، تاريخ بايات قسنطينة، المرحلة الأخيرة، تح مختار حساني، منشورات دحلب، الجزائر.(د.ت).
- مخلوف، محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة عام 1930.
- المسعودي، الباجي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تق وتحم محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2013.
- المشرفي، عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كني عامر، تح محمد بن عبد الكريم، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017.

- المقري، التلمساني أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، الفهارس العامة، دار صادر، بيروت، 1988، المجلد 8.
- مقديش، محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، مج2، تح علي الزواري ومحمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- المكناسي، محمد بن عبد الوهاب ، رحلة المكناسي عام 1785م، تحقيق محمد بوكبوط، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، 2003.
- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الجزء8، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955.
- الناصري، أحمد أبو العباس ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوي، ج7، تحقيق و تعليق جعفر الناصري و محمد الناصرية المجلد7، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب، 1997.
- النيفر، محمد ، عنوان الأريب، عما نشأ بالبلاد التونسية في عالم وأديب، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام 1996.
- الورغي، محمد، ديوان الورغي ، تحقيق و تقديم عبد العزيز القيزاني، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975.
- هابنسترايت، ج.أو.، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م) تر، تق، تع، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس(د، ت).
- الورثياني، الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، تح محمد بن شنب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م.

#### 4- المصادر باللغة الأجنبية

- D. peysonnel : voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, Voll, Paris, Librairie degide, 1838.

- LUCAS[P] :**voyage du sieur paul lucas** , paris 1712 tomes 2.
- Peyssonnel et Desfontaines, **voyages dans la régence de Tunis et Alger**, publié par M.Dureau de la Malle. Gide, Paris.
- Venture de paradis ,Jean-Michel ;**Alger au XVIIIe siècle ( 1788-1790)**, présentation et notes par abderrahmane rebahi, édition grabnd Alger livres ,2006 .

#### 5- المراجع العربية والمعربة :

- ابن أحمد أمين ،السعدي عبد الله ، الصوفية في حضرموت نشأتها . أصولها. آثارها، عرض ونقد ، ط1 ، دار التوحيد للنشر ، الرياض ، 2008 .
- أمين، محمد، **الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني(1518-1830)**، ط1، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016.
- ابن الطاهر، جمال، **الفساد وردعه الردع المالي و أشكاله المقاومة و الصراع بالبلاد التونسية(1705-1840)**سلسلة التاريخ،مج7، منشورات كلية الأدب، منوبة تونس، 1995.
- ابن زردة، توفيق، **الجزائر في القرن الثامن عشر**، من خلال دفاتر الأرشيف الوطني التونسي، ط1، منشورات ألفا للوثائق، الجزائر، 2021.
- ابن سليمان، فاطمة ، **الأرض والهوية نشوء الدولة الترابية فيتونس 1574-1881** ، جامعة تونس ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، عام 2009.
- ابن شريف النووي، محي الدين يحي ، **آداب الفتوى والمفتي والمستفتي**، ط1، دار الفكر، دمشق، سنة 1987.
- ابن علي الرياحي، عمر، **تعكير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي** ، مطبعة بكار ، تونس 1902 ، وهذا الكاتب هو ترجمة لإبراهيم الرياحي، وحوى أشعاره ورسائله مُبرّد الصّوارم.
- ابن يدّر، كريم، **الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18 و 19**، مركز النشر الجامعي،تونس،2007.

- أبوبكر، الصادق، إيالة تونس في القرن السابع عشر وعلاقتها التجارية مع موانئ البحر الأبيض المتوسط مرسيليا وليفورنة، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والأندلسية، الموريسيكية، زغوان، 1987.
- الأرقش، دلندة وآخرون، المغرب العربي الحديث، من خلال المصادر ، مركز النشر الجامعي، ميدياكوم، تونس 2003.
- الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814م) منشورات الجامعة التونسية، تونس 1980.
- أمين، أحمد ،ظهر الإسلام ، ج 2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط4 ، 1996.
- بالحيمسي، مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر عام 1979م.
- الباي، مختار، حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية، ترجمة البشير بن سلامة، ط1، دار الأطلسية للنشر، تونس، 2009.
- برنشفيك، روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- بن يدر، كريم، الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18 و 19، مركز النشر الجامعي، تونس، 2007.
- بوذينة، محمد ، الوزير السراج، سلسلة مشاهير، منشورات محمد بوذينة، تونس، 1995.
- التازي، عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد التاسع ، عهد العلويين 1، دون ت ولا دار نشر ولا سنة، مطابع فضالة المحمدية.
- التازي، عبد الهادي ، جامع القرويين، مج3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972.

- التر عزيز، سامح ، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
- التليلي، العجيلي ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية ( 1881-1939) ، ط 1 ، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، تونس ، عام 1992 م .
- التونسي، خير الدين ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تقدم محمد الحداد، ط2012 ، دار الكتاب المصري و اللبناني، مصر، 2012.
- جابر الجزائري، أبو بكر ، إلى التصوف يا عباد الله ، دار البصيرة ، الإسكندرية ، 1990.
- جراد، المهدي، عائلات المخزن بالولاية التونسية خلال العهد الحسيني(1705-1881م)، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بتونس وحدة البحث "التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي"، تونس، 2011.
- جميلة، معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د. ط، 2015.
- الجيلالي، عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
- حلاق، حسان، مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين "النظرية والتطبيق"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986 م .
- دجين السهلي، عبد الله، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها ، ط 1 ، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 2005 .
- درّاج، محمد، الدّخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.
- دوفال، ألبير، الرايس حميدو، تع: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، (د. ت)
- رمون، أندري ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر لطيف فرج، دار الفكر القاهرة، 1991.

- الزبير، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش.و.ن.ت(شركة وطنية للنشر و توزيع) الجزائر، 1972م.
- زوزو، عبد الحميد ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- سعد الله، أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المجلد 1، 2، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.
- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج2 ، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007.
- سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، السلسلة الأولى، من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ج2، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2015 .
- سعد الله، أبو القاسم، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العتّابي المتوفى 1850، صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000. الإسلامي، بيروت، 2000.
- السعداوي، أحمد، تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا 1705-1756م وثائق أوقاف من العهد الحسيني، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، مخبر الآثار والعمارة المغاربية، ط1، تونس، 2015.
- سعيدوني، ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792-1830) ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- سعيدوني، ناصر الدين ، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- الشابي، علي ، أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1979 .
- شارف، رقية، المصادر الجزائرية المعاصرة لفتح وهران الأول 1118هـ/1708م والثاني 1206هـ/1792م، ط1، دار كوكب العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2020.

- الشريف، محمد هادي ، السلطة والمجتمع في تونس عهد حسين بن علي (1705-1740م)، د.ط، ج1، ج2، المكتبة الجامعية، تونس 2008.
- عبّاد، صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، دار الأملعة، الجزائر.2012.
- عبد السلام، أحمد، المؤرخون التونسيون في القرون 17 و18 و19 م، رسالة في تاريخ الثقافة، ترجمة أحمد عبد السلام، وعبد الرزاق الحليوي، بيت الحكمة، تونس، 1993.
- عبد القادر، نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، 1965.
- عبد الوهاب، حسن حسني ، خلاصة تاريخ تونس، تح : حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس 2010.
- العجيلي، التليلي ، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939) ، ط 1 ، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، تونس ، عام 1992م.
- غطاس، عائشة ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.
- القشاعي، فلة موساوي ، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871، طبع وزارة الثقافة، منشورات ابن سنان، الجزائر، د.ت.
- قشي، فاطمة الزهراء ، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.
- قنان، جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- المدني، أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492-1792، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

- المدني، أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حُروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- مروش، المنور ، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج2، القرصنة الأساطير والواقع، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2009.
- الميللي، مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- هلال، عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين(14/3هـ) ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.
- هنية، عبد الحميد ، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال، منشورات بتر الزمان، ط5، تونس، 2012م.

#### 6- باللغة الأجنبية :

- Copplani , (x) de pont, **les confreres religieuses musulmanes**, adolphjourdon , Alger , 1897.
- Iraben, **les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranées**, Ti, Paris, 1975.
- -Louis ,(Frank). **Histoire de Tunis**, 2eme Edition, Tunis, Edition Bouslama, 1985.
- Rinn,(Louis) **marabouts et khouns, étude sur l' islam en Algérie**, adophejourdon, Alger 1884.
- M. Kaddache , L' Algerie durant la periode ottomane, Edition Office des
- Moulay, Belhamissi: **marine et marins d'Alger (1518-1830)**, TomeIII, Grandeur et Decadence, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1996.
- N°35,1966.
- Panza, D. **la peste dans l'empire ottoman 1700-1850**, louvain , Ed.peaters, 1988.
- Plantet, (E) : **correspondance des deys de tunis et des consuls de France avec la cour de France (1577-1830)**, 2vol, Paris, 1893-1899, t1.

- Plantet, (E), **correspondance des Deys d'alger avec la cour de France**, T2, (1700-1830), Paris, 1889.
- H- Degrammont : **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515 – 1830)** , paris 1887.

## 7- المقالات والدوريات العربية والأجنبية:

### 1-7 المقالات العربية:

- ابن التواتي، عبد القادر، "أصول النهج الصوفي و مرجعيته" (الطريقة الخلوتية الرحمانية)، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ع2، م9، الجزائر، 2021.
- ابن حيدة، يوسف، "العلاقة بين الطريقة الشاذلية وقبيلة طرود خلال القرنين 16 و 17 م" (تدعيم صوفي أم تحالف ظرفي) ، مجلة الحكمة ، العدد التاسع ، السداسي الأول ، 2017 ، الجزائر .
- ابن زردة، توفيق، إحسانات بايات تونس لجماعات الحناشنة 1170هـ/1756م-1192هـ/1779م من خلال الدفتين 2144 و 2145 بالأرشيف التونسي، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد 10، العدد 01، قسنطينة، الجزائر
- ابن سليمان، فاطمة، قراءة الأخباريين التونسيين للفتنة الباشية الحسينية، الكراسات التونسية، ع164، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 1993.
- ابن عاشور، محمد عبد العزيز ، "المؤسسات السياسية في عهد الدولة الحسينية القرنان 18 و19م"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع6/5 فيفري1992، تونس.
- ابن قايد، عمر، "الطريقة الطيبية، نشأتها و مشائخها في الجزائر في القرن19م"، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ع1، م7، 2022.

- ابن نعماني، سيد أحمد ، "وظيفة وكيل الجزائر لدى الدولة العثمانية وبعض إيالاتها من خلال وثائق الرصيدين العثمانيين الموجودين في الجزائر"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد1، العدد1، جانفي 2013.
- بقادي، مسعود /الزّين، محمّد،"هجرة التلمسانيين إلى المغرب الأقصى خلال القرن10هـ/16م العلماء أنموذجًا"، مجلة الحكمة، عدد14-سداسي أول2018.
- حماش، خليفة ، "دور الطلبة الجزائريين في تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني عامي 1118هـ/1706-1707م و1205هـ/1791م" (مقاربة تاريخية في تأصيل الحركة الطلابية الجزائرية)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد16، العدد3، 2001.
- زاهر، فارس ، "نشأة المذهب الحنفي و رئاسة الفتوى الحنفية في عهد الدولة العثمانية و ما بعدها بإفريقية" "تونس حاليا": عهد البايات المراديين و الدايات الحسينيين و الحماية الفرنسية، مجلة البحوث و الدراسات الإسلامية، ع16، م10، الجزائر، 2017.
- الزواري، علي، "دفتر حسابات خاصة حول تجارة التونسيين مع مرسليليا خلال سنتي 1187-1188هـ/1773-1774م"، المجلة التاريخية المغربية، العدد37-38، تونس، جوان 1985.
- السّعداوي، أحمد، "التواصل بين إيالتي تونس والجزائر: وقف علي باي الحسين علي زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي (1774) "، السّبيل ، مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية، عدد 1 ، 2016م.
- سعيدوني، ناصر الدين، "المعاهدة الجزائرية الإسبانية (1791م)"، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد السابع، عام 1993م.
- السنوسي، محمد، "ذيل أقدم ترجمة لابن أبي الضياف، مجمع الدواوين التونسية"، حوليات الجامعة التونسية، ع5، عام1968م.

- الشابي، علي " مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية" ، المجلة التاريخية المغربية ، 13 ، 14 يناير 1979 ، تونس.
- شقرون، إكرام ، "الطاعون الكبير بالمغرب (1798-1800م)، دراسة ديمغرافية" ، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 4، ديسمبر 2020، جامعة وهران.
- شلابي، رفيق، شرقي عامر، "الأقمشة الجزائرية الوافدة للإيالة التونسية خلال العهد العثماني"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد 6، العدد 1، 2021.
- شودار، مبارك، "لمحة عن الأوضاع السياسية للجزائر في أواخر العهد العثماني"، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة ، العدد 4، ديسمبر 2016، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر.
- شويتام، أرزقي، "العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية" (الفترة العثمانية)، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، معهد التاريخ، العدد 13، 2011.
- شويتام، أرزقي، "المصطلحات و المفاهيم الواردة في المصادر الغربية حول تاريخ الجزائر (الفترة العثمانية 1519-1830م)"، مجلة قضايا تاريخية، العدد 14، 2021.
- صورية، حصام، "نكبات قسنطينة خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر"، جامعة وهران، ع 24-25، جانفي-جوان 2015.
- عبد الرحمن، عبد الرحمان، "المغاربة في مصر في العهد العثماني 1517-1798"، دراسة في تأثير الجالية المغربية، منشورات المجلة التاريخية المغربية، العدد 25-26، ديوان المطبوعات الجزائرية، تونس، 1982.
- عرابي، كمال، "الشيخ إبراهيم الرياحي (1767-1850) أعلام الفكر التونسي"، الحياة الثقافية ، أكتوبر 2006 .

- غطاس، عائشة ، "الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني" مجلة الثقافة، العدد 7، السنة 13، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانه، الجزائر، 1983م.
- الفاضل، محمد" ترجمة لمحمد بن الخوجة"، المجلة الزيتونية، مجلد 5، ج 5 و ج 7، ( نوفمبر 1942، جوان 1944م).
- فروة، محمود، "المقاييس والموازن والمكاييل في تونس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، تختصر بهذا الشكل م ت ع د ع، ع 7، 8، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1993.
- فلوح، عبد القادر، "دور وكلاء الجزائر في تجنيد المتطوعين لصالح الإيالة"، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، مج 1، ع 2، جويلية 2019 .
- قاصري، محمد السعيد "العلماء والفقهاء في الجزائر بين اضطهاد ونفي منظومة الحكم العثماني واستقطاب واستغلال منظومة الحكم السعدي والعلوي في المغرب"، مجلة عصور الجديدة، مجلد 7، العدد 26، أبريل 2016-2017م.
- القشاعي، فلة موساوي ، "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله"، مجلة دراسات إنسانية، العدد 1، سنة 1421هـ/2001م، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر.
- الهادي، الوسلاقي، "المستشفى الترينيتاري الإسباني بتونس وثيقة من أرشيفيه عن حملة العثمانيين بالجزائر سنة 1756م على تونس"، المجلة التاريخية المغربية، ع 22/21، أبريل 1981، تونس.
- هادي، جلول "الحركة العلمية في حاضرة تلمسان وعناية السلطنة الزيانية بها(ق8-9هـ/14-15م) " الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف، قسم العلوم الاجتماعية، العدد 19، جانفي 2018.

- هلايلي، حنفي، "العلماء والأولياء في تلمسان الزّيتانية في ضوء بُغية رواد"، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي اليابس، الجزائر، عدد 8، مارس 2015.
- يعقوب، خديجة، "شيوخ قبيلة الحنانشة خلال القرن الثامن عشر: إبراهيم بن بوعزيز وابنه بوحفص (1755-1795م)"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، المجلد 13، ع26، سنة 2021.
- يوسف، صرهودة، "وكلاء إيالة الجزائر في أزمير أواخر الحكم العثماني، دراسة في الآثار والمهام"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 21، ع2، جامعة باتنة 1، 2020.

#### 2-7 المقالات الأجنبية :

- Devoulx ,( A) « les édifices religieux de l'ancien Alger » , in R.A , tome 6 , année 1862 .
- Dournon, « kitab tarikh quosantina, par El hadj Ahmed et Moubarek », in R.A, volume 57 , (1913).
- FERAUD,(CH) : « les harar seigneur des Hanancha », R.A . T18, Alger , 1874.
- Féraud,L.ch, « les Harar seigneurs des Hanencha », R.A, 18, (1874).
- Mercier, Gustave , 1915 « khanguet sidi nadji , quelques inscription arabes inédites » , in notices et mémoires de la société archéologique du Département de Constantine, vol. 49.
- pierre granchanp : « le Maréchal Destrée devant Alger » ;in R.T.1918.
- RAYMOND, A. « Tunisiens et maghrébins au XVIII Siècle » Les cahiers du Tunisie N26-27, 1959.

**8- الرسائل الجامعية باللغة العربية :**

- ابن عمار الجزائري، أحمد ، نِحلة اللّبيب بأخبار الرّحلة إلى الحبيب، تح شقرون عبد الجليل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017م.
- الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م، رسالة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت.
- بوسعيد، أحمد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة أحمد دراية ، أدرار ، السنة الدراسية ، 2017-2018.
- تلمساني، بن يوسف ، الطريقة التجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الإستعمارية) "1782-1900"،رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998.
- حصام، صورية ، العلاقات بين أيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18 م، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ والآثار -جامعة وهران- عام 2012-2013 م-غير منشورة .
- حماش، خليفة ، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي (1798-1830م)، مذكرة لنيل درجة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، 1977.
- حمصي، لطيفة، المجتمع والسلطة القضائية المجلس العلمي بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر 1122-1246هـ/1710-1830م نموذجاً، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، عام 2011-2012.
- دكاني، نجيب ، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية و ردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر الهجري10هـ السادس ميلادي16م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001-2002.

- رقاد، سعدية ، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2018-2019م. رسائل جامعية
- سيساوي، أحمد، النظام الإداري وبايلك الشرق 1771-1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1988.
- شارف، رقية ، التاريخ والمؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني و إلى غاية 1267هـ/1850م، دراسة وصفية، تحليلية، نقدية، مقارنة في المنهج التاريخي، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزائر 2- عام 2016/2017م.
- الشايب، سعيد، بلاط باردو في عهد حسين بن علي 1705-1735، سبتمبر 1990، رسالة ماجستير، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، د.ت، (غ. م).
- شويتام، أرزقي، المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
- صحراوي، عبد القادر ، التصوف و المتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر و الثامن عشر، قسم التاريخ ، جامعة جيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، س، د ، 2008 - 2009م.
- العزيزي، محمد الحبيب، ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث، المحلة التونسية أنموذجا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر قسم التاريخ، سنة 2006-2007.
- عطية، محمد ، الصراع بين الإيالتين الجزائرية و التونسية من خلال المصادر المحلية الجزائرية و التونسية " 1587-1830م، مذكرة ماجستير، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، السنة الدراسية 2014-2015، غير مطبوعة.
- غطاس، عائشة، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقارنة اجتماعية-اقتصادية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، الجزء 1، جامعة الجزائر، السنة الدراسية 2000-2001م.

- القنوني، سكيينة، الأقمشة والأغطية بالإيالة التونسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مذكرة شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة العالم المتوسطي، اختصاص تراث وعلوم متحفية، جامعة منوبة، تونس، السنة الجامعية 2005-2006م.
- مايدي، كمال، السلطة والمجتمع بأيالة تونس خلال العهد الحسيني 1705-1814م، مقارنة سياسية اجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، غرداية، رسالة دكتوراه، 2017/2018 (غ.م).
- المستغامي، محمد فوزي، بلاط باردو زمن حمودة باشا (1782-1814)، ج1، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، السنة الجامعية 2006-2007.
- يوسف، صرهودة، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الدراسية 2004-2005م.

## 9- الملتقيات

- شترة، خير الدين، "الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في المغرب العربي (الجزائر وتونس انموذجا)"، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، 9-11 نوفمبر 2008، جامعة أدرار.

## 10- القواميس و الموسوعات والمعاجم :

- ابن موسى بابا عمّي، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحديث-قسم المغرب الإسلامي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000 م.
- بوذينة، محمد، مشاهير التونسيين، ط2. دار سيراس للنشر، تونس 1992.

- حسان، حلاق، عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية، ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية و الأيوبية و المملوكية (المصطلحات الإدارية و العسكرية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية و العائلية)، دار النهضة العربية، بيروت، 2009.
- الحفناوي، محمد أبي القاسم ، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م.
- الزمري، الصادق، أعلامُ تُونِسِيُون، تقديم و تعريب حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
- الكتّاني، عبد الحي، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، 1982م-ج.
- محفوظ، محمد ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، عام 1986.
- نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسّسة نويهض التّقافيّة، بيروت، 1980م.

فهرس الأعلام

والأماكن

1. فهرس الأعلام :

- f -

- 181-180  
51  
97-91-90-66-65-62-60-59-58  
إبراهيم الصغرى : 102-101-73-72  
إبراهيم : خوجة  
إبراهيم الرياحي : 250-225-153-109-39  
إبراهيم الشريف :  
إبراهيم الكبير : 102-73-72-71-69  
إبراهيم بوعزيز  
ابن الأحرش : 108-89-83.  
ابن ميمون الجزائري  
أبو إسحاق إبراهيم الجمني : 247  
أبو العباس أحمد الثعالبي الشريف : 246  
أبو العباس أحمد : 239  
أبو القاسم البجائي : 234  
أبو راس الناصر المعسكري : 242  
أبو زكريا يحيى بن محمد الفكون : 233  
أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي : 232  
أبي القاسم الزباني : 224.  
أبي مدين الغوث : 264  
أحمد الأصرم القيرواني : 249-208  
أحمد اليراني الجزائري 189  
أحمد التيجاني : 242-232  
أحمد الرصاع : 198-195  
أحمد العمري : 237  
أحمد الغبريني : 233.  
أحمد المقرري : 232  
أحمد المكودي : 34  
أحمد الونشريسي 232  
أحمد برناز : 248-55-54-31-29-28  
أحمد بن أبي الضياف : 88-81-51-50-44-43-42-41-35-35  
أحمد بن سعيد قدورة : 203  
أحمد بن سماية : 137  
أحمد بن عمار الجزائري : 245

أحمد بن عمران : 236

أحمد بن قاسم البوني : 235

أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي : 241.

أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي : 261

أحمد شريف الزهار : 108-83

أحمد شلبي : 54-51-50

أوزن حسن : 95-94

المولى إسماعيل : 93-58-57

- ب -

بابصونال : 183

بن فطيمة ( محمد بن مصطفى ) : 97/59

بوحفص إبراهيم بن عزوز : 181

بورنان : 70.

بوعزيز شيخ الحناشنة : 214-207-184-183-129-128-98-97-96-75-70-66-

- ج -

جوزيف : 97

- ح -

حسن بوحنك : ( عشي حسن ) : 207-205-117-77-74-73

حسين أزرق عينيه : 216-78-77-76

حسين الورتيلاني : 240

حسين بن صالح باي : 85-83-82

حسين بن علي : 78-74-73-72-71-70-69-68-67-66-65-64-62-38-37-33-32-31-30-29-26-25-

2015-213-208-207-206-205-204-198-195-188-183-102-98-97-96-91-90-89

حسين شاوش : 95

حسين كيلان : 70

حمدان ابن عثمان خوجة : 81

حمودة باشا : 109-108-107-106-105-103-89-88-87-86-85-84-83-82-81-80-44-43-42-41-35-

..225-198-185-136-131-123-118-117-116

حمودة باشا المرادي : 190

حمودة بن محمد المقايصي : 244

حميدة الحفيصي : 193

خير الدين كاهية : 40

- د -

الداي شعبان : 138-96-95-93-67-56-55-54-53-52-51.

ديستيري destrées : 48

الدرقاوية : 109-89-83

الداي مصطفى : 110-108

- ر -

الرايس حميدو : 88-87

رجب بن حمودة الحناشي : 97.

- س -

بن أحمد قدورة : 203

سعيد قدورة : 203-201-200-30-29-28.

سعيد (الحفيد)

سعيد الشريف: 28

سلطان بن منصر : 183

سيدي ناجي : 260-259-258

المولى سليمان : 109.

- ش -

شعبان الزناقي (الزناتي) : 93

صالح العنتري : 225.

صالح باي : 129-123-106

- ع -

عاشور القسنطيني : 118

عاشور بن يحي القسنطيني : 234

عيد الرحمن الجامعي : 95

عيد الرحمن المرتضى : 203.

عيد الرزاق بن حمادوس : 241.

عيد الكريم الفكون : 233

عيد الله محمد الأوراسي : 236

عثمان الأوراسي : 236.

عشي مصطفى (عطشي) : 67-66-65-64-60-59-58-57

علي القرماتلي : 107.

علي الكوندي : 247.

علي باشا بن محمد ترني: 30-31-32-33-68-69-70-71-72-73-75-76-77-78-79-80-101-102-103-

153-204-205-206-207-208-213-215-216.

علي باي : 213-79-78-35

علي يرغلي : 107.

علي بن حسن بن علي : 33-35-70-78-79-80-104-105-213-116-135.

علي بوصبع : 118-103-79-78-76.

علي حطاب : 117-72.

علي خوجة : 57

علي خوجة قائد متيجة : 98

علي عزوز : 56-55

علي فريكيح : 128-118.

عمار الشريف القسنطيني : 238

عيسى الغبريني : 233

- ق -

قاسم الرصاع : 193-192

قاسم الرصاع الحفيد : 206-205-193

قاسم المحجوب : 34.

قاسم بن يحيى الفكون : 234

- ك -

كائكارث : 118-116.

كور عبيدي : 206-205-101-100-99-98-90-72-69.

- م -

محمد البرادعي : 131-116.

محمد التريكي : 49.

محمد الحفصي : 50

محمد الحفصي القسنطيني : 238.

محمد الرصاع : 198.

محمد الشافعي الباجي : 249.

محمد الشافعي الباجي : 208.

محمد الشريف الحسيني : 188.

محمد الصادق باي : 42-41-40.

محمد العنابي الضرير : 237.

محمد العنابي : 188.

محمد الغماد : 28.

محمد المحجوب : 35

محمد النيار : 203.

محمد الهدة : 34

محمد باي بن حسين بن علي ( الملقب بالرشيد ) : 33-70-78-79-80-102-103-104-116-118-135-182-208-

213.

محمد باي بن مراد الثاني : 53-52-50-49

محمد بكداش : 96-95-94-91

محمد بن أبي الضياف : 70

محمد بن الطيب : 207.

- محمد بن بكير : 74-75-76-77  
 محمد بن خوجة : 24-39-43.  
 محمد بن زيتونة: 24.  
 محمد بن سعيد قدورة : 85  
 محمد بن سلطان شيخ الحنانشة : 179-181.  
 محمد بن شكر : 50-51-53-55.  
 محمد بن عبد الرحمن التلمساني : 239.  
 محمد بن عثمان باشا : 104-105-106-107.  
 محمد بن علي باشا بن محمد التريكي : 76-78-80  
 محمد بن كور عبيدي : 100  
 محمد بن يوسف بن محمد المصعبي : 238.  
 محمد بيرم الأول : 34  
 محمد بيرم الثالث : 39  
 محمد بيرم الثاني : 35  
 محمد خوجة الأصفر : 90-91  
 محمد رايس المورالي : 87-88  
 محمد صالح الرحموني الزواوي : 238.  
 محمد فتاةة : 28.  
 محمود بن أمين السكة : 118.  
 محمود بن حسين بن علي : 74-208.  
 محمود زيتونة : 247.  
 مراد باي الثالث : 49-56-57-58-59-60-182-217  
 مسعود بن زكري : 140-167-168-169-170-171-172-173.  
 مسلم بن عبد القادر الوهراني : 225  
 مصطفى الرماصي : 239.  
 مصطفى انكليز : 82-83-85-86-88.  
 مصطفى بن شاوش القسنطيني : 239.  
 مصطفى بوشلاغم : 94-95-99  
 مصطفى خان الثاني : 62  
 مصطفى قزدعلي : 79.

- ه -

هابنسترايت : 183

- و -

وليام شالر : 131

- ي -

يحي بن صالح بن يحي الأفضلي : 238

يوسف بن علي باشا : 104-102-82-77

يوسف بن محمد المصعبي : 237

يوسف صاحب الطابع : 85-58

**2. فهرس الأماكن والبلدان:**

- أ -

أزمير : 224-135

إسبانيا : 234-219-100-99-96-94-93-92-61-48-47

إسطنبول : 134-92-40

الإسكندرية : 219-24

الانجليز : 118.

الأندلس : 231

- ب -

بحيرة دريد : 85

بسكرة : 260-235

البندقية : 61

- ت -

تبسة : 208-153-132-106-97

تركيا : 155-131

تقرت : 235-233-132-122-97.

تلمسان : 232-224-223-200-193-192-190-189-153-109-93-92-61

توزر : 188.

- ج -

الجامع الأعظم الزيتونة : 260-235-234-233-230-195-194-188-44-38-35-29-28-24.

الجامع الأعظم بالجزائر : 235-201-199.

جبل وسلات : 68

جربة : 191-190-134-108-87

الجريد : 190-188-184-134

جوامع العلماة : 57.

- ح -

الحج : 188-182-171-75-35-24

الحجاز : 108

حلب : 78.

حلق الواد : 193-171-151-150-148-1374-136-132-88-85-81

- خ -

الخنقة : 262-261-260-259-236-207-97.

- د -

الدولة العثمانية / الباب العالي: 36-40-47-58-60-61-62-67-68-88-96-107-141-171-188-218.

- ر -

روسيا : 61

- ز -

زواوة : 189 - 190

- س -

سبنة : 92

سكيدة : 153

سمنجة زغوان : 70

السودان : 155-218

سوسة : 87

- ط -

طريقة : 183-190

طرابلس الغرب : 57-60-72-91-95-107-108-131-132-155-233

- ع -

عناية : 132-153-189-191-233-235.

- غ -

غدامس : 188

غرناطة : 47.

- ف -

فاس : 232

فرنسا : 40-48-51-109-219.

- ق -

القالا : 184

قسنطينة : 35-50-56-57-59-60-69-74-75-77-78-82-83-84-85-97-105-122-123-129-130-

134-135-171-172-178-182-183-188-189-208-213-233-235

قصر باردو : 190

قفصة : 188

القل : 130-132-153

القيروان : 25-32-50-70-233

- ل -

ليبيا : 218.

- م -

المدرسة الباشية : 34

المدينة : 178

مرسيليا : 130

مستغانم : 189-153

مصر : 132-131-24.

معسكر : 153

المغرب الإسلامي : 62-53-47

المغرب الأقصى : 236-218-155-153-131-109-98-96-61-48-35.

مكة : 24

مليلة : 92

منطقة الأوراس : 189.

منطقة الزاب : 184-132-122-97

منطقة ميزاب : 189

- ن -

النمسا : 61

- و -

واد سوف : 260-188-122-75.

واد سيراط : 251-87-85

ورقلة : 260-188-122

الولايات المتحدة الأمريكية : 116.

وهران : 219-189-188-102-101-100-99-95-94-93-92-74-71-69-67

# فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

	إهداء
	شكر
2	مقدمة
<p>الفصل التمهيدي</p> <p>التعريف بالمصادر التاريخية التونسية</p> <p>خلال القرن (12-13هـ/18 ومطلع 19م)</p>	
21	المبحث الأول: كتاب "ذئيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان"، لحسين خوجة.
21	1- التعريف بالمؤرخ حسين خوجة.
23	2- التعريف بكتاب "ذئيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان".
26	المبحث الثاني: كتاب "الحلل السندسية في الأخبار التونسية"، للوزير السراج.
26	1- التعريف بالمؤرخ ورجل الدولة الوزير السراج.
28	2- التعريف بكتاب الحلل السندسية في الأخبار التونسية.
30	المبحث الثالث: كتاب "المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي، لمحمد الصغير بن يوسف.
30	1- التعريف بمحمد الصغير بن يوسف.
31	2- التعريف بكتاب "المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي".
32	المبحث الرابع: "الكتاب الباشي"، لحمودة بن عبد العزيز.
32	1- التعريف بالوزير حمودة بن عبد العزيز.
34	2- التعريف بالكتاب الباشي.
36	المبحث الخامس: كتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"، لأحمد بن أبي الضياف.
36	1- التعريف بأحمد بن أبي الضياف.
39	2- التعريف بكتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان".
<p>الفصل الأول: صورة العلاقات الجزائرية التونسية بين القطيعة و الالتقاء خلال القرن (12-13هـ/18- و مطلع 19م)</p>	
47	المبحث الأول: الصراع بين دايات الجزائر و البايات التونسيين أواخر القرن 17م و مطلع 18م:
49	1-1- موقف حكام الجزائر من الفتنة المرادية أواخر القرن 17م.
56	1-2- هجوم مراد باي الثالث على قسنطينة عام 1112هـ/1700م.
59	1-3- الحرب بين الجزائر و تونس زمن "إبراهيم الشريف" عام 1117هـ/1705م.

62	1-4-الحرب بين الجزائر و تونس في بداية عهد حسين بن علي عام 1117هـ/1705م.
68	المبحث الثاني: الفتنة الحسينية الباشية و تدخل حُكام الجزائر فيها بين(1141-1170هـ/1728-1756م)
68	1-2-تعريف الفتنة الباشية.
69	2-2-تدخل حُكام الجزائر لصالح"علي باشا" عام 1148هـ/1735م.
72	2-3-تدخل حُكام الجزائر لصالح أولاد حسين بن علي خلال فترتي(1159هـ و 1169هـ/1746 و 1756م).
72	أ-خطرة الجزائر الكدّابة عام 1159هـ/1746م.
74	ب-الحملة الجزائرية الثّانية لِنصرة أولاد حسين بن علي عام 1169هـ/1756م.
80	المبحث الثالث: تجدد الصّراع بين الجزائر و تونس في القرن 13هـ/مطلع القرن 19م:
84	3-1-حملة حمودة باشا العسكرية على قسنطينة عام 1221هـ/1807م.
85	3-2-موقعة سلاطة (معركة وادي سيراط) 1222هـ/1807م.
87	3-3-أول حملة بحرية جزائرية ضدّ تونس عام 1226هـ/1811م.
88	3-4-المواجهة البحرية الثّانية بين الايالتين 1227هـ/1812م.
89	المبحث الرابع: فترات الهدوء و الاستقرار(السلام) في العلاقات السياسية بين الإيالتين(الجزائر و تونس) خلال القرن(12-13هـ/18 و مطلع 19م):
89	4-1-الفترة الأولى تمتدّ بين(1117-1144هـ/1705-1732م).
90	أ-العلاقات بين الإيالتين في عهد حسين خوجة(1705-1707م).
91	ب-العلاقات بين الإيالتين في عهد محمد بكداش(1707-1710م).
96	ج-العلاقات في عهد علي شاوش(1710-1718م).
98	د-العلاقات بين الإيالتين في عهد محمد بن حسن(1718-1724م).
98	ذ-العلاقات بين الإيالتين في عهد كور عبدي(1724-1732م).
99	4-2-الفترة الثّانية تمتدّ بين(1161-1167هـ/1748-1754م)عهد الدّاي مُحمّد بن بكير في الجزائر.
103	4-3-الفترة الثالثة بين(1169-1221هـ/1756-1806م).
103	أ-العلاقات في عهد علي بوضبع(1754-1766م).
104	ب-العلاقات في عهد مُحمّد بن عثمان باشا(1766-1791م).
107	ج-العلاقات في عهد حسن باشا(1791-1798م).
108	د-العلاقات في عهد الدّاي مصطفى(1798-1805م).
111	خاتمة الفصل الأول

<p>الفصل الثاني: صور من العلاقات الاقتصادية بين الجزائر وتونس خلال القرن 12 و 13هـ / 18 ومطلع 19م</p>	
115	المبحث الأول: ممثلي ووكلاء حكام الجزائر وقسنطينة بتونس (المهام و الأدوار):
121	المبحث الثاني: المبادلات التجارية بين الجزائر وتونس:
122	2-1- صادرات الجزائر نحو تونس.
123	أ- الثروة الحيوانية.
130	ب- الجلود.
130	ج- الشموع.
130	د- الأقمشة الحريرية و الصوفية.
132	2-2- واردات الجزائر من تونس:
133	أ- الشاشية التونسية.
134	ب- المنسوجات الحريرية و القطنية و الصوفية.
135	ج- بعض المواد الغذائية.
135	د- العطور.
135	المبحث الثالث: الإحسانات و الضرائب المقدمة من طرف حكام تونس إلى الجزائر:
136	3-1- الخارج لأهل الجزائر و قرصانها:
137	أ- الأطراف المستفيدة من هذا الخارج.
141	ب- نماذج و عينات من المواد التي صرفت لأصحابها.
149	ج- تحليل هذه النماذج و المعطيات.
153	3-2- نماذج من الهدايا و الإحسانات المقدمة من طرف حكام تونس إلى دايات الجزائر و رجال الديوان و بعض الشخصيات النافذة.
154	أ- دايات الجزائر و رجال الدولة
162	ب- تحليل نماذج الهدية
166	ج- نماذج لهدايا ومنح صرفت لشخصيات جزائرية نافذة
171	د- تحليل ما صرف لوكيل الحرج ومسعود بن زكري
173	3-3 نماذج من الإحسانات المقدمة إلى باي قسنطينة والتيطري
173	أ- باي قسنطينة

177	ب- هدية التيطري
178	ج- تحليل هدية داي قسنطينة والتيطري
179	3-4 نماذج من الإحسانات المقدمة إلى أطراف أخرى
179	أ- إلى بعض القبائل " الحنانشة امودجا"
181	ب- تحليل هذه الإحسانات
184	خاتمة الفصل الثاني
<b>الفصل الثالث: صور من العلاقات الاجتماعية بين الإياليين خلال القرنين (12-13هـ/18- و مطلع 19م)</b>	
<b>188</b>	<b>المبحث الأول : الهجرة السكانية بين الجزائر وتونس</b>
188	1-1- هجرة الجزائريين نحو تونس.
191	1-2- هجرة التونسيين نحو الجزائر.
<b>191</b>	<b>المبحث الثاني : نماذج لهجرة بعض العائلات المتنفذة بين الإياليين (آل الرّصاع وآل قدورة):</b>
192	2-1- عائلة آل الرّصاع من تلمسان إلى تونس.
192	أ- المرحلة الاولى: التحالف مع السلطة (من القرن 15 إلى بداية 18م).
198	ب- المرحلة الثانية: الجفاء و القطيعة مع السلطة (خلال النصف الثاني من القرن 18م).
198	ج- المرحلة الثالثة: تجدد التوافق مع السلطة (من أواخر القرن 18م إلى النصف الأول من القرن 19م).
198	2-2- عائلة آل قدورة المهجرة ثمّ الاستقرار من جربة التونسية إلى مدينة الجزائر.
199	أ- أسرة آل قدورة الجمع بين المناصب العلمية و الحظوة السياسية بمدينة الجزائر في النصف الأول من القرن 17م.
202	ب- استمرار نفوذ الأسرة بعد وفاة الشيخ سعيد قدورة في النصف الثاني من القرن 17م.
<b>203</b>	<b>المبحث الثالث : لجوء أطراف الصراع داخل البيت الحسيني التونسي إلى الجزائر</b>
203	3-1- هروب علي باشا إلى الجزائر خلال الفترة (1729-1735م).
206	3-2- هروب أبناء الحسين و أتباعهم إلى الجزائر في الفترة (1737-1756م).
208	3-3- لجوء طائفة من الجند التركي إلى الجزائر عام 1743م.
209	3-4- هروب يونس (ابن علي باشا) و ابنه إسماعيل إلى الجزائر.
<b>211</b>	<b>المبحث الرابع : نماذج لهروب عكسي من الجزائر نحو تونس (محلّة عسكرية و قبيلة حدودية)</b>
211	4-1- هروب محلّة جبائية جزائرية نحو تونس.
213	4-2- هروب قبيلة الحنانشة الجزائرية نحو تونس.
<b>216</b>	<b>المبحث الخامس : كرونولوجيا أوبئة الطاعون في الجزائر خلال القرنين ( 12 و 13هـ / 18 ومطلع 19م)</b>

216	5-1- أوبئة الطاعون في الجزائر خلال القرنين (12 و13هـ / 18 ومطلع19م)
224	5-2 نتائج السلبية
208	خاتمة الفصل الثالث
<p>الفصل الرابع: صور من التفاعل الثقافي بين الجزائر و تونس خلال القرن (12-13هـ/18-م مطلع 19م)</p>	
229	المبحث الأول : أسباب هجرة العلماء الجزائريين خلال العهد العثماني عموماً
231	المبحث الثاني: أسباب هجرة العلماء بين الجزائر و تونس خلال القرن(12-13هـ/18-م مطلع19م)
231	2-1- أسباب هجرة العلماء الجزائريون نحو تونس خلال القرن(12-13هـ/18مطلع19م).
231	أ- الإرتباط التاريخي.
233	ب-التقارب الجغرافي.
237	ج-العامل الديني و العلمي.
243	د-العوامل السياسية و الاقتصادية.
245	2-2- أسباب هجرة العلماء التونسيين إلى الجزائر خلال القرن (12-13هـ/18-مطلع19م).
253	المبحث الثالث: نماذج لبعض المراسلات بين علماء الجزائر و تونس
257	المبحث الرابع: علاقة زاوية خنقة سيدي ناجي بحكام تونس
257	4-1- تاريخ تأسيس زاوية خنقة سيدي ناجي.
258	4-2- علاقة علماء الزاوية بتونس مطلع القرن 18م/12هـ.
259	4-3-وقفية علي باي بن حسين بن علي علي زاوية سيدي عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي عام1187هـ/1774م.
261	المبحث الخامس: التأثير الصوفي بين الجزائر و تونس
261	5-1- مفهوم التصوف.
262	5-2- تعريف الرباط و المرابط.
262	5-3- لمحة تاريخية عن التأثير الصوفي بين الجزائر و تونس خلال العهد العثماني.
263	أ-الطريقة القادرية.
264	ب-الطريقة الرحمانية.
264	ج-الطريقة الشاذلية.
265	د-الطريقة التجانية.
269	خاتمة الفصل الرابع
271	الخاتمة

281	الملاحق
309	البيلوغرافيا
338	فهرس الأعلام والأماكن
347	الفهرس